أحمد طاهر

الأناجيل

دراسة مقارنة

ومعها إنجيل برنابا



دار المعارف

الأناجيل

دراسة مقارنة

بقلم

أحمد طاهر

أمين عام اتحاد الإذاعة والتليفزيون سابقًا
أستاذ بكلية الإعلام سابقًا
عضو مجلس إدارة معهد الدراسات والبحوث الأفريقية سابقًا
المشرف الفنى على معهد الإذاعيين الأفارقة سابقًا



دار المعارف

إهــداء

أهدى هذا البحث فى الرسالات الإلهية إلى كل مسلم ومسيحى ويهودى، ففيه حقائق غربت عن أذهان الكثيرين.

وأخص بالإهداء رجال الدعوة . فلن يستطيع داع أن ينجح فى دعوته إلا إذا عرف أساسيات العقائد الثلاثة، وإلا إذا قارنها بعضها ببعض ليصل إلى الحقيقة المجردة وهى أن الله واحد لا شريك له، وأن محمدًا خاتم أنبيائه ورسله.

كما أهدى هذا البحث فى الأديان المقارنة إلى نجلى عثمان أحمد طاهر وكريمته سينايدا ونجله أحمد، وأعتقد أن التمعن فيما كتبت يؤصل الناحية العقائدية بين المسلمين كما وردت فى القرآن الكريم والسنة، ويخلصها من الإسرائيليات التى امتزجت بالكثير من التأويلات والشروح.

كما أرجو أن ينتفع به المسيحيون واليهود خاصة، وأن كل ما جاء به من شرح وتفسير هو عن أصول مسيحية أو يهودية.

والله ولى التوفيق..

أحمد طاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

تمهيد

لقد كُتِبَتْ سطور هذه الدراسة العميقة لكتاب «الأناجيل الخمسة» منذ ما يزيد على عشر سنوات، وقد بذل فيها مؤلفها الكثير من الوقت والجهد والبحث والاطلاع الدائم بين مراجع ومصادر تلك الدراسة المتأصلة حتى خرج بهذه الصورة والمحايدة غير المتعصبة، والتى أثبت فيها المؤلف حقائق ثابتة معزوة إلى مصادرها التى أخذت منها...

وقد كان بودى أن يخرج هذا العمل الفريد فى موضوعه - كما سيلمس القارىء الكريم هذا بنفسه - فى حياة مؤلفه - والدى رحمه الله - لكن إرادة الله سبحانه وتعالى شاءت غير ذلك، وقد كانت أمنية والدى رحمه الله أن يرى هذا العمل بين أيدى الناس جميعًا، وخاصة بعد أن بذل فيه الكثير من الجهد وهو فى أخريات حياته، حتى يمكنه أن يناقش أو يرد على كل ما يعنّ للقارىء الكريم من توضيح أو إستفسار يخص هذه الدراسة التى أسأل الله أن يتقبلها منه خالصة لوجهه الكريم، وأن يغفر الله له كل خطأ أو تقصير، فإن كان فيه من نفع فهذه كانت بغيته ومراده من هذه الدراسة، وإن كانت الأخرى فالله يتجاوز عنه بفضله ورحمته - فالكمال لله وحده - وأسأل الله أن يتقبله فى الصالحين، وأن يجعل هذا العمل فى ميزان حسناته، وأن يجزى كل من أسهم فيه كل خير،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

نجل المؤلف/عثمان أحمد طاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تختلف نظرة الإسلام إلى الأديان والعقائد اختلافًا كليًا عن نظرة المسيحية ممثلة فى الكنيسة، فقد عمد رجال الدين المسيحى إلى تلقين المسيحيين منذ طفولتهم أن المسيحية هى دين الله الوحيد، والصحيح الحق، وأن اليهودية هى تمهيد للمسيحية، وأن ما عداهما من أديان كذب واختلاق، وبغض النظر عن المحاولات الأخيرة التى بدأها الفاتيكان للتقريب بين الأديان، فلا يزال هذا الاعتقاد ساريًا بين المسيحيين ويبشر به القساوسة فى كنائسهم، خاصة فى العالم الثالث، ويعتقد المسيحى أن الله قد اختار أنبياءه من شعب إسرائيل ليبلغ عن طريقهم رسالته وتعاليمه، وعلى ذلك نجد المسيحى يعتقد فقط فى أنبياء إسرائيل وتعاليمهم الدينية، وينظر إلى ما عداهم من أنبياء كمدعى نبوة.

واستخدمت الإرساليات التبشيرية كل ما استطاعت من وسائل، كما وجهت جهودها الكلية لهدم أصحاب الرسالات الأخرى من الأنبياء، فأسمتهم بالدعاة والكفرة، حتى يرسبوا فى أذهان المترددين عليهم أن (يسوع المسيح) هو الإله الوحيد، وأحيانًا الرسول الوحيد، الذى أرسله الله، ويكفى أن نقرأ ما كتبوه عن محمد ﷺ، وعن الدين الذى أتى به، لنفهم أفكارهم الدينية التى استقرت فى نفوسهم منذ الصغر، ونرى تحاملهم على صاحب هذا الدين ورسالته، مما أعمى بصيرتهم ففشلوا فى رؤية الحقيقة والتعرف على صحة ما ينادى به الأنبياء من غير بنى إسرائيل. ولم يتورع هؤلاء الكهنة فى وقت من الأوقات عن تحريف القرآن، سواء عند طبعه باللغة العربية أو ترجمته إلى اللغة الإنجليزية أو غيرها من اللغات، بل ذهب بعض العلماء منهم إلى دس معلومات خاطئة فى كتبهم عن محمد الرسول ﷺ، لا لشىء إلّا إرضاءً لأنفسهم وتأكيدًا لما شبوا عليه فى طفولتهم، وقد وصل بهم الحقد إلى أنهم إذا وجدوا فى دين من الأديان ما يتمشى مع ما جاء فى دينهم من تعليم، شعروا بحزن وأسى بل بإحباط ويأس، بل هبوط نفسى، وسارعوا بتفسير هذه المتشابهات بما يؤكد بأس النفوذ «المسيحى». أما المسلمون فيعتقدون بأن جميع الأديان السماوية فى العالم بعثت من مصدر واحد مفرد، والقرآن الكريم يشير إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل رسولاً إلى كل أمة، ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله﴾ [النحل ٣٦]، وكانت مهمة كل رسول أن يبين لأمته طريق الحق، ويحثهم على عبادته سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض، وهو الذى أسبغ على مخلوقاته حبًا ورحمة، وهو الذى يكلؤهم

بعنايته ويرزقهم، وبالتالى لا يمكن أن يحابى خالق هذا الكون أمة على أمة أو يفضل شعبًا على باقى الشعوب فيرسل إليه دون غيره رسولاً يحمل تعاليمه وأوامره، والمسلم لا يكون إسلامه صحيحًا إلا إذا اعتقد بأن مصدر الديانات السماوية هو الله سبحانه وتعالى، وإلّا إذا آمن بكتبه المنزلة ورسله الذين بعثهم إلى مختلف الشعوب، وقد يشعر المسلم بشىء من الحزن عندما يرى أن اليهود والمسيحيين قد تناسوا تعاليم الله جزئيًا، أو بدلوا الكثير منها على غير ما جاء به موسى أو عيسى عليهما السلام، فقد أمره القرآن أن يؤمن بهما كرسولين صادقين حملا رسالة الله إلى الأرض. والمسلم المؤمن يحترم ويحب عيسى وموسى كما يحب ويحترم محمدًا ﷺ، وإنى عندما أتطرق إلى الكلام عن الإسلام والمسيحية، أشعر بكل الحب لمحمد، ولعيسى عليهما الصلاة والسلام، وأشعر بالاحترام لهما بوصفهما رسولين أتيا برسالة واحدة فى جوهرها من عند الله، وإنى إذا ما خالفت فى الرأى المسيحيين واليهود المعاصرين، فإنى أخالفهم فى أمور أعتقد أنها حرفت، أو فى سمات من الدين أعتقد أنها أدخلت على المسيحية بعد رحيل عيسى عليه السلام، أو على اليهودية الأصيلة التى أتى بها موسى، ولكنى لا أخالفهم فى دين عيسى، أو موسى، أو كما قال اللورد HEADLEY فى كتابه: A Western Awakening to Islam صفحة ١٥ «الإسلام والمسيحية صنوان وهما لا يختلفان إلا فى بعض التفاصيل والعبارات ولكنهما دينان متشابهان».

وإنى أستسمح إخوانى المسيحيين إذا ما كنت قد رفضت الاستشهاد بترجمة الآباء اليسوعيين للإنجيل والتوراة، ورجعت إلى النص الإنجليزى، وأخذت عنه، فقد كان همى الأول أن أفهم ما جاء فى العهدين القديم والجديد، وللأسف الشديد لا توفر لى ترجمة الآباء اليسوعيين رغبتى فى فهم الكتاب المقدس، نظرًا لضعف الترجمة وركاكتها، حتى أصبحت غير مفهومة فى مواضع كثيرة، ولا أكون مبالغًا إذا قلت إن عددًا كبيرًا من المسيحيين الذين أصادقهم هم من رأيى، من أن ترجمة الآباء اليسوعيين تحتاج إلى مراجعة كلية، ولسوف يجد القارئ فى الأبواب الأولى من هذا الكتاب الترجمة اليسوعية وإلى جانبها الترجمة من النسخة الإنجليزية، وإن كنت فى الجزء الأخير من الكتاب اكتفيت بالترجمة عن الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية.

والله ولى التوفيق

أحمد طاهر

دراسة مقارنة عن الرسالات السماوية
التوراة - الأناجيل الخمسة - القرآن الكريم
ومعها إنجيل برنابا

الباب الأول

الفصل الأول

التوراة:

قد يعجب القارئ أن أبدأ بالتوراة وهى ليست من الأناجيل، ولا هى الكتاب المنزل على عيسى، ولكنها أصل الديانة المسيحية التى جاء عيسى عليه السلام من أجلها ولتعزيزها، وشريعة بنى إسرائيل هى شريعة عيسى الذى لم يمتد به الأجل ليرينا ما إذا كانت المسيحية التى أتى بها قد أرادت أن تقيم لها كنيسة خاصة بها، أم أنها اكتفت بكنيسة موسى عليه السلام. والكتاب المقدس الذى بين أيدينا يضم عهدين أحدهما قديم وهو التوراة ومعها كتب أضيفت إليها، وآخر جديد هو الإنجيل أو البشارة التى جاء بها عيسى وتتكون هذه البشارة من أربعة كتب رسمية، ألف كل كتاب مؤلف أو عدد من المؤلفين، وتعتبر الأناجيل الرسمية التى تعترف بها الكنيسة.

«والعهد القديم» كتب على مدى ١١٠٠ سنة، ويضم الأسفار الأولى التى تعرف - سواء حقًّا أو تقليديًّا - بأسفار موسى أو التوراة.

والواقع أن أحبار اليهود أنفسهم، يختلفون فى أسماء وعدد أسفار التوراة، ولقد بحث هذا الموضوع بحثًا مستفيضًا زميلى الأستاذ/ فؤاد حسنين على، رحمة الله عليه وهو يرى أن وضع «العهد القديم» استدعى زمنًا امتد نحو ألف سنة، وأن التوراة جمعت على عدة قرون كان آخرها فى القرن الخامس الميلادى، وأن النتيجة المحتومة لامتداد زمن التأليف إلى أكثر من ألف عام وطوال عصور الجمع، أن خضعت الأسفار لمؤثرات كثيرة عملت فيها بالزيادة أو النقصان، والحذف أو الإضافة، بل يتناقش رجال اللاهوت حول بعض الأسفار، وهل هى حقًّا من أسفار (العهد القديم) أم دخيلة عليه، ونخص بالذكر «سفرى الجامعة، ونشيد الإنشاد». وكان من نتيجة التفاوت العظيم بين عقليات اليهود المختلفة، ومعتقداتهم على مدى هذه السنوات الطوال، التى امتدت إلى أكثر من ألف عام، أن أدخل يهود مصر بعض الأسفار الجديدة على (العهد القديم)، والتى لا أصل لها باللغة العبرية، وقد كتبت هذه الأسفار باللغة اليونانية لأول مرة فى (العهد القديم)، والسبب فى ذلك هو زوال سلطان اليهود السياسى عام ٧٠ ميلادية، مما حدا بهم إلى تدوين تراثهم الروحى والعقلى كتابة.

والوصايات التى تنسب إلى موسى، والتى يقال إنها عشرة، أو هى إحدى عشرة وصية كما وردت فى سفر من الأسفار المعتمدة ليست لموسى، إذ أن ما جاء فيها لا يتفق مع حياة الإسرائيليين البرية التى

كانوا يعيشونها فى أيامه، وهذه الوصايا التى بين أيدينا هى صورة متطورة نتيجة تطور الشعب اليهودى من حياة البداوة المتنقلة إلى حياة الزراعة المستقرة، ونحن نلمس فى هذه الوصايا على صورتها الحالية، تلك العادات والتقاليد المطبوعة بطابع الإسرائيليين فى القرن الثامن قبل الميلاد، لذلك يرجح أنها وجدت فى أواخر ذلك القرن أو القرن السابع قبل الميلاد، ومن الناحية التشريعية نجد أن سفر الخروج الذى يطلق عليه سفر (هبريت) أى خروج، قد حوى القسم الهام من التشريع الشعبى، فهو يهتم بالأفراد وحياتهم ومعاملاتهم، وهو أشبه ما يكون بشريعة (حمورابى) مع وجود بعض الفروق التى ترجع إلى تفاوت الثقافة بين الشعبين وبمقارنة شريعة (حمورابى) بالوصايا، نجد العلاقة قوية جدًّا بينهما، وقد يتساءل البعض كيف عرف اليهود هذا التشريع، والرد على ذلك أنهم نقلوه عن الكنعانيين.

وفى سفر التثنية عرضت الشريعة عرضًا جديدًا، أو هى كتبت كتابة جديدة اهتمت اهتمامًا خاصًّا بأوامر يهوه (وهو اسم الله سبحانه وتعالى عند العبريين)، على أن هذا العرض الجديد للتشريع، تناول الوصايا العشرة بحيث جاءت مخالفة بعض الشىء للوصايا التى وردت فى سفر الخروج، ولقد نص هذا السفر على وجوب عبادة (يهوه) وتقديسه، وأن تكون هذه العبادة وهذا التقديس فى مدينة القدس أو أورشليم، كذلك أحل التشريع هنا بعض ما كان محرمًا من أطعمة وغيرها، وهى عمومًا تختلف عما جاء فى سفر اللاويين، كذلك الحال فيما يتعلق بالأعشار وأيام الأعياد، وقد سجل هذا السفر فى آخره موت موسى على جبل نابو فى أرض موآب، ويعتبر السفر الخامس (التثنية) آخر أسفار التوراة الموسوية، ونلاحظ هنا أن هذا السفر لم يكتبه موسى، بل كتبه غيره بعد موته بأكثر من ٣٤٠ سنة، إذ لا يعقل أن يشير موسى نفسه إلى أنه مات على جبل نابو فى أرض موآب وذلك فى أثناء حياته، وهناك إشارات أخرى تؤكد أن هذا السفر قد اشترك فى كتابته عدد من المؤلفين، كما سنوضح ذلك فيما بعد.

ولعل السبب فى وضع سفر التثنية من بين أسفار موسى، هو محاولة إنقاذ مملكة يهودا من الخطر الأشورى الذى كان محدقًا بها، وتطهير البلاد والعبادة اليهودية، من كل دخيل عليها مع إدخال إصلاحات حديثة على هيئة تشريع جديد، ومما يدل على ذلك أن الإصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الثانى قد حدثنا «أنه فى العام الثامن عشر من حكم يوشيا أعنى ما بين عامى ٦٢٣ - ٦٢١ قبل الميلاد، سلم القسيس حلقيا كتاب الشريعة إلى شافان رسول الملك، وقال إنه وجده فى بيت [يهوه] وبعد أن قرأه شافان أوصله إلى الملك الذى دعا ممثلى الشعب وأمر بقراءة الكتاب عليهم، وأخذ عليهم عهدًا أن يحترموا ما جاء فيه ويعملوا بتعاليمه» وسفر التثنية بالذات تناولته يد التغيير والتبديل. والنص الذى بين أيدينا خليط من مصادر متنوعة، لأن أسلوبه الأدبى يتفاوت من جملة إلى أخرى خاصة فى الفصول الثلاثة الأولى، مما يرجح أن عددًا كبيرًا من الكتاب قد أدلوا بدلوهم فى تشكيله، وكان من بينهم أرميا، الملقب بالنبى، ويتبين لنا ذلك جليًّا من الإصحاح الحادى عشر من السفر نفسه، ويرجح أن تأليفه قدجاء بعد عصر النبوة، أى عصر، أنبياء الفترة الآشورية، والسفر بحالته الراهنة يدل على أنه كتب فى عهد متأخر، وأن بعض الإصحاحات أضيفت إلى النص القديم «قارن مثلاً إصحاح ١٤ من «التثنية مع أرميا ١٦، وحزقيال إصحاح ٧ مع أشعياء إصحاح ٥٦ وما بعده» ولما جاء

السبى البابلى حاول كتاب العهد القديم التوفيق بين سفر (التثنية) مع مصدرى [يهـوه، والوهيم]، (الوهيم اسم فى العبرية لله مثل اللهم) ووحّدوا (التثنية) مع هذين المصدرين، وأدخلوا أيضًا تغييرات هامة على سفرى الخروج والعدد، وبالتالى نستطيع أن نجزم أن التوراة التى بأيدينا لا تمت بصلة إلى موسى، وليست هى التى أنزلها الله عليه، فقد بدئ فى جمعها من التراث الشعبى (الشفهى) بعد موت موسى ب ٢٥٠ سنة، كما أشارت دائرة المعارف البريطانية، ومما يدل على ذلك ما جـاء فى الفقرة السادسة من الإصحاح الرابع من سفر التثنية بخصوص وفاة موسى إذ لا يمكن أن يكون هذا الخبر الخاص بوفاته صدر عنه شخصيًّا وهو حى إذ يقول (لا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا).

وفى الفقرة العاشرة من نفس الإصحاح جاء (لم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه يهوه وجهًا لوجه)، إذ لا يعقل أن يقول موسى هذه الفقرة عن نفسه ويستخدم الفعل الماضى، ثم كيف يتأتى له أن يعرف من سيأتى بعده من الأنبياء ومنزلتهم عند الله سبحانه.

وهناك فترة زمنية طويلة جدًا جدًّا بين تأليف التوراة التى بين أيدينا ووفاة موسى عليه السلام، مما يؤكد أنها ألفت بعده (انظر الفقرة ٣١ من الإصحاح ٣٦ سفر التكوين)، إذ يفهم منها أن الوقت الذى تشير إليه، كان وقت الملوك وليس الزمن الذى عاشه موسى.

ولكن قد يتساءل المرء لماذا سميت التوراة، بتوراة موسى، وقد يكون السبب أن التوراة التى بين أيدينا قد اهتمت بموسى اهتمامًا كبيرًا فتحدثت عنه طويلًا، ثم يبدو أن مـوسى كان مفخـرة لبنى إسرائيل، فقد كان متعلمًا ومؤلفًا وصاحب رأى. ألم تربيه ابنة فرعون فى قصر الملك؟ ثم ألم ترسل به إلى أعظم جامعة فى العالم فى ذلك الحين وهى جامعة (أون) وبالتالى راح كل كاتب أو راوية ينسب ما يقول إلى موسى المصرى المتعلم، حتى يجد لكلماته وزنًا وثقلًا بين الناس.

والتوراة التى بين أيدينا وليدة عصور عديدة، ونتاج عقليات متنوعة، وقد استغل واضعوها مصادر عديدة ذكروا بعضها، وغضوا النظر عن البعض الآخر فمن بين المصادر التى اعتمدت عليها التوراة، كتاب حروب يهوه الذى جاء ذكره فى سفر العدد، إصحاح ١، ١٤ ومن الإصحاحات التى أقحمت على التوراة بركة يعقوب (تكوين ٤٩)، وحكم بلعام (سفر العدد من ٢٣ إلى ٢٤)، أما كتاب (العهد) فيرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، لأنه يدلنا على عصر متطور، وعلى شعب مستقر له تقـاليده وعاداته (سفر الخروج إصحاح ٢٢ و ٢٣)، والتوراة التى بين أيدينا ليست منزلة من السماء، إذ يعتريها الاضطراب فى كثير من القصص مثل (قصة الطوفان) فقد جاء فى الفقرة الثانية عشرة من الإصحاح السابع من سفر (التكوين)، أن الطوفان استمر أربعين يومًا وأربعين ليلة، فى حين تشير الفقرة ٢٤ من نفس الإصحاح من سفر (التكوين) أن الطوفان استمر ١٥٠ يومًا وفى ذلك تناقض غريب.

وأقدم المخطوطات الموجودة يرجع تاريخها إلى حوالى ألف عام من النسخة أو التراث الذى نقلت عنه، وإذا أخذنا سفر أشعياء نجد أنه مكون من جزأين بينهما فترة لا تقل عن ١٥٠ سنة، ولا يعقل أن كاتبًا من الكتاب كتب الجزأين معًا، فى حين أن الفترة التى تفصل بينهما طويلة جدًّا.. فالجزء الثانى من أشعياء (إصلاح ٤١ – ٦٦)، قد كتب فى عصر انتصار ملك الفرس قورش.

كذلك نلاحظ أن نبوءات دانيال التى زعم السفر أنها وقعت أيام (نبخنصر)، هى نتاج خيال خصيب لا يمت إلى الحقيقة فى شىء.

ومما يعزز ما ذهب إليه الدكتور فؤاد حسنين على، أن دائرة المعارف البريطانية عند تعرضها لكلمة توراة قسمت الكتاب المقدس إلى قسمين قديم، وجديد، وكلاهما يتألف من عدة كتب، وأشارت إلى أن القسم القديم أو (العهد القديم) قد ألف على مدى عشرة قرون من السنين، وأن القسم الجديد ألف على مدى قرنين بعد ميلاد (عيسى) عليه السلام.

وقد كتبت التوراة أول ما كتبت بالعبرية، ثم الآرامية، ثم اليونانية، وليس لها مؤلف واحد، بل لكل كتاب عدة مؤلفين أضافوا أو أنقصوا أو عدلوا أو حرفوا ما شاءت لهم ظروفهم الخاصة، ذلك كله على خلاف ما يعتقده الكثيرون من أبناء الديانتين السماويتين، من أن هذه الكتب قد أنزلها الله تعالى.

والعهد القديم: يشمل الأسفار الخمسة الأولى وهي (التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية)، وتسلم دائرة المعارف البريطانية بأن محتويات ومدى هذه الكتب موضع نزاع من ناحية صحتها، ومن ناحية تاريخها أو سرد الأحداث، انظر ص ٥٧١ تحت كلمة BIBLE طبعة ثانية.

والتوراة: عبارة عن إطار لتعاليم الله سبحانه وتعالى التى أصدرها إلى شعب إسرائيل وتعنى هذه الكلمة (التوراة)، تعاليم الله أو شريعته، وهى وإن كانت قد بدأت بسفر (التكوين) إلا أن معلوماتها عن خلق السموات والأرض والإنسان أبعد ما تكون عن الواقع والعلم، ولا غرو فقد كتبت هذه التوراة على مدى يزيد على ألف سنة، بمقتضى اعترافات رجال الكنيسة اليهودية، وكما جاء فى دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف العالمية، ظهر موسى فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وقد حددت دائرة المعارف العالمية. ظهوره فى عام ١٢٥٠ قبل الميلاد، كما تشير إلى أن (العهد القديم) كان متداولاً منذ نحو ألف سنة تنتهى فى السنة المائة بعد ظهور المسيح.

إن (التوراة) ظهرت بعد موسى بنحو ٢٥٠ سنة، وكان (العهد القديم) عدة نصوص جمعت فى ثلاثة أقسام حتى القرن الثالث قبل الميلاد، وحتى هذه النصوص الثلاثة فقدت مرة أخرى ثم أعيد جمعها من الروايات الشفهية ودونت فى نص واحد فى القرن الأول بعد الميلاد، انظر EDMOUD JACOB "Que Sais Je" ولعل فى ذلك ما يبين بوضوح ما أصاب العهد القديم من تعديلات نتيجة لضياع النصوص ثم التحريفات والإبدالات الناتجة عن النقل والترجمة.

كان العهد القديم قبل أن يكون مجموعة أسفار، تراثًا شعبيًّا شفهيًّا، لا سند له إلا الذاكرة، وكان المنشدون يتغنون بهذا التراث كما يتغنى شعراء اليوم بقصة الزناتى خليفة وعنترة بن شداد، والواقع أن كل شعب فى تطوره الأدبى والتاريخى قد بدأ بالمنشدين حتى أننا نجد نفس هذا الشكل من التطور فى أفريقيا اليوم خاصة فى أوغندا وتنجانيقا (تنزانيا الحاليًّا)، حيث كان المنشدون ينشدون الشعر إعلاءً (للكاباكا). كذلك نجد نفساالشىء فى غرب أفريقيا، وكان الناس فى الأيام الخالية يحسنون الغناء، بل كان لكل حدث حظه من الإنشاد كالطعام، والزواج، وملء القوارير، وأناشيد الحرب، وهكذا. وقد

تحول هذا الشعر الروائي الشفهى إلى نوع من التاريخ المشوب بالأساطير والخرافات، خاصة وأن الشعراء الذين كانوا يتجولون بأهازيجهم الشفهية، كانوا يضيفون كلمات براقة جذابة إلى تخيلاتهم ليستميلوا الكبار والصغار ويبدءوا إنشادهم بربطهم الشعر بالأحداث التاريخية والأساطير المروية على هيئة قصص وحكايات تستلهم العاطفة قبل العقل، وتقول دائرة المعارف العالمية فى صفحة ٥٧٢ تحت كلمة BIBLE، «ولما كان الكتاب المقدس عبارة عن مجموعة من الوثائق التى تلقيناها من التراث (أغلبه الأساطير) - وكانت الأجزاء الأخيرة من هذا التراث قد وقعت أحداثها فى نحو مائة سنة بعد الميلاد، والأجزاء الأولى منه فى نحو ألف سنة أو أكثر قبل الميلاد، فإن دراسته تتطلب تكنيكيات معينة، كذلك يجب التعرف على الكلمات التى كانت تستخدم فى فحص الأدب القديم، ولما كانت أقدم المخطوطات للكتب المقدسة عبارة عن نسخ - عدلت وبدلت عدة مرات - مأخوذة عن التراث، ولما كان علينا أن نحسب حسابًا للأخطاء العديدة عند النسخ، ونحن نتعامل مع نسخ من التراث وجب التخفيف من نقد النصوص حتى نستطيع أن نعين بقدر الإمكان الكلمات الأصلية، ومعنى ذلك أن نغمض أعيننا عن ما لا يتلاءم مع عقولنا».

يتكون العهد القديم من أربعة أقسام حسب ما انتهت إليه الكنيسة المسيحية:

القسم الأول: ويشمل الأسفار الخمسة الأولى السابق ذكرها والتى تنتهى بسفر (التثنية).

والقسم الثانى: ويشمل الكتب التاريخية من (يشوع حتى استير).

والقسم الثالث: ويضم كتب الشعراء والحكمة ابتداءً من (أيوب حتى نشيد الإنشاد).

والقسم الرابع: ويشمل الرسل الكبار من (أشعياء إلى دانيال) والرسل الصغار من (هوشع إلى ملاخى).

سمى الرسل الصغار بهذا الاسم، لأن كتبهم صغيرة، وهذا التقسيم يوجد فى النسخ اللاتينية، أما النسخ العبرية فلها تقسيم آخر يختلف قليلًا عن التقسيم السابق.

أولها: أسفار موسى الخمسة.

ثانيها: كتب الرسل الأولى، وتشمل (يوشع والقضاة وصمويل والملوك والرسل الأواخر)، وهم (عزرا، ونحميا، وعزقيال) وكتب الرسل الاثنى عشر، وهم الرسل الصغار وقد وضعوا فى كتاب واحد.

وثالثها: ويسمى بالكتاب ويشمل أسفار (العهد القديم) الباقية ابتداء من المزامير والأمثال، وأيوب، ونشيد الإنشاد حتى أخبار الأيام.

وظل الكهنة من اليهود والمسيحيين يعتبرون موسى كاتبًا للتوراة، ولعلهم اعتمدوا فى ذلك على ما جاء فى سفر الخروج الإصحاح ١٧ الفقرة ١٤ وهى (أكتب هذا تذكارًا فى الكتاب)، أو ما جاء فى سفر (العدد) الفقرة الثانية من الإصحاح الثالث والثلاثين وهى: (وكتب موسى خروجهم فى رحلاتهم تنفيذًا لوصايا الرب)، أو لعلهم اعتمدوا على الفقرة التاسعة من الإصحاح الحادى والثلاثين من سفر (التثنية) وهى (وكتب موسى هذه الشريعة ثم سلمها إلى الكهنة من أبناء ليفى)، وهذا الرأى الذى كان ينادى

بأن موسى كتب الأسفار الخمسة الأولى لم يعد مسلّما به، خاصة وأن سفر (التثنية) قد أشار إلى كيفية موت موسى فى الفقرات من ٥ إلى ١٢ من الإصحاح ٣٤، ولا يعقل أن يصف موسى طريقة موته بنفسه، كما ذكر اسم الله سبحانه وتعالى فى سفر (التكوين) على صورتين أحدهما [يهوه] والأخرى [الوهيم]، بمعنى أن سفر (التكوين) قد كتبه على الأقل شخصان وفى عهدين مختلفين، وأسمى الكاتب الأول الله سبحانه وتعالى فى قسمه [بيهوه] وأسمى الآخر الله فى قسمه [بالوهيم]، كما أن القسم الثانى ينقسم بدوره إلى قسمين، وأرجع المؤرخون الوثائق التى كانت مصدرًا لسفر التثنية إلى عهود مختلفة، ويؤكدون أن وثيقة يهوه، كتبت فى القرن التاسع قبل الميلاد ووثيقة [الوهيم] كتبت بعد ذلك، فى حين أن سفر (التثنية) نفسه عدل فى القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد، غير أن (موسى) نفسه عاش فى أوائل القرن الثالث عشر قبل الميلاد ومات فى أواخر نفس القرن، وبالتالى لا يمكن أن يكون قد كتب بنفسه سفر (التثنية) أو غيره من الأسفار الخمسة الأولى، ولكن يجب أن نذكر أيضًا أن هذه الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى موسى، كان لها ما يوازيها خارج التوراة فى الأساطير والتراث الشعبى الشفهى فى فترة تسبق بكثير القرن التاسع قبل الميلاد، ومن أمثلة ذلك ما جاء من قصص (قابيل والطوفان)، (واختطاف يوسف)، وما جرى له بمصر، ثم إطلاق أسماء عدة على شخص واحد يقولون إنه (رمسيس) دون أن يحددوا أى (رمسيس) هو.

ومن هذا يتضح أن التوراة التى بين أيدينا والتى تتمثل فى الكتب الخمسة الأولى والتى كتبت - على رأى البعض - ابتداء من القرن التاسع قبل الميلاد حتى القرن السادس هى من التراث، أى من الأساطير، ولكن ذلك لا ينفى وجود (توراة) أو (ألواح) أخرى قد تتفق أو تختلف جزئيًا أو كليًا مع (التوراة) التى بين أيدينا، وإن كنت أميل إلى أنها تختلف عنها اختلافًا بينًا، والواقع أن (التوراة) الحالية التى توجد فى الكتاب المقدس، تحتوى على أمور غير معقولة وأشياء متناقضة تجعل الدارس يرفض اعتباره كتابًا منزلاً من عند الله، ويقول الأب (ديفو) إن أسفار موسى الخمسة، أى التوراة الأصلية، قد بدأت تظهر فى القرن التاسع قبل الميلاد مع التراث اليهودى الذى يتميز بأقوال أو روايات غريبة منها: أن الله استراح يوم السبت، ومنها ارتباط موسى بنوح، وإبراهيم، ثم عملية الطهور، وشراء مغارة للآباء الأولين بأرض كنعان، وهنا يجب أن نذكر أن النص الكهنوتى للتوراة ظهر بعد إطلاق سراح بنى إسرائيل من بابل، وعودتهم مرة أخرى إلى فلسطين، أى فى نحو عام ٥٣٨ قبل الميلاد، بمعنى وجود تداخل بين النصوص اليهوية نسبة إلى يهوه والألوهية بالنسبة إلى الوهيم (وهو تعبير عن اللهم).

ونجد فى الأسفار الخمسة المعروفة بتوراة موسى أنواعًا مختلفة من التشريعات أو القوانين يتناول بعضها الوصايا وأحكام القضاء والشهادة والاتهامات، ويرى الدارسون المعاصرون أن تبويب التعليمات أو القواعد أو ما يسمونه بالقوانين فى أبواب، مثل أحكام القضاة والوصايا والشهادة والاتهام، أمر مشكوك فيه من ناحية أنه تنزيل من الله سبحانه وتعالى، وإن تكن أحكام القضاة تتناول فى كليتها القوانين المدنية وغالبيتها تقع فى سفر (الخروج) الإصحاح ٢١ إلى ٢٣ وفى سفر التثنية الإصحاح ٢١ إلى ٢٥، كما نجد غالبية القوانين الدينية فى (اللاويين)، ويبدو أن بعض القضايا المدنية

قد عرضت على المسنين الذين كان يطلق عليهم لقب الحكماء، فصاغوها وفق هواهم، فى حين كانت هناك طائفة من القساوسة فى معبد القدس اليهودى يطلقون على أنفسهم السلطة القضائية العليا، وقد ورد هذا فى سفر (التثنية) فى الإصحاح السابع عشر من الفقرة الثامنة إلى الفقرة ١٣، ورغم أن تطبيق القوانين القدسية كان قبل نفى جميع اليهود إلى بابل، غير أن اليهود عندما سرحوا من سجنهم قرروا تطبيق قوانين موسى كدستور لهم (نحميا ٨ - ١٠)، وكانت جميع هذه القوانين تنتقل شفاهة من جيل إلى جيل، واستمرت هكذا مدة طويلة جدًّا لا يعرف مداها إلا الله سبحانه وتعالى.

ومن هذا نستخلص أن ما بين أيدينا اليوم من عهد قديم (التوراة)، قد كتب على مدى أكثر من ألف سنة، وبعد موت موسى بنحو ٢٥٠ سنة إلى ٣٥٠ سنة.

وتقول دائرة المعارف البريطانية فى صفحة ٥٧٧ إن (العهد القديم) الذى بين أيدينا فى صورته العبرية قد أعيدت كتابته فى نحو القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الثانى أو الثالث بعد الميلاد - ومعنى ذلك أن العهد القديم كان قبل ذلك تراثًا شفهيًّا أشبه بالأساطير، وإن كانت النصوص قد استقرت إلى حد ما فى القرن الثانى بعد الميلاد، ولا شك أن فى ذلك فترة طويلة جدًّا بين ما كان عليه (العهد القديم)، وما هو عليه الآن على الرغم مما يقدمه رجال الدين من معاذير من أن تعديلات ذات أهمية حقيقية قد أدخلت على هذه النصوص قبل هذا التاريخ وليس بعده، وهناك نقطة جديرة بالملاحظة هى أن النص العبرى كان يتكون من حروف ساكنة فقط، فلم تكن حروف العلة معروفة، وكذلك كانت الكلمات متشابكة، وقراءة نصوص من هذا القبيل تخمين أكثر منه حقيقة (انظر نفس الصفحة ٥٧٧ من دائرة المعارف البريطانية)، وبعد ذلك أدخلت حروف العلة على هيئة علامات على النص الماسورى، وقسمتها إلى كلمات وجمل وراح الكهنة يلقون فى روع الشعب أن هذه الحروف والوقفات قد وضعها روح القدس، ولكن ثبت أنها أقرب بألف سنة من النص الماسورى نفسه.

وترى دائرة المعارف البريطانية أن النص الماسورى (للعهد القديم) لا يمكن الاعتماد عليه، كما أن الترجمة التى نقلت عنه إلى اليونانية أحلت حروف علة محل الحروف الساكنة كما قطعت الكلمات تقطيعًا جديدًا، كما حرفت النص الماسورى تحريفًا كبيرًا.

وهنا يجب أن نشير إلى أنه كانت هناك حتى القرن الثالث قبل الميلاد تقريبًا ثلاثة نصوص لبعض كتب التوراة، هى النص الماسورى، والنص العبرى الذى استخدم فى الترجمة إلى اليونانية، وكان يخلو وقتئذ من حروف العلة، ثم أضيفت إليه فيما بعد وقطعت كلماته تقطيعًا جديدًا، والنص الماسورى الذى يشمل أسفار موسى الخمسة دون غيرها، وهذه النصوص الثلاثة لا وجود لها الآن، ويعلم الله متى فقدت إذا ما كان لها وجود أصلا.

ولا شك أن هذا موضوع معقد للغاية مما يزيده تعقيدًا أن النص العبرى فى حالة يرثى لها حتى الآن، فبعضه يمكن قراءته والبعض الآخر لا يفهم إطلاقًا، ولا يمكن الحكم بمقتضاه على الأشياء لأنه مضطرب ومتضارب، وبالتالى راح أساتذة اليهودية يترجمون هذا النص ترجمات شتى، ولما كان الأصل مضطربًا وغامضًا ويتضارب بعضه مع بعض، فإن ترجمته تكون أسوأ منه، كما أن المترجمين قد أعادوا

تركيب الجمل حتى يتمكنوا من ترجمته، فغيروا المعانى وشكلوها بحيث تتمشى مع آرائهم، وأحيانًا لجئوا إلى الغموض، ومثال ذلك أن بعض الاصطلاحات الواضحة فى العبرية قد ترجمت ترجمة غامضة إلى اليونانية لمواءمة الظروف السائدة عندئذ، وتقول دائرة المعارف البريطانية فى نفس الصفحة (٥٧٧): إن مثل هذه الاعتبارات قد دفعت بنقاد (العهد القديم، أو التوراة) إلى التزام الحذر عند تصحيح النص الماسورى، وجعله موافقًا للنص العبرى، ثم إنهم أخذوا يشكون فى النص الماسورى، بل إن بعضهم يشك فى كلام النصين على حد سواء، وراح عالم اليهودية بول كهلى Paul Kahle يعترف بأنه لا يستطيع أن يحصل على رضاء عام، وقبول شامل لنظرياته بشأن نصوص التوراة ومما زاد الطين بلة، أن (مخطوطات البحر الميت) قد عززت بعض الجمل فى النص الماسورى، كما عززت بعض الجمل فى النص العبرى، والذى على أساسه ترجم النص اليونانى، كما عززت (مخطوطات البحر الميت) عددًا من وثائق التراث بالعبرية وبالتالى زادت من النقد الموجه إلى التوراة بشأن النصوص الواردة بها، وفى نفس الوقت لم تحل المشكلة الأساسية، وهى تضارب النصوص بعضها مع بعض.

ومن هذا نرى - ويشاركنا فى ذلك مؤلفو دائرة المعارف وأساتذة اللاهوت المسيحيون واليهود - أن العهد القديم كما هو بين أيدينا الآن مشكوك فى صحته، بل فى أحداثه وبالتالى نستطيع أن نجزم بأن التوراة الحالية التى بين أيدينا غير صحيحة، وليست هى التى أنزلها الله على موسى عليه السلام.

الفصل الثانى

موسى عليه السلام

ولد موسى عليه السلام - كما يقال - فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ولا نعرف شيئا أكيدًا عن ظروف ولادته وتربيته إلا ما جاء فى (التوراة) التى كتبت بعد رحيله بأكثر من ٢٥٠ - ٣٥٠ سنة، وما جاء من عبارات مختصرة فى القرآن عن ظروف تربيته، وبعض الأحداث التى وقعت له، ومع ما تواتر عن وضعه فى سلة من السلال وقذف أمه (يعقوبيد) له وهو داخل السلة فى اليم، حتى التقطته ابنة فرعون، ثم ردته أخته (مريم) مرة أخرى لوالدته لترضعه، فإن الثابت أن اسم موسى اسم مصرى قديم ومعناه الفتى، وله معنى آخر هو اسم مكان.

ولا شك أن علاقة أم موسى، به قد انقطعت بعد فطامه إذا ما كانت هذه الأم من الإسرائيليات، وقد كانوا موضع كراهية المصريين بسبب تكالبهم على المال، ومحاولة فرض سيادتهم عن طريق التسلط الاقتصادى على المصريين، إذ لا يعقل أن يضم بيت فرعون امرأة إسرائيلية، فى حين كان فرعون نفسه معاديا للإسرائيليين، وقد يقول قائل: ولماذا أعطت بنت فرعون موسى لأمه لإرضاعه وكانت إسرائيلية، ولماذا تجاوزت عن هذه العداوة بالنسبة لها؟ والرد على ذلك أنه ليس من المعقول أن تعطى بنت فرعون امرأة إسرائيلية ربيبها الذى حنت عليه إلا إذا كان هذا الوليد قد رفض حقًّا كل المرضعات، وكانت ابنة فرعون مضطرة إلى قبول هذه الإسرائيلية حتى لا يموت، أو أن والدته تنصلت من يهوديتها وادعت أنها مصرية مائة فى المائة وهذا أصوب، ونحن لا نميل إلى ما جاء فى سفر الخروج من أن فرعون قد أصدر أوامره بوأد كل وليد إسرائيلى، فليس هناك ما يعزز ذلك تاريخيًّا، كما لم يرد له ذكر صريح فى القرآن وإن كان الكثيرون ممن كتبوا قصص القرآن قد أدخلوا القصص اليهودية، ومنها قصة الكاهن الذى تقدم إلى فرعون وقال له، يولد مولود فى بنى إسرائيل، يذهب ملكك على يديه، فأمر بضرب أعناق الإسرائيليين وبوأد الأطفال حتى ثلاثة شهور ثم راح يرسل عيونه فى المدينة ليأتى بكل وليد ليقتله، فهذه الأقوال لا تخرج عن كونها أساطير إسرائيلية، ولكنها لا تنفى وجود عداوة متمكنة بين الإسرائيليين الذين أتوا من الشام واحتموا بمصر أيام يوسف، فأكرمتهم وأطعمتهم، ولكنهم انقلبوا عليها وساعدوا الغزاة الهكسوس، وأرشدوهم إلى الطرق الموصلة إلى نهر النيل، حتى ترتفع منزلتهم ويتبوءوا مراكز الزعامة والقيادة فى المجتمع المصرى فى حمى أسلحة الغزاة، (وسيأتى تفصيل ذلك فى الصفحات القليلة التالية)، ولما تمكن المصريون من طرد الهكسوس، وطهروا بلادهم من الغزاة، لم ينسوا ما فعله الإسرائيليون من خيانات للوطن الذى آواهم، ومن هنا نشأت العداوة، ويبدو أن الإسرائيليين قد عاشوا فى ضيم جزاء خيانتهم للمصريين، حتى أن يعقوبيد أم موسى، كما تشير القصص الدينية

فضلت أن ترمى ابنها فى اليم لعل أحد الأغنياء المصريين يلتقطه ويتخذه ربيبًا أو خادمًا، ولكن قدر لموسى أن تلتقطه ابنة فرعون ويعيش فى أحضان الملكية المصرية، ثم يتعلم فى معابدها لاسيما (أون).

ويبدو أن مصر فى ذلك الحين، أى فى الوقت الذى ذهب فيه موسى للدراسة فى (أون) كانت تعبد الواحد القهار، وبالتالى تشبع موسى بالوحدانية، ولما جاءه الوحى، كان على استعداد لتقبل الرسالة، أما عن اللغة التى كان يتكلمها موسى، فنستطيع أن نؤكد أنه كان عارفًا بل متبحرًا فى اللغة المصرية القديمة، وأنه إذا كان قد تعلم العبرية، فذلك خلال صحبته للإسرائيليين عند خروجه من مصر، أو قبيل ذلك عندما ترك مصر وذهب إلى جنوب فلسطين، حيث خدم شعيبًا ثمانى سنوات أو عشرًا، ثم تزوج ابنته. وأما عن المكان الذى ولد به موسى فبعض المؤرخين ينفى وجود موسى أصلا، وبعض رجال الدين والاجتماع يسلمون بوجود موسى، ويرون أنه ولد جنوب المنيا أو بنى سويف، فقد كانت (أهناسيا) آخر عاصمة على النيل قبل أن يتفرع إلى فروعه، وكانت عاصمة مصر بالقرب من بنى سويف الحالية، ويقول رأى آخر إن قصر فرعون كان عند (تل بسطة) فى الشرقية حيث كان الإسرائيليون منتشرين، وأن ولادته كانت وقت فيضان النيل، وإلا ما تمكنت أمه من وضعه فى تابوت ليأخذه اليم إلى بيت فرعون، وهنا يجب أن نشير إلى أن الإسرائيليين قبل موسى وفى أيامه كانوا يعبدون آلهة غير الله، ولا سيما البقرة بدليل أن الكثيرين منهم ارتدوا عن ديانة موسى بمجرد أن أولاهم ظهره، وصهروا ما لديهم من ذهب مسروق وصاغوا منه عجلا عملوا له خوارا.

تقول التوراة إن الله أرسل موسى لينقذ الإسرائيليين من ظلم فرعون وكأنها تريد أن تستأثر بموسى منقذًا لطائفة الإسرائيليين وحدهم. فقد ورد فى القرآن ما يدل على أن موسى قد أرسل إلى فرعون وملئه من المصريين وغيرهم ﴿وقال موسى يا فرعون إنى رسول من رب العالمين...﴾ الأعراف الآية ١٠٤ - ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه﴾ سورة يونس آية ٧٥، ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين. إلى فرعون وملئه﴾ هود الآيتين ٩٦، ٩٧، ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين. إلى فرعون وملئه﴾ سورة المؤمنون الآيتان ٤٥-٤٦.

أما عن ظلم فرعون فالواقع أن فرعون لم ينتهز عودة موسى ليقبض عليه ويقتله، فقد كان به حفيا برغم قتله المصرى وتركه يشرح قضيته ورسالته، بل أراد اجتذابه إلى جانبه ولكن موسى رفض.

ولقد أكد الله سبحانه وتعالى فى أكثر من آية فى سورة الزخرف، والمزمل، والنازعات أنه أرسل موسى إلى فرعون وشعبه أو وملئه ليردهم عن عبادة فرعون، وبعد أن رفض فرعون الرسالة وكان ديكتاتورا أمره الله تعالى أن يخرج الإسرائيليين من أرض مصر ليسكنهم أرضًا أخرى.

وأخيرًا توفى موسى فيما وراء الأردن قبل أن تدخله القبائل الإسرائيلية التى هاجرت من مصر، وصفوة ما جاء فى التراث أن موسى هو المؤسس الأول للدين اليهودى، وأما عن حياته فلا نعرف عنها الكثير أو عن أسرته إلا ما جاء فى التوراة، خاصة ما جاء فى سفر (العدد) الإصحاح ٢٦ الفقرة ٥٩ (واسم امرأة عمران (يعقوبيد بنت لاوى) التى ولدت فى مصر، فولدت لعمران هارون وموسى ومريم

أختهما) وأما ما يشير إليه سفر الخروج ابتداء من الفقرة الثامنة الإصحاح الأول، إن دل على شيء فإنما يدل على أن الإسرائيليين كانوا يخونون المصريين لأنهم انضموا إلى الغزاة من الشرق (الهكسوس على الأغلب) ضد من آووهم وأكرموهم وأطعموهم وليس نتيجة غيره أو لأنهم تكاثروا حتى بلغ عددهم أكثر من المصريين.

وتحدثنا التوراة كما يحدثنا القرآن عن فتوة موسى وكيف أنه وجد شخصين يتصارعان فضرب أحدهما فمات فخاف (وهو الذى تربى فى بيت فرعون وأخذته ابنته ربيبا لها) أن يحل به القصاص رغم هذه الصلة التى تربطه ببيت فرعون فهرب شرقا.

والنقطة الهامة هنا أن هذه القصة تدل على أن العدل فى مصر كان أمرًا مقررًا، وإلا ما ترك موسى البلاد خوفًا من أن يقتص القانون منه للمصرى الذى قتله. وأما عن فرعون وطغيانه فهذا أيضا صحيح لأنه أجبر المصريين على عبادته ويجب ألا نخلط بين معاملة فرعون لموسى شخصيا وبين معاملة فرعون لشعبه وجبروته عليه.

ولقد أكد سبحانه وتعالى فى أكثر من آية من سورة الزخرف والمزمل والنازعات أنه أرسل موسى إلى فرعون وشعبه ليردهم عن عبادة فرعون وبعد أن رفض فرعون الرسالة وكان ديكتاتورا أمره الله تعالى أن يخرج الإسرائيليين من أرض مصر ليسكنهم أرضا أخرى.

ولما وصل موسى إلى مدين وجد عددًا من الرعاة يتدافعون نحو بئر ماء لسقاية أغنامهم، ووجد امرأتين قد وقفتا وحيدتين بغنمهما، ويبدو أن موسى كان يعرف قليلا من العبرية إلى جانب المصرية القديمة، وليس ذلك بغريب على رجل تربى فى أحضان الملكية الفرعونية، حيث كان الأولاد يرسلون إلى جامعة (أون)، ليدرسون اللاهوت وعلوم الفلك والرياضة واللغات.

وخلاصة القول أن موسى ساعد المرأتين على سقاية غنمهما وكانتا ابنتى (شعيب) وهنا تبدأ قصة (موسى) مع (شعيب) الذى أرسل إحدى ابنتيه لتأتى به أو كما قالت: إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا، وتستمر القصة لتوضح لنا المفاوضات التى جرت بين (شعيب) رجل الدين فى مدين وموسى المصرى، وكيف قبل الأخير أن يعمل عند الشيخ الطيب لمدة ثمانى سنوات ثم يتزوج إحدى ابنتيه، وهنا نشير إلى أن الكثيرين قد اختلفوا فى أمر هذا الرجل هل هو شعيب عليه السلام، أم شعيب آخر، نظرًا لأن شعيبًا كجميع أهل مدين، كان يكره الإسرائيليين وبالتالى يستنتجون أن من المستبعد أن يقبل أن يصاهره يهودى، ولكننا لانريد أن ندخل فى مثل هذه التفصيلات، ويكفينا أنه عمل بدون أجر لمدة ثمانى أو عشر سنوات قبل أن يتزوج ابنة شعيب ثم عاد إلى مصر فوجد السماحة والكرم حيث ذكره فرعون بفعلته (قتله نفسًا زكية)، ولم يتصرف معه كمجرم هارب، بل قبل تحديه له والسحرة، فاجتمع بهم فى عيد من أعياد مصر، وانتصر عليهم، ثم أظهر السحرة خضوعهم له مما أغضب فرعون، الأمر الذى أدى بموسى عليه السلام أن يترك مصر ومعه قبائل سيدنا يوسف التى كانت تعيش على شفا الأرض الزراعية إلى سيناء ومنها إلى فلسطين حيث مات فى بلاد مدين.

الباب الثانى

الفصل الأول

الأناجيل الرسمية والرسائل وأعمال الرسل

الأناجيل:

هناك أناجيل عديدة لا تعترف الكنيسة إلا بأربعة منها، هى المنسوبة إلى متى، ومرقص، ولوقا، ويوحنا ومن بين الأناجيل التى رفضتها الكنيسة، بل عمدت إلى تدميرها إنجيل برنابا وفى جميع هذه الأناجيل الرسمية نستطيع أن نسرد أقوالا عديدة، أوحى بمفهومها أو بها إلى عيسى عليه السلام، وأن نستخرجها من بين سطور هذه الأناجيل التى دون أولها وهو الإنجيل المنسوب إلى (مرقص) بعد سبعين أو ثمانين سنة من ميلاد عيسى عليه السلام، وقد أسست الأناجيل الرسمية على وثائق، أو مخطوطات، لا وجود لها اليوم، كما كتبت أصلا بلغات لم يكن يتكلمها المسيح وقد تعرف أساتذة الأناجيل على بعض هذه الوثائق القديمة التى أسست عليها الأناجيل وقسموها إلى الأقسام التالية:

١ - أناجيل من مصدر German Quelle وهى تقوم على وثائق كانت قد كتبت بالأرامية، ويظن أنها وصلت إلى محررى الأناجيل ليست على هيئتها الآرامية الأصلية، بل مترجمة إلى اليونانية.

٢ - أناجيل تقوم على أقوال مرقص الفطرية، ولم يكن مرقص من الحواريين وأول مسودة للإنجيل المنسوب إلى مرقص أخذت عن أقوال بطرس بشأن المسيح.

٣ - مصادر لوقا وهى عبارة عن كشكول من التقارير التى كتبت عن عيسى ولم يستخدمها غير لوقا، ويرى أساتذة الأناجيل أنه بالمقارنة بين الأناجيل الأربعة المعترف بها، أن الذين ألفوها قد استخدموا الوثائق المفقودة استخداما حرًّا وبدون ضابط، بل إنهم لم يترددوا فى إدخال تعديلات وتبديلات وفق هواهم ولأغراضهم الخاصة.

(أ) الإنجيل المنسوب إلى (متى):

كان (إنجيل متى) أول إنجيل كتب باليونانية فى مدينة أنطاكية حوالى عام ٩٠ بعد مولد المسيح، وقد اعتمد مؤلفه على وثيقتين مفقودتين، واحدة من نوع جيرمان كويل German Quelle المكتوبة بالآرامية، والثانية من نوع وثائق (مرقص) الأولى، وقد أجمع المتخصصون فى الأناجيل على أن (إنجيل متى) لم يكن من تأليف (متى) حوارى عيسى عليه السلام، وإذا كان من تأليفه كما يعتقد البعض، كان يجب أن يعتمد على وثائق من النوع الأول وحدها.

ويحدثنا C.J. Cadoux عن الشطط الذى وقع فيه هذا المؤلف غير المعروف فيقول: «إذا فحصنا إنجيل متى عن كتب خاصة ما استعاره من (مرقص)، ظهر لنا أن المؤلف أعطى نفسه حرية لا حد لها فى التحرير، وفى تزييف بياناته، من أجل تكريم سيده العظيم على حد تفكيره، ونفس هذا الشطط أو المبالغة نجدها واضحة فى اقتباساته، وفى تقديمه أمورًا تخص شخصه بشكل يضفى عليه أهمية لا يستحقها، وعلى ذلك فإن كل ما نستطيع أن نستخلصه من هذا الإنجيل (إنجيل متّى) أنه أورد مادة تاريخية يجب أن نأخذها بحذر شديد، (انظر كتاب حياة عيسى طبعة بنجوين ص ١٤، ١٥).

من هو متى؟

متى الأصلى هو أحد حواريى عيسى عليه السلام، ويأتى اسمه فى القائمة الواردة بإنجيل (مرقص) التى تحوى اثنى عشر اسما، والتى قيل إن المسيح أمر بإرسالهم إلى الأمم، وترتيبه سابع الأسماء، ويبدو لنا أن هذا الترتيب قد راعى بكل حكمة مركز الكنائس الأولى فى العهد المسيحى الأول، وقد اقترن اسمه مع اسم (توما)، وكانت العادة أن يعمل الحواريون مثنى وقد جاء فى إنجيل مرقص الإصحاح السادس الفقرة (٧) «ودعا الاثنى عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين وأعطاهم سلطانًا على الأرواح النجسة».

وتقول دائرة المعارف البريطانية ص ١١١٦ (وفق ما توارد من عرف يعتبر متّى كاتب ومؤلف الإنجيل الأول، ولكن هذا خطأ دون شك فهو ليس مؤلف الإنجيل المعروف باسمه).

ونحن هنا لسنا بصدد سيرة متّى أو أخلاقه، ولكن نحن بصدد ما انتهت إليه دائرة المعارف البريطانية من رفض إسناد إنجيل متّى إلى متّى الحوارى، ولعل السبب فى ذلك أن هذا الإنجيل كتب ليخاطب اليهود، لأنه اقتبس الكثير من العهد القديم، ووضح العلاقة بين عيسى واليهود، وأكد أن عيسى كان يُبدى اليهود على غيرهم حتى وإن كانوا على خطأ ويضع تعاليمهم فى الاعتبار الأول، مما يتنافى مع رأى كاتب هذا الإنجيل نفسه فى أن رسالة عيسى كانت العودة إلى الشريعة اليهودية الأصلية، وليست تلك الشريعة الّتى كانت منفذة فى أيامه، وهذا الإنجيل وإن كان قد كتب قبل غيره من الأناجيل الرسمية، فإن الكنيسة اعتبرته إنجيلها المفضل فى القرن الثانى بعد الميلاد، وترى دائرة المعارف البريطانية أنه ليس أول الأناجيل من الناحية التاريخية (انظر ص ١١١٧) تحت كلمة Mathew، لقد استبدل مرقص فى إنجيله بقصة لفى جابى الضرائب (متّى)، ووصف متّى بجابى الضرائب، ووضعه فى قائمة المبعوثين الاثنى عشر، ويبدو أن هذا الإنجيل المنسوب إلى (متى) قد اهتم بالناحية التاريخية، على أنه وقع فى بعض الأخطاء خاصة فيما يتعلق بموت سيدنا يحيى (يوحنا المعمدان) انظر الإصحاح الرابع عشر من الفقرة ١ إلى الفقرة ١٢، إذ يقول: «وكان هيرودس - رئيس الربع فى ذلك الوقت، قد عرف خبر (يسوع المسيح)، وترامت إليه شهرته، وقال لغلمانه إن (يوحنا المعمدان) قد قام من بين الأموات وإن أعمالا عظيمة، ومعجزات كبرى سوف يأتى بها»، وقصة إعدام (يوحنا) أن هيرودس كان قد أمسك بيوحنا المعمدان وأوثقه وطرحه فى السجن من أجل هيروديا، امرأة فيلبس

أخيه بحجة أن (يوحنا المعمدان) قال له لا تحل لك زوجة أخيك، ولما أراد أن يقتل أخاه ليظفر بمحبوبته، خاف الشعب إذ كان أخوه فى نظرهم نبيًّا، ولكن لما حل عيد ميلاد هيرودس، رقصت أمامه بنت أخيه فسعد بها واشتاقت نفسه إليها، وأقسم أن يقدم لها ما تريد، وكانت أمها قد أوعزت إليها من قبل أن تطلب رأس (يوحنا المعمدان) وعلى الرغم من أن هيرودس قد شعر بالأسف لتسرعه فى قسمه، فإنه لم يستطع أن يتراجع خاصة وأنه كان قد ألقى به فى السجن أمام ضيوفه فى مأدبة كان قد أقامها، واضطر أن يأمر بضرب عنق (يوحنا المعمدان) فى سجنه وإحضارها على طبق، دفع به إلى الفتاة فذهبت به إلى أمها. أما تلاميذه فذهبوا إلى السجن ورفعوا جسده ودفنوه ثم قصدوا عيسى عليه السلام وأخبروه بما حدث، وهذه القصة التى أوردها الإنجيل المنسوب إلى (متّى) تقوم على تصورات كاتب هذا الإنجيل ولا تتفق مع الحقيقة، إذ أن (يوحنا المعمدان)، كان قد مات قبل ذلك بسنوات عدة، كذلك وضع (متّى) تواريخ لأحداث معينة ولكنها خاطئة، فقد اختار يومًا واحدًا ليشمل أحداث وردت فى الإصحاح الخامس ابتداءً من الفقرة الأولى الخاصة بالصلاة على الجبل حتى الإصحاح ٨ فقرة ١٧ بما فى ذلك إبراؤه ثلاثة أشخاص على الأقل، وفى اليوم التالى نراه يعبر البحيرة مرتين ويشفى خمسة أشخاص، ويقوم بعدة مناقشات، انظر الإصحاح ٨ فقرة ١٨ حتى الإصحاح ٩ فقرة ٣٤، وعلى الرغم من أن مؤلف هذا الإنجيل المنسوب إلى (متّى) قد اقتبس الأماكن والمناظر من مرقص، فإنه أضاف دائما وحده دون سائر مؤلفى الأناجيل - مسألة البحيرة، انظر مثلا الفقرة الأولى من الإصحاح ٩، كما أضاف قيام (عيسى) بالوعظ فى جميع معابد المدن والقرى - (الفقرة ٣٥ من الإصحاح ٩)، ثم الجبل (الإصحاح ٥ فقرة ١ والإصحاح ١٥ فقرة ٢٩)، كما أنه توسع فى منطقة نشاط عيسى عليه السلام، إذ بينما نجد منطقة نشاطه فى إنجيل مرقص، تقتصر على بيت خاص حيث يجتمع هو وتلاميذه (الإصحاح ١٥ فقرة ١٥، والإصحاح ١٧ فقرة ١٩، والإصحاح ١٩ فقرة ٩)، تجدها فى إنجيل متى تأخذ أبعادًا أكبر، كذلك لا يظهر كاتب إنجيل متى اهتمامًا مماثلاً فى كشف سر رسالة المسيح، بل يؤكد على خطب عيسى فى الملأ وتبشيره جهارًا عيانًا، ونجد عبارة «جموع عظيمة» تتكرر كثيرًا جدًّا فى (متّى) أكثر منها فى (مرقص)، كما نلاحظ أنه يؤكد وجود التلاميذ مرارًا وتكرارًا، وأن عددهم ١٢، على حين يعتبر كاتب (إنجيل مرقص) عدد التلاميذ قضية مفروغًا منها، فلا يذكرها كثيرًا، وكاتب إنجيل متى، يجد نشوة فى التأكيد على عداوة الفريسيين للمسيح، أكثر مما نلاحظه فى إنجيل مرقص (انظر متّى إصحاح ٢٢ فقرة ٣٤، ٤١ وقارنها بأنجيل مرقص الإصحاح الثانى عشرة فقرة ٢٨، ٣٥ وانظر متى إصحاح ١٥ فقرة ١٢، وإصحاح ٢٢ فقرة ١).

ولم يحاول متى أن يغير صورة حياة المسيح تغييرًا كبيرًا، وأى اختبار حتى وإن كان شكليًّا لإنجيل متى يترك فى القارئ إحساسًا مختلفًا كل الاختلاف عما يتركه إنجيل مرقص ويعود ذلك إلى:

١ - يضيف متى صورًا أسطورية خاصة فيما يتعلق بمولد عيسى، كما أنه يضيف فقرات جديدة إلى مشهد الصلب كلها من عندياته.

٢ - يبتكر متّى أقوالا للمسيح استقاها من مصدر، ويدخلها على ما ورد فى مرقص.

٣ - يقوم متّى بتبويب الأحداث المتصلة بعضها ببعض فى فقرات متناسقة مثال ذلك، موعظة الجبل، (إصحاح ٥ حتى إصحاح ٧) وتجميع قصص المعجزات فى الإصحاحين الثامن والتاسع.

والخطوط العريضة التى سار عليها كاتب إنجيل متى تخضع للموضوعات التى جمعها وليس لمواقع الأحداث ومواقيتها وتتابعها. انظر (متّى) إصحاحات ٣، ١٦ فقرة ١٢ فى الخليل وحواليه والإصحاح ١٦ والإصحاح ٢٠ فقرة ١٣ والإصحاح ٢١ إلى ٢٧، ويبدو من هذا التبويب أن مؤلف إنجيل متّى اهتم برسالة المسيح وتعاليمه التى فسر بها الشريعة اليهودية والتى أعلن من خلالها ما يراه عيسى منها حقًا، وما لا يراه حقًا أكثر من شرحه حياة عيسى وفلسفته وشخصه، وهو فى إظهاره التعاليم الجديدة، يقدمها لنا على هيئة تعاليم كنيسة، أو مواعظ ينسبها إلى عيسى نفسه، وعلى ذلك كان (إنجيل متّى) هو الإنجيل المفضل بالكنيسة، فى حين اهتم (يوحنا) بإظهار عيسى كمسيح مؤله، أو إله، أو قاض، أو مفسر للشريعة، أو صاحب تعاليم ومثل عليا اجتماعية وغير اجتماعية يجب أن يتبعها الناس حتى يدخلوا فى ملكوت الرب (الجنة).

ويحاول مؤلف هذا الإنجيل إظهار ألوهية عيسى بطرق مختلفة مثل قصة ولادته، أو أنه جاء تحقيقًا لنبوة سابقة، (مثل الفقرة ٢٢ من الإصحاح الأول والفقرات ١٥، ١٧، ٢٣ من الإصحاح الثانى)، وقد طور مؤلف الإنجيل المنسوب إلى (متّى) أساطير معجزات (عيسى) لإظهاره كإله، وليس كرسول، أو مسيح قوى، قارن فى ذلك الفقرات من ٨ إلى ٢٦ من الإصحاح ٩ (لمتّى) بالفقرات ٢١ إلى ٤٣ من إصحاح ٥ (مرقص) كذلك فقرتى ١٦، ١٧ إصحاح ٨ وفقرتى ٣٥، ٣٦ إصحاح ٩ والفقرات من ٢ إلى ١٦ إصحاح ١١ لمتّى).

وقد أضفى صاحب هذا الإنجيل على عيسى ألقابًا مسيحية اعتبرها شاهدًا على أن تنبؤات (العهد القديم) قد تحققت فى شخصية عيسى المسيح ابن داود الرب، ملك إسرائيل، ابن الإنسان، ابن الله)، وهذه الألقاب أكثر من أن يلقب بها معلم، خاصة وأن تلاميذ عيسى لم يستخدموها عندما كانوا يخاطبونه، بل كانوا ينادونه بمولانا أو سيدنا، (قارن متّى فقرة ٢٥ إصحاح ٨ بمرقص إصحاح ٤ فقرة ٣٨)، فقول الفقرة ٢٥ من الإصحاح الثامن للإنجيل المنسوب إلى متّى (وجاءه تلاميذه وأيقظوه من نومه قائلين يا إلهنا أدركنا فنحن هالكون) وجاء فى مرقص الفقرة ٣٨ من الإصحاح الرابع، (وكان فى مؤخرة السفينة نائمًا على وسادة فأيقظوه وقالوا له يا سيدنا ألا تهتم إذا ما هلكنا)، وبمقارنة هاتين العبارتين نجد الإنجيل الأول يشير إليه كإله، أما الثانى فيشير إليه كإنسان ونجد (إنجيل متّى) يصر دائمًا أكثر من (مرقص) على إسناد ألقاب نورانية إلهية إلى (عيسى) عليه السلام خذ مثلا الإصحاح ١٠ فقرة ٣٣ من (متّى) التى تقول ومن يتنكر لى أمام الناس سوف أتنكر له أمام أبى الذى هو فى السماوات والفقرة ٣٧ من إصحاح ٩ لمرقص تقول «من يستقبل أحد هؤلاء الأولاد باسمى، إنما يستقبلنى، ومن يستقبلنى يستقبل الذى أرسلنى وليس أنا»، ويرى إنجيل متّى أن رسالة عيسى ترتكز على تحقيق مواعظه وتعاليمه، وأن مهمة المسيح هى تطبيق الشريعة اليهودية، وإعادة احترام الناس لها، وتثبيت الشريعة أو الناموس، وهذا ليس قانونًا جديدًا ينادى به المسيح، بل هو شريعة الله التى أنزلها

على موسى، وعلى من كان قبله من الأنبياء، والتي جاء عيسى لتثبيتها كلمة كلمة وحرفًا حرفًا، انظر الإصحاح الخامس الفقرتين ١٨، ١٩ من إنجيل متّى «ما جئت لأنقض بل لأكمل الناموس أو الأنبياء والحق أقول لكم إلى أن تزول السموات والأرض لن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة، حتى تستكمل ومن نقض إحدى هذه الوصايا..».

وقد أورد الإصحاح الخامس الفقرات من ٢١ إلى ٤٨ من إنجيل متّى بعض الوصايا التى طلب عيسى تنفيذها حتى تستقيم حياة الإنسان وهى:

١ – من اختصم أخاه دون سبب يحاسب يوم القيامة.

٢ – من قال لأخيه رقا (كلمة نابية) سيعرض على المجلس، ومن قال لأخيه يا أحمق سيذهب إلى النار.

٣ – إذا ما أتيت بقربانك إلى المذبح، وإذا ما تذكرت أن عليك شيئًا لأخيك فاترك قربانك أمام المذبح، وتصالح مع أخيك ثم عد مرة أخرى وقدم قربانك.

٤ – إذا رافقت خصمًا لك فى الطريق فاسترضه بسرعة حتى لا يسلمك للقاضى فيسلمك إلى الشرطى فيلقى بك فى السجن.

٥ – لا تزن، ومن نظر إلى امرأة واشتهاها فقد زنى بها بقلبه.

٦ – إذا أذنبت عينك اليمنى فاقلعها وارمها بعيدًا، فخير لك أن تتخلص من عضو من جسمك من أن يلقى بجسمك كله إلى النار.

٧ – إذا ما خانتك يدك اليمنى فاقطعها وارمها، فخير لك أن يهلك عضو من أعضائك على أن يلقى بجسمك كله فى النار.

٨ – من أراد أن يطلق امرأته فليعطها صك الاطلاق.

وإنى أقول لكم إن كل من طلق امرأته لسبب غير الزنى فإنه يدفعها إلى الزنى ومن يتزوج من امرأة مطلقة إنما يزنى بها.

٩ – إذا قيل لا تحنث وأوف بقسمك أقول لكم لا تحلفوا ألبتة لا بالسموات، فهى كرسى العرش، ولا بالأرض، فهى موطئ قدمى الخالق، ولا بالقدس، فهى مدينة الملك العظيم، ولا برأسك فأنت لا تستطيع أن تجعل شعرة بيضاء سوداء، ولا شعرة سوداء بيضاء.

١٠ – لقد قيل العين بالعين والسن بالسن، ولكنى أقول لا تصطدم بالشر، ومن لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر أيضًا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاتركه له، ومن سخرك ميلا فاذهب معه ميلين..

١١ – لقد قيل احبب قريبك وابغض عدوك، ولكنى أقول لكم أحبوا أعداءكم، وباركوا لاعنيكم وأحسنوا إلى من يبغضكم، وصلّوا من أجل الذين يسيئون إليكم أو يضطهدونكم.

وجميع هذه الوصايا التى وردت فى الإصحاح الخامس، والسادس، والسابع، والعاشر والثالث عشر،

والثامن عشر، والثالث والعشرين، حتى الخامس والعشرين، تسير على نفس الوتيرة التى سارت عليها تعاليم الكنيسة فيما يتعلق بالجنة والنار، وأولها: إعلان الأسس الرئيسية لتثبيت الشريعة، وثانيها: تنظيم دقيق لحياة كل فرد، والكنيسة عامة وثالثها: التهديد بالنار للعصاة والترغيب بالجنة للأتقياء.

وهذا النمط من الوصايا نجده فى (العهد القديم) وفى تعاليم الكنيسة الأولى، ومنها تعاليم التلاميذ الأثنى عشر. وقد نسج متّى فى الإنجيل المنسوب إليه على نفس النحو المنهاج، ولأول مرة نجد فى إنجيل من الأناجيل أن عيسى نفسه قد أسس كنيسة، فقد جاء فى الإصحاح السادس عشر من الفقرات ١٧ إلى ١٩ من متّى أن (طوبى لك يا سمعان بن يونـان، لقد تـراءى لك أبى الـذى فى السموات، ولم يكن قولك قول بشر من لحم ودم، لأنه قال له إنك أنت (المسيح) وإنى أقول لك إنك أيضا بطرس، ولسوف أبنى وق هذه الصخرة كنيستى التى لن تقوى الجحيم عليها)، ولم يرد لفظ كنيسة إطلاقًا إلا فى هذه الفقرة، والفقرة ١٧ من الإصحاح الثامن عشر لمتّى، ولم يذكر إنجيل من الأناجيل لفظة كنيسة إطلاقا، وبالتالى كانت هذه الفقرات موضع جدل وخلاف بين المسيحيين أنفسهم، فبعضهم يرفضها، وبعضهم يقبلها، ويرى المتعمقون فى الأناجيل أن الإنجيل المنسوب إلى متّى ما كتب خصيصًا ليهود اعتقدوا فى المسيح ويتمسكون بيهوديتهم وشريعتهم، وقد أخذ كاتب إنجيل متّى ما كتبه عن وثائق يونانية وعن (مرقص)، إذ هو يستخدم الكثير من التعبيرات اليونانية السهلة بدلا من الجمل المعقدة المكتوبة بالآرامية، ولا شك أن هذا الإنجيل قد كتب خارج فلسطين ووسط مجتمع يتكلم اليونانية ويعتقد فى اليهودية، وذلك حوالى عام ١١٠ بعد الميلاد، ويقول البعض إنه كتب على ساحل سوريا الشمالى، مع استبعاد أنطاكيا، لأنها كانت مقر (التعاليم البوليصية) نسبة إلى (بولص) أما ما قاله PAPIAS من أنه كتب بالعبرية وبمعرفة متّى فقد جانب الصواب وذلك لأن:

١ - القدس كانت قد سقطت فى عام ٧٠ وهذا واضح من الإصحاح ٢٣ فقرة ٣٧ إلى ٣٩، وبالتالى تكون كتابة هذا الإنجيل بعد هذا التاريخ بمدة.

٢ - استخدام الإنجيل اسم متّى كجامع ضرائب، فى حين استخدم مرقص اسم، ليفى بدلا من متّى، (قارن مرقص إصحاح ٢ فقرة ١٤ بمتى إصحاح ٩ فقرة ٩) مما يدل على أن متى جامع الضرائب، هو كما يرجح صاحب هذا الإنجيل وكاتبه وليس متّى الأول تلميذ الرسول، كذلك تدل الأبحاث الكنائسية على أن الشخص الذى كتب هذا الإنجيل، قد عاش فى الجيل الثالث بعد رحيل المسيح، أى فى الفترة ما بين ٧٥ و ١٠٠ سنة بعد الميلاد، ولا خلاف هناك على أن إنجيل متى قد كتبه شخص لم يدرك عيسى ولم يعرفه شخصيا أو يزامله حتى فى أواخر حياته، وبالتالى يصبح هذا الإنجيل من قبيل الأدب الروائى، وليس كلامًا منزلا من عند الله ولا هو يمثل حياة المسيح وسيرته، لأن كاتبه لم يعرف عيسى عليه السلام، ولا عاش فى أيامه وكل ما كتبه كان عن سماعه به، وعن مصادر شفهية يعلم الله مدى صحتها، وإسناده إلى متّى هو من أجل أن يلقى اهتمامًا، ونحن نتفق مع دائرة المعارف البريطانية فى أنه من إنتاج شخص من بنى البشر وليس تنزيل من رب العالمين.

(ب) الإنجيل المنسوب إلى مرقص:

يرى بعض القساوسة أن مرقص تلميذ المسيح هو الذى كتب الإنجيل الذى يحمل اسمه، وقد رمزوا له بأسد يقبع تحت عرش الله، وعلى الرغم من اختلاف هؤلاء مع غيرهم الذين يرفضون إسناد الإنجيل الذى يحمل اسم مرقص إلى هذا الشخص، فإن الإنجيل المشار إليه قد حوى من المعلومات المتضاربة ما يجعلنا نعتقد أن يد التحريف والتعديل قد تناولته فى حرية كاملة، كما أن المعلومات التى أتى بها قليلة وتافهة، بحيث لا تضيف شيئا جديدا إلى حياة المسيح، كما أن البحوث التى أجراها المسيحيون أنفسهم قد أصارت شكوكا أساسية فى صحة المعلومات التى أوردها، وهذا ما ذهبت إليه دائرة المعارف البريطانية ص ٩٠٣ تحت كلمة (مارك أى مرقص)، ثم إن المعلومة الوحيدة الموثوق بها، أن اسم مرقص قد ذكر كأحد العاملين مع بولس، وأنه أرسل تحياته من روما إلى المسيحيين فى كلاسيوس، وهناك معلومة أخرى هى أن مرقص الذى كان فى صحبة بولس كان ابن عم برنابا، ونرى أن هذه المعلومة صادقة، ونستشهد على ذلك بما جاء فى أعمال الرسل الإصحاح ١٢ فقرات ١٢، ٢٥، وتقول الفقرة ١٢: «وعندما تدبر الأمر ذهب إلى منزل مريم أم يوحنا الذى كان يلقب بمرقص، وكان هناك عدد كبير من الناس يصلون».

أما الفقرة ٢٥ فترجمتها كما يلى عن الإنجليزية: (وعاد برنابا، وشاول (بولس) من القدس بعد أن انتهت مهمتهما، واصطحبا معهما يوحنا الذى كان يلقب بمرقص)، أما الإصحاح ١٣ فى فقرتيه ٥، ١٣ فقد أورد اسم (يوحنا) دون ذكر لقبه، فى حين ورد اسم يوحنا فى بقية العهد الجديد مصحوبا بلقبه مرقص وهو اسم ينتمى إلى (إله الحرب مارس)، وجاء فى الإصحاح ١٢ أنه ذهب مع برنابا، وبولس إلى أنطاكيا فى بعثة تبشيرية، ولكنه لما وصل إلى برجه PERGA فى PAMPHYLIA، تركهما وعاد إلى القدس، وهذا ما ورد فى الفقرة ١٣ من الإصحاح المذكور، ويبدو أن النزاع الذى وقع بين برنابا، وبولس بعد ذلك وأدى إلى فراقهما، سببه أن برنابا أراد أن يمنح مرقص فرصة جديدة، فى حين رفض بولس أن يسامحه، فقد جاء ما يعزز ذلك فى الفقرات من ٣٧ إلى ٣٩ الإصحاح ١٥ (فأشار برنابا بأن يأخذا معهما أيضا يوحنا الذى يلقب بمرقص، ولكن (بولس) رفض أن يصطحب معه (مرقص) الذى فارقهما فى مدينة برجه PERGA، فحصل بينهما شجار وافترق كل منهما عن الآخر، واصطحب برنابا مرقص وسافر إلى قبرص بالبحر).

وترى دائرة المعارف البريطانية أن أعمال الرسل لا يعتمد عليها، لأن مؤلف هذه الأعمال كان يبحث عن سبب لافتراق بولس عن برنابا، فاتخذ من مرقص بردعة يشجب عليها هذا التصرف من جانب بولس، ثم تتسائل دائرة المعارف البريطانية عما يعرفه مؤلف أعمال الرسل عن مرقص، وتجيب عن سؤالها بأنه لا يعرف عن مرقص شيئًا، إلا ما ذكر فى قصص بولس والتى جاء فيها أن مرقص كان أحد أقرباء برنابا، ثم تشير دائرة المعارف البريطانية إلى ما جاء فى الإصحاح ٥ فقرة ١٣ من رسالة بطرس، (من الإشارة إلى مرقص كابنه، بأنه ترهات الغرض منها إضفاء نوع من الاحترام والسلطة

على مؤلف رسالة بطرس الأولى والثانية، خاصة أن اجتماع مرقص، وبطرس فى روما كان فى نهاية القرن الأول بعد الميلاد أى بعد ٧٠ سنة من رحيل عيسى.

وبعد ذلك تروى لنا الأساطير أن مرقص كان أحد السبعين الذين وردت أسماؤهم فى إنجيل لوقا الإصحاح العاشر الفقرة الأولى، كما يرى لوقا أن بطرس هو نفس الرجل الذى خلع ملابسه وجرى عاريا عندما ألقوا القبض على عيسى عليه السلام، أى كان عمره عندما كتب هذا الإنجيل أكثر من مائة سنة، وهو عمر يمتزج فيه النسيان عادة بالتوهم والغموض والخلط.

وهناك رأى يقول إن مرقص كان مصريا، بل إنه أنشأ الكنيسة المصرية، وأن إطلاق اسمه على كنيسة الإسكندرية ابتدأ من القرن الرابع بعد الميلاد، أى بعد موت مرقص بأكثر من ثلاثة قرون، كان تكريما لهذا الرجل، وهى تعرف حتى الآن باسم الكاتدرائية المرقصية، وتذهب بعض الأساطير إلى ربط مرقص، ببطرس فى روما، وترى أن مرقص هو الذى أقام كنيسة أتيلية فى شمالى إيطاليا، وهناك أساطير عدة تشير إلى إحدى الخرافات المتداولة، وهى أن تجار البندقية سرقوا رفات مرقص من الإسكندرية وأقاموا له كنيسة فى بلدهم بعد تدمير كنيسة أتيليه، ثم أخذوا يحتفلون به فى الخامس والعشرين من أبريل فى كل سنة.

ويأتى إنجيل مرقص فى الدرجة الثانية بين الأناجيل الأربعة، وقد توخّى كاتبه السهولة واليسر فى العبارة، ومن ثم أخذ عنه مؤلفو الأناجيل الثلاثة الأخرى خاصة متّى ولوقا، وبالتالى هناك احتمال بأن يكون إنجيل مرقص هو أول إنجيل كتب بين الأناجيل الأربعة، وفيه يشرح مؤلفه ما ترامى إليه عن حياة عيسى ورسالته فى قصة لطيفة محبوكة، وأهم ما فى هذا الإنجيل هو تصويره لما روى له عن صلب المسيح وموته، وتمثل هذه القصة ٤٠٪ من الإنجيل نفسه فى حين تمثل فى لوقا ٢٠٪ ولاشك أن مرقص أضاف إلى قصة تعذيب المسيح بعض الروايات التى ترامت إليه كما تقول دائرة المعارف البريطانية ص ٩٠٤، وترى أن إنجيل مرقص فى إطاره الرئيسى لم يحو غير معلومات قليلة للغاية، لا تصلح للاعتماد عليها تاريخيًّا، أما بقية المعلومات فمشكوك فيها، كما أن المراجع التاريخية وأسماء الأشخاص الواردة فى هذا الإنجيل قد استقاها مؤلفه من روايات شفهية كانت تروى فى ذلك العهد، كما يروى الآن أبو زيد الهلالى سلامة وقيس وليلى، خذ مثلا بحر الجليل، وما جاء فى الإصحاح الأول فقرة ١٦ وما بعدها ودلمانوتا DALMANUTHA إصحاح ٨ فقرة ١٠ وقيصرية فيلبى إصحاح ٨ فقرة ٢٧ ويوحنا المعمدان إصحاح ١ فقرة ٤ إلى ١١ وإصحاح ٦ فقرة ١٤ إلى ٢٩ وبطرس إصحاح ٨ فقرة ٢٧ إلى٢٩، والإطار الذى كتب فيه مرقص إنجيله إطار مصطنع لايمت إلى الحقيقة بشىء وأنه جمع بعض القصص المتفرقة، ووصل بينها بترتيب زمنى استحدثه لنفسه وتأخذ عليه دائرة المعارف أنه أكثر من استخدام (ومن هنا ذهب إلى..) كما اصطنع فى إنجيله بعض المشاهد لإضفاء صورة جميلة على قصته مثل البحر والضفة الأخرى من البحر، والمكان المنعزل، والجبال والمعبد (وهذه وردت بالترتيب فى الإصحاح الثانى فقرة ١٣، والإصحاح الخامس فقرتى ١، ٢١، والإصحاح الأول فقرة ٣٥، والسادس فقرة ٣٢، والإصحاح الثالث فقرة ١٣، والإصحاح الأول فقرة ٢١)، وأن الأشخاص الذين صورهم فى

قصته هم أشخاص وهميون ورد ذكرهم فى التراث الشفهى فقط.

ولم يكنْ مرقص جامعًا لهذه القصص دون أن ينظمها فى قلادة جميلة، فقد مـزج هذه القصص بالمبادئ الدينية المسيحية، ويظهر ذلك فى تبويبه المواد الأسطورية، ثم فى تلخيصاته القصيرة لنشاط عيسى عليه السلام التى أقحمها إقحاما على قصصه المزركشة، ثم أخيرا فى التقديمات والنهايات العديدة التى أضافها إلى قصصه الأسطورية.

تحليل إنجيل مرقص:

وضع مرقص فى مقدمة إنجيله الخطوط العريضة لمحتواه، فنجده ينص على قصة تعذيب المسيح وبعثه بعد صلبه، كما يؤكد أنه سيتعرض لجميع الأحداث التى وقعت لعيسى الرسول، ونجده فى القسم الأول من الإنجيل المنسوب إليه يحاول شرح الصراع بين الخير والشر، أو الله الذى يمثل الخير، والشر الذى يمثله إبليس، ثم نجده يحصر رسالة (عيسى) فى منطقة الجليل ولا يجعل عيسى يتركها إلا لفترات قصيرة إلى بعض المدن الصغيرة ليس من بينها القدس، كما نجده يذكر جميع المعجزات فى الإصحاحات الثمانية الأولى من الإنجيل وعندما يتحدث عن المجازات أو الكنايات لا نجده يسرد شيئا منها فى أقوال عيسى أو محادثاته، وبالتالى يقصر مهمة عيسى فى الجليل على بعثته الروحانية، ومن العجيب أننا نجد فى هذا الإنجيل ما يلى:

١ - أن المسيح يحرم على أتباعه مرارا وتكرارا أن يذكروا أنه المسيح المنتظر، خذ مثلا الإصحاح الأول فقرة ٣٤ إلى فقرة ٤٤، كذلك يحرم على من يعالجهم أن يذكروا معجزته.

٢ - يشير هذا الإنجيل إلى أن عيسى عندما كان يتكلم بالاستعارة، كان يقصد ألا يفهمه الجمهور أو يفهموا رسالته، (انظر الإصحاح الرابع الفقرة من ١٠ إلى ١٢، ومن ٣٣ إلى ٣٤، حيث يؤكد فى الفقرة ١١ لتلاميذه معنى مجازاته، ويشير إلى أن هذا المعنى لا يعطى للغير، فهم يرون ولكن لا يبصرون، ويسمعون ولكن لا يفقهون ذلك حتى لا يتحولوا إلى عقيدته النصرانية فتغفر لهم ذنوبهم، وكأن تعاليم الله ورحمته ورضوانه كانت مقصورة على نوع من الناس دون نوع آخر... الأمر الذى يرفضه العقل.

٣ - يبدو أن التلاميذ لم يفهموا رسالة عيسى كمسيح، (خذ مثلا ما جاء فى الإصحاح ٦ فقرة ٥٢، والإصحاح ٨ الفقرات من ١٤ إلى ٢١)، وقد وصف هذا الإنجيل رسالة عيسى على نحو فيه تناقض كبير مع الحقائق التاريخية، بل مع الطبيعة والعادات المسيحية التى استخدمها مرقص نفسه.

٤ - يرى مرقص فى حياة المسيح ما يؤكد الصراع بين الله والشيطان على مدى التاريخ، وأن عذاب عيسى عليه السلام كان بسبب هذا الصراع من أجل السيطرة على الإنسان.

ومما لا شك فيه أن اعترافات بطرس الواردة فى الإصحاح الثامن من الفقرة (٢٧) إلى الفقرة (٣٠) من الإنجيل المنسوب إليه، إنما هى وصف نموذجى لهؤلاء الذين يعتبرون عيسى مسيحا، ولكن

دون الاعتراف العلنى به، ولكن هذا الاعتراف بأن عيسى هو (المسيح) يعجز عن تبيان لماذا اضطر عيسى إلى الخضوع للعذاب والموت، حتى يكسب معركته ضد الشيطان وهو المسيح القادر المقتدر وفى القسم التالى من الإنجيل أى فى الإصحاحات ٨، ٩، ١٠، نجد مرقص ينظم القصص بشأن تعذيب المسيح حتى الموت وكأنها عقد منظوم تعتمد فيه كل قصة على القصة التى قبلها، فى حين خالفه فى ذلك كل من متى ولوقا، فهو فى نظر مرقص ليس ذلك الواعظ الذى يبشر الناس بجنة الله وملكوته فى العالم الآخر، ولكنه شخص يهيب بتلاميذه أو بالكنيسة أن يتوقعوا منه وعلى يديه قصة عذاب مرير فى صراع مع الشيطان.

وفى الجزء الأخير من هذا الإنجيل المنسوب إلى مرقص نجد رسالة عيسى مختلفة اختلافًا كبيرًا، إذ ينتقل مسرح الأحداث إلى القدس، وينتهى فصل المعجزات والإبراء بتصوير عمل المسيح تصويرًا جديدًا فيه كثير من الهجوم والانتصار خاصة فى محاجاته زعماء القدس، انظر الإصحاح ١٢ فقرات ١٣ إلى ٤٤، كما أننا لا نجد سببًا وجيهًا لإخفاء مهمة عيسى على الأرض، كذلك لا تجد مبررًا لأن تكون الثمرة الأولى لانتصاره على الشيطان عذابه ثم موته، وبالتالى تعين على الكنيسة أن تتبع خطاه فى المعركة مع الشيطان، انظر الإصحاح العاشر فقرة ٣٢، والإصحاح ١٦ فقرة ٨، ثم يصور لنا مرقص تصرفات التلاميذ فى محنة عيسى، بأنها مخجلة وغير متوقعة وما كان يجب أن تصدر منهم، بل يذهب مرقص إلى وصفها بالفضيحة، خاصة بالنسبة لهؤلاء الذين عرفوا برسالة عيسى كمسيح. انظر الإصحاح ٩ فقرة ٩، والإصحاح ١٦ من ١ إلى ٨.

وترى دائرة المعارف البريطانية أن الفقرات الأخيرة من الإنجيل والتى تقع بعد الفقرة ٨ من الإصحاح ١٦، كانت مفقودة ثم أعيد تحريرها ابتداءً من الفقرة ٩ حتى الفقرة ٢٠ فى النسخ اليونانية، وبالتالى كانت مفقودة فى الترجمات المختلفة وتشك فى وجود أصل لها، وأن الفقرات الحالية هى من وضع الكنيسة، ويرفض أساتذة اللاهوت المسيحيون ما يقال من أن النص الحالى لإنجيل مرقص كان له أصل آرامى، وإن كان فى نفس الوقت قد حوى بعض الساميات، وسبب ذلك أن التراث أو الروايات التى اعتمد عليها مرقص كانت سامية، كما أن الأسلوب الإغريقى الذى كتب به هذا الإنجيل يدل على أن كاتبه كان رجلًا غير مثقف، فقد حوى الكثير من الكلمات العامية ولكن ذلك لا يهم، على أن النسخة الأولى هى التى كتبت باليونانية، وبالمثل يمكن القول بأن متّى ولوقا استخدما النص الإغريقى لمرقص، وإن كانت هناك شواهد تدل على أن النص الذى استخدماه يختلف عن النص الحالى، فلا نجد فى متّى أو لوقا ما يتمشى مع ماجاء فى مرقص فى الإصحاح الرابع الفقرات ٢٦ إلى ٢٩، والإصحاح الثامن الفقرات ٢٢ إلى ٢٦، والإصحاح ١٤ حتى الفقرة ٥٢، كما أن هناك أشياء محذوفة.

وإذا ما انتقلنا إلى مؤلف هذا الإنجيل ومتّى ألفه وأين كان ذلك، نستطيع أن نجزم بأن استخدام متّى ولوقا للإنجيل يؤكد وجوده حوالى عام ٨٠ بعد الميلاد، وقد بذلت محاولات كنسية عديدة لإيجاد صلة أو رابطة بين اضطهاد نيرون للشعب حوالى ٦٤ بعد الميلاد، أو حروب اليهود التى وقعت فى الفترة ما بين

٦٦ إلى ٧٠ بعد الميلاد وكتابة الإنجيل المنسوب إلى مرقص، ولكن فشلت هذه المحاولات.

وإذا كان بولس قد استعان بهذا الإنجيل، فلابد أن يكون قد كتبه بعد سنة ٧٠ ميلادية، وإذا ما صدق إنجيل مرقص بشأن هدم المعبد فى القدس، نستطيع أن نقول أن هذا الإنجيل ظهر فى حوالى العقد الثامن بعد مولد المسيح على أقل تقدير ولا ننسى أن بيباس PAPIAS أسقف هيرابوليس HIERAPOLIS (حوالى عام ١٤٠ بعد الميلاد)، قد أشار إليه أى أنه كان موجودًا فى ذلك الوقت، ويقول رجال الكنيسة إن مرقص تتلمذ على يد بطرس وكان يعمل له مترجمًا، وهذا القول موضع شك كبير من رجال الكنيسة أنفسهم، كما يشكون فيما ادعاه البعض من أن ذكريات التلاميذ وأتباعهم كانت الصلة بين عيسى والأناجيل المكتوبة.

فقد كان دور بطرس فى الإنجيل ثانويًا، كما أن شخصية بطرس وتصرفاته لا تشير إلى أن هذا الإنجيل قد كتبه شخص مثل مرقص الذى ذكر اسمه فى العهد الجديد باعتباره رفيقًا للحواريين، أو تلميذًا للحواريين، وبالتالى نجد أنفسنا فى ظلام دامس بشأن مؤلف هذا الإنجيل، وأين كتبه، وما يقال عن أن هيرماس، الذى عاش فى الفترة ما بين ١٠٠ إلى ١٥٠ بعد الميلاد فى روما، قد استخدم هذا الإنجيل، أمر لا تدعمه الحجج التاريخية، وعلى الرغم من أن إيرانيوس، الذى وضع الإنجيل المنسوب إلى مرقص ضمن الأناجيل الأربعة المعتمدة، فإننا لا نجد فى الواقع ما يدل على أن هذا الإنجيل قد استخدم عندئذ فى الكنائس اللهم ما نقله متى ولوقا وبطرس عما جاء فيه، وهناك أدلة جديدة من روما، ولكنها لا تشير إلى مكان تأليف هذا الإنجيل، كما أن تاريخ مرقص نفسه وعدم إتقانه اللاتينية، لا يقوى الحجة القائلة بأنه كتبه فى روما، وعلى ذلك قد يكون من المعقول أن نستنتج بأن هذا الإنجيل قد كتب فى إحدى الكنائس التى تتكلم اليونانية، إما فى سوريا أو آسيا الصغرى، حيث وجده متى ولوقا واستخدماه، وإذا ما كان الإنجيل المنسوب إلى مرقص لا صاحب له حقيقة، كما تذهب دائرة المعارف البريطانية فى ص ٩٠٥ تحت كلمة مارك، وإذا ما كان هذا الإنجيل قد كتب فى جهة ما لا يعرف عنها شىء، كما أن ما جاء فيه من قبيل الرواية التى تعتبر من الدرجة الثالثة أو أكثر من ذلك، فلا يكون كتابًا منزلاً لأنه استقى معلوماته وأسلوبه من أشخاص كتبوا هذه الرواية، ولما كانت ذاكرة الإنسان ضعيفة ومهما كان صدق هؤلاء الذين قصوا رواية المسيح بعد موته بما لا يقل عن أربعين سنة على شخص أو أشخاص قصوا قصة المسيح بعد موته بأربعة أجيال فإن واضع هذا الإنجيل يكون قد ألفه حفاظًا لذكرى هذا الرسول وليس كلامًا منزلاً من الله سبحانه وتعالى الذى يعلم كيف سقطت العبارات الأخيرة من هذا الإنجيل، وكيف أحل القساوسة محلها فقرات دخيلة من تأليفهم، وبالتالى لا يمكن أن يؤخذ ما جاء فى إنجيل مرقص، مأخذ الجد، ففيه حذف كثير وإضافة أكثر، وقد لعب قلم المؤلفين فيه بحرية وبدون قيد.

(جـ) الإنجيل المنسوب إلى لوقا:

يقال إن لوقا كان طبيبًا وكان رفيقًا لبولس فى رحلاته، وأنه قام بتأليف الإنجيل الثالث وأعمال

الرسل التى تعتبر من الناحية الأدبية أبرز ما فى العهد الجديد من أعمال، وينحدر لوقا من أبوين وثنيين حتى أن اسمه يفيد أنه تحريف للاسم اللاتينى لوسيوس أو لوكانس LUCIUS، وهو من عائلة رومانية الأصل، وإن كان بعض رجال الكنيسة يشرون إلى أنه كان سوريًا من أنطاكيا، وقد يكون السبب فى ذلك أنه عاش فى سوريا، حيث قابل بولس هناك ويصف لنا لوقا صلاته القوية بكنيسة أنطاكيا فى كثير من مواضع إنجيله بالتفصيل، كذلك نجد هذه الصلة واضحة فى أعمال الرسل (إصحاح ١١ فقرة ١٩ وإصحاح ١٣ فقرة ١، وإصحاح ١٤ فقرة ٢٦ وما بعدها وإصحاح ١٥ فقرة ٣٥).

وبوليس قد أسمى لوقا بالطبيب المحبوب، مما يدل على أنه عنى به فى مرضه، (انظر رسالة بولس) الثانية إلى أهل كورنثيوس، إصحاح ١٢ فقرة ٧، ورسالة بولس إلى أهل «غلاطية» إصحاح ٤ فقرات ١٣ إلى ١٥).

ومن يتصفح أعمال الرسل ورسائل بولس المختلفة، بل الإنجيل المنسوب إلى لوقا لا يجد فى عباراته ما يدل على أن كاتب هذه الأعمال كان طبيبًا وإن كان البعض يرى فى تفسير لوقا لبعض الأمراض التى ذكرها مرقص وعدل فى وصفها باستخدام اصطلاحات طبية وما أظهره من اهتمام ما يدل على أنه طبيب (انظر لوقا إصحاح ٤ فقرة ٣٨، وإصحاح ٥ فقرة ١٢ ، وإصحاح ٨ فقرة ٤٤)، ولكن ما جاء فى هذه الفقرات لا يدل قطعًا على أن مؤلف الإنجيل المنسوب إلى لوقا كان طبيبًا.

ومهما يكن من أمر لوقا كطبيب أو غير طبيب، فإن الثابت أنه كان فى رفقة بولس فى رحلته الثانية، إذ أنه استخدم صيغة الجمع فى أعمال الرسل، عندما انضم إلى بولس عند تروس TROAS ومنها إلى مقدونيا، كذلك انضم لوقا إلى بولس فى رحلته الثالثة وفى عودته إلى القدس، كذلك فى رحلة بولس إلى رومية، وليس الأمر هنا سرد حركات لوقا ولكنه الرغبة فى التثبت من أنه صاحب الإنجيل المنسوب إليه، وكاتب أعمال الرسل والرسائل، وهذا الأمر وإن كان مقبولاً لدى عدد من علماء المسيحية المحدثين فإن هناك عددًا منهم يعارض هذا الزعم.

ينتمى لوقا إلى جماعة إغريقية متعلمة، فكتابات صاحب هذا الإنجيل تدل على أنه متمكن من التاريخ حسب ما كان سائدًا فى أيامه، كما أن ميله إلى السامية فى أسلوبه اليونانى، يدل على أنه قرأ التوراة باليونانية وتعمق فيها إلى درجة أنه مال إلى تقليد أسلوبها، ذلك إلى جانب ميله إلى القصة والوصف الجميل، وهناك من الشواهد ما يدل على أنه كان أحد السبعين الذين ذكروا فى إنجيله (الإصحاح العاشر فقرة ١)، وإن كان اسمه لم يظهر إذا أشير إليه بتلميذ EMMANS، الرومانى، وقد استعار لوقا، ما كتبه من متّى، ومرقص إلى جانب مصادر مجهولة من الأساطير، وقد أورد بعض أشياء لم ترد فى أى إنجيل من قبل، منها أجر الخادم، كما جاء فى الإصحاح ٢٧ من فقرة ٧ إلى ١٠، وإبراء مرضى البرص العشرة (إصحاح ١٧ فقرة ١١ إلى ١٩)، والقاضى غير العادل (إصحاح ١٨ من ١ إلى ١٤)، ووصف العشاء الأخير وأقوال المسيح الأخيرة بشكل جذاب (إصحاح ٢٢ فقرات ١٥ إلى ٣٨)، وصلب اثنين من المجرمين (إصحاح ٢٣ فقرات ٣٩ إلى ٤٣)، والصعود إلى السماء (إصحاح ١٤ فقرة

٥٠ إلى ٥٣)، والواقع أنه أورد أشياء تبلغ فى عددها ٣٥ لم ترد فى الأناجيل الأخرى، وقد اختلف العلماء المسيحيون فى مصادر معلوماته اختلافًا كبيرًا، إلا أنهم أجمعوا على سلاسة أسلوبه وطلاوته وترتيبه الجيد للأحداث، والواقع أنه كان قادرًا ومتمكنًا فى كتاباته، إذ يأخذ من الحادث الواحد ما يصل به مشاهد وأحداث عدة، كما أنه ابتكر فى إنجيله بيانات وعبارات ليصل أو ليفصل بين مشاهد وأحداث، ويظهر ذلك أكثر ما يظهر فى أعمال الرسل، كما أنه ابتكر مشهد ولادة المسيح ومشهد النهاية مع محافظته على الإطار الذى وضعه مرقص ومؤلف الإنجيل المنسوب إلى لوقا وصاحب أعمال الرسل، كما تشير الأساطير التى وردت إلينا إلى أن لوقا صاحب أعمال الرسل، ولكن هذه الأساطير تتعثر كثيرًا عندما نفحص أعمال الرسل، فهناك تعارض كبير بين ما جاء فى أعمال الرسل، عن بولس وبين (رسائل بولس) نفسها، مما يدل على أن الرسائل، وأعمال الرسل ليسا من تأليف شخص واحد كما سيأتى الكلام عنه فى أعمال الرسل، وعلى كل فصاحب الإنجيل الثالث لم يعاصر عيسى إنما عرف سيرته عن طريق الأساطير الكنسية والمصادر الشفهية، وسواء أكان يهوديًا أم إغريقيًا أم غير يهودى عند ولادته، فأن أسلوبه اليونانى وعباراته تدل على أنه كان رجلًا متعلمًا فى مستوى كبار الكتاب اليونانيين، وأنه عاش فى عصر يعتبر فيه عصر المسيح من العصور الغابرة، ولما كان الإنجيل المنسوب إلى مرقص أحد مصادر لوقا، ولما كانت النبوءة التى ذكرت فى الإصحاح ٢١ قد تحققت فى حوالى عام ٧٠ بعد الميلاد نستطيع أن نقرر أن هذا الانجيل قد كتب بعد هذا التاريخ ونحن مطمئنون، ويرى كثير من علماء المسيحية أنه كتب فى أوائل القرن الثانى بعد الميلاد لسبب واحد هو أنه لا الإنجيل ولا أعمال الرسل ظهر لهما وجود إلا فى أيام كلمنت الثانى وجوستين JUSTIN و CLEMENT، أما أين كتب هذا الإنجيل فلا يمكن تحديد مكانه بالدقة ولكن إذا ما أخذنا الخريطة الجغرافية التى أوردها لوقا وسلمنا بصحتها، نستطيع أن نقرر أنه كتبه فى آسيا الصغرى أو اليونان وليس فى سوريا، أما المدعو ثيوفليس، الذى وجه إليه لوقا إنجيله ورسائله، فلا أثر له فى التاريخ على الإطلاق. ومن هذا نستطيع أن نقرر عن ثقة أن لوقا لم يعاصر المسيح وأن كتاباته المنمقة هى تعبير عن تصوراته الشخصية مع مزجه بعض ما جاء فى مرقص بهذه التصورات أى أن إنجيل لوقا، هو من تأليفه وما نسب فيه إلى المسيح هو من قبيل الرواية البعيدة وليس القريبة، وبالتالى يجب عندما نقرؤه ألا نغتر بعباراته الجميلة فتصرفنا عن حقيقة المسيح وأقواله التى اقتبسها لوقا من بعض المصادر، بمعنى أن هذا الإنجيل هو كلام موضوع فى عبارات إنشائية جذابة وليس تنزيلًا من رب حكيم.

(د) الإنجيل المنسوب إلى يوحنا:

يعتبر إنجيل يوحنا رابع الأناجيل المعتمدة من الكنيسة، ولكنه يمثل الكتاب الأول من بين المطبوعات الكنسية، أما الأناجيل الثلاثة الأخرى، فتعتبر بالنسبة للكاثوليك، أناجيل عامة وإن تكن رسالة يوحنا الثانية والثالثة، من الرسالات ذات الوزن لأنها أرسلت لأشخاص معينين، فالثانية إلى السيدة المختارة وأولادها، وهو يعنى بذلك الكنيسة والثالثة إلى GAIUS.

وضع إنجيل يوحنا فى إطار العهد الجديد عام ٢٠٠، ولم يعترض رجال الكنيسة على رسالة يوحنا

الأولى، ولكنهم اعترضوا على الرسالتين الثانية والثالثة، حتى القرن الرابع حيث ضمت الرسالتان الثانية والثالثة إلى الأعمال المكملة للأناجيل. وهذا الإنجيل المنسوب إلى يوحنا، يحاول كاتبه أن يؤكد ألوهية عيسى، بل يذهب إلى أنه كان موجودًا قبل مولده من (مريم)، لا باعتبار أن هذا الزعم قد ورد على لسان عيسى فهو لم يرد على الإطلاق، بل باعتبار أن كلمة الله كما شاء له تفكيره - قد تجسدت وأصبحت إنسانًا هو عيسى، وترى دائرة المعارف البريطانية أن إنجيل يوحنا، كتب قرب مدينة أفسوس أو داخلها بعد مائة وعشرة أو مائة وخمس عشرة سنة من ميلاد عيسى، وأن كاتب هذا الإنجيل الذى ينسب إلى يوحنا مجهول الشخصية، ويرى فلاسفة المسيحية أن كاتبه المجهول كان معاديا للسامية، وكان يصور اليهود كأعداء للمسيح وليس هناك من أستاذ لاهوتى مسيحى مستقل الرأى يسلم بأن هذا الإنجيل قد كتبه يوحنا بن زبيدى، أضف إلى ذلك أن علماء المسيحية المحدثين يشككون فى إنجيل يوحنا كإنجيل، وفى كاتبه وفى صحة ما جاء فيه، بل صحة الكلمات التى نسبها إلى عيسى عليه السلام (انظر كتاب حياة عيسى ص١٦ لمؤلفه C.J. CADOUX) إذ يقول بالحرف الواحد: (تختلف الأحاديث الواردة فى الإنجيل الرابع اختلافًا كبيرًا عن تلك الواردة فى الأناجيل الثلاثة، كذلك تختلف تعليقات كاتب الإنجيل الرابع عن سابقتها، وبالتالى لا يمكن أن نصدق أيًّا منها وبنفس القدر لا يمكن الاعتماد عليها كتسجيلات لأقوال المسيح، والتحقيقات الأدبية فى الأيام القديمة لم تسمح كما هى لا تسمح الآن بإسناد أحاديث خيالية لا أصل لها إلى شخصيات تاريخية وقد اعتاد المؤرخون القدامى أن يؤلفوا مثل هذه الأحاديث ثم ينسبونها إلى من يريدون).

وترى دائرة المعارف البريطانية أن الإنجيل الرابع من ناحية الأسلوب والتأليف متجانس، ولكن تبويب الأحداث فى النص المعتمد من الكنيسة والذى هو بين أيدينا الآن يسبب مشاكل جمة، حتى أنه أثار عدة محاولات لإعادة ترتيب فقراته لتصبح منطقية، فمثلا من ناحية المعلومات الجغرافية، نجد أن الأمر يتطلب حتمًا أن يأتى الإصحاح السادس قبل الإصحاح الخامس، وتنقل الفقرات من ١٥ إلى ٢٤ من الإصحاح السابع إلى الإصحاح الخامس، كذلك يجب أن توضع الفقرة ٢٢ من الإصحاح العاشر فى بداية الحديث عن الراعى، كما توضع الفقرات من ١٩ : ٢٢ من الإصحاح العاشر وما تشير إليه من شفاء الأعمى فى مكان آخر، والفقرات من ٤٤ : ٥٠ من الإصحاح ١٢، تبدو وكأنها شاذة لا صلة بين سابقتها ولا حقتها من الفقرات الأخرى، وبالتالى تعتبر دخيلة وترفع من مكانها، وفى الإصحاح الرابع عشر الفقرة ٣١ تعتبر مقدمة للإصحاح الثامن عشر، ولما كان هذا الإنجيل المنسوب إلى يوحنا فى حالة من التشويش يرثى لها، ومن الاضطراب البين نستطيع أن نجزم بأنه عُدّل وأعيد تحريره، ومن المحتمل أن هذا التعديل قد أدخل على الإنجيل المنسوب إلى يوحنا خاصة، وأن الإصحاح الواحد والعشرين قد أشار إلى أن مؤلفه هو الحوارى المحبوب إلى المسيح (انظر الفقرات من ٢٠ إلى ٢٤ من الإصحاح ٢١، والفقرة ٢٣ من الإصحاح ١٣، والفقرات من ٢٦ - ٢٧، والفقرة ٣٥ من الإصحاح ١٩ والفقرات من ٢ - ١٠ من الإصحاح ٢٠، والفقرة السابعة من الإصحاح ٢١، كذلك أشارت إلى نفس الشيء الفقرتان ١٥، ١٦ من الإصحاح ١٨).

من هو الحوارى الذى أحبه المسيح؟

لم يفصح الإنجيل عن اسمه أو شخصيته، وليس هناك من كلمة تشير إلى أنه (يوحنا بن زبيدى) ولا شك أن هذا اللغز قد أدى إلى تضارب الرأى بشأن المؤلف الأصلى وبشأن الشخصية الأخرى التى أستند إليها، الأمر الذى لم يدركه الذين حرروا هذا الإنجيل لأول مرة.

قد يقول البعض إن هذا المحبوب هو لازاروس LAZARUS، وقد يكون من المرجح والأكثر تصديقًا أن هذا اللقب (المحبوب) لم يكن يقصد به أحد الحواريين، ولكن أحد المحررين الذين حاولوا تكذيب أو حذف ما أشيع من أن الحوارى المحبوب سيعيش فى هذه الدنيا حتى يعود إليها المسيح مرة أخرى (إصحاح ٢١ فقرات ٢٠ - ٢٣) وبالتالى ينظرون إليه كمؤرخ معتمد وصادق باعتباره عضوًا فى الجماعة التى ورد ذكرها فى الإصحاح ٢١ فقرة ٢، والتى تنص على تواجده فى العشاء الأخير، وكان شاهد عيان على صلب المسيح وأنه تشرف برعاية السيدة مريم فى محنتها، وقد يكون من المحتمل وليس من المؤكد أن محررى هذا الإنجيل كانوا يعتقدون أن الحوارى المحبوب هو (يوحنا بن زبيدى)، وفى السنوات الأخيرة من القرن الثانى للميلاد اجتمع رجال الكنيسة وقرروا أن يوحنا كان أحد الحواريين الاثنى عشر، وأنه كتب هذا الإنجيل كما كتب الرسائل الثلاثة المنسوبة إليه، وبالتالى وجب على علماء المسيحية أن يمحصوا هذا القرار بدقة خاصة، لأنه جاء فى القرن الثانى بعد الميلاد وأن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا والرسائل المنسوبة إليه، كانت قبل ذلك مجهولة الأصل لا يُعرف كاتبها قبل هذا التاريخ، إضافة إلى ذلك أن الشواهد والقرائن التاريخية القديمة لا تدل على شخصية كاتب معين، وإن كان الكاتب قد أسمى نفسه شيخ الكنيسة فى الرسالة الثانية والرسالة الثالثة، ويذهب قسيس الإسكندرية فى القرن الثالث والمسمى DRONYEUIS إلى أن مؤلف هذا الإنجيل ليس يوحنا ويؤكد ذلك بوجود مقبرتين فى أفسوس تضم كل واحدة رفاة حوارى اسمه يوحنا.

ونحن أبناء القرن العشرين لا نستطيع أن نتصور كتابًا يصدر دون اسم مؤلف أو ناشر، ولكن الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل صدرت فى أول الأمر دون ذكر اسم المؤلف، ثم وضعوا أسماء مؤلفيها على حسب ظنهم فى القرن الثانى وفق ما جاء فى مخطوطة BODMER الثانية، التى صدرت عام ٢٠٠ بعد الميلاد والتى وضعت اسم يوحنا إلى جانب الإنجيل المنسوب إليه، والسبب فى ذلك أن المسيحيين الأوائل كانوا على فطرتهم، فكانوا يعتقدون أن كل من يخط خطًا فى أمور دينية كان يفعل ذلك بوحى من الروح القدس، أما الإنسان نفسه الذى كتب الإنجيل فهو مجرد أداة، أما الخطابات والرسائل، فكان أمرها مختلفًا إذ نسبت إلى أصحابها، أو ما أشيع بأنهم أصحابها، على أن الإنجيل الرابع المنسوب إلى يوحنا قد ألمح إلى شخصية مؤلفه حتى يكون مقبولا لدى جمهور الشعب، فى حين أن بقية الأناجيل لم تحمل أية إشارة مباشرة أو غير مباشرة إلى شخصية مؤلفيها.

أما عن تاريخ كتابة هذا الإنجيل فأمر غير محقق على الإطلاق، وقد أشار المسيحيون الأوائل إلى أنه كتب فى القرن الثانى لوجود قطعة من نبات البردى وجدوها تشير إلى هذا الإنجيل وبالتالى ذهب

كتاب المسيحية فى أواخر القرن الثانى إلى الزعم بأن هذا الإنجيل هو آخر الأناجيل المكتوبة وأنه يكمل الأناجيل الثلاثة الأخرى، وإذا أخذ هذا الإنجيل على أنه مستقل بذاته، فإن تأخير كتابته إلى القرن الثانى تصبح أمرًا لا نستطيع تفسيره، ويبدو أن كاتبه أو كتّابه كانوا يتصفون بالحذق والنضج والتجربة فى الاتصال الجماهيرى، وكانوا يتقنون أساليب المجاملة والمراوغة مما يدل على أنه أو أنهم كانوا من كبار السن، إذ أن هذا الإنجيل يعكس على صفحاته تجربة غنية للمجتمع المسيحى فى ذلك الحين، وبالتالى يجزم أساتذة المسيحية بأنه كتب فى السنوات القليلة الأخيرة من القرن الأول أو فى السنوات الأولى من القرن الثانى، والمقدمة الواردة فى هذا الإنجيل والتى يشتم منها معارضة مرقص إنما ترجع إلى فترة تبدأ من القرن الثانى حتى القرن الخامس بعد الميلاد، ولقد أشار بيبس PAPIAS إلى أن يوحنا قدم إنجيله إلى الكنيسة خلال حياته، وهذه الإشارة تدل على أنه كان يوجد نزاع حول ما إذا كان هذا الإنجيل قد نشر بعد موت يوحنا أو فى حياته، (انظر الإصحاح الحادى والعشرين فقرات ٢٣، ٢٤)، وبالتالى يمكن أن نستنتج أن مؤلف هذا الإنجيل، إما أنه كتبه وهو فى سن المائة، وهو سن متأخر لا يسمح لصاحبه بالاتزان فى الكتابة، وإما أنه كتب بمعرفة شخص آخر بعد ١٠٠ سنة من الميلاد. وبالتالى تصبح الفجوة الزمنية بينه وبين عيسى طويلة جدا بحيث نستطيع أن نجزم بأنه ليس منزلا بل من عمل الإنسان.

التراث الكنسى:

يقول كتاب الوحى إن ابن زبيدى كتب سفر الرؤية، ورسالتى يوحنا الثانية والثالثة، غير أن الشواهد التاريخية لا تشير إلى هذا الرأى، إذ تستند الرسالتان الثانية والثالثة إلى شخص استعار لنفسه اسم شيخ الكنيسة.

والواقع أن الرسالتين الثانية والثالثة محط نقاش كبير، ويقول DIONYSIUS الإسكندرانى الذى عاش فى القرن الثالث أن هذه الرؤيا يجب أن ترفع من الكتاب المقدس، وأن كاتبها يختلف فى الأسلوب عن كاتب الرسالة الأولى، ويشير تعزيزًا لكلامه إلى وجود مقبرتين فى أفسوس، يقال إن يوحنا مدفون فى إحداهما، أما إبرانوس، فيرى أن يوحنا قد مات عند تراجان فى آسيا الصغرى، كذلك ليس هناك ما يؤكد ما جاء فى يوحنا الإصحاح ٨ فقرة ٥٧ من أن عيسى قد عاش حتى بلغ الخمسين، ولا شك أن هذه الفقرة التى تشير إلى أن اليهود قالوا له كيف تدعى أنك رأيت إبراهيم وأنك لم تبلغ الخمسين بعد هى فقرة كاذبة، إذ أن عيسى عند موته، لم يتجاوز الثانية والثلاثين، وإذا كانت إحدى فُقرات هذا الإنجيل قد أخطأت فإنه لا يصبح جديرًا بالثقة، أضف إلى ذلك أن البيانات التى وردت به قد صيغت فى قالب جدلى بقصد الدفاع عن الإنجيل، وعن الرؤيا ضد النقد الموجه إليهما، ولما كان المعيار الذى اتخذ لاعتبار أى إنجيل معتمدًا كنسيًّا، هو معايشة كاتبه لعيسى عليه السلام، وإن ما دون ذلك لا يجعل الإنجيل معتمدًا أو حتى أدبًا دينيًّا، وعليه يكون إنجيل يوحنا عملا غير دينى، لأن كاتبه لم يواكب عيسى عليه السلام وقد وصف JUSTIN الذى عاش فى عام ١٥٥ يوحنا بأنه أحد التلاميذ، واشترط أن يكون يوحنا قد عمل بإنجيله وهذا أمر غير وارد على الإطلاق، لأن

إنجيل يوحنا ظهر فى أوائل القرن الثانى فى حين مات يوحنا قبل نهاية القرن الأول، دون أن يترك وراءه إنجيلا على الإطلاق.

كذلك هناك اختلاف فى الأسلوب واللغة بشكل ظاهر بين الرؤيا والإنجيل وإن استخدما فيما بينهما عبارات مشتركة مثل: كلمة الله، وماء الحياة، وحمل الله، وما كان أحد يظن فى ذلك العصر أن يوحنا بن زبيدى هو الذى كتب الإنجيل الرابع والرؤيا، لولا أن الكنيسة نادت بذلك وأصرت عليه. فى القرن الثانى.

الأعمال المشكوك فيها ليوحنا:

قد يكون هناك سر أو مفتاح للأعمال المشكوك فيها والمنسوبة ليوحنا ولكن جميع أساتذة اللاهوت المسيحيين لم يجدوا مفتاح هذا السر، لقد كتبت أعمال يوحنا باسم تلميذ اسمه LUCIUS وموطنه آسيا الصغرى أو تركيا الحالية، وربما كان معروفًا عند كليمنت قسيس الإسكندرية وقد عاش هذا الشخص حتى سنة ١٨٠ بعد الميلاد، والأعمال التى ذكرها هذا الشخص، عبارة عن مجموعة مشتتة من قصص مبتورة، ولكن أمكن تركيب أجزاء مختلفة منها بشكل تظهر معه بعض القصص والكتابات اليونانية القديمة، أو أن هذه الأعمال نقلت من قصص إغريقية وليست أعمالا حقيقية ثم بترت حتى لا يستطيع القارئ العادى معرفة أصلها بسهولة، ولكن العلماء استطاعوا تجميعها وخرجوا منها بصورة طبق الأصل لتراث إغريقى.

ونحن عندما نبحث أمر يوحنا بن زبيدى فى ضوء الأساطير التى جمعت بين الإنجيل الرابع وبين هذا الشخص، يجب أن نتذكر أن يوحنا مات شهيدًا كأخيه جيمس على أيدى اليهود، ومصدرنا فى ذلك بعض صفحات من الكتاب الثانى الذى كتبه بيبس عام ١٣٠، ويؤكد ذلك ما جاء فى مرقص الإصحاح العاشر فقرة ٣٨، ٣٩، وهناك شواهد ثانوية تؤكد قصة بيبس PAPIAS) من أن الكنيسة تحتفل بذكرى موت جيمس مع موت يوحنا، ولكن أعمال الرسل فى الإصحاح ١٢، لا تشير إلى أن يوحنا قد مات مع أخيه جيمس فى نفس اليوم، والمسألة لا تزال محط أخذ ورد بين المسيحيين، فلو كان بيبس على حق، فإنه يكون قد خطأ ما جاء فى مرقص الإصحاح ١٠ فقرة ٣٩، إذ تقول ما معناه فأجاب عيسى نعم نستطيع، ثم قال لهم إنكما تشربان من نفس الكأس التى أشرب منها، وسوف تتعمدان كما أتعمد إنكما سوف تتعمدان، والمعنى أنهما سوف يموتان وسوف يذوقان نفس كأس الموت، ولو كان المسيح قد عرف أنهما سيموتان فى نفس الوقت، لكان قد أشار إلى ذلك، وحتى إذا لم يكن يريد أن يشير إلى مثل ذلك، فإن ما تشير إليه الأساطير من أن يوحنا قد مات فى أفسوس وهو يبلغ من العمر ٩٨ سنة، أمر مشكوك فيه، فإن بيبس كان يعيش قرب أفسوس التى مات بها يوحنا وأنه كتب ما كتب، قبل أن يكتب يوحنا أعماله.

والخلاصة أن ليس هناك ما يشير إلى أن يوحنا بن زبيدى هو كاتب الإنجيل الرابع، والواقع أن الشواهد الأدبية تدلنا على أن هذا الإنجيل فى هيئته الحالية قد اشترك عدد كبير فى تحريره، والصعوبة

الرئيسية فى قبول هذا الإنجيل، هو ما احتوى عليه، إذ شط عن التقاليد التاريخية الكنسية والمذهبية، وراح يتكلم بصيغة المفرد (أنا) كما احتوى على عناصر إغريقية قوية، فى حين لم يستخدم عيسى هذه العناصر أو الكلمات الإغريقية، فمن ناحية نجده يستعمل لفظة (الكلمة) LOGOS، وهذا اللفظ الذى استخدمه كُتاب إغريقيون فى وصفهم خلق الكون، وفى ترتيبه ونظامه، وفى تقريبه إلى فكر الإنسان كذلك حوى هذا الإنجيل بعض تعاليم أفلاطون الأخيرة.

وبعض من الكُتاب المسيحيين الأوائل الذين عاشوا فى القرنين الثانى والثالث قد استخدموا لفظ الكلمة (LOGOS) فى تفسير المسيحية وتقريبها إلى الشعب اليونانى وخاصة بالنسبة للوحى الذى نزل على المسيح وهذه الكلمة فى اليونانية معناها نور البرق، أو هى روح الإنسان بمجرد ولادته، ومع ذلك نص الإنجيل على أن الكلمة قد أصبحت إنساناً. وخلفية لفظ (الكلمة) نجدها فى اليهودية الإغريقية، وقد حاول PHILO، أن يجمع بين معنى لفظ LOGOS بالعبرية والهيلينية، كما حاول أن يجمع بين الأفلاطونية والفلسفة الرواقية أو الزينونية نسبة إلى زينون، مع إضفاء نظرية إنجليكية على الله والعالم، وبينما نجد فى الأدب اليهودى القديم أن الله أمر بتجسد (الكلمة) الإلهية كحافز للشريعة الموسوية نجد PHILO يتحدث عن كلمة الله، أو ما يعرف بـ LOGOS، كسبب للخليقة، أو كوسيط بين الله فى علاه والنظم الأرضية مع الاهتمام الإلهى بالإنسان، كذلك يصور الإنسان فى صورة الله، أو هى صورة للكلمة، انظر كتاب الخليقة إصحاح ٢ فقرة ٤، وإصحاح ١ فقرة ٢٦، ٢٧، وراح PHILO الإسكندرى يئول الرموز التى وردت فى العهد القديم بأنها أشياء تشير إلى روح الله، وأن هذه الروح هى الراعى، وهى النور، وهى الحياة، وهى الوسيط إلى المعرفة بالله وهى الطريق إلى الله، وهى الكاهن الأكبر، وهى الفارقليط الوسيط الخاص إلى معرفة الله، أى الرسول المبعوث من الله، وسوف نفرد للفارقليط باباً خاصاً.

المذهب الهرموزى أو الكيمياء السحرية:

أثارت نظرية الخليقة فى كتاب التكوين، الكثير من التصورات بين هؤلاء الذين يعتقدون فى ديانة إلهية، وهؤلاء الذين مازالوا على فطرتهم الطبيعية فى اليونان، والمذهب الهرموزى يتناول إيحاءات أو تصورات فى مجال الفلك والكيمياء، كما يتناول تخيلات فلسفية ودينية تشوبها مشاعر خيالية، قد تصل إلى حد الهوس، ومن القائلين بالمذهب الهرموزى عناصر يهودية تشير إلى أن بعض الفقرات الواردة فى الأناجيل، مصدرها اليهودية وتصفها بالوسيط الكيمائى الذى تتحول فيه عقول البشر، ووفق هذا المذهب الهرموزى التصورى، نجد طريق خلاص الإنسان فى معرفته بالله، وينادى بأن الإنسان الذى يفقد صلته بالخالق إنما يسلم نفسه للفناء، ولكنه يستطيع أن يستعيد نفسه إذا كفّر عن خطاياه، واستغفر وسلّم بالأسرار الإلهية، أو اعتقد فى المبادئ التى تجعله يدخل الحياة الأبدية، أو النور، أو بعبارة أخرى يولد من جديد، وفكرة الفارقليط، تظهر فى بعض فقرات، وتشير إلى التوسط بين العقل الأعظم والعالم المادى، وهذه الفكرة نشأت عن اليهودية، إذ يقول المزمار رقم٣٣-٦ (بكلمة الرب صنعت السموات، وبنفخة من فمه تكونت المخلوقات)، والواقع أن الطوائف الهرموزية كانت شائعة فى القرن

الثانى وما بعده، وليس من المستبعد أن يكون بعض هذه الطوائف المرموزية قد تقبلت الإنجيل الرابع خاصة من بين أتباع مدرسة أفلاطون، فقد كتب VALANTINE تعليقًا على كتاب يوحنا، كما كتب غيره تعليقات أخرى، وقد اكتشفت نسخة من (إنجيل الحق) فى نجع حمادى بمصر، وهذا الإنجيل هو نفس الإنجيل الرابع الذى اهتم بنوع خاص بالعنصر التاريخى فى مسألة الوحى، وفى نفس الوقت نجد أن المسيحية فى عرف هذا الإنجيل تنادى بأن الكلمة تحولت إلى إنسان، كما أن يوحنا لم يفكر فى نفس الوقت فى عيسى كإنسان قابل للموت، بل فكر فيه ككائن خالد يعرفه المؤمن الذى يبشر بالكلمة ويؤمن بالحياة الكنسية.

هدف الإنجيل الرابع:

يرى الباحثون فى المسيحية، أن كاتب هذا الإنجيل، كان يتكلم الآرامية، وأن وطنه الأصلى فلسطين، فى حين يرى البعض الآخر أنه كان إغريقيا من اليونان، وكان ينتمى إلى اليهودية، وللتوفيق بين هذين الرأيين، ظهر رأى ثالث يقول إن كاتب هذا الإنجيل، كان فلسطينيًا هاجر إلى اليونان، وعاش حيث كان يعيش اليهود فيها، ثم اكتسب معرفة باللغة وبالطقوس الدينية للمجتمع المحيط به، وهنا نلاحظ أن مؤلف هذا الإنجيل استخدم أولا كلمة الفارقليط، ثم وضع مكانها كلمة الابن، وأن الموضوع الرئيسى الذى حاول أن يؤكده هو وحدة الابن مع الأب، وظهور الأب فى العالم، وهذا الإنجيل يتوجه فى المقام الأول إلى عالم اليونان واليونانيين الذين يتكلمون اليونانية فى سوريا وآسيا الصغرى، بل فى منطقة البحر الأبيض المتوسط من القرم إلى قادس، ويعلن إنجيل يوحنا فى الإصحاح ٢٠ فقرة ٣٠، ٣١: (وآيات أخرى عديدة أتاها يسوع أمام تلاميذه لم تدون فى هذا الكتاب، وأما ما دون هنا، فهو لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، فإذا ما آمنتم كانت لكم حياة باسمه)، والترجمة عن الإنجليزية، ويلاحظ أن كاتب هذا الإنجيل لم يستخدم كلمة عيسى، فقد كان يعتبرها اسمًا لا يليق بالمسيح، وأنها لا تحمل قوة كلمة المسيح أو الواحد المختار، ويدور هذا الإنجيل حول عيسى كمسيح وأن الشريعة اليهودية تحدثت عنه، انظر الإصحاح ١ فقرة ٤٥، (وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء - (يسوع ابن يوسف الناصرى).، كذلك ورد نفس الشىء تقريبًا فى الإصحاح الحادى عشر فقرة ٥٢، والإصحاح العاشر فقرة ١٦، أضف إلى ذلك أن الكتابة التى كتبت على الصليب وصفت عيسى بأنه ملك اليهود جميعًا، وأن الحاكم الرومانى كان يعتقد أن لعيسى هذه الصفة (الفقرة ١٩ من الإصحاح ١٩)، ومن رأى كاتب هذا الإنجيل (حاشا لله) أن الله رزق بابن واحد تحقيقًا لنبوءة سابقة ويفعل معجزاته (إصحاح ٣ فقرة ٢، وإصحاح ٧ فقرة ٣١، وإصحاح ١٢ فقرة ١٨ إلخ)، ومعجزات عيسى لم تكن معنوية، بل كان بعضها ماديًّا مثل تحويله الماء إلى خمر فى أحد الاحتفالات اليهودية، ولكن مؤلف هذا الإنجيل لم يدخر وسعًا فى تحويل كل حادث مادى إلى شىء معنوى، خذ مثلا معجزة تحويل الماء إلى خمر، وكيف أولها إلى ناحية رمزية بقصد تأكيد عبادة الخالق، أو فى تعبيرهم الكلمة والابن والأب، بل إن كل دقيقة من الدقائق الصغيرة فى القصص التى أوردها يوحنا قد أولها تأويلا لاهوتيا، مثلا فى الليل الذى ذهب فيه يهوذا والوارد فى الإصحاح ١٣ فقرة ٣٠، قد حول

الليل بسواده الطبيعي إلى ساتر يحجز النور، كما جاء فى الإصحاح الأول فقرة ٥ فيقول (والنور يضىء فى الظلمة والظلمة لم تدركه)، خذ مثلا حادث قيام عيسى بغسل أرجل الحواريين (حوره إلى كناية، بل إلى سر لاهوتى، يتمثل فى تجسد الله فى المسيح) (انظر الإصحاح ١٣ فقرة ١ حتى الفقرة ١١)، خذ مثلا آخر الرجل الذى ولد أعمى وكيف اتخذه عيسى تكئة شجب عليه حديثه عن النور الذى يعم العالم (إصحاح ٩ فقرة ١)، مستخلصًا من هذا الحادث أن المسيح هو الإله، لأنه نور العالم، كذلك موضوع تعذيب المسيح وصلبه نجد بعض سمات لم يستطع أن ينوولها التأويل المطلوب مثل إنكار بطرس الوارد فى الإصحاح ١٨ فقرة ١٥، ثم قارن معاملة جاباتا GAPPATHA فى الإصحاح ١٩ فقرة ١٣ مع سالومى إصحاح ٩ فقرة ٧، ولكن هذه السمات نادرة واستخدم يوحنا فى ذلك ألفاظًا مثل: رفع، فيقول فى الفقرة ١٤ إصحاح ٣، وكما رفع موسى الحية فى البرية ينبغى أن يرفع ابن الإنسان.

واستخدام المجاز أو الاستعارة نجده بنوع خاص فى وصفه الاحتفالات اليهودية، ففى كل حديث يحوى معجزة يقرن به الأعياد اليهودية مثلا الفقرة ١ من الإصحاح ١٥ (وبعد هذا كان عيد اليهود فصعد يسوع إلى أورشليم)، وفقرة ٤ من الإصحاح ٦ (فصعد يسوع إلى الجبل وجلس هناك مع تلاميذه، وكان الفصح وهو عيد اليهود قريبًا)، والفقرة ٢ من الإصحاح ٧، (وكان عيد اليهود قريبًا فقال له إخوته.. إلخ)، والفقرة ٢٢ من الإصحاح ١٠. «وكان عيد التجديد فى أورشليم، وكان شتاء» وكان يسوع يتمشى فى الهيكل.. إلخ. والفقرة ٥٥ من الإصحاح ١١، (وكان فصح اليهود قريبًا فصعد كثيرون من الكفور إلى أورشليم.. إلخ)، وهدفه من ذلك استرضاء اليهود فى آسيا الصغرى، ولكنه نسى أن يبين أى عيد من أعياد اليهود، فى الإصحاح ٥ فقرة ١ وهذه الذلة تؤخذ عليه، وتدل على إقحامه أعياد اليهود على أعمال المسيح وربطهما معًا وإن كنت أعتقد أن هذا العيد هو عيد رأس السنة.

وقد خلط يوحنا الأحداث التاريخية بالمشاعر الدينية خلطًا لا حد له، فكان يخضع الأحداث فى الإنجيل المنسوب إليه للمشاعر أو الأعمال الدينية البحتة، يقول يوحنا: إن العشاء الأخير وقع فى ليلة عيد الفصح عند اليهود، ويخالفه فى ذلك آخرون، وعلى كل حال يبدو أن يوحنا كان يشارك العالم بيبس PAPIAS فى أن التراث المرْوى أى الشفهى، أصدق من التراث المكتوب، ذلك لأنه يستطيع أن يتحرك كما يشاء فى القصص المروية دون القصص المكتوبة، أى يستطيع أن يبتكر من الأحداث والتواريخ ما يراه لزامًا من أجل تجسيد الله فى المسيح، وبالتالى نجد صلة قوية بين الإنجيل المنسوب إلى يوحنا وذلك المنسوب إلى مرقص، غير أن الإنجيل المنسوب إلى متّى وذلك المنسوب إلى لوقا يحذران من التسرع فى الاعتقاد بوجود علاقة خاصة بين الأب والابن، وأن ما ورد فى شأن هذه العلاقة هو من تصور كتبة الأناجيل الآخرين، (انظر متّى فقرة ٢٧ إصحاح ١١) وتقول: (كل شىء قد أوحى إلىّ من أبى، ولا أحد من بنى الإنسان يعرف الابن غير أبيه، ولا أحد يعرف الأب غير ابنه، ثم إلى من يوحى إليه الأب غير ابنه)، ثم انظر لوقا فقرة ٢٢ إصحاح ١٠، (وقال له احترسوا عندما تدخلوا المدينة سيقابلكم رجل يحمل جرة ماء فاتبعوه إلى المنزل الذى يدخله.. إلخ) فى حين يدعى يوحنا أن

الروح قد أخطر الكنائس بأن هناك صلة مستمرة بين عيسى على هيئة إنسان وبينه عندما رفع بعد صلبه.

والواقع أن هذا الإنجيل الرابع يعتبر لغزًا للمؤرخين، فلا يجدون فيه السمات الرئيسية التى تدل على الحقيقة، ولكن الكنيسة تجد فيه المشاعر الوجدانية القوية الدالة على الأعمال العظمى المبتكرة، وفى خلال القرن الثانى بعد الميلاد، كان هناك نقاش حاد بين رجال الكنيسة حول النواحى الدينية التى ذهب إليها هذا الإنجيل، مخالفًا بذلك التاريخ، ولكن إيرانيوس وقف يدافع عنه من الناحية الدينية، وخاصة بالنسبة لنواحى الخلاف التى نشأت بين المسيحيين الأوائل فى موضوع الثالوث وشخصية عيسى وكان المدافعون عن ألوهية عيسى وتجسد الله فيه يلجئون دائما إلى إنجيل يوحنا، وفى القرن التاسع عشر تحول هذا الإنجيل إلى مشكلة جديدة، فكان المؤرخون ينظرون إلى الأناجيل باعتبارها سردًا لتاريخ المسيح وأن ما فيها من أحداث إنما يبرهن على وجود عيسى من الناحية التاريخية، ولم يهتموا بتطور شخصية المسيح من إنسان إلى إله، أو من طبيعة الإنسان إلى النورانية، ولكنهم وجدوا أن هذا الإنجيل لا يهتم إلا بالنواحى الوجدانية والأسطورية، وكيف أصبحت الكلمة لحمًا، وكيف يتطلب الإنجيل إيمان الإنسان واعتقاده فى ألوهية عيسى مجابة من فراغ.. وقبل أن نتحدث عن رؤيا يوحنا لابد أن نشير إلى أن هذا الإنجيل قد قصد - وبعد مرور أكثر من مائة سنة على رفع المسيح - أن يجعل منه إلها، متقربًا بذلك إلى العقائد اليونانية السائدة حتى يتقبله الإغريق الذين يعتقدون فى آلهة للخير وأخرى للشر على هيئة إنسان، سواء كان رجلا أو امرأة، وما إلى ذلك، ولما كان الإنجيل المنسوب إلى يوحنا قد كتب لغرض خاص، كان لابد وأن يخرج كاتبه عما قاله المسيح أو فعله مؤولا ذلك فى صالح هدفه الشخصى وبالتالى لا يعتبر كلامًا منزلا من عند الله، بل هو تشويه حتى لأعمال المسيح استخدمته الكنيسة استخدامًا كليًا لإشباع رغبة الشعوب الأوربية فى تصوير إنسان على هيئة إله، وبالتالى يصبح عملا موضوعًا ليتمشى مع الوثنية اليونانية أكثر من أن يحافظ على الرسالة المسيحية الحقيقية.

رسائل يوحنا:

تعتبر الرسالة الأولى المنسوبة إلى يوحنا، كتابًا موجهًا إلى الكنائس التى ترد على أقوال الرسل وما جاء فيها من كفر فى وقت بلغ فيه حال الكنيسة الأرثوزوكسية درجة كبيرة من الضعف، وقد نحت هذه الرسالة باللائمة على زعماء هذه الكنائس، ووصفتهم بأنهم أعداء المسيح لا لشىء إلا لأنهم كانوا على حق عندما نفوا البدعة القائلة بأن الله قد تقمص جسد إنسان هو المسيح الذى جاء بنفسه (انظر الإصحاح الرابع الفقرة ١ إلى ٦)، وقد وجدت فلول المسيحية الأرثوزوكسية أن ما يروى عن المسيح من أساطير قد وجد آذانًا صاغية بين الوثنيين اليونانيين وغيرهم، أكثر من تبشيرهم وتكريزهم، مما خلق فيهم عقدة التخلف وأدى إلى شعورهم بالعداوة لهذه الطائفة الجديدة من المسيحيين، وبالتالى كان من نتيجة التوتر بين المتساهلين من أتباع يوحنا وبين الأرثوزوكس التقليديين، أن رفض الأخيرون رسائل يوحنا الثلاثة، واعتبروها تحويرًا لوثيقة قديمة. وكان أتباع يوحنا يعتبرون (أنهم النور)، وأنهم

ولدوا من الله، وأنهم أبرياء من الخطيئة، ولهذا نجد الرسالة الأولى تدعو (الإخوة) الأرثوذكس إلى ما كان يعتقده فى البداية المسيحيون الأوائل (الإصحاح الأول الفقرة الأولى من الرسالة الأولى)، بما يتعارض مع البدعة التى تنادى بأن الله قد تجسد فى المسيح، (الإصحاح الثانى فقرة ٧)، ثم تتعرض الرسالة الأولى بعد ذلك إلى سؤال أساسى، وهو هل هناك مسيحية صادقة حقيقية، وكيف نتعرف عليها، ثم تجيب على التساؤل وتقول إن المسيحية هى فى الأخلاق القوية وحب الأخ لأخيه، (انظر الإصحاح الثالث فقرة ١٠ والإصحاح الرابع من الإنجيل ابتداءً من الفقرة ١٢ حتى ٢١)، وكما ذكرت، تجد هذه الرسالة أن الجواب هو فى تجسد أو تقمص الله لجسد المسيح وفى غسل الذنوب، (إصحاح ٤ فقرة ٩ و ١٠ من إنجيل يوحنا)، وهناك ترابط بين الرسالة الأولى ليوحنا، والإنجيل الرابع المنسوب إلى هذا الشخص، ولكن هناك الكثير من النقاش حول هذا اليوحنا اللاهوتى، فهناك من المفارقات ما يدل على أن أحد تلاميذ يوحنا هو الذى كتب الرسالة الأولى، فنص الفقرة الأولى منها لا يدل على أن كاتبها قد رأى المسيح أو عايشه، واستخدام الكاتب كلمة نحن، إنما يشير إلى المجتمع المسيحى الذى كان يبحث وقتئذ عن الأسس والأحداث التى يستطيع أن يتخيرها لتكون أساسًا لوجوده، وتشير الفقرة ٧ من الإصحاح الخامس فى الرسالة الأولى إلى وجود ثلاثة شخوص، هم الأب، والكلمة (الفارقليط) والروح، وهؤلاء الشخوص لم يرد لهم ذكر إطلاقًا فى أى أدب دينى يونانى قبل القرن الرابع عشر، ولم يكتب أى كاتب يونانى شيئًا مثل ذلك، وأول من أشار إلى هذه الأقانيم أو الأشخاص، أو الشخوص الكنيسة الإسبانية وانتقلت هذه التصورات من إسبانيا إلى النسخة اللاتينية بعد القرن الرابع عشر، وبالتالى نستطيع أن نقول إن الرسالة الأولى التى بين أيدينا قد أعيد تحريرها وتبويبها، لتصبح كما هى عليه الآن بعد القرن الرابع عشر الميلادى، وبالتالى تعتبر صورة مشوهة لما كانت عليه الرسالة الأولى أيام قدامى المسيحيين، وما بال الرسالتين الثانية والثالثة؟ لا شك أن واحدًا أو أكثر من واحد قد كتبها، وهما ينسبان إلى شخص كنى عن نفسه بشيخ الكنيسة أو قسيسها، وهما من الناحية اللغوية والأفكار قريبتان من الرسالة الأولى، فالرسالة الثانية، تدعو الكنيسة التى أسمت نفسها (بالسيدة المختارة وأبنائها)، بمقاطعة هؤلاء الذين لا يعتقدون فى التجسد أو التقمص، أما الرسالة الثالثة فهى موجهة إلى شخص اسمه YAIUS يعترض فيها على شخص اسمه DIOTRPHES لأنه لا يقبل سلطة كاتب الرسالة، ويطلب إلى (جايس) أن يستمر فى تأييده للمبشرين الذين يتمتعون بالثقة والولاء له، وهذان الخطابان فيهما الكثير من الخلافات التى كانت سائدة بين رجال الكنيسة فى ذلك الوقت حول تجسد الله أو تقمصه جسد (المسيح) وهذه الرسائل الثلاثة تؤكد أن عملية اندماج الأقانيم الثلاثة بعضها فى بعض قد ظهرت بعد حوالى مائتى سنة من ولادة المسيح الذى عاش حوالى ٣٢ سنة، وبالتالى تصبح هذه النظرية دخيلة على المسيحية إذ لم يظهر لها أى ظل أيام المسيح أو بعده مباشرة، وبالتالى تكون بدعة ابتكرها بعض المسيحيين لتقريب المسيحية إلى جماعات أوربية وثنية كانت تعتقد فى ألوهية أوثان على هيئة إنسان، بل إن إحدى هذه الرسائل قد تأثرت كل التأثر بعبادة الإنسان أو ما كان عليه هيئته، فأسمت الكنيسة بالسيدة المختارة، كما أسمت المترددين عليها بأبنائها.

(و) أعمال الرسل:

تعتبر أعمال الرسل الكتاب الأول فى العهد الجديد وينسب إلى لوقا باليونانية كتتمة للإنجيل المنسوب إليه، وقد حوت تاريخ الكنيسة الأولى سواء من الناحية المادية أو الروحية.

وهذا الكتاب موجه إلى شخص اسمه ثيوفيلس لعله شخص رمزى كما أشرنا عند حديثنا عن الانجيل المنسوب إلى لوقا، فمن الناحية التاريخية لم يستدل حتى الآن على من هو ثيوفيلس.

هذا ويمكن تقسيم أعمال الرسل إلى ستة أقسام:

الأول: الإصحاح الأول من فقرة ١ حتى ٦، ثم الإصحاح الخامس فقرة ٤٢، وفى هذا الجزء يتحدث لوقا عن أصل الكنيسة فى بيت المقدس وعن الصعود إلى السماء، وعن اختيار متى بدل يهوذا، وانتظار المسيحيين للروح القدس عند PENTECOST، وخطاب بطرس الذى حول فيه ٨٠٠٠ شخص إلى المسيحية، وعلاج بطرس ويوحنا الاعرج عند بوابة المعبد وسجنهما، لأنهما كانا يبشران بعودة الموتى إلى الحياة (النشور) ثم الإفراج عنهما فى اليوم التالى مع تحذيرهما من العودة إلى مثل هذه الادعاءات، ثم الدعوة إلى مشاركة المسيحيين جميعًا فى امتلاك ما يمتلكون، وأخيرًا سجن الحواريين، ثم الإفراج عنهم بفضل تدخل الحاخام اليهودى.

الثانى: ويشمل الإصحاح ٦ فقرة ١ إلى الإصحاح ٩ فقرة ٣١ ويشمل موت ستيفن وانتشار المسيحية فى فلسطين، واختيار سبعة أشخاص لتولى الشئون الإدارية لجماعة الحواريين، وإلقاء اليهود القبض على ستيفن بتهمة الإلحاد، ثم إعدامه واضطهاد اليهود للكنيسة فى القدس، وتشتت المسيحيين ما بين سمراء ويهودا، ثم تنصر أحد الأحباش على يد فيليب وآخر على يد السبعة الإداريين، ثم تنصر بولس وهو فى طريقه إلى دمشق لتعذيب المسيحيين.

الثالث: الإصحاح ٩ فقرة ٣٢ حتى الإصحاح ١٢ فقرة ٢٤ وتشمل أعمال بطرس وأحلامه وزيارته إلى الوثنى كورنيلياس CORNELIUS)، وتعميده وعائلته معه، ثم تبريره خروجه على الشريعة اليهودية، وزيارته فى صحبة برنابا إلى انطاكيا، ثم إلى يهودا لجمع الأموال لمشروع المجاعة، ثم استشهاد جيمس بن زبيدى وسجن بطرس وفراره من السجن.

الرابع: من الإصحاح ٧ فقرة ٢٥ إلى الإصحاح ١٦ فقرة ٥ ويشمل بداية رحلات بولس وقيام مجلس الحواريين، وكان يضم برنابا، وبولس ورحلتهما من أنطاكيا إلى قبرص، ومن أنطاكيا إلى بعض بلاد آسيا الصغرى وعودتهما، واجتماع مجلس الحواريين فى القدس، ووضعه شروط الوثنيين إلى النصرانية، ثم إيفاده بولس، وبرنابا إلى أنطاكيا، وقيام بولس برحلته الثانية إلى سوريا وسليسيا.

الخامس: من الإصحاح ١٦ فقرة ٦ إلى الإصحاح ١٩ فقرة ٢٠، وتشمل رحلات بولس من فيليبى إلى أفيسيس.

السادس: من الإصحاح١٩ فقرة٢١ إلى الإصحاح٢٣ فقرة٣١، وتشمل عودة بولس إلى القدس

والقبض عليه وترحيله إلى روما، وقيام المظاهرات من أجل ديانا الآلهة الرومانية، وزيارته لمقدونيا وعـودتـه إلى القـدس، حيث ألقى اليهـود القبض عليــه، ومثـولــه أمـام المجلس (سنهــدرين) SENHEDRIN، وترحيله إلى المنفى. إلخ، ورحلته إلى روما، وتحطم السفينة عند مالطة، وبقائه مع يهود روما سنتين.

وأعمال الرسل لا تحمل اسما لمؤلف، وإن تكن المادة المدونة بها كما يقول بعض المسيحيين تشير إلى أن مؤلفها هو لوقا، ومن هنا جاء الافتراض بأن لوقا هو أيضًا مؤلف الإنجيل المنسوب إليه، وقد شاعت الكنيسة فى أواخر القرن الثانى، أن تسند أعمال الرسل إلى لوقا دون دليل ما يشير إلى أن لوقا هو المؤلف، وبدون براهين على ذلك، وهذه الإشارة قد وردت فيما يسمى بمقدمة إنجيل لوقا المناهضة لمرقص، وهذه المقدمة كتبت بعد ١٨٠ سنة من رحيل (عيسى) إن لم يكن بعد ذلك، وفيها أن لوقا كتب أعمال الرسل بعد الإنجيل المنسوب إليه كذلك تشير هذه المقدمـة إلى أن لوقـا هو المؤلف، وأن إيرانيوس قد ألمح إلى ذلك، ومن هنا أخذ الكثيرون من القساوسة ممن يسيرون فى الركاب يرددون هذا الزعم، ومن ناحية الكتابة هناك شاهد ضعيف على أن لوقا هو الكاتب، إذ يقول فى المقدمة (لقد عالجت يا «ثيوفيلس» فى الكتاب الأول ما بدأ عيسى يعمله ويبشر به) كذلك وجه أعمال الرسل إلى نفس الشخص وهو ثيوفيلس الذى كان يعتبر شخصية خرافية، ولعله كان يقصد من الكتاب الأول إنجيله، ولكن هناك فقرات فى أعمال الرسل تدل على أن كاتبها كان زميلا لبولس فمثلا فى الإصحاح ١٦ فقرة ١٠، نجد المؤلف وبدون تقدمة أو تفسير ينتقل من ضمير الغائب إلى ضمير المتحـدث: (وعندما جاءته الرؤيا فكرنا فى الذهاب إلى مقدونيا) واستخدام لفظ الجماعة قد تكرر كثيرًا فى القصة حتى وصول لوقا إلى روما، ويرى الكنسيون أن هذه العبارات قد كتبها أحد المرافقين له، وإذا ما كان ذلك صحيحًا، فقد يكون هذا المرافق أيضًا كاتب هذه الأعمال، فأسلوبه هنا لا يختلف كثيرًا عن أعمال الرسل كلها وقد يكون لوقا باعتباره أحد الذين رافقوا بولس، هو الذى كتب أعمال الرسل، وكان لوقا هذا طبيبًا، وقد تعرف عدد من الدارسين على أسلوبه العلمى من صياغته.

وجميع هذه النقط إذا أخذت فرادى لا تعتبر شاهدًا دامغًا على أن لوقا وليس بولس هو المؤلف ولكنها إذا أخذت كمجموعة، فإنها تشير إلى أن لوقا هو المؤلف وليس بولس وليس هناك فى المسيحية ما يعارض هذا الاستنتاج، كما أن عدم معرفة كاتب أعمال الرسل على وجه التحقيق يهدم هذا الكتاب من أساسه.

الهدف من كتابة أعمال الرسل:

أعمال الرسل ككتاب، يحاول أن يعطى معنى عمليًّا لدعوة المسيحية، فقد كانت هذه الدعوة مجرد شعارات وأقوال فأراد كاتب أعمال الرسل أن يثبت أنها أيضا دعوة عملية وليست مجرد شعارات، وأن المسيحية جديرة بأن تكون عقيدة حتى على ما فيها من تعارض لما هو قائم عندئذ، وما تنادى به من عذاب النفس والجسد، وحتى يصل لوقا إلى هذا الهدف باعتبار أن لوقا هو كاتبها، نجده يرجع إلى

الأيام الأولى للمسيحية، ويستشهد ببولس وكيف وجد الحماية فى أرض الرومان، وهو يعنى أن المتاعب التى كانت تمر بها المسيحية وقتئذ، ما هى إلا مجرد مرحلة عابرة تقوم على سوء فهم المذهب المسيحى، وكيف أن المسيحية هى التنفيذ الصحيح للديانة الإسرائيلية، والواقع أن (أعمال الرسل قد كتبت لتلتمس المعاذير للكنيسة عندما رأت أن تنفصل عن اليهودية وتكون لنفسها كنيسة مستقلة.

مصادر أعمال الرسل:

قيل إن كاتب لوقا اتخذ من إنجيل مرقص مرجعًا له، ولكن لا يستبعد أن يكون قد استخدم مصادر أخرى غير هذا الإنجيل، سواء أكانت هذه المصادر مكتوبة أم شفهية عندما وضع أعمال الرسل، ولقد كان لوقا فى أمس الحاجة إلى مصادر جديدة لكتابة الإصحاحات الخمسة عشرة الأولى التى أورد فيها أحداث لم يكن هو أحد أطرافها أو شهودها، وهنا نتساءل كيف عرف هذه الأحداث إن كانت صادقة أو مجرد شائعات، ولقد بذل القساوسة محاولات جمة من أجل افتراض سلامة هذه المصادر، فمثلاً وجد الكثيرون من العلماء أنه استمد الجزء الأول من كتابه من مصدر يهودى قيصرى ويهودى أنطاكى، ويرى البعض الآخر أن المصدر عقائدى استنتاجًا من الأسلوب والنظرة الشاملة، ثم يضربون مثلاً على استخدامه ضمير الجماعة، ويقولون إذا ما كان المؤلف غير مؤلف أعمال الرسل، فلابد وأن يكون مؤلف أعمال الرسل قد استفاد من مصدر سابق، ومن المحتمل أيضًا أن يكون هذا المصدر ضعيف التركيب والأسلوب، فقام بولس بإعادة تحريره أو بعبارة أخرى بإعادة تفسيره أو تحويره، ولكن ليس هناك فى أعمال الرسل ما يدل على اعتماد الكاتب على رسائل بولس، وقد تكون الوثائق التى يظن أن لوقا قد قرأها، والأقرب إلى الصواب أن المصادر التى اعتمد عليها لوقا فى كتابته أعمال الرسل روائية أى شفهية، والمصادر الشفهية هى أقل ثقة من المصادر المكتوبة.

أعمال الرسل والدقة التاريخية:

لابد وأن نسلم أن كاتب أعمال الرسل كانت لديه معلومات صحيحة من الناحية الجغرافية والأحوال السياسية فى روما أيام لوقا، فقد أورد ما يدل على معرفته العميقة حتى بألقاب الولاة الرومان.

التوافق مع رسائل بولس:

لا نستطيع أن نحكم على دقة ما جاء فى الإصحاحات الاثنى عشر الأولى من أعمال الرسل، والتى تعالج كنيسة القدس (ويهوذا، وبطرس) ولا نستطيع أن نقارن ما جاء بهذه الإصحاحات مع أية وثائق أخرى، إذ لا توجد إطلاقًا وثائق تتعلق بالأحداث التى وردت بهذه الإصحاحات، وبالتالى قد تكون غير حقيقية أو حقيقية، ولكن الجزء الأخير من أعمال الرسل، تعرض لتاريخ بولس وهنا نستطيع أن نقارنه برسائل هذا الرجل وإذا ما فعلنا ذلك لا نجد مفارقات، بل انسجامًا بين الاثنين، ولكن هناك أمران يفرقان بينهما الأول: وصف زيارة القدس فى رسالة بولس إلى أهل جلاتيا بالمقارنة بما جاء فى أعمال الرسل وطبيعة بعثته كما تبدو من خطاباته، وكما تبدو فى أعمال الرسل.

من الغريب أن بولس فى رسالته الثانية إلى أهل جلاتيا ابتداءً من الفقـرة الأولى حتى الفقرة الخامسة، لم يشر إطلاقًا إلى قرار المجلس بشأن النقطة التى كان يحاول التأكيد عليها لأهل جلاتيا، وهى أن المسيحيين الوثنيين معفون من اتباع الشريعة، خاصة فيما يتعلق بالختان، ذلك إذا كانت زيـارة المجلس الواردة فى الإصحاح ١٥ من أعمال الرسل، توافق الزيارة الثانية لجلاتيا، أما إذا كان العكس أى إذا كانت الزيارة الواردة فى الإصحاح ١١ من الفقرة ٢٧ إلى الفقرة ٣٠، عندما أحضر بولس وبرنابا، العون والمواد الغذائية لإعانة المسيحيين فى القدس، تتفق مع الزيارة الثانية لأهل جلاتيا، يكون من الطبيعى الإشارة إلى قرار المجلس لأهل جلاتيا، لأن المجلس لم يكن قد انعقد بعد، ويبدو أنه كان للوقا، وبولس أهداف خاصة لكتابة تفاصيل الزيارة، ويجب أن نتذكر أن غرض بولس من زيارة أهل جلاتيا، هو تقديم صورة قوية عن نفوذه وسلطانه كمبشر، وليس التقدم بتقرير عن زياراته.

والخلاف الثانى بينهما: يتمثل فى طبيعة بعثة بولس فنراه يصمم فى رسالته على أنه الرسول المعتمد إلى اليهود الوثنيين، فى حين أن بطرس كان الرسول المعتمد لليهود أو المعتقدين فى الختان، ولكن نجد فى أعمال الرسل أن بطرس كان أول رسول إلى الكفار (انظر الإصحاح العاشر والإصحاح الحادى عشر)، ولا تشير أعمال الرسل إطلاقًا إلى ما ورد فى الرسالة الثانية إلى أهل جلاتيا، عندما أنب بولس، بطرس لأن سلوكه نحو المتنصرين من الكفار الوثنيين لم يكن متفقًا مع المسيحية اليهودية، وفى أعمال الرسل يظهر بولس وكأنه البطل المغوار الذى يدافع عن الوثنيين والذى يحاول أن يوفق بين المسيحيين من أصل يهودى، وبين المسيحيين الوثنيين عن طريق اتباع الشريعة اليهودية، حتى إنه قام بتختين تلميذه المدعو TIMOTHY الذى كانت أمه يهودية، كذلك نجده يقوم بالطقوس الدينية فى المعبد، ويدقق فى خطاباته ليظهر نفسه وكأنه من المشايعين للشريعة اليهودية، ومن ناحية أخرى نجد أن أعمال الرسل تميل إلى الإيحاء بأن اليهود كانوا يكرهون بولس ولعل السبب فى ذلك أن بولس كان يميل دائمًا إلى معارضة بطرس فى أنه ليس من حق الإنسان ألا يطيع الشريعة، فى حين كان ينادى بولس بأن الشريعة ليست واجبة التطبيق حتى عودة عيسى مرة أخرى إلى الأرض.

تاريخ أعمال الرسل:

هناك شواهد على أن أعمال الرسل قد وجدت فى أوائل القرن الثانى من الميلاد ويذهب البعض إلى أنها كتبت فى عام ٩٦ بعد الميلاد، ويستندون فى ذلك إلى أنها استخدمت الأعمال الأخيرة للمؤرخين اليهود خاصة يوسفوس JOSEPHUS، ولكن هذه الأقوال لا يمكن أن تكون نهائية دون معرفة التاريخ الذى كتب فيه لوقا الإنجيل المنسوب إليه، ذلك إذا ما كان هو كاتب هذه الأعمال، والواقع أن أعمال الرسل لم تشر إلى موت بولس، ولا إلى سقوط القدس فى عام ٧٠ ولا إلى أية رسالة لبولس وبالتالى يمكن القول أن أعمال الرسل، كتبت قبل عام ٧٠ ميلادية، وبالتالى يجب أن نسمح بمضى فترة من الزمن إذ أن لوقا استعار من إنجيل مرقص كما جاء فى أعمال الرسل الإصحاح الأول فقـرة ٧، والإصحاح ٦ فقرة ١١ و١٢، إذ تتحدثان عن إنجيل مرقص، خاصة الإصحاح ١٤ فقرة ٥٨ و ٦٤، كذلك تتحدث أعمال الرسل فى الإصحاح ٩، فقرة ٤٠ مرددة مرقص إصحاح ٥ فقرة ٤٠ وقد يقول

قائل إن أعمال الرسل قد كتبها لوقا بعد أن كتب مسودة إنجيلية، وقبل أن يصدر هذا الإنجيل بصفة نهائية، وكل هذه أقوال لا يمكن الاعتداد بها، أو كما يرى الكثيرون من علماء المسيحية أن لوقا قد كتب أعماله بعد الإنجيل المنسوب إليه أى حوالى عام ٨٠ بعد الميلاد ولكن أعيد تحرير كل ذلك بمعرفة الكنيسة فخلطت بعضها مع البعض الآخر، وخاصة أن إنجيل لوقا لم يعتمد فقط على مرقص، بل اعتمد على متّى وغيره من الروايات الشفوية، فإذا كان ذلك فى عام ٨٠ بعد الميلاد، فلابد أن يكون هذا الكتاب المسمى بأعمال الرسل قد كتب حوالى ٩٠ بعد الميلاد، أو فى أوائل القرن الثانى وقد يكون بولس كاتبه، ولكن العقل يستبعد هذا الاستنتاج لأن بولس كان قد مات قبل هذا التاريخ، والخلط بين أعمال الرسل والأناجيل وإصدارها، ثم إعادة سحبها، كان مسئولية الكنيسة المسيحية فى ذلك الوقت، وبالتالى لا يجب أن يؤخذ كتاب أعمال الرسل على محمل الجد، لأنه يفتقر إلى الدقة والصحة التاريخية، أى لابد من إسقاطه من الكتب الدينية، حتى نعثر على ما يؤيده تاريخيًّا.

الفصل الثاني

تضارب الأناجيل

ظهرت الأناجيل الرسمية الأربعة، بل وظهر إنجيل برنابا، بعد أن شب الخلاف بين المسيحيين الأوائل، وانقسموا شيعًا وأحزابًا، وكان الهدف الحقيقى من تأليف هذه الأناجيل، أن تستند كل شيعة أو كل فرقة من الفرق المسيحية إلى شيء يدعم تعاليمها، وبالتالى نجد أن مؤلفى هذه الأناجيل - وهم أناس مجهولون - لا يتورعون عن تحريف الوثائق القديمة، سواء بالحذف أو بالإضافة أو التعديل أو التغيير، بل لم يتورعوا عن معالجة الروايات التى كان يتناقلها الناس عن حياة المسيح وتعاليمه لصالحهم حتى تتفق مع الفرق أو المبادئ التى ينتمون إليها أو التى كانوا يبشرون بها، ويقول القسيس العالمى T.G. TUCKER (وهكذا ألفت الأناجيل لكى تعكس بصورة واضحة أفكار المجتمعات والحاجيات الفعلية لها، وقد استخدم كتاب الأناجيل المواد المروية والمكتوبة، ولم يتورعوا عن تعديلها وتغيرها أو بالإضافة إليها أو الحذف منها بما يتفق مع هدف الكاتب) انظر كتاب تاريخ المسيحيين فى ضوء المعلومات الحديثة ص ٣٢٠.

والأناجيل الرسمية الأربعة، ليست الأناجيل الوحيدة التى كتبت فى القرون الأولى للمسيحية، فكانت هناك أناجيل عديدة، منها الإنجيل المعروف بإنجيل العبريين، وهو عمل آرامى، أى يقوم على اللغة التى كان يتكلمها المسيح وهى الآرامية، وقد استخدم هذا الإنجيل الحواريون الأوائل الذين كانوا يعرفون باسم «الناصريون» وكانوا ينكرون ألوهية عيسى ويعتبرونه رسولا، وفى نهاية القرن الثانى الميلادى اعترفت الكنيسة بأناجيل مرقص، ومتّى، ولوقا، ويوحنا، ورفضت الأناجيل الأخرى واعتبرتها كُفرًا وإلحادًا وزندقة، ولكن قبل أن تعلن الكنيسة شرعية هذه الكتب الأربعة لم تتمتع أناجيل مرقص - متّى - لوقا - يوحنا بأية حصانة كما هى تتمتع الآن، وبالتالى لم يجد أى كاتب ضررًا أو سببًا يمنعه من تعديلها أو تحريفها، حتى يطوعها لأغراضه الخاصة أو لأغراض الفئة التى ينتمى إليها، بل لم يتورع نساخ هذه الأناجيل - بعد إعلان الكنيسة قداسة هذه الكتب الأربعة وادعت أنها كلمات الله - عن إدخال تعديلات كثيرة عليها، وهذا واضح بالمقارنة مع المخطوطات القديمة الأولى التى لا تزال موجودة حتى الآن..

ويشير الأستاذ DUMMELOW بجامعة كمبردج فى كتابه الشهير COMMENTARY ON THE HOLLY BIBLE إلى هذه الحقيقة فيقول: «أحيانًا يضع الناسخ ما ليس فى النص الأصلى، ولكن ما يعتقد وجوده فيه ضروريًا معتمدًا فى ذلك على ذاكرته الضعيفة المترددة، أو أن يجعل النص الذى يقوم بنسخه متمشيًا مع رأى المدرسة التى ينتمى إليها»، أضف إلى ذلك النصوص والاقتباسات التى نقلت

عن الآباء المسيحيين، كذلك يوجد نحو أربعة آلاف نص باللغة اليونانية للإنجيل الواحد، أو على الأقل كان يوجد هذا العدد، وبالتالى اختلفت الأناجيل اختلافًا بينًا، ونحن إذا أردنا أن نتعرف إلى أى مدى تمثل الأناجيل الأربعة التى تعترف الكنيسة بأنها الرسالة الروحانية التى أنزلها الله على عيسى، يجب أن نأخذ فى الاعتبار النقط التالية:

١ - لم يحدث أن دونت كلمة واحدة مما أوحى به إلى عيسى خلال حياته.

٢ - أن جميع السجلات الأولى لأقوال المسيح عليه السلام، كتبت بعد رحيله بمدة، وعندما بدأ الناس يمجدون عيسى ويعترفون برسالته، فقدت ولم يعثر عليها حتى الآن.

٣ - أن جميع الأناجيل قد كتبت فى الفترة ما بين ٧٠، ١١٥ سنة بعد مولد عيسى واعتمدت بعضها على روايات لا وجود لها، كما أن المعلومات التى وردت فى هذه الروايات قد عولجت بحرية زائدة، حتى أن كُتاب هذه الأناجيل لم يترددوا فى تعديل هذه المعلومات أو تحريفها أو الإضافة إليها أو الحذف منها لخدمة أغراضهم وبحجة تمجيد المسيح عليه السلام، أو لتطويعها بما يتفق ومدارسهم الدينية.

٤ - ليس من بين هؤلاء الذين نسبت إليهم هذه الأناجيل من عرف عيسى شخصيًّا، أو سمعه وهو يتحدث، أو صحبه فى جولاته، فجميعهم غرباء عن عيسى فيما عدا برنابا.

٥ - جميع الأناجيل الأربعة كتبت أول ما كتبت باليونانية، وهى لغة غريبة عن (عيسى) عليه السلام الذى كان يتكلم الآرامية المصرية ونحن نضيف هنا أنه كان يتكلم المصرية القديمة إذا ما كان قد ذهب إلى مصر وهو طفل وعاش بها حتى الثانية عشرة.

٦ - إن الأناجيل الأربعة قد ألّفت خصيصًا لنشر وجهة نظر فرق مختلفة، وأنها اختيرت من أناجيل عديدة لتمثل وجهات نظر معينة.

٧ - لم تتمتع هذه الأناجيل الأربعة بالحصانة الكنسية لمدة تزيد على ١٠٠ سنة بعد كتابتها، وتعرضت خلالها للتعديل والتغيير من جانب النساخ الذين كانوا يراعون التطورات التى أدخلت على مدارسهم طيلة هذه الفترة.

٨ - أقدم المخطوطات الموجودة للأناجيل هى:

CODEX SINATICUS CODEX VATICANUS, AND COCEX ALEXANDRINUS.

وترجع إلى القرن الرابع والخامس الميلادى، ولا أحد يعرف مدى التعديلات أو طبيعتها أو كنهها، تلك التى أدخلت على الأناجيل فى الفترة السابقة، التى لم توجد لها مخطوطات أى من القرن الثانى بعد الميلاد، حتى القرن الخامس.

٩ - هناك الكثير من التعارض والخلاف الجذرى بين المخطوطات الموجودة والتى يرجع تاريخها إلى القرن الرابع والخامس الميلادى.

١٠ - هناك متناقضات فى كل إنجيل إلى جانب المتناقضات فيما بينها.

وهذه النقط العشر، سلم بها الأساتذة المسيحيون الغربيون، وجميعها تشير إلى أن بشارة عيسى عليه السلام ونعنى بها الرسالة التى نزلت عليه، لم تصلنا فى شكلها الأصلى وبالتالى لا يمكن أن نعتبر الأناجيل الأربعة الرسمية صادقة فى نقل الرسالة التى نزلت على سيدنا عيسى، فمن ناحية تأليف هذه الأناجيل والظروف التى ألفت فيها ومرت بها، لا يمكن أن نطمئن إلى أن ما تحويه من معلومات عن مضمون أحاديث المسيح أو ما بشر به حقيقة مطابقة لأقواله وما أوحى إليه به، ويلخص لنا C,J, CADOUX الموقف فى كتابه حياة المسيح قائلا: «إننا نجد مادة ذات طبيعة مختلفة ومتنوعة كل التنوع، ولايمكن الاعتماد عليها والاطمئنان إليها فى الوثائق الرئيسية التى يجب أن نلجأ إليها، إذا ما أردنا أن نملأ الفجوات من مصادر أخرى فى الأناجيل الأربعة، وعلى ذلك نجد أن عنصر الشك القاتل يغرينا بأن نتوقف فى الحال، ونعلن أن المهمة ميئوس منها، كما أن المتناقضات التاريخية التى تحويها الأناجيل الأربعة والاستحالات التى وردت فى بعض أجزائها قد استخدمت فى دفع الحجج التى استشهدوا بها فى أسطورة المسيح، وجميع هذه الاستحالات والمتناقضات التاريخية قد نقضتها اعتبارات أخرى، ومع ذلك فإن المتناقضات والأمور المشكوك فيها المتبقية على جانب كبير من الأهمية، وبالتالى نجد الكثيرين من المحدثين الذين لا يرتابون إطلاقًا فى أن المسيح قد وجد حقيقة يعتبرون أى محاولة لاستخلاص الشكل التاريخى الحقيقى أمرًا ميئوسًا منه بحيث لا يمكن إعادة تكوين قصة المسيح من بين الأساطير والرواسب التاريخية المتبقية فى الأناجيل.

(انظر ص ١٦ و ١٧ من كتاب C,J, CADCUX السالف الذكر، وانظر أيضا ص ١٨٤).

الباب الثالث

الفصل الأول

الأناجيل والقرآن

ينادى المسيحيون والمسلمون على حد سواء، بأن المسيحية والإسلام دينان سماويان أنزلهما الله على رسوليه عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ - ولا غرو فقد أعلن المسيح أن الرسالة التى أتى بها ليست من عنده وليست من ابتكاره، بل هى من عند الله سبحانه وتعالى. فيقول الإنجيل المنسوب إلى يوحنا فى الإصحاح ١٢ الفقرة ٤٩ (من رذلنى ولم يقبل كلامى فله منْ يدينه، الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الآخر، لأنى لم أتكلم من نفسى، لكن الأب الذى أرسلنى، هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم) ترجمة اليسوعيين من العبرية.

ولكننا إذا ما رجعنا إلى الترجمة الإنجليزية نجد معناها واضحًا (هناك من سوف يحاكم من يرفضنى ولا يصدقنى أو يصدق ما أنطق به، إنه الله هو الذى سوف يحاكمه فى الآخرة، لأنى لم أتكلم من وحى نفسى، ولكن الأب الذى أرسلنى قد أوصانى بما أقول وبما أنطق به).

ثم يقول أيضًا فى الإصحاح الثامن من نفس إنجيل يوحنا الفقرة ٤٠ (ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله، هذا لم يعمله إبراهيم. أنتم تعملون أعمال أبيكم، فقالوا له إننا لم نولد من زنى لنا أب واحد وهو الله) ترجمة الآباء اليسوعيين من العبرية.

ونجد نفس هذا المعنى تقريبًا بالانجليزية، إذ تقول نفس الآيات من ٤٠ إلى ٤١ مترجمة عن النسخة الإنجليزية (إنكم تتداولون فى قتلى، وأنا رجل أتيت لكم بالحقيقة التى سمعتها من الله، وهذا لم يفعله إبراهيم، إنكم تأتون ما آتاه آباؤكم من قبل، ثم قالوا له إننا لسنا أولاد زنى، فوالدنا واحد هو الله سبحانه وتعالى، فقال لهم عيسى لو كان الله أباكم لأحببتموه، فإنى مسير من الله وقد أتيت من لدنه، ولم آت من نفسى ولكنه أرسلنى إليكم).

ونجد نفس المعنى فى سورة الشعراء (الآيات ١٩٢ - ١٩٤) ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين﴾ ومن هذا نرى أن حقيقة كل من الإسلام والمسيحية، إنما تتوقف على دقة الكلمات التى وصلت إلينا وبمطابقتها للأصل الذى نزل به، وطريقة تسجيل هذه الكلمات بنصها الصحيح فى الكتاب، فإذا كانت الرسالة التى أوحى بها الله إلى أحد رسله لم تصلنا كما أوحى بها، وتناولتها يد التعديل أو التحريف، فإن العقيدة التى تضم مثل هذه الفقرات المحرفة، تكون

قد انحرفت عن الحقيقة، وفى الفصل التالى سنرى كيف سجلت الكلمات التى أوحى بها الله إلى عيسى عليه السلام، وكذلك التى نزلت على محمد ﷺ، وسنرى إلى أى مدى حفظ الله كتابه من التعديل والتحريف، وإلى أى مدى أدخلت تعديلات وتحريفات على الكتاب الآخر.

الفصل الثانى

أصالة القرآن وصدقه

إذا استعرضنا القرآن ونزوله وكيفية تسجيله، لا نجد ما يدعو إلى الشك فى أصالة النصوص التى انتقلت إلينا، بمقابلتها بما أوحى به إلى محمد عليه الصلاة والسلام، وسجله فى وقته على مختلف المواد من أكتاف وعظام الحيوانات والجلود وسيقان الأشجار وما إلى ذلك.. وإذا ما بحثنا مضمون الرسالة التى نزلت على محمد ﷺ لا نجد فرقًا من ناحية المبادئ العامة بينها وبين الرسالات الأخرى، كذلك نلاحظ أن القرآن نزل منجمًا، أى على أجزاء ومن وقت إلى آخر، وقد حرص النبى ﷺ على إبلاغ الرسالة إلى صحابته والمقربين إليه بمجرد نزول الآية أو الآيات، وكان يطلب إليهم أن يكتبوها ولا يكتفوا بحفظها خوفًا من أن تنسى ذاكرتهم شيئًا منها، وقد أشار محمد عليه الصلاة والسلام فى كل مرة كان ينزل عليه الوحى إلى مكان الآية أو الآيات، التى أتى بها وموضعها بين الآيات الأخرى، وهكذا نرى أن القرآن كله قد كتبه عدد من الصحابة، كما حفظه عن ظهر قلب مئات بل ألوف من الصحابة والمسلمين الذين عاصروا محمدًا ﷺ.

وبعد أن قضى محمد ﷺ، أمر سيدنا أبو بكر وهو أول خليفة للمسلمين زيد بن ثابت بإعداد نسخة صادقة للنص الكامل للقرآن الكريم مدونة على هيئة كتاب، فقام زيد بن ثابت ومعه عدد من صحابة الرسول الذين دونوا الآيات على الجلد وغيره كسيقان الشجر وألواح أكتاف الحيوانات بجمعها وقارنوا ما جمعوه بما حفظه الصحابة والمؤمنون، ثم وضعوا ما جمعوا فى مصحف، ومعنى كلمة مصحف موضع صحائف مجموعة ومجلدة، وبذلك نستطيع أن نقول إنه ليس هناك شك فى صحة ما دون وما جمع، ثم قوبل ذلك كله بما كان يحفظه صحابة رسول الله.

وفى أيام سيدنا عثمان ثالث الخلفاء الراشدين، تمت كتابة سبع نسخ من المصحف تحتوى كل منها على القرآن الكريم وروجعت المصاحف السبعة على ما حفظه الصحابة والمؤمنون وحفظة القرآن، ثم أرسلت هذه النسخ إلى المراكز الإسلامية العالمية، ولحسن الحظ لا تزال نسخة من هذه المصاحف فى مدينة طشقند، وقد قامت حكومة روسيا القيصرية بنشرها بعد تصويرها فتوغرافيا، وبمقارنة هذه النسخة المصورة بالمصاحف المتداولة والمعتمدة من الأزهر الشريف، نجد تطابقًا كاملا، وبالتالى نستطيع أن نقول ونحن على ثقة بأن المصحف الرسمى والمعتمد من الأزهر والمتداول فى جميع أنحاء العالم هو صورة طبق الأصل لما جمعه زيد بن ثابت وغيره ممن كلفوا بهذه المهمة، ومما يزيد فى طمأنينتنا وثقتنا، أن عادة حفظ القرآن لا تزال سارية حتى أيامنا هذه، ولم تنكسر السلسلة منذ محمد ﷺ حتى يومنا هذا، وتقوم جمعيات عديدة فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بتشجيع حفظة القرآن الكريم، وإجراء مسابقات

لهم، ومنحهم مكافآت معنوية ومادية، حتى أصبح عددهم يعد بالآلاف، وكان من نتيجة ذلك أن ما من أستاذ أو مستشرق سواء فى الشرق أو فى الغرب وسواء من المسلمين أو من غيرهم، إلا وسلم بأصالة القرآن ونقاء النص القرآنى فى المصحف الشريف، وحتى هؤلاء الذين يكرهون الإسلام من أساتذة الغرب، سلموا بأصالته وعدم دخول أى تعديل أو تحريف عليه، وقد اضطر سير وليم موير William Muir إلى أن يقول «ليس هناك كتاب فى العالم احتفظ بنصه وحرفيته لمدة ثلاثة عشر قرناً كالقرآن» [انظر كتاب سير وليم موير حياة محمد ص ١٨].

الفصل الثالث

المسيح ومحمد

إذا قارنا الإسلام والمسيحية، أو على الأصح موقف الإسلام نحو المسيح، وموقف المسيحية نحو محمد، نجد مفارقات هامة، فالمسلمون من جانبهم يعتقدون فى عيسى كرسول عظيم كغيره من الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى، وهم يحبونه ويحترمونه كما يحبون محمدًا ويحترمونه، أما المسيحيون فهم يرفضون محمدًا ﷺ بل لم يحاولوا إطلاقًا فى كتبهم - إلا العدد القليل منهم - التحدث عنه باحترام ومحبة، فشطوا فى تحقيره بكافة السبل خاصة الكتاب الغربيون.

ونحن إذا ما درسنا حياة عيسى وحياة محمد دراسة منزهة عن الأغراض، نجد أن كلا منهما قد نعم بثقة الله حتى حمله رسالته إلى البشرية، وأن كلا منهما كرس وقته وحياته للتبشير برسالته سبحانه وتعالى، والسعى لإنقاذ الإنسان من خطاياه وتجنيبه المعاصى والسعى من أجل نشر كلمة الله وإرادته فى العالم.

حياة عيسى المسيح ورسالته:

ولد عيسى عليه السلام قبل مولده الرسمى الذى تعترف به الكنيسة بنحو خمس أو سبع سنوات، أى أنه ولد فى الفترة ما بين العام الخامس والسابع قبل الميلاد، وهو ينتمى إلى عائلة متواضعة فى فلسطين القديمة، ويبدو أنه ولد فى الخريف وليس فى الشتاء، لأن والدته ذهبت به إلى مذود الغنم فوضعته فيه إثر ولادته، ومن المفهوم أن الغنم لا تترك حظائرها إلا فى الربيع أو الخريف، حيث يوجد بعض الكلأ لترعاه فى العراء، كما أن البلح لا يتحول إلى رطب إلا بعد منتصف الخريف، ومعنى ذلك أن عيسى عليه السلام قد ولد فى يوم يقع فى أواخر الخريف، أى ابتداء من أكتوبر حتى آخر نوفمبر وليس فى ٧ يناير أو ٢٥ ديسمبر أو ٣١ ديسمبر، ونحن هنا لسنا بصدد السنة أو الشهر الذى ولد فيه المسيح، ولكننا بصدد حياته ورسالته، وللأسف الشديد لا نعرف كثيرًا عن سنوات حياته الأولى، وكل ما نستطيع أن نقوله إن لوقا قد أشار فى الإنجيل المنسوب إليه إلى أن عيسى قد زادت حكمته كما قويت بنيته وعظمت محبته فى الله ومحبة الناس فيه، وعندما بلغ الثانية والثلاثين وكان قد ظهر يوحنا المعمدان (فى أيام رئيس الكهنة حنان وجيافاس كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما هو مكتوب فى سفر أقوال أشعياء النبى)، وقد لا نفهم هذه العبارة التى ترجمها الآباء اليسوعيون، ولكننا إذا رجعنا إلى النسخة الإنجليزية نجد المعنى كما يلى فى الإصحاح الثالث فقرات ٢، ٣، ٤ من إنجيل لوقا (وكان حنان

وجيافاس قسيسين كبيرين وفى عهدهما أوحى إلى يحيى بن زكريا وهو فى البرية فذهب إلى جميع البلاد عند الأردن وراح ينادى بالتوبة حتى يغفر الله خطايا التائبين، وكما هو مكتوب فى كتاب أشعياء الرسول).

وفى ذلك الحين الذى ظهر فيه يحيى المعمدان أنزل الله الوحى على عيسى ليخبره بأن الله اختاره مسيحًا لليهود، ليعيد الدين الحق وليكمل سلسلة أنبياء بنى إسرائيل.

ولم يكن بنو إسرائيل يجهلون دين الله، ولكنهم كانوا يخالفونه ويخرجون على تعاليمه وأسسه، وكان الفريسيون يقننون كل ما هو مخالف للدين، ويجدون حيلة للخروج على تعاليم الدين إرضاءً لأولى الأمر ولمنفعتهم، وهكذا ضاعت روح الدين الحق، وكان من بين ما ينادون به أن من يستهين بغسل يديه يهلك أو ينفى من الأرض فتصدى لهم عيسى وقال لهم: (إنكم لترفضون وصايا الرب بأن تحافظوا على تقاليدكم).

وكانت لهم قواعد غريبة وعادات لا معنى لها يأتونها فى السبت. فمثلا كان من حق الشخص أن يسير نحو ألفى ذراع فى السبت ولا يزيد عليها مترًا، كذلك كان من الجائز أن يبتلع الخل ليعالج المرىء إذا كان ملتهبًا، ولكن لم يكن له الحق فى أن يتمضمض أو يتغرغر بالخل، وكان يجوز للطبيب أن يذهب لزيارة مريض فى خطر، ولكن لم يكن يجوز له أن يضمد الجروح أو يلأم الشروخ أو يعالج الكسور فى السبت، واستطاع عيسى عليه السلام فى صبر شديد أن ينقد هذه العادات ويتخلص منها، وكان يقول لهم: (إن السبت خلق لمنفعة الإنسان ولم يخلق الإنسان لمنفعة السبت أو لخدمة السبت)، وكان يقول لهم (تبا لكم أيها الكتبة والفريسيون أيها المراءون يا من تدفعون العشور بالنعناع والشبت والكمون، ثم تتركون ما هو أعظم من ذلك من الشريعة والأحكام والرحمة والإيمان، وكان الأجدر بكم أن تفعلوا ما تركتموه، ولا تأتوا ما فعلتموه، أيها القادة العميان يا من ترتعدون أمام البعوضة، وتبتلعون الجمل، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون أيها المراءون، فأنتم تحرصون على أن يكون الكأس نظيفًا فى خارجه، ولا تهتمون بما فى داخله من فسق ودعارة، أيها الفريسيون نظفوا ما بداخل الكأس فيكون نقيًا نظيفًا كخارجه) [متى إصحاح ٢٣ فقرة ٢٣ - ٢٦].

وقد هب الفريسيون والكهنة ومعهم الكتبة إلى معارضة عيسى عليه السلام بدلا من أن يعترفوا به وتمادوا فى عداوته، حتى اجتمع أعداؤه الألداء وذهبوا إلى الوالى الرومانى وضغطوا عليه أن يصدر حكما بصلب المسيح.

وكان هذا الرجل الذى عامله اليهود كما يعاملون اللصوص وقطاع الطرق من الشخصيات العظيمة فى تاريخ الإنسانية، فقد عاش عيشة نقية نبيلة كلها رحمة ومحبة ومصالحة، والنادر فى ذلك الحين أن يجمع الإنسان بين التسامح والشجاعة مع الإصرار على تنفيذ كلمة الله خاصة فيما يتعلق بمواطنيه الذين أعرضوا عنه ولم يصدقوه، لقد كان عيسى رجلا نبيلا رقيقًا متواضعًا بعيدًا عن الأنانية، يخدم أصدقاءه ويدعو إلى هداية أعدائه، ولقد كانت له معجزات وآيات، ولكنه لم يتفاخر ولم يغتر بما وهبه الله، بل كان يشير دائما أبدًا إلى أن هذه المعجزات من فعل الله سبحانه وتعالى، بل اعترف بقدرة

البعض على إتيان مثل هذه المعجزات، وكان رحيمًا بالمخطئين والمعذبين، والحق أنه استطاع فى جميع أعماله أن يخزى الشيطان.

حياة عيسى فى الأناجيل الأربعة:

نجد الإنجيل المنسوب إلى متّى قد كتب ليخاطب اليهود، ودليل ذلك أنه أكثر من اقتباس الفقرات التى وردت فى العهد القديم مع تفسيرها، كما اهتم بوصف العلاقات بين عيسى واليهود، أما الإنجيل المسمى بإنجيل مرقص، فقد اهتم بأعمال عيسى فى المقام الأول، ثم بتعاليمه كموضوع مكمل لأعماله، وهناك مدرسة تشير إلى أن ما جاء فى هذا الإنجيل إنما هو تسجيل لبعض ما تفتقت عنه ذاكرة بطرس، أما الإنجيل المنسوب إلى لوقا، فقد توجه بالكلام إلى الكفرة أو غير اليهود قبل كل شىء، ويبدو أن لوقا، ومتّى اقتبسا ما جاء فى مرقص حرفيًّا أو بعد تعديل طفيف، ولا ينفى ذلك أنهما استخدما بعض مصادر أخرى، أما الإنجيل الذى يحمل اسم يوحنا، فيكاد أن يكون مقالا بعض الشىء فى اقتباس ما قاله عيسى، ويختلف فى سرد سيرة عيسى، كما وردت فى الأناجيل الثلاثة الأخرى ويرى أساتذة العهد الجديد أن الإنجيل الذى يحمل اسم يوحنا وهو آخر الأناجيل الأربعة الرسمية، قد كتب بعد أكثر من مائة سنة من مولد عيسى، أى فى القرن الأول بعد رحيله، وبالتالى أصبحت أصالة هذا الإنجيل موضع شك كبير وتضارب بين علماء اللاهوت المسيحيين، كما أن تنوع الأناجيل بهذا الشكل وورود الروايات المختلفة عن نفس القصص يدعونا إلى التساؤل: ما هى الظروف التى كانت سائدة فى عهد المسيحيين الأوائل والتى أدت إلى ذكر كل قصة على الشكل التى ذكرت به فى كل إنجيل، وبالتالى نجد عمليات الاستنكار التى وردت فى متّى (الإصحاح ٢٣) لها وجاهتها نظرًا لوجود تضارب بين المسيحية الجديدة واليهودية التى انبثقت عنها، كما أن بعض العبارات التى نسبت إلى يوحنا المعمدان فى إنجيل يوحنا (الإصحاح الأول ٢٠ – ٢٨) إنما تدل على التضارب بين المسيحيين الأوائل وبعض هؤلاء الذين ظنوا أن يوحنا هو المسيح؟

الواقع أن الأناجيل على وضعها الحالى تحول بيننا وبين ومعرفة تاريخ الحوادث التى مرت فى حياة عيسى عليه السلام، وحتى إذا ما سلمنا بأن الإنجيل الرابع قد عنى بذكر التواريخ، نظرًا لأنه قارنها بالأعياد اليهودية (انظر يوحنا الإصحاح الثانى فقرة ١٣، والإصحاح الخامس فقرة ١ والإصحاح السادس فقرة ٤، والإصحاح العاشر فقرة ٢٣، والإصحاح ١٢ فقرة ١)، نجد هناك كثيرًا من الغموض فيما إذا كان كتبة الإنجيل قد عنوا من وراء الإشارة إلى هذه الأعياد معنى آخر، كما أن الأناجيل الأخرى فى تأريخها الأحداث بمواعيد قريبة أو بعيدة من هذه الأعياد اليهودية، قد تركت أشياء كثيرة دون حل، فكل الأناجيل لم تعتن بعملية التسلسل التاريخى، ويرى بعض المتبحرين فى المسيحية أن رسالة المسيح الدينية لم تمتد سوى سنتين أو ثلاثة، ومن المناقضات أن الأناجيل الثلاثة قد أرّخت قصة تنظيف المسيح للمعبد، فى الأسبوع الأخير من حياته (انظر متّى الإصحاح الحادى والعشرين فقرة ١٢) بينما يوحنا يشير إلى أن هذه العملية بالذات وقعت فى مستهل رسالة عيسى المسيحية (انظر يوحنا الإصحاح الثانى فقرة ١٣ – ١٧) وفى تفسير ذلك ذهبت الكنيسة إلى حل وسط

لا يغضب أحدًا، فاقترحت حدوث عملية تنظيف المعبد مرتين، الأولى فى حياته الأولى فى مستهل بعثته، والثانية فى أسبوعه الأخير، وهذا مثل من أمثلة عديدة على التضارب التاريخى فى الأناجيل الأربعة، ونحن وإن كنا نعترف بالمسيح وبأنه قام بدور بارز فى تاريخ البشرية، فإن هناك أمورًا تستدعى العجب: منها أن معاصريه لم يسمعوا به كرسول، فمثلا المؤرخ اليهودى يوسفيوس Josephus، لم يشر إليه إطلاقًا، وإن كانت نسخة طبعت أخيرًا أشارت إليه، ولكن ثبت أن هذه النسخة مزورة، كذلك المؤرخ الرومانى Tascitus، والأديب الرومانى Pliny لم يشيرا إليه إلا بكلمة عابرة فى تعرضهم للمسيحيين الأوائل، ومن هذا نرى أن هؤلاء المؤرخين أو الأدباء غير المسيحيين قد غمطوا عيسى حقه عندما استهانوا بالدور الذى قام به فى تاريخ البشرية، وذهب عدد من الناس فى أواخر القرن التاسع عشر شوطًا بعيدًا فى إنكارهم المسيح فقالوا: إنه لم يوجد على الإطلاق انظر دائرة المعارف البريطانية صفحة ١٠١٦، وهناك قصص عن حياة المسيح الأولى وردت فى الأناجيل الأربعة، تصفها دائرة المعارف البريطانية بأنها خرافية وبأنها غريبة تمامًا.

حياة المسيح الأولى:

لعل أشد مراحل سيرة المسيح غموضًا تلك المرحلة التى مرت عليه قبل بلوغه الثلاثين، فيشير لوقا الإصحاح ٣ فقرة ٢٣ إلى أنه كان فى نحو الثلاثين من عمره عندما بشر برسالته، كذلك لا نجد فى مرقص أو يوحنا معلومات عن ولادته أو طفولته، على حين يبدأ متى ولوقا سردهم لتاريخ المسيح بوصف مختصر لحياته الأولى، ولكن لا تقارب أو تشابه بينهما، فيما عدا ولادته من أمه العذراء فى مدينة بيت لحم، ويصف متّى زيارة المسيح، ليوسف كما يصف لوقا زيارات للمسيح قام بها للسيدتين اليزابيث، ومارى، ويشير إلى متّى الماجوسى ولوقا، وإلى الرعاة وقصة متّى تضمنت لجوء المسيح إلى مصر، فى حين تضمنت قصة لوقا لجوء عيسى وهو طفل إلى المعبد، ويلاحظ فلاسفة المسيحية أن لغة الإصحاحين الأول والثانى فى لوقا تختلف عن بقية الإصحاحات، وبالتالى يفسرون ذلك بأن هذين الإصحاحين قد نقلا من مصدر آخر، (من المحتمل والدة عيسى نفسه)، أما الإصحاحات الأخرى فنقلت من مصادر مختلفة، والنتيجة أن أساتذة المسيحية فى الجامعات لا يستطيعون أن يؤكدوا شيئًا عن حياة المسيح كطفل أو شاب، بل نجدهم يشطون فى القول، فيؤكدون أنه جاء نتيجة اجتماع عضوى بين يوسف النجار، والعذراء مريم وعلى الرغم من الصعوبات التى يجدها المحققون فى تحقيق ما قاله لوقا فى الإصحاح الثانى الفقرة الأولى مع سجلات الرومان نجد الكثيرين من المفسرين يشيرون إلى أن المسيح ولد ما بين ٤ سنوات إلى سبع سنوات قبل الميلاد، والسبب فى هذا الخطأ التاريخى أن Di Onysius قد أرخ عملية صلب المسيح فى عام ٧٥٣ بعد تأسيس روما، ولكن هيرود الذى أشارت الأناجيل إلى أن المسيح ولد فى عهده توفى فى عام ٧٤٩ وفق التاريخ الرومانى، أى ٤ سنوات قبل الميلاد، وأشار إنجيل لوقا فى قصة عيد الميلاد إلى أنه ولد فى عام ٧٤٧ بالتاريخ الرومانى أى ٦ سنوات قبيل الميلاد، وبالتالى يمكن القول بأن المسيح ولد ما بين ٤ سنوات وسبع قبل الميلاد، وحتى إذا سلمنا

أنه ولد فى بيت لحم، نجد أنه قد ذهب إلى الناصرية فى الجليل كما أشار متّى فى الإصحاح الواحد والعشرين فقرة ١١ بأنه كان يعرف باسم المسيح الناصرى لأنه تربى هناك فى الناصرة.

علاقته بأسلافه:

لقد جاء عيسى ليؤكد تعاليم اليهودية، ومع ذلك نجده يختصم الكهنة اليهود فى موضوعات أهمها البعث، كذلك اختصم جماعة أخرى ذكرها لوقا فى إصحاحه السادس فقرة ١٥، وكانت هذه الجماعة تعرف باسم Zealots، وكانت تكرس نفسها لإحداث انقلاب ضد الرومان، وإعادة مملكة إسرائيل، وكثيرًا ما تردد القول بأن عيسى عليه السلام كان عضوًا فى جماعة سرية تدين بمعتقدات خاصة وتعاليم عقائدية، ولكن أساتذة الدين المسيحى فندوا هذا الزعم من الناحية التاريخية والعقائدية.

مهمة عيسى:

نقرأ ما بين سطور الأناجيل الأربعة وصفًا لعيسى بأن الله أرسله لمهمة خاصة، وإن اختلفت الأناجيل فى تعريف هذه المهمة، الأمر الذى دعا فلاسفة المسيحية إلى الاهتمام بمسألة تطور الديانة المسيحية، وهذا التطور يحمل سؤالين، الأول هل كان تصوير عيسى بأنه المسيح فى الأناجيل الأربعة المعتمدة من الكنيسة عملاً من أعمال الكنيسة فى العهد الأخير وليس أيام المسيحيين الأوائل، ثم أضفى هذا الوصف على عيسى بعد ذلك، وإذا كان الجواب بالنفى، فمتى وفى أى ظروف ظن عيسى نفسه أنه المسيح المختار؟ ونجد لوقا إصحاح ٢ من ١١ إلى ٢٦، ينسب إلى عيسى لفظ المسيح حتى فى أيام طفولته فى حين ينسب إنجيل يوحنا لفظ المسيح إلى أندراوس وهو أول من انضم من الحواريين إلى عيسى (يوحنا ١ - ٤١).

والواقع أن لقب مسيح قد استعير من العهد القديم ولكنه تطور خلال الفترة السابقة لعيسى مباشرة، وحتى فى ذلك الحين لم يكن لقب المسيح بارزًا لدى اليهود كما يدعى المسيحيون، وكان هذا اللقب يعنى لدى الشعب الخلاص والنجاة والترفع عن المعصية، وأحيانًا الاستقلال وطرد الرومان، ولا شك أن مثل هذا الأمل كان مصحوبًا بكثير من التطلعات، أو على الأقل التمنيات بحدوث تغيرات أساسية فى المجتمع، وكانت هذه الآمال تترعرع دائمًا عندما يظهر زعيم وطنى أو زعيم دينى، ولا شك أن ظهور المسيح كزعيم دينى يأتى بالمعجزات، قد أثار مثل هذه الآمال حتى وإن لم يكن المسيح المنتظر (متّى ١٦ - ١٤)، ولا شك أن قصة دخول عيسى القدس التى أوردتها الأناجيل الأربعة (متّى ٢١ - ١)، وقصة إطعام الخمسة آلاف شخص التى وردت فى إنجيل يوحنا (يوحنا ٦ - ١٤، ١٥) خير شاهد على هذه الآمال التى أثارها عيسى بين الناس ولم يكتف عيسى بإثارة هذه الآمال، بل راح يفسرها مستفيدًا مما جاء فى العهد القديم عن المسيح المنتظر ابن داود الذى يعيد المجد لمملكة أبيه، وهذه القصة ملخصة تلخيصًا واضحًا فى أشعياء، إذ يشير إلى أن أوامر الله لإسرائيل لن تنفذ تنفيذًا كاملاً إلا على يد عبده الذى يتعذب ويبدو أن عيسى قد جمع هاتين القصتين، وحدد مهمته بما جاء فيهما،

وهناك مسألة غريبة فى تفسير مهمة عيسى هى تلك التى تسمى بأسرار المسيحية، فبمقتضى لوقا (٤ - ٤١)، كان الشيطان والجن أول من اعترفوا بعيسى، كمسيح، وأنه أمرهم بأن يحفظوا السر، كذلك يصطنع مرقص الأعذار بالنسبة لقيصرية فيليبى (مرقص ٨ - ٣٠)، وعملية التجلى (مرقص ٩ - ٩)، ونجد فى متى، بل فى يوحنا أن عيسى كان صريحًا للغاية ولا يعمل على إخفاء مهمته (يوحنا ٤ - ٢٥، ٢٦)، ولا ندرى أيها أقرب إلى الصحة، هل كان عيسى يحاول تكتم رسالته أو الإفصاح عنها، كذلك نستطيع أن نضيف إلى ما تقدم بعض التضارب، إذ هناك ما يدل على أن عيسى لم يكن يفكر بأنه المسيح المنتظر، بل عمد عن قصد إلى إخماد جذوة الأمل التى التهبت فى قلوب الناس بأنه هذا المسيح، خاصة وأن الحواريين راحوا بعد موته يضفون عليه أوصافًا فضفاضة ويسندون إليه أقوالاً لم يتفوه بها، والسؤال هنا إلى أى حد استطاع عيسى كإنسان خلال رحلته على الأرض إدراك مهمته الحقيقية.

ويقول هؤلاء الذين يؤلهون عيسى إن طبيعته الإلهية جعلته يدرك أنه المسيح سواء أكان هذا الإدراك كاملاً أم جزئيًا فى شخصه كإنسان، وهنا يمكن الرجوع إلى مرقص (١٣ - ٣٢)، إذ يقول على لسان المسيح إن كلماته لن تزول أبدًا، ولكن عندما تكلم عن القيامة قال «علمها عند الله، فلا يعلم بها أحد لا الملائكة ولا الابن ولكن الأب وحده». أى أنه ليس بالمسيح.

كان الشعب أيام عيسى ينتظر حلول معجزة أو شبه معجزة تخلصه من الأوضاع التى تردى فيها سياسيًا واجتماعيًا وأخلاقيًا، ولما كان عيسى أحد أبناء فلسطين، فإنه كان أيضا يأمل فى حدوث تغييرات جذرية سريعة تؤثر على الوضع السياسى فى فلسطين حاضرها ومستقبلها، كما كان يأمل فى حدوث بعض التغير فى وجهات النظر العالمية، وقد رددت الأناجيل الأربعة نفس التمنيات اليهودية بوقوع معجزة تأتى بتغير حاسم فى فلسطين، ولسنا فى حاجة هنا للدخول فى مناقشات، ولكن يكفى أن نشير إلى أن كثيرين من الدارسين كانوا ولا يزالون يرون أن عيسى أعتقد بأن نهاية العالم كانت قاب قوسين أو أدنى فى عهده، وأن العالم بعد موته سيواجه محنة أو مصيبة تكون فيها نهاية الإنسانية، بمعنى أن كلمات عيسى نفسها كانت تهدف إلى تصوير نهاية الإنسانية، ولكن ذلك لم يتحقق حتى عهدنا الحاضر، وراح أصحاب المعاذير يفسرون (النهاية) بأنها لا تعنى انتهاء العالم، بل الهدف النهائى من رسالة عيسى، وهذه أعذار يسوقونها لمجرد التبرير، ولكن لا معنى لها.

الأب وابن الإنسان:

هناك لقبان يجب أن نهتم بهما، هما الاب وابن الإنسان من المسلم به أن كلمة أب تستعمل فى الشرق الأوسط استعمالاً مجازيًا، حتى الآن فليس بغريب أن ينادى طفل من الأطفال أو صغير فى العائلة كبيرها بقوله أبونا فلان، ولا تعنى هذه الكلمة أبوة عضوية، ولكنها لقب يشير إلى التبجيل والاحترام، وأن الشخص المشار إليه بالأب أو العم (على الرغم من عدم قرابته للشخص الآخر)، يأتى فى منزلة الأب أو العم، وبالتالى يستحق التبجيل والاحترام، وبالتالى أيضًا نستطيع أن نفسر كلمة الأب بأنها لقب مجازى يعنى الاحترام للشخص الذى أسند إليه، كذلك كلمة الابن فهى مستعملة الآن كما كانت

مستعملة منذ ألفى سنة لا تشير حتمًا إلى بنوة عضوية، بل قد تشير بالإعزاز والحب نحو الصغير الذى يناديه الكبير بكلمة يا بنى، أما لقب ابن الإنسان فهو من الألقاب الرمزية التى تظهر فى الديانة اليهودية، وقد استخدمه كُتاب الأناجيل الأربعة استخدامًا حرًا للغاية، عندما أدخلوه على أقوال عيسى، وقد يعنى ابن الإنسان فى بعض هذه العبارات ضمير أنا ويظهر هذا جليًا فى الإنجيل المنسوب لمتّى (إصحاح ١٦ فقرة ١٣)، ولوقا (إصحاح ٩ فقرة ١٨)، وفى أحيان أخرى يعنى لقب (ابن الإنسان) كلمة رجل أو إنسان، كما نجدها فى مرقص (الإصحاح الثانى فقرة ٢٨)، وفى بعض الأحيان تشير إلى إنسان ضربت عليه الوحدة والذلة، وفى أحيان ثالثة نجدها تعنى نفس الفكرة الفارسية القديمة أى ظل الله على الأرض أو نائبه فى الأرض، وظهر هذا المعنى فى متّى (٢٤ فقرة ٢٧ - ٣٠)، ولكن يبدو أن (عيسى) استعمل هذا اللقب ليتجنب الإحراج السياسى الذى كان لابد وأن يتعرض له لو استعمل كلمة المسيح، ولقب ابن الإنسان يتكرر فى الأناجيل الأربعة ٨٠ مرة، ويحمل هذه المعانى المختلفة، وقد استخدمه عيسى فى معناه العام المعروف فى اللغة الآرامية كما استخدم لقب الأب إن كان حقًا قد استخدمه بمعناه الدارج فى نفس اللغة وكما أشرت إليه قبلاً.

عيسى يتأثر بمعاصريه:

أثار عيسى فى جماهير اليهود عواطف شتى تبدأ بالتقدير والإعجاب، وتنتهى بالكراهية والمقت له، خاصة فى أيامه الأخيرة، وتشير الأناجيل إلى أن عيسى بفضل الآيات التى حباه الله بها، والتى كانت شائعة فى عهده مثل طرد الشيطان من جسم الإنسان (الزار)، وعلاج بعض الأمراض قد جذب انتباه الناس، كما فعل يحيى عليه السلام، ولعل ذلك يرجع إلى هذه الآيات وإلى تعاليمه التى أراد أن يُحيى بها أصول اليهودية، وأكثر ما تميز به عيسى احتقاره لزعماء الدين اليهود، كما أثار بتعاليمه فى الناس الآمال فى الخلاص، وكانت له شعبية بدليل ما جاء فى قصة دخوله القدس وما تلا ذلك من أحداث، ونحن نعرف موقف عيسى من الشعوب غير اليهودية، إذ أنه كرر مرارًا وتكرارًا أنه جاء لصفوة الشعب اليهودى، بل يظهر فى بعض فقرات الإنجيل أنه كان يكرر (أنصاف اليهود أو اليهود المخلطين). ذلك ما قاله عن الحكام الملحدين، انظر (متّى ٢٠ - ٢٥)، مما يدل على أن رسالته كانت محدودة الرقعة ولم تكن عالمية، أما من يحتج بما جاء فى يوحنا (الإصحاح ١٢ فقرة ٢٠)، فالمقصود أن هؤلاء الناس لم يكونوا من الإغريق الوثنيين، بل كانوا يهودًا يونانيين أو يهودًا من أصل يونانى، وأما ما قيل عن أنه عالج بنت إحدى الفينيقيات (السوريات) (مرقص ٧ - ٢٤)، وما جاء فى (متّى ٨ - ٥)، فإننا نرى فى هاتين القصتين ما يكفى للبرهنة على أنه جاء لليهود ذلك من تعليقه على ديانة هذين الشخصين اللذين وردا فى القصتين، وقد يقول قائل إن عيسى قد تنبأ بأن ملكوت الله عالمى وأنه لا يقتصر على اليهود، ولكنه عنى أن ذلك كان سيحدث بعد رحيله وليس فى أيامه، والحق أن عيسى برغم ما يقال من أنه قد جاء برسالة عالمية إلا أن الأناجيل الأربعة التى كتبت بعد رحيله فى فترة تتراوح ما بين ٧٠ إلى ١١٥ سنة، تدل على أنه كان متشبثًا باليهودية وأنه عاش بين اليهود، وأن اليهود قبلوه كمخلّص كما رفضوه بعد ذلك وأوعزوا بمحاكمته.

الفصل الرابع

الحواريون ورفع المسيح إلى السماء مباشرة

لقد أيد عيسى جماعات كبيرة من الشعب اليهودى، ولكنه اختار عددًا من الناس توسم فيهم الولاء له، وهذه الجماعة تختلف حجمًا من إنجيل إلى آخر، فنرى لوقا يشير فى إصحاحيْن متواليين إلى الاثنى عشرة (لوقا ٩ - ١)، وإلى السبعين (لوقا ١٠ - ١)، وهذا التضارب لا يجعلنا نثق فى دقة تقرير لوقا عن المسيح وأشارت الأناجيل فى أماكن متعددة إلى الحواريين باعتبارهم الذين اتبعوا عيسى سواء كانوا على هيئة مجاميع غفيرة من الناس أو اثنى عشر شخصًا.. والحواريون الأثنى عشر الذين أشار إليهم مرقص (٣ - ١٦ إلى ١٩)، هم (سيمون، وبطرس، وجيمس، وجون، واندرواس، وفيليب وبارثليمو، ومتّى، وتوماس، وجيمس بن الفاوث، وساريوث، وسيمون الكنعانى، ويهوذا الأسخربوطى)، وعددهم ١٣ ونجد أقوالا أخرى تستبعد يهوذا الأستخربوطى، وتضع محله (ماثيوس)، أعمال الرسل ١ - ٢٦، كذلك نجد روايات تشير إلى أن (برنابا) كان أحد هؤلاء الحواريين كما سيأتى الكلام عنه فيما بعد، وقد اختلفت الطوائف المسيحية فى أمر بطرس هل هو من الحواريين أم لا، ولنا أن نتسائل ما هو الدور الذى اسنده عيسى لهؤلاء التلاميذ؟ هل أراد عيسى أن يقيم كنيسة كما جاء فى أقوال (متّى ١٦ - ١٨، ١٩) على حين تنفى دوائر أخرى مثل هذا الظن وتشير إلى أن عيسى لم يكن يريد كنيسة جديدة، إنما جاء ليعزز اليهودية ويطهرها من أرجاسها يرى البروتستانت أن عيسى أراد فعلا أن ينشئ مدرسة جديدة أو كنيسة جديدة وليس حتمًا جماعة خارجة عن اليهودية، أما الكاثوليك والرومان والأرثوذكس والإنجليكيون، فيرون أنه أراد إنشاء كنيسة جديدة مستقلة عن اليهودية.

كان المسيحيون الأوائل يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى أنقذ نبيه عيسى عليه السلام من الموت على الصليب، وأنه لم يصلب إطلاقًا، وهناك شواهد فى (العهد الجديد) تشير إلى هذه الحقيقة ومن ذلك أن بولس لم يشر بشىء إلى القبر الذى حددوه للمسيح، بل أشار إلى أنه فارغ على أن أصحاب المعاذير المسيحيين يصرون على أن هناك كثيرًا من المشاكل التى لا تفسير لها مثل مشكلة البعْث التى من أجلها نشأت الكنيسة المسيحية، وكان المسيحيون القدامى يعتقدون بأن رفع المسيح لم يشع بين الناس ولكن عرفه عدد قليل من المؤمنين برسالته، ولم يشهد أحد قط رفع المسيح غير بولس الذى كان فى طريقه إلى دمشق، وبالتالى يمكن أن نقول أن عدم التسليم برفع المسيح فى المسيحية، إنما هو لأغراض شعوبية، وليس هدفه تحقيق حدث تاريخى، فلا يستطيع أى مسيحى مؤرخ / أن يعلن أن المسيح قد رفع يقينًا إلى السماء، وكل ما يستطيع أن يقوله إن هذا الحادث هو ما آمنت به الكنيسة الأولى، كذلك من الصعب أن نحدد العلاقة بين رواية بولس، وما أوردته الأناجيل الأخرى من

روايات، ويكفى أن نشير إلى أن إنجيل يوحنا يتفق مع الأناجيل الأخرى فى هذا الشأن، بل هناك من يقول بأن المسيح ظهر مرتين، مرة فى الجليل، ومرة فى يهودا، وبالتالى يكون ما ورد فى (أعمال الرسل ٤ - ٣٣) مشكوكًا فيه كل الشك وينفرد لوقا (فى الإصحاح ٢٤ - ١٣)، بابتكار صلة بين الأحداث التى روتها الأناجيل وقيام الكنيسة، وهذه الصلة تعرف باسم (إنجيل الأربعين يومًا بعد عيد الفصح)، ويبدو أن مشكلة رفع عيسى إلى السماء دون صلبه استحوزت على تفكير كثيرين من المسيحيين وقد ورد ذكرها فى لوقا الإصحاح ٢٤ من ٥٠ إلى ٥٣)، وفى أعمال الرسل ١ - ٩ إلى ١١ ومرقص (١٦ - ١٩).

الفصل الخامس

المسيح فى نظرهم

صورة المسيح عند المسيحيين الأوائل:

للأسف الشديد ليس هناك فى الوثائق ما يدل على مدى ممارسة المسيحيين القدامى تقاليد الكنيسة الحالية بشأن المسيح عليه السلام، وكل ما هناك بعض قصاصات أو عبارات وردت فى كتاب من هنا وكتاب من هناك. وهناك مذهب يسمى بالمذهب الحوارى نسبة إلى الحواريين ظهر فى عهد مبكر لا يتجاوز القرن الأول بعد الميلاد، وهذا المذهب يشير إلى معتقدات الكنيسة المسيحية الأولى وخلاصته أنهم فى إيمانهم يبنون عقيدتهم ليس على الملاحظة والحجج، ولكن على العاطفة ولا يدخل فى إيمانهم أن عيسى قد وجد قبل أن يولد بمعنى أنه وجد مع الله قبل الخليقة، وأنه مر فى فترة من الذل تلك الفترة التى قضاها على الأرض، وهذا المذهب ينكر حياة عيسى قبل ولادته كما ينكر الوهيته.

هل المسيح هو ابن الله الوحيد؟

أشارت الأناجيل الأربعة إلى أن عيسى، هو ابن الله دون أن تسند هذا الزعم (لعيسى) نفسه وهناك بعض أحداث تشير إلى استخدام كلمة الابن استخدامًا مجازيًّا، وليس بمعنى البنوة العضوية، ولكن كُتاب الأناجيل ولا سيما بولس، كان يقصد من البنوة تمجيد (المسيح) والغريب أننا نلاحظ أن كتاب الأناجيل قرنوا هذه البنوة بتعميد المسيح (متى ٣ - ١٧)، كذلك بولس فى رسالته إلى أهل رومية (١ - ٤)، ويبدو من ذلك أن بعضهم سلم بأن كلمة ابن الله لا تعنى فى العهد الجديد أن عيسى كان قد وجد قبل مولده، ولكن يبدو من (إنجيل يوحنا، وبولس) أن هذا المعنى قد جاء ضمنيًّا وأن هذا اللقب قد ابتكر إغاظة فى اليهود، والذين لا يعتقدون فى تعدد الآلهة، ولكن العكس صحيح بالنسبة للوطنيين الذين كانوا يعيشون فى ذلك العهد، ويعتقدون بتعدد الآلهة، وقد استخدم المسيحيون كلمة الرب فى وصف عيسى ومعناها بالإغريقية KYRIOS، وهى لا تعنى الإله الخالق، بل المولى أو السيد (انظر أيضًا ص ١٣٨).

مجمعًا نقيا والقسطنطينية:

منذ بداية المسيحية وهى تنوء بهؤلاء الذين يحاولون تفسير رسالة المسيح أو التعرف على شخصه، وقد اهتمت الكنيسة كل الاهتمام بتفسير العهد الجديد وأخذت تحاول الرد على الآراء المختلفة التى لا تتمشى مع رأيها فى المسيح وطبيعته ورسالته وقد اضطرت - بسبب اعتناق الكثيرين من الملحدين المسيحية ولترغيب غيرهم فى المسيحية - إلى إيجاد تفسير ملائم لهم عن المسيح سواء من ناحية طبيعته

أو شخصه، ويبدو أن الكنيسة راحت تقرب: بين رسالة عيسى والعقائد السائدة بين هؤلاء الوثنيين حتى لا ينفر الملحدون من المسيحية، والنقد الذى وجه إلى المسيحية فى ذلك الحين يدور حول طبيعة المسيح، هل هو إنسان أم إله، وكان المسيحيون الأوائل يهتمون كل الإهتمام بتأكيد إنسانية المسيح أى انتمائه إلى بنى البشر وينادون كما تقول دائرة المعارف البريطانية فى ص ١٠٢٤ بأن (عيسى الناصرى) كان رجلاً عاديًا وأنه تشرف بالرسالة عند تعميده على يد سيدنا يحيى (يوحنا المعمدان)، وكان آخرون يقولون بأنه نال شرف التبنى وليس النبوة العضوية بعد بعثه أى رفعه إلى السماء وكان كثيرون من المسيحيين الأوائل يريدون حماية عيسى عليه السلام من أن يظن الناس أنه صنع من مادة من مواد الأرض، إذ كانوا يعتقدون أن ذلك الفكر شر مستطير، وبالتالى أخذوا يفسرون وجوده كإنسان قائلين إنه كان يظهر كمظهر إنسان من ناحية الجسد فقط، ولكن غالبية النزاع الذى جرى فى حوالى القرن الثالث بعد الميلاد، كان يدور حول شخصية المسيح من ناحية علاقته بالخالق، وكان هناك بعض الأراء التى تؤكد بأن له شخصية منفصلة عن شخصية الخالق وأن هذه الشخصية تلاشت وأصبحت هيئة للإله الواحد وراحوا يقولون إن فكرة المسيح هى فكرة إلهية أو هيئة إلهية أو رؤيا إلهية، وذهب غيرهم إلى النقيض تمامًا من ذلك، فراحوا يفصلون بين شخصيته والخالق سبحانه وتعالى، وكانوا ينادون بأن المسيح أقل منزلة من الخالق، وتعرض البعض الآخر إلى نظرية الكلمة (LOGOS)، وخضعوه إلى مرتبة أقل من الخالق ولما استعر النزاع بينهم حول كنه المسيح وطبيعته، وحول الكلمة ادعوا أنه أول خلق الله، وأن الله استخدمه فى عمل الأشياء كلها وبالتالى لم يكن المسيح نورانيًا، بل كان أميل إلى أن يكون إنسانًا عاديا وذهب آريوس ARIUS أحد رجال الدين المسيحى إلى الادعاء بأن المسيح يتمتع بألوهية أقل من ألوهية الخالق، وهكذا انتشرت الآراء المتضاربة، وكانت هناك النظرية الآرية التى تكاد أن تكون العقيدة الوحيدة التى شابهت الدين المسيحى فى هذا القرن، وتقول هذه الديانة التى عرفت باسم متراس، والتى وجدت قبل النصرانية بحوالى ستة قرون، وانتشرت من بلاد فارس حتى وصلت إلى أوربا، وامتدت إلى بلاد الرومان ثم وصلت بعد ذلك إلى بريطانيا، تقول هذه الديانة أن متراسا كان وسيطًا بين الله والبشر، وأنه ولد فى كهف وأن مولده كان فى ٢٥ ديسمبر، وكان له اثنى عشر حواريًا، وأنه مات ليخلص البشر من خطاياهم، وأنه دفن ثم بعث إلى الحياة، وقام من قبره وصعد إلى السماء، وأنه كان يدعى المخلّص، وأنه كان وديعًا كالحمل، وأن أتباعه يعمدون باسمه، وفى كل عام كان يقام فى ذكراه عشاء مقدس وقد حاولت الكنيسة أن تكتسب إليها معتنقى هذه الديانة وبالتالى عقدت فى أيام الإمبراطور قسطنطين الذى تنصر حديثًا لتوسيع ملكه، ولأغراض سياسية مؤتمرًا فى نقيا عام ٣٢٥ حضره الكثيرون من المطارنة لاقتباس هذه النظرية فى المسيحية، وقد تمكن أحد رجال الدين المدعو (اثناثيوس) أن يحملهم على الاتفاق على أن المسيح خلق ولم يولد، وعلى ذلك يصبح خالقًا وليس مخلوقًا وأكد هذا المجمع أن المادة التى يتكون منها عيسى هى من مادة الخالق، وبهذا الشكل بدأت عملية تأليه عيسى مع رفض كونه فى مرتبة أدنى من الخالق، ولم يتمكن مجمع نقيا من الاتفاق على التفاصيل بل نشأت منازعات كثيرة بينهم، ولكنهم بدأوا يؤلهون المسيح. لم يحل مجمع نقيا الخلافات والمنازعات التى كانت بين الطوائف المسيحية، وإن كان قد جمع رأيهم فى نقطة هى أن مادة عيسى هى

من نفس مادة الخالق، ومما زاد فى تفاقم الخلاف أن السياسة بدأت تتدخل بين الكنائس المختلفة فى تحديد تفسيراتها الدينية بعد أن تدخل قسطنطين فى مجمع نقيا وهنا وجد المسيحيون أنه لابد من إيجاد نظرية جديدة للتثليث حتى تلقى قرارات مجمع نقيا أكبر تأييد، إذ كيف يكون عيسى من نفس مادة الخالق وما بال الروح القدس، واتهم هذا المجمع بأنه لم يضع حدًّا للخلاف الناشب بين الطوائف المسيحية، وأنه لم يوجد تفسيرًا معقولاً يفرق بين الخالق وعيسى وبالتالى عقد مجمع القسطنطينية عام ٣٨١ ورأى هذا المجمع أن هناك روحًا إلهية واحدة، ولكن هناك ثلاثة أقانيم أو أشخاص مؤلهة هى: الأب والابن والروح القدس، وأن لكل أقنوم استقلاله عن الآخريْن، ولكنهم جميعًا متساوون فى أبديتهم وفى قوتهم، ولكن هذه النظرية الجديدة جعلت وحدة الخالق معدومة وإن كانت قد أرضت الكنيسة من ناحية أن المسيح له شخصية قائمة بذاتها كما أن هذه النظرية الجديدة لم تحل علاقة المسيح بالخالق، وبالتالى وجدت الكنيسة أن عليها إيجاد تفسير للعلاقة بين الأقانيم (الأشخاص) الثلاثة والعلاقة مع المسيح كإله ومعه كإنسان.

مجمع أفسوس وكاليدون:

لم تكن القرارات التى اتخذت فى المجمعين السابقين حاسمة ومرضية لرجال الكنيسة على اختلاف آرائهم، وبالتالى دعت الحاجة إلى اجتماعات أخرى، وعمد المشرفون إلى عدم دعوة أصحاب الآراء الحرة من رجال الدين الذين لا يستطيعون أقلمة أنفسهم مع النظريات الدينية الجديدة خاصة نظرية التثليث التى بدأت تظهر فى القرن الرابع الميلادى والتى حددت طريق المناقشات فى مشكلة المسيح، وهل هو إنسان أم غير إنسان، وهل هو مستقل عن بقية الأقانيم (الأشخاص) أم هو جزء منها، وما هى العلاقة بين المسيح كإله وبينه كإنسان؟ ثم العلاقة بينه وبين خالقه أو ما يسمونه بالأب، واستخدموا كلمة طبيعة لوصف العلاقة بينه وبين الأب وفى هذا القرن الرابع رأوا أن هناك ثلاثة أقانيم كل أقنوم منها إله، وأنها من روح واحدة، ولكن من ناحية الطبيعة كانت هناك طبيعتان، واحدة بشرية وأخرى إلهية، واستمر الجدل فى هذه الأمور التى لم تنشأ أيام عيسى والذى قال عن نفسه إنه ابن الإنسان حتى القرن الخامس الميلادى وبعضه غير مفهوم بالمرة، وبعضه لتغطية حقائق كان يدين بها المسيحيون الأوائل، وأرادت الكنيسة طمسها، وكان أشد ألوان الخلاف ما كان يدور حول كيف يكون المسيح إلها وقد جاء لإنقاذ البشرية وضحى بنفسه من أجل هذا الهدف وكان يسمى نفسه أخا لكل من يحدثه ولا يسمح المقام هنا بالدخول فى تفاصيل النزاع بين كنيسة الإسكندرية وغيرها من الكنائس، خاصة كنيسة أنطاكيا التى تمسكت بأن المسيح بشر من البشر، ويكفى أن أشير إلى أن الساسة تدخلت مرة أخرى فكانت مصر تخشى أن تنجح أنطاكيا فى الهيمنة على المسيحيين، وبالتالى اتخذ القرار الخاص بكنه المسيح شكلا سياسيًّا.

بلغ النزاع بين كنيسة الإسكندرية وأنطاكيا ذروته فى شأن استخدام لقب (أم الإله) أو ما سموه (بحاملة الرب) نظرًا لأن مريم البتول، كانت تصر على حد ما جاء فى أقوال الرواة بأنها لم تلعب دورًا غير حملها المسيح، ومن هذا راحت كنيسة أنطاكيا تفرق بين طبيعتى المسيح، فرد قساوسة الإسكندرية

بأن (نستورباس) قد قسم المسيح إلى شطرين، شطر إله، وشطر إنسان، فى حين أنه وحدة لا تتجزأ واستمر الجدل بينهما، فنادوا بعقد مجمع أفسوس عام ٤٣١ لتسوية النزاع، وبعد أن عقد المؤتمر لم يستطع المشتركون فيه الوصول إلى حل فى مسألة المسيح وبالتالى عقد مؤتمر كلقدونية CHALECEDON فى عام ٤٥١ بعد الميلاد، وكان أساس التسوية ما شاع فى الغرب من أن المسيح شخصيتان، كما نادى بهما (البابا ليو الأول) بابا روما. شخصية إنسانية بحت ومتكاملة، وشخصية إلهية بحت ومستقلة، ولا تطغى الشخصية الإنسانية على الشخصية الإلهية ولا العكس، ولا يمتزجان أو تحل واحدة محل الأخرى، ولا تفترقان ولا تنقصان وتحتفظ كل شخصية منها بذاتها وتلبس المسيح كحلة كاملة، وهكذا جاء الحل جامعًا من ناحية الشكل بين النقيضين، ولكن ذلك لم يمنع الإسكندرية وأنطاكيا من مواصلة النزاع الذى سبق مجمع كاليبسيدون إذ فشل فى تفسير هذه الصيغة.

وراحت الإسكندرية تصف أنطاكيا بالإلحاد، وراحت أنطاكيا تصف الإسكندرية بنفس الشىء، وراح الغرب يفسر الاتفاق بأنه وحدانية الرب فى المسيح ووحدانية الإنسان فى الرب.

لقد كانت هناك خرافات شتّى، منها خرافة شهيرة كانت تصف هذا الحل بأنه عبارة عن فدية مقنعة، وتنادى بأن الشيطان أسر الإنسان فى جميع أنحاء الأرض بما أغرقه به من فساد وخطيئة، وأن موت المسيح هو الفدية التى أخذها الشيطان لتحرير الإنسان، وهناك خرافة أخرى تقول بأن المسيح دخل فى نزاع مع الشيطان من أجل تحرير الإنسان، وكان الاتفاق بينهما أن من ينجح فى الصراع يصبح إلهًا، وأن المسيح مات مصلوبًا أى أنه خسر المعركة مع الشيطان، وأن الشيطان أصبح إلهًا، ولكن بعث المسيح من جديد وقضى على الشيطان، وانتصر فى المعركة، ونجح فى أن يهب الإنسان الخلود والأبدية، ونادى هذا الرأى بأن الإنسانية اجتمعت مع الخالق وتولد عن اجتماعهما الرجل الإله عيسى، وبين الخرافات الأخرى ما ينادى بأن عملية اتحاد الإنسان بالإله كانت بأمر الخالق، وهناك بعض خرافات تؤكد أن الإنسان ما هو إلا بيدق فى عملية المبادلة التى تمت بين المسيح والشيطان، وفى وسط هذه المتناقضات التى تجمع على أن (المسيح) كان عدوا للشيطان، يجب أن نضع أمامنا صداقة المسيح للشيطان، والتى تحدثت بها الأناجيل عندما اتفق المسيح مع الشيطان ألا يذيع بين الناس أنه المسيح، وهناك مدارس ومذاهب مختلفة فى المسيحية تتناول رحيل عيسى وبعثه وحياته، وجميعها لا تتمشى مع المنطق، بل تتضارب فيما بينها، واستمر الحال هكذا إلى أن جاء (مارتن لوثر، وجون كلفن) عندما ناديا بنظرية جديدة، وفسرا كلمة الخطيئة بأنها قيد على إرادة الإنسان، وكتب لوثر أناشيده لعيد الميلاد، وعيد الفصح وكانت آراؤه تعديلا لمبادئ كنسية قائمة، واختص كلفن نفسه بنظرية تقول بأن العقيدة المسيحية الأولى تنادى بأن عيسى إنسان تنطبق على ما جاء فى الإنجيل ولا تحريف فيها.

الباب الرابع

الفصل الأول

تنبؤات (عيسى) بالنسبة (لمحمد) ﷺ

أخطأ اليهود فى حق عيسى عليه السلام مما جعل الله سبحانه وتعالى يحرمهم من بركاته ومحبته، وقال لهم عيسى إنه لن يظهر من بينهم رسول بعده، «وإن ملكوت الله سوف ينتزع منهم» لتتمتع به أمة أخرى أكثر جدارة به، وفوق هذا أعلن أن نفس الحجر الذى رفضه البناءون، اختاره الله ليكون حجر الأساس أو حجر الزاوية، وفى ذلك إشارة مجازية إلى أبناء إسماعيل الذين لفظهم أبناء إسرائيل يعقوب وتبرءوا منهم، وأن الله اختارهم لحمل الرسالة، كما أشار إلى أن نبيًّا عالميًّا سيظهر فى بنى إسماعيل، وكانت إشارته فى عبارات مجازية، فقد جاء فى (يوحنا) (السفر ١٦ الفقرة ١٢، ١٣) ما يلى مترجمًا عن النسخة الإنجليزية «هناك أشياء كثيرة لم أذكرها لكم فأنتم لن تطيقونها الآن متى جاء روح الحق فلسوف يرشدكم إلى الحق كاملا، ولن يتحدث عن نفسه، وكل ما يسمعه سينطق به ولسوف يخبركم بأشياء لابد واقعة».

وهناك إنجيل لم تعترف به الكنيسة هو (إنجيل برنابا) وقد أشار هذا الإنجيل بالاسم إلى الرسول الآتى بعد عيسى ليرشد العالم إلى الحق كله، فقال «ثم قال القسيس وماذا يسمى نفسه هذا الفارقليط؟ وما هى علامات قدومه؟ فأجاب عيسى إن اسم الفارقليط هو المحبوب، وقد أسماه الله بهذا الاسم عندما خلق روحه ووضعها فى المجد الإلهى، قال الله سبحانه وتعالى انتظر «يا محمد» فمن أجلك سأخلق الجنة والعالم وخلائق عديدة لا حصر لها، ولسوف أهديك إياها ومن آمن بك، فمن باركك سأباركه، ومن لعنك ألعنه، وعندما أرسلك إلى العالم ستكون رسولا لى لإنقاذ الإنسانية، ولسوف تكون كلمتك حقًا وعدلا، ولسوف يسود دينك ويعلو علوا لم تبلغه السماوات أو الأرض، إن اسمه (محمد) وعندئذ صاحت الجماهير يا رب أرسل لنا رسولك. يا (محمد) فلتأت بسرعة وتنقذ العالم».

وتوجد نسخة من (إنجيل برنابا) مترجمة من المخطوط الأصلى فى المكتبة الإمبراطورية بفيينا، وقد قام بترجمتها (لوس ديل، ولورا راج) بأكسفورد ولسوف نفرد فصلا خاصًّا عن الفارقليط ثم نفرد الجزء الأخير من هذا الكتاب (لإنجيل برنابا).

(محمد ﷺ) فى التوراة والإنجيل:

إذا تعمقنا فى تفهم نصوص التوراة والإنجيل، سنجد ما نعجب له، سواء كنا يهودًا أم مسيحيين أم

مسلمين، وإذا ما كان الباحث مسلمًا، تكون نتائج بحثه أكثر عجبًا وأشد غرابة إذ هو يشعر بتنبؤات وردت فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وليس بدعة أن يجهد المفسرون فى تفسير التنبؤات فقد حدث أن ألقى من نحو ثلاثين سنة أحد القساوسة فى ديربن DURBIN بالمملكة المتحدة وهو القس HITEN، محاضرة فى المسرح الملكى فسر فيها التنبؤات التى وردت فى الإنجيل والتوراة بشكل يبرهن على أن (الإنجيل) قد بشر بقيام روسيا السوفيتية الشيوعية، وبأن القيامة ستقوم فى بحر سنوات قليلة، كذلك ادعى هذا الشخص بعد ذلك بأن الإنجيل لم يترك شيئًا إلا أحصاه، تنبأ بقيام دولة الفاتيكان والبابا، وادعى أن التنين الذى ورد ذكره فى الإصحاح الثانى عشر من (رؤيا يوحنا اللاهوتى)، إنما هو هنرى كسنجر، وزير الخارجية السابق فى الولايات المتحدة وعلى كل فإننا نرى فلاسفة المسيحية يجهدون كل الجهد ويبتكرون تفسيرات جديدة للوصول إلى أهدافهم، ومن هنا حدثتنى نفسى أن أرجع إلى الإنجيل والتوراة لأرى إذا كانا قد تنبأ أحدهما أو كليهما بشىء آخر غير البابا وهنرى كسنجر، وإذا كان العهد القديم أو العهد الجديد قد أشار حقًا إلى البابا أو إلى هنرى كسنجر فلابد وأن يشير بالمثل إلى خير الأنام (محمد) ﷺ.

يرى أن العهد القديم التوراة، لم يشر إطلاقًا إلى سيدنا محمد ﷺ، كذلك يشاركهم المسيحيون رأيهم بالنسبة للعهد الجديد، ويرى فلاسفة المسيحية أن هناك مئات، أو آلاف من التنبؤات فى العهد القديم تشير إلى مقدم (عيسى) عليه السلام، ولكن إذا سألت قسًا منهم أن يأتيك بآية أو جملة أشارت إلى عيسى بالاسم، أو إلى المسيح بالذات، أو حتى كلقب، أو إلى ما يشير إلى أن عيسى هو المسيح أو المسيح هو (عيسى)، أو إلى أن والدته هى مريم وأن الذى رعاه هو يوسف النجار أو إلى أنه سيولد فى عهد هيرود الملك، وما إلى ذلك من تكهنات لا يجد ما يدل على دعواه ولكن يرى فلاسفة المسيحية أن العهد القديم أشار إلى قدوم عيسى عليه السلام، ثم يسترسلون فى تأييد كلامهم بفقرة وردت فى سفر التثنية.

وقد يرد على ذلك بأن التكهنات ما هى إلا تصورات شفهية لأحداث قد تقع فى المستقبل، فإذا وقع حدث جاء الناس من بعده قائلين (قد جاء مصادقًا لنبوءة حدثت فى الماضى)، والواقع أن الإنسان نفسه يستطيع أن يستنتج بمنطقه وتفكيره ما يريد أن يستنتجه وفق هواه وأهدافه وإذا كان فلاسفة المسيحية يفسرون التنبؤات على النحو الذى يؤكد دعواهم من أن عيسى كان حقيقة وأنه جاء مصداقًا لنبوءة فى التوراة، فلماذا لا نمعن النظر فى فقرات هذا الكتاب بغض النظر عن أنه كتب بعد موت موسى بمائتين وخمسين سنة لنرى إذا ما كانت هناك نبوة أو تنبؤات خاصة بمحمد ﷺ.

ونحن إذا ما تصفحنا سفر التثنية الإصحاح ١٨ فقرة ١٥، نجدها تشير كما جاء فى النسخة المكتوبة باللغة الإنجليزية إلى «ولسوف يقيم ربك من بينكم رسولا من أبناء عمومتكم مثلك، ولسوف تستمعون إليه».

والنبوة فى هذه الفقرة تتمثل فى كلمتين هما من بينكم ومن بين أبناء عمومتكم، وتعنى الأولى من أبناء إبراهيم عليه السلام، أما الثانية فهى تخص شقيق إسحاق من والده إبراهيم أى من أبناء

إسماعيل. ومحمد من أبناء إسماعيل ثم تأتى الفقرة ١٨ من نفس الإصحاح والتى سوف نشرحها بالتفصيل لتؤكد هذه الحقيقة، وجاء فى هذا الإصحاح ١٨ فقرة ١٨ من (التثنية) «أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوانهم (بنى عمومتهم) مثلك، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» ترجمة الآباء اليسوعيين عن اليونانية، ويعطى نفس المعنى النص الإنجليزى للتوراة.

ونحن نتساءل ماذا تعنى هذه النبوءة، وإلى أى شخص تشير هل هى تشير إلى عيسى عليه السلام، كما يرى فلاسفة المسيحية، خاصة وأنها أشارت إلى كلمة مثلك وهل معنى مثلك أنه مثل موسى عليه السلام؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هى أوجه الشبه بين عيسى، وموسى؟ قد يقول قائل إن (موسى) كان يهوديًّا كذلك (عيسى)، وإن موسى كان رسولا، كذلك عيسى، وعليه يكون عيسى مثل موسى، ونحن إذا ما أخذنا بهاتين النقطتين فقط واللتين تجمعان عيسى، وموسى. نجد أننا قد قصرنا فى الاستقراء، فهناك شخصيات قدسية أو أنبياء تجمعهم بموسى نفس الصفتين هم سليمان، وأشعياء، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، وملاخى، وزكريا، ويحيى وكثيرون غيرهم، فقد كانوا جميعًا يهودًا وأنبياء وبالتالى نتساءل لماذا تنطبق هذه النبوة على عيسى وحده وليس على غيره ممن ذكرت ولا داعى للاختيار بينهم فكلهم أنبياء على قدم المساواة، ولكن لنعد مرة أخرى إلى الفقرة ١٨ التى أشارت إلى كلمة (مثلك)، ونتساءل هل كان عيسى مثل (موسى)؟ إنى أقول لا لم يكن عيسى مثل موسى للأسباب التالية:

١ - يرى المسيحيون أن عيسى إله، فى حين يرى اليهود أن موسى لم يكن إلا نبيًّا ورسولا.

٢ - يرى المسيحيون أن عيسى صلب مكفرًا عن خطايا العالم، ولكن موسى لم يمت مكفرًا عن خطايا العالم.

٣ - يرى المسيحيون أن عيسى ذهب إلى النار لمدة ثلاثة أيام، فى حين لم يذهب موسى إلى النار إطلاقًا، وعلى ذلك لا يكون عيسى مثل موسى.

ولكن إذا ما قارنا محمدًا ﷺ بموسى فى حدود هذه الجملة التى وردت فى التوراة نجد ما يلى:

١ - ولد موسى من ذكر وأنثى، كذلك ولد محمد، ولكن عيسى ولد من أنثى فقط، ولم يكن له أب، وبالتالى نجد أن محمدًا عليه الصلاة والسلام هو الذى يشبه (موسى) وليس عيسى، كذلك بقية الأنبياء والصالحين فيما عدا المسيح ابن مريم.

٢ - ولد موسى بالطريق الطبيعى أى باتصال رجل بامرأة اتصالا عضويًّا، ولكن عيسى ولد بمعجزة، ونجد فى إنجيل متّى السفر الأول الفقرة ١٨ «أما ولادة يسوع المسيح، فكانت هكذا». «لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا، وجدت حبلى من الروح القدس». ترجمة اليسوعيين. وترجمة هذه الفقرة عن الإنجيل المكتوب بالإنجليزية هى كما يلى (لقد كانت ولادة عيسى اليسوع، هكذا تمامًا: عندما كانت والدته مريم مخطوبة ليوسف وقبل أن يبنى بها حملت جنينًا من الروح القدس).

ونجد لوقا فى السفر الأول الفقرة ٣٥ يقول: «فقالت مريم كيف يكون هذا وأنا أعرف رجلا، فأجاب الملاك وقال لها، الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك كذلك أيضًا القدوس المولود يدعى ابن الله» ترجمة اليسوعيين، أما الترجمة عن النسخة الإنجليزية فهى كما يلى: «وعندئذ قالت مريم للملاك وكيف يكون ذلك ولا أعرف رجلا، فقال لها الملاك مجيبًا إياها سوف يحل بك روح القدس وتحميك قوة العلى الأعظم، ومن ثم يدعى ما تلدينه بابن الرب».

أما القرآن فينفى هذه الادعاءات خاصة ما كان فى آخر الفقرة الواردة فى انجيل لوقا، ولكنه يؤكد أن ولادة عيسى كانت آية من عنده، ويصف ولادته وصفًا نبيلاً عاليا لا ترقى إليه الأوصاف التى وردت فى العهد الجديد. جاء فى سورة مريم آية ١٨ - ٢٨:

﴿قالت إنى أعوذ بالرحمٰن منك إن كنت تقيًّا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًّا، قالت أنَّى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيًّا، قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرًا مقضيًّا﴾ وقال الله سبحانه وتعالى فى نفس السورة الآية ٣٥ ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾، والله سبحانه وتعالى ليس فى حاجة إلى أن يزرع بذرة رجل فى رحم امرأة وإنما إذا أراد شيئًا أوجد هذا الشىء فى الحال وبإرادته. هذا ما يعتقده المسلمون بالنسبة لولادة عيسى ونحن إذا ما قارنا الوصف الذى ورد بالقرآن الكريم والنصين اللذين وردا فى الإنجيل نجد أن النص القرآنى حفظ على مريم براءتها وعفافها، والنقطة هنا هل وُلد موسى ولادة شاذة كما وُلد (عيسى) أم ولد ولادة طبيعية كما ولد محمد؟ والجواب أنه ولد ولادة طبيعية، وبالتالى نستطيع أن نفهم من كلمة مثلك التى يوجهها الله إلى موسى أنه كان يعنى رسولا آخر غير عيسى هو محمد.

٣ - لقد تزوج موسى كذلك محمد، وأنجبا أطفالا، أما عيسى فبقى دون زواج طيلة حياته، وبالتالى أرى أن (عيسى) ليس كموسى ولكن محمدًا مثله.

٤ - صدق الشعب العربى محمدًا كما صدق الشعب اليهودى موسى، وقد تقبلاهما كرسولين خلال حياتهما، وقد صادف موسى من المشاكل والمتاعب ما لا حصر له، حتى أنه عند تجميعه الشعب اليهودى قتل أحد المصريين قضاءً وقدرًا، كذلك لم تكن حياة محمد سهلة على الإطلاق، فقد تعذب عذابًا معنويًّا شديدًا على أيدى شعبه خاصة قريش واضطر بعد ثلاث عشرة سنة من نشر رسالته فى مكة، أن يترك مسقط رأسه مهاجرًا إلى يثرب (المدينة)، ولكن لم تلجئه متاعبه إلى أن يلجأ إلى القوة، هذا وقد صدق الشعب العربى على بكرة أبيه برسالته وقبلها قبل أن يتوفاه الله باعتباره رسولا من عند الله سبحانه وتعالى إلى العالم أجمع.

إذا ما تصفحنا إنجيل يوحنا الإصحاح الأول الفقرة ١١، نجد أن عيسى قد جاء إلى اليهود، وأن اليهود لم تقبله وحتى الآن وبعد قرابة ألفى سنة نجد الشعب اليهودى ككل يرفض عيسى كرسول.

وعلى ذلك نقول إن عيسى ليس مثل موسى، بل موسى مثل محمد ﷺ.

٥ - كان كل من موسى ومحمد رسولا وحاكمًا مدنيًّا، ونعنى بكلمة رسول الشخص الذى ينزل عليه الوحى الإلهى ليرشده ويرشد البشرية عن طريقه، فيبلغ هذا الإرشاد الربانى إلى خلق الله دون تحريف أو تعديل أو إضافة أو حذف، ونعنى بالحاكم، ذلك الشخص الذى يملك مصير المحكومين والذين يستطيع أن ينزل العقوبة بمن يعصيه أو يخرج على إرادته حتى لو كانت العقوبة الموت، كما يستطيع أن يعفو وليس ضروريًّا أن يكون هذا الحاكم ملكًا له تاج من الأحجار الكريمة فوق هامته، بل قد يكون رجلا عاديًّا يفترش الأرض ويسعى فى مناكبها من أجل رزقه، وليس ضروريًّا أن يخاطبه الناس بصاحب الجلالة أو صاحب الإمبراطورية، بل قد ينادونه باسمه العادى، ولكن طالما كان من حقه أن ينزل العقاب على المخطئين والمخالفين فهو حاكم، وفى ضوء هذا التفسير نجد موسى حاكمًا. وقد حدث مرة أن أحد اليهود قبض عليه وهو يجمع أغصان الشجر الجافة فى يوم السبت، فأمر موسى برجمه حتى الموت (انظر سفر العدد إصحاح ١٥ فقرة ٣٢)، إذ تقول:

«ولما كان بنو إسرائيل فى البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبًا فى يوم السبت فقدمه الذين وجدوه إلى موسى، وهارون وكل الجماعة فوضعوه فى المحرس (السجن) لأنهم لم يعلموا ماذا يفعل به فقال الرب لموسى، قتلا يقتل الرجل برجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة (القرية) فأخرجه كل الجماعة خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى. وترجمة الفقرة الأخيرة (٣٥) عن النص الإنجليزى كما يلى:

«وقال الرب، لموسى لابد وأن يموت الرجل بأن يرجمه الجميع بالحجارة خارج المحلة، فأخرجه الناس خارج المحلة ورجموه بالحجارة حتى مات كما أمر الرب لموسى».

كذلك كان من سلطة محمد ﷺ إصدار حكم الإعدام على العصاة والمخطئين ولكن هناك حالات منح فيها الله بعض عباده هبة النبوة دون أن يمنحهم الحق فى تنفيذ شريعته، وقد وجد بعض هؤلاء الأنبياء أنفسهم حيارى لا يدرون ما يفعلون إزاء رفض الناس رسالتهم مثل (لوط، ويونان، وعزرا، ويوحنا المعمدان) فقد عهد إليهم الله بإبلاغ الرسالة دون تنفيذ الشريعة، وللأسف نجد أن عيسى يقع ضمن هؤلاء الجماعة، إذ تؤكد الأناجيل هذه الحقيقة، فعندما كان متهمًا بأنه يثير الفتن أكد فى دفاعه عن نفسه وفى تفنيده التهم الموجهة إليه «أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهرون لكى لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتى من هنا»، انظر (إنجيل يوحنا الفقرة ٣٦ من الإصحاح الثامن عشر، وكان هذا الجواب مفحمًا حقًّا واقنع (بيلاطس)، وهو وثنى أن عيسى عليه السلام كان لايملك حق تنفيذ الشريعة كما لا يملك كل قواه العقلية، فاعتقد فى عدم وجود خطر منه على حكمه وكل ما نادى به عيسى عليه السلام مملكة روحية فقط، أى نبى من عند الله، وبالتالى نقول إن عيسى لم يكن مثل موسى، بل كان محمد مثله.

٦ - جاء كل من موسى، ومحمد بشريعة وتعـاليم جديـدة، الأول لشعب إسرائيـل والثانى لجميـع الشعوب، فقد أتى موسى، بالوصايا العشر. وكانت الوصايا العشر بمثابة رءوس موضوعات شاملة كافة القوانين لإرشاد بنى إسرائيل، أما محمـد ﷺ فقد جـاء من بين شعب ممعن فى الجهـالة والفوضى والتحلل الأخلاقى، فكان الابن يتزوج من أرملة أبيه، وكان الرجال يئدون البنات، ويدفنونهن أحياء، وكان الرجال يتاجرون فى الدعارة والخمر، كما كانوا يعبدون الأوثان، ويأتون الزنى، ويلعبون الميسر، ولا هم لهم إلا إشباع غرائزهم الحيوانية، والواقع لم يكن فى حياتهم ما يميزهم عن الحيوانات، أو كما قال أحد النقاد كانوا حيوانات فى صور آدمية، هذا هو الشعب الذى ظهر من بينه محمد ﷺ، ثم صلح حاله حتى غدا من أشد الشعوب تقوى وصلاحًا.

ولما جاء محمد ﷺ خلق منه شعبًا جديدًا أو كما يقول توماس كارليل Thomas Qarlysle تحت عنوان حملة مشاعل النور والمعرفة «كانت رسالة محمد بالنسبة للأمة العربية ميلادًا جديدًا لها نقلها من الظلام إلى النور، فبدأت تحس وتحيا فيما جاء به من تعاليم وإرشادات، لقد كانوا مجموعة من الرعاة الفقراء يتنقلون من جهة إلى أخرى لا يلفتون نظر أحد فى صحرائهم الواسعة منذ أن خلقها الله، وعلى حين فجأة يصبح هؤلاء الناس الذين لم يكن ينظر إليهم أحد أو يسترعون انتباه أحد، نبلاء العالم، وأصبح الصغير الحقير عظيمًا كبيرًا فما مر قرن واحد حتى امتد نفوذ العرب إلى غرناطة فى الغرب ودلهى فى الشرق، وغدت الجزيرة العربية رائدة لقسم كبير من العالم يحبونها ويحترمونها للرسالة التى نزلت على محمد.

والواقع أن محمدا ﷺ قدم لشعوب العالم وليس لشعب الجزيرة العربية وحده نظامًا وتعاليم لم يسمعوا بها من قبل.

أما عن المسيح عليه السلام فنجده يجهد كل الجهد لإقناع اليهود بأنه لم يأت بدين جديد، حتى يزيل مخاوفهم وشكوكهم نحوه، فقد كانوا يظنون أنه مدعى نبوة يهدف إلى تحريف التعاليم اليهودية، وبالتالى لم يأت عيسى بقوانين وتعاليم جديدة، فقد جاء بالحرف الواحد فى إنجيـل متى الإصحاح الخامس ابتداءً من الفقرة ١٧ «لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لانقض بل لأكمل فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» بعبارة أخرى لم يأتِ عيسى برسالة جديدة أو تعاليم جديدة، بل جاء ليؤكد التعاليم اليهودية السابقة، والدليل على ذلك أنه كان يقوم بجميع الطقوس وينفذ جميع التعاليم ويسير على هدى الشريعة اليهودية، لقد كان يعمل بالوصايا العشر التى نزلت على موسى ويحترم السبت ويقدسه ولم يحدث فى يوم من الأيام أن رفع يهودى أصبعه مشيرًا إليه قائلا: لماذا لا تصوم صوم اليهود؟ أو لماذا لا تغسل يديك قبل أن تقطع قطعة خبز؟ وهى تهم كانوا يلصقونها دائمًا أبدًا بالحواريين وليس بعيسى عليه السلام والحق أنه كيهودى، مؤمن بيهوديته، حافظ على شريعة الأنبياء الذين سبقوه وتعاليمهم، بمعنى أن عيسى لم يأت بدين جديد، ولم يأت بشريعة جديدة مثل موسى، ومحمد وعلى ذلك يكون عيسى ليس مثل موسى وليس شبيهًا له، فى حين أن محمدًا شبيه (بموسى) ومثله.

٧ - مات كل من موسى، ومحمد ميتة طبيعية، ولكن عيسى وفق ما يدعيه المسيحيون قتل على الصليب، ووفق القرآن الكريم، رفع إلى السماء وعلى ذلك يكون محمد مثل (موسى) وليس (عيسى) مثل (موسى).

٨ - دفن جثمان كل من موسى، ومحمد ﷺ فى الأرض، ولكن عيسى طبقًا للمسيحيين كان مثواه السماء وبالتالى يكون محمد مثل موسى أما عيسى فلا.

وهناك نقطة يجب أن نبرزها، هى العلاقة بين الجد الأكبر للمسلمين واليهود بعد أن شرحنا ما نفهمه من العبارة التى وردت فى (التوراة) فى الفقرة ١٨ من الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية والخاصة بكلمة مثلك، وهذه العبارة هى عبارة من (وسط إخوانهم) إذ تقول الفقرة «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوانهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» وهذه الفقرة إذا ترجمت عن النص الإنجليزى تعطى معنى أقرب إلى الاتزان والمعقولية «ولسوف أبعث رسولا من بين أخواتهم يكون مثلك» لقد استخدمت الترجمة الإنجليزية كلمة BRETHEREN وهى تعنى إبراهيم وشعبه والفرق بين BRETHEREN, BROTHERS إن كلمة BROTHERS تعنى إخوة أو أخوات ينحدرون من أب وأم واحدة أو أب واحد ومجازيًا تطلق (إخوة) على الأصدقاء المقربين أو بنى الوطن أو المواطنين أو الرجال المتساوين عنصرًا، ولكن كلمة BRETHEREN تطلق على أفراد العشيرة أو الجماعة الدينية أو الحزبية، أو المهنية أو الحرفية أو القبلية التى تشتت فروعها، وفى ضوء هذا المعنى الذى أشارت إليها المعاجم الإنجليزية فى تفسير الكلمتين نجد كلمة BRETHEREN تعنى دون شك شعبة أخرى من ذرية إبراهيم الذى أنجب إسماعيل، وإسحاق وبالتالى تعنى أولاد إسماعيل أو العرب وقد وصفت التوراة إبراهيم بأنه حبيب الله، وكان لإبراهيم زوجان سارة، وهاجر المصرية، وقد أنجبت الأخيرة من إبراهيم ابنه البكر إسماعيل، ومما يثبت أن إسماعيل هو البكر ما جاء فى سفر التكوين الإصحاح ١٦ الفقرة ١٥ «فولدت هاجر لإبرام ابنا ودعا إبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر، إسماعيل»، وجاء فى الإصحاح ١٧ فقرة ٢٣ من نفس السفر، «فأخذ إبراهيم إسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته»، ثم جاء فى الفقرة ٢٥ «وكان إسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن فى لحم غرلته، وفى ذلك اليوم عينه ختن إبراهيم أيضًا هذا ما يسمى عهد الختان».

كان إسماعيل الابن الوحيد لإبراهيم عندما أخذ العهد على الرب، أى عندما ختن هو وابنه وبهذه المناسبة طلب سيدنا إبراهيم إلى الله سبحانه وتعالى أن يعيش إسماعيل خادمًا له، فقال الله له إن سارة امرأتك ستلد لك ولدًا تسميه (إسحاق) وسأقيم العهد معه وسيكون عهدًا دائمًا ومع ذريته من بعده، ويستفاد من ذلك إن إسحاق كان أصغر من إسماعيل وأنهما كانا ابنين لرجل واحد هو (إبراهيم) أى كانا إخوة أما ذرية كل منهما بعد مئات السنين فهم BRETHEREN إخوان.

ومما يؤكد هذه الحقيقة أن اسم سيدنا إسماعيل قد ورد فى القرآن قبل إسحاق فى جميع الآيات، فى سورة البقرة وآل عمران والنساء (وإبراهيم) وذكر إسماعيل قبل إسحاق يدل على أمور عدة منها أنه كانت له الأولوية عند الله وأنه كان أكبر سنا، كذلك ورد اسم إسماعيل دون إسحاق بعد اسم سيدنا

(إبراهيم) فى موقعين مما يدل على أن إسحاق لم يكن قد ولد عندئذ. أو أن مكانته لم تكن تسمح له بالمشاركة فى العمل ودليلنا على ما أوردناه من ورود اسم إسماعيل قبل إسحاق فى الترتيب ما يلى من آيات الذكر الحكيم:

١ - البقرة الآية ١٣٦ ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب والأسباط...﴾

٢ - الآية ١٤٠ من نفس السورة ﴿أم تقولون إن إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب...﴾

٣ - آل عمران الآية ٨٤ ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق...﴾

٤ - النساء الآية ١٦٣ ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق...﴾

٥ - إبراهيم الآية ٣٩ ﴿الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء﴾

والواقع أن اسم إسماعيل قد ورد دائمًا قبل إسحاق ولم يسبقه فى القرآن غير اسم سيدنا إبراهيم أما من ناحية التوراة وما أشارت إليه من إقامة العهد مع إسحاق دائمًا ثم مع ذريته من بعده فيجب ألا ننسى أن التوراة التى بين أيدينا ليست منزلة من الله سبحانه وتعالى بل موضوعة ومحررة وقد كتبت بعد موت موسى بمائتين وخمسين سنة من صحف شتى ومن روايات شفهية، ولاشك أن كاتبيها من اليهود حرصوا كل الحرص على تثبيت الادعاء بأن الله يقيم العهد مع إسحاق ويكون عهدًا دائمًا ثم مع ذريته من بعده هذا ولا يعلم أحد على وجه التأكيد متى كتبت هذه الأسفار خاصة الأسفار الأخيرة التى أشارت إلى نبوات هى أشبه ما تكون بأحلام يقظة،ولنعد إلى موضوع إسماعيل وإسحاق،خاصة من ناحية استخدام كلمة إخوة أو إخوان.

كان أولاد إسحاق هم اليهود، وأولاد إسماعيل هم العرب ونجد فى سفر التكوين، الإصحاح ١٦ فقرة ١٢ «وأنه أى إسماعيل يكون إنسانًا وحشيًا يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع إخواته يسكن» وصدقت النبوة، فقد مات إسماعيل أمام إخوته جميعًا كما جاء فى الإصحاح ٢٥ فقرة ١٨ (وهذه سنو حياة إسماعيل مائة وسبع وثلاثون سنة وأسلم روحه ومات وانضم إلى قومه، وسكنوا من حواليه إلى شور التى أمام مصر حينما تجىء نحو أشور أمام جميع أخواته نزل) وترجمة هذه الفقرة من النص الإنجليزى يوضح لنا معناها إذ يقول «هؤلاء هم أبناء إسماعيل، وهذه أسماؤهم وأسماء مدنهم وقلاعهم وهم اثنى عشر أميرًا، ولكل أمير أمة وهذه هى سنوات حياة إسماعيل، فقد عاش مائة وسبعًا وثلاثين سنة، ثم أسلم الروح ومات والتف الشعب من حوله وارتحلوا من هافلا إلى شور التى هى أمام مصر إذا ما اتجهت نحو بلاد آشور، وقد توفى فى حضور جميع إخواته» وكلمة إخوان يعنى أولاد إسحاق.

ومن ذرية إسماعيل (محمد) عليه الصلاة والسلام ومن رأيي أن هذه النبوة التى وردت فى سفر التثنية الفقرة ١٨ من الإصحاح ١٨ والتى نحن بصدد تفسيرها والتى أشارت بكل وضوح إلى أن الله سيبعث رسولا يكون مثل موسى، وليس من أبناء (إسرائيل)، ولا من بين ظهرانيهم، بل من بين أخواتهم أى من بين العرب تنطبق على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وهو عربى من أب وأم عربيين ثم تذهب النبوة فتقول «واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به». وهنا نتساءل ما معنى سأجعل كلامى فى فمه؟ المفهوم من كلمة اجعل كلامى فى فمه أن يردده دون تحريف أو تعديل أو زيادة أو نقصان، وهكذا نزل الوحى على محمد وكان بين الحين والحين يستعيد معه ما أنزل عليه من القرآن، ويضع الآيات فى مكانها المناسب، ولم يكن لمحمد عليه الصلاة والسلام أو لسواه أى دخل فى ترتيب آيات القرآن، ناهيك بنصها الذى لم يحرف أو يعدل ﴿وإنا له لحافظون﴾.

ويقول لنا التاريخ إن محمدا عليه الصلاة والسلام كان قد ناهز الأربعين عندما أنزل عليه القرآن فى كهف يبعد ثلاثة أميال شمال مدينة مكة، وفى الليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان، وأمره (جبريل) وبلسان عربى مبين أن يقرأ فخاف محمد وفى خشيته قال ما أنا بقارئ، فقد كان أميًا، لا يقرأ ولا يكتب، وعنى بجملة ما أنا بقارئ أى لست متعلمًا فكرر جبريل عليه كلمة اقرأ، فرد بنفس الرد ولثالث مرة يقول له جبريل اقرأ، فيدرك عليه الصلاة والسلام أن المقصود هنا أن يكرر وراءه أى أن يحفظ ما سيقوله له وبالفعل أخذ محمد يردد الكلمات التى وضعها الله فى فمه وهكذا قرأ الآيات الأولى من (سورة العلق) وهى ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم﴾.

وكانت هذه الآيات الخمسة، أول ما أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام، وبعد أن قرأ هذه الآيات تركه جبريل وانصرف أما محمد عليه صلاة الله وسلامه فسكن قليلا ثم عاد إلى منزله خائفًا يرتجف والعرق يبلل جسده كله وقال لزوجه (خديجة) «زملونى زملونى» ورقد فى مخدعه وراحت زوجه المخلصة ترعاه بحنانها وشفقتها، ولما عاد إلى وعيه وزال خوفه، شرح لها لما حدث وما قاله جبريل له فصدقته وآمنت به وأكدت أن الله سبحانه وتعالى سوف يرعاه ولن يسمح بضرر يلحق به، وهذا التصرف من رسول الله وذهابه إلى خديجة يرتجف ويتصبب عرقًا دليل على صدقه فلو كان دعيًا ما تأثرت حالته النفسية حتى يتصبب عرقًا. قد يدعى الفرد منا الخوف ويتظاهر به، ولكن العرق ظاهرة بيلوجية لا يستطيع أن يتحكم فيها بأن يجعل العرق يتصبب منه أو يقف إذا ما أراد، ثم ذهاب رسول الله إلى زوجته وهى أقرب الناس إليه دليل آخر على صدقه وأمانته، ولو كان دعيًا لأعلن دعوته أمام جمهور من الناس أو أمام رواد الكعبة، بأن الله أرسله إليهم، ولا يذهب أولا إلى أقرب الناس إليه ملتمسًا السكينة والحنان والطمأنينة، والواقع أن رد فعل محمد عليه الصلاة والسلام دل على أمانته وإخلاصه وصدقه.

مضت ثلاث وعشرون سنة ومحمد عليه الصلاة والسلام يردد ما يوضع فى فمه من كلام، فيكلم الناس بما يوحى به الله، كما جاء فى النبوة التى وردت فى سفر التثنية، وبمرور الوقت تجمع الناس من

حوله ودخلوا فى دينه، وبمرور الوقت أيضًا زادت الآيات التى نزلت عليه، فأمر بتسجيلها على سيقان الشجر وجلود الحيوانات وعلى ألواح عظام أكتاف الحيوانات، كما راح الخلصاء من المسلمين يحفظون ما يلقيه عليهم من آيات . وقبل مماته نزل عليه (جبريل) أكثر من مرة فى شهر رمضان، وأعاد معه القرآن كله مرتبًا آياته لآخر مرة وكما هى الآن.

ومعنى أوحى فى الواقع هو أن ينطق بكلمات ليست من ابتكاره أو صنعه، بل كلمات وضعت فى فمه كما جاء فى النبوة التى هى موضع بحثنا «واجعل كلامى فى فمه».

وهناك فقرة أخرى فى (التوراة) تشير إلى محمد عليه الصلاة والسلام دون غيره، تلك التى وردت فى (سفر أشعياء) الإصحاح التاسع والعشرين الفقرة ١٢، وهى كما جاءت فى ترجمة اليسوعيين «أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له اقرأ هذا فيقول لا أعرف الكتابة»، وهذه الترجمة تختلف قليلاً عمّا جاء فى التوراة الأنجليزية وترجمتها كما يلى:

«وقد أنزلنا الكتاب على من لا يقرأ وقيل له اقرأ أرجوك أن تقرأ، فيقول: ما أنا بقارئ»، ونلاحظ أن ترجمة اليسوعيين ركيكة إذ حورت اقرأ إلى اكتب، أما النص الإنجليزى فيتفق مع ما جاء فى القرآن فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم.

ويجب أن نشير هنا إلى عدم وجود كتاب عربى منزّل من عند الله حتى فى القرن السادس من الميلاد إلى أن جاء محمد، وأخذ يدعو إلى الله، وكان رجلا أميًا لم يتعلم القراءة والكتابة على أيدى أى من الناس بل علمه الله.

وكان لمحمد ﷺ تجربة فى غار حراء الذى يعرف مكانه الآن باسم جبل النور وكان رد فعله الأول مصداقًا لهذه النبوة التى جاءت فى الفقرة الثانية عشرة من الإصحاح ٢٩ لسفر أشعياء، ونود أن نشير إلى بعض كلمات فى هذه النبوة هى «الكتاب» «واقرأ» و «وأنزلنا» أو «دفعنا» على حسب ترجمة اليسوعيين، ثم نقارن هذه الكلمات بما جاء فى القرآن فى سورة الأعراف الآية ١٥٨ ﴿قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ ونحن نجد تشابهًا فى المعنى بين الفقرة ١٢ من الإصحاح ٢٩ لأشعياء وما تناولته هذه الآية من وصفها النبى الأمى ثم اشتراكهما فى كلمة الكتاب ومعناه القرآن. أما عدم تطابق الترجمة اليسوعية للترجمة الإنجليزية خاصة كلمة أرجوك أن تقرأ، فنحن نجد هذه الكلمة غير واردة فى النص العبرى ولكنها واردة فى النص اللاتينى الكاثوليكى المعروف باسم DONAY VERSION، كذلك مع النصوص النمطية المعدلة، وكلمة «ما أنا بقارئ» رددها محمد ﷺ (لجبريل) مرتين وهى نفس كلمات الترجمة الإنجليزية.

ودعنا نتصفح بعض آيات أخرى فى سورة النجم، حيث يصف الله رسوله ﷺ فيقول: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى﴾، وهى آيات تدل على أن الذى علم محمدًا هو الله سبحانه وتعالى، وأن ما نطق به محمد ليس من كلامه أو ابتكاره بل هو وحى أوحى به إليه.

وإذا ما جمعنا الفقرتين الواردتين فى سفرى التثنية، وأشعياء نجدهما ينطبقان كل الانطباق على سيدنا محمد وكأنهما كتبا وصفًا له، حتى وإن خالفنا المسيحيون فى ذلك على زعم أن المسيح قد ضحى بنفسه لينقذ الإنسانية من الخطيئة ولاشك أن الله سبحانه وتعالى قد احتاط لهؤلاء الذين يثيرون الشكوك، فوعدهم بالعقاب الشديد، أو على حد ما جاء بالعهد القديم بالانتقام ألم يقل فى سفر التثنية الفقرة ١٩ من الإصحاح ١٨ ترجمة اليسوعيين «ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به (نبى) باسمى أنا أطالبه» وإذا تصفحنا الترجمة الإنجليزية لنفس الفقرة، نجد معناها كالتالى ولسوف يحدث أنى سأحاسب من لا يستمع إلى كلماتى التى سوف ينطق بها باسمى أما النسخة الكاثوليكية فهى تختم هذه الفقرة بالعبارة التالية «ولسوف أكون المنتقم».

ومعنى ذلك أن الله عز وجل لن يتسامح مع الذين يؤمنون بالتوراة والإنجيل، إذا لم يستمعوا إلى النبى الذى أنزل الله عليه الكتاب محمد ﷺ أما عن العهد الجديد فنجد المسيحيين ما زالوا فى انتظار تحقيق النبوة التى تشير إلى رسول كموسى ففى يوحنا الإصحاح الأول، فقرات ١٩ - ٢٥، ما يشير إلى أن عيسى عليه السلام ليس بالمسيح. إذ تقول (وهذه شهادة يوحنًا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة (لاويين) ليسألوه من أنت فاعترف ولم ينكر.. أقر أنى لست أنا (المسيح) فسألوه إذا ماذا أأنت أإليا؟ فقال لست أنا، ولما سألوه أنبىّ أنت؟ أجاب لا، فقد كان لدى اليهود نبوءة تقول بأن إليا أو إلياس يأتى قبل المسيح، وقد أكد سيدنا عيسى هذه الفكرة اليهودية، إذ قال (انظر متّى الإصحاح ١٧، الفقرات (١١، ١٢، ١٣) «فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتى أولاً ويرد كل شىء، ولكنى أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه، بل عملوا به كل ما أرادوا، وكذلك ابن الإنسان أيضًا سوف يتألم منهم، حينئذ فهم التلاميذ إنه كان يعنى يوحنا المعمدان، وطبقًا (للعهد الجديد) لم يكن اليهود من الغفلة بحيث يبتلعون الكلمات التى قد يقولها أى مسيح منتظر ولقد قاموا بأبحاث عميقة وصادفوا صعوبات جمة ليعثروا على المسيح المنتظر، ويؤكد هذه الحقيقة إنجيل يوحنا فى الفقرات ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، من الإصحاح الأول، وهذه شهادة (يوحنا) حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت فاعترف ولم ينكر وأقر (أنى لست أنا المسيح)، هذا طبيعى إذ لا يمكن أن يكون هناك مسيحان فى نفس الوقت، فإذا كان عيسى هو المسيح فيوحنا المعمدان يحيى بن زكريا ليس بالمسيح.

ولما سألوه عن كنيته وهل هو إلياس قال لهم لست أنا، ومعنى ذلك أن يوحنا المعمدان أو يحيى قد ناقض عيسى عليه السلام، إذ أعلن الأخير أن يوحنا هو إلياس فى حين نفى يوحنا أنه إلياس. ونخرج من ذلك بأحد أمرين؛ الأول أن أحدهما عيسى أو يوحنا - يحيى، لم يقل الصدق وهنا أقول حاشا لله إذ لابد أن يكون كلاهما صادقًا، والأمر الثانى أن يكون هناك خطأ أو تحريف فى مكان ما. لقد شهد عيسى عليه السلام بأن يوحنا المعمدان كان أعظم أنبياء بنى إسرائيل فيقول الإنجيل المنسوب إلى متّى على لسان (عيسى) عليه السلام فى الإصحاح ١١ الفقرة ١١، «الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه».

والمسلمون يعرفون يوحنا المعمدان باسم يحيى عليه السلام كما جاء بالقرآن، وكان رسولاً أرسله

الله تعالى، كما يعرفون عيسى عليه السلام ويقررون بأنه من أجل رسل الله فكيف نجرؤ نحن المسلمين على أن نصف أحدهما بعدم الصدق، وبالتالى نترك هذه المشكلة لإخواننا المسيحيين ليجدوا لها حلا فى كتبهم التى كتبت بعد رحيل عيسى بعدد كبير من السنين، وقد يجدون فى النهاية أن الحل هـو أن الإنجيل الذى بين أيديهم محرف مما أدى إلى وقوع بعض أخطاء فى الرواية يحاول البعض إخفاءها بما يسميه بأقوال عيسى السوداء، (انظر مجلة التايمز الصادرة فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٧٤ تحت مقال إلى أى مدى وردت الحقيقة فى الإنجيل وتستطيع أن تطلب نسخة مجانية عن (الأخطاء الـ ٥٠٠٠٠ الواردة فى الإنجيل والتى أعيد طبعها، مما نشر فى مجلة اليقظة المسيحية Christian Awakening بعد ٨ سبتمبر ١٩٥٧)، هذا ونحن كمسلمين يهمنا أن نعرف رد (يوحنا المعمدان) على حاخامات اليهود، لقد سأل اليهود يوحنا المعمدان ثلاثة أسئلة وأجاب عليها بالنفى هى:

١ - هل أنت (المسيح)؟
٢ - هل أنت (إلياس)؟
٣ - هل أنت (الرسول)؟

ولكن فلاسفة المسيحية يدمجون هذه الأسئلة الثلاثة فى سؤالين غير أن وجود هذه الأسئلة يؤكد وجود ثلاث نبوات لدى اليهود، كل منها تختلف عن الأخرى، وكل منها تمثل سؤالاً من هذه الأسئلة الثلاثة ولا ضرر من أن نعيد نص ما قاله اليهود ليوحنا المعمدان (انظر يوحنا الإصحاح الأول فقرة ٢٥)

(فسألوه وقالوا له فما بالك تعمد إن كنت ١ - لست المسيح ٢ - ولا إيليا ٣ - ولا النبى)، ويبدو أن اليهود كانوا يتوقعون تحقيق هذه النبوات الثلاثة:

١ - قدوم (المسيح).
٢ - قدوم (إلياس).
٣ - قدوم (النبى).

وإذا طالعنا أى كتاب من الكتب التى يرى البعض أنها منزلة ذات الفهارس والشرح، نجد تفسيرات لمعنى كلمة رسول أو هذا الرسول كما وردت فى يوحنا الإصحاح الأول الفقرة ٢٥، وهى كلمات تشير إلى (نبوة) وردت فى سفر (التثنية) الإصحاح ١٨ من الفقرة١٥ إلى الفقرة ١٨، وفى هذه الفقرات وردت كلمة (نبى) أو ذلك النبى على حسب ما جاء فى سفر التثنية ترجمة الآباء اليسوعيين، أو كلمة رسول كما جاء فى النسخة الإنجليزية، وهناك فرق بين نبى ورسول، فالأخير صاحب رسالة بخلاف النبى الذى يبشر بمبادئ عامة يدعو إليها، وسبق أن نزلت على رسول كلف بالدعوة إلى اتباع صراط الله المستقيم وقد برهنا فيما مضى على أن المقصود من هذه النبوة هو محمد ﷺ، وفسرنا كلمة مثلك وبرهنا على أن محمدًا ﷺ ليس كالمسيح عيسى بن مريم بل كموسى عليه السلام وبأدلة لا يأتيها الباطل من أمام أو من خلف.

وأورد الإصحاح السابع والتسعون من إنجيل برنابا حديثًا طويلًا بين عيسى عليه السلام والكاهن والحاكم والملك أشار فيه عيسى إلى محمدًا قائلًا: «أنعم الله على أن أراه ذلك الذى لا أستحق أن أحل رباط حذائه إنه رحمة وبركة».

«فأجاب الكاهن والحاكم والملك فى صوت واحد: لا تزعج نفسك يا يسوع يا من باركك الله، فلن تحدث فى أيامنا فتنة أخرى فلسوف نكتب لمجلس الشيوخ الرومانى بما تعلمه ولسوف يصدر أمرًا إمبراطوريًا يحرم على كل فرد أن يدعوك إلهًا أو ابن إله».

وجاء فى إنجيل برنابا أن عيسى قال فى محاكمته «كلامكم هذا لا يعزينى فالإنسان يأمل أن يطلع النور ليبدد الظلام وتعزينى هى فى مجىء رسول يبدد كل رأى كاذب قيل عنى، ولسوف يمتد دينه وينتشر ليعم العالم بأسره فهكذا وعد الله سبحانه وتعالى إبراهيم أبانا جميعًا، وما يعزينى أن دينه لن تكون له نهاية، فلسوف يبقى إلى الأبد، لأن الله يحفظه صحيحًا نقيًا.

فرد عليه الكاهن قائلًا: «وهل سيأتى بعد رسول الله هذا أنبياء آخرون؟ أجاب يسوع (لن يرسل الله من بعده رسلًا، ولكن سيأتى عدد كبير من الأنبياء الكذبة وهذا ما يحزننى لأن الشيطان سيوسوس لهم، فيجادلون فى حكمة الله العادل، فيتسترون وراء إنجيلى).

فأجاب هيرود «كيف يجىء هؤلاء الكافرون بحكمة من الله العادل؟» أجاب يسوع: «من العدل أن من لا يعتقد فى حقيقة خلاصه يعتقد فى أكذوبة (دينونته) وعليه أقول لكم إن العالم كان دائمًا أبدًا يمتهن الأنبياء الصادقين، ويحب الكاذبين كما شاهدنا أيام يوشع وأرميا لأن الشبيه يحب شبيهه».

وعندئذ سأل الكاهن وبماذا يدعى هذا المسيح؟ وما هى علامة مجيئه؟ فأجاب عيسى: «إن اسم (المسيح) عجب فقد سماه الله عندما خلق روحه ووضعها فى بهاء كونى قال الله مخاطبًا هذا الرسول اصبر يا محمد فمن أجلك أخلق الجنة والعالم أجمع وجموعًا حاشدة من المخلوقات وأقدمها لك هدية وكل من يباركك أباركه وكل من يلعنك ألعنه وعندما أرسلك إلى العالم ستكون رسولى ومخلصًا، وتكون كلمتك صادقة، حتى أن السماء والأرض لتهنان، ولكن لن يهن إيمانك أبدًا، إن اسمه المبارك محمد».

ثم راح الجمع يتضرعون فى صوت عال قائلين (يارب أرسل لنا رسولك يا محمد تعال سريعًا لتنقذ العالم وتخلصه) هذا ما ورد فى (إنجيل برنابا) الذى لم تعتمده الكنيسة أسوة بغيره من الأناجيل، علمًا بأنه كتب ووجد قبل مجىء (سيدنا محمد) فلقد ورد ذكر (إنجيل برنابا) ضمن منشور أصدره (البابا جلاسيوس الأول) فى بيان الكتب التى حرم قراءتها، وكان من ضمنها (إنجيل برنابا)، وكان صدور هذا المنشور فى أواخر القرن الخامس الميلادى.

وهناك فقرات عديدة من التوراة، والإنجيل تنبئ بمحمد ﷺ رسولًا ونبيًا إلى العالمين، ونحن عندما نورد هذه الفقرات مشيرين إلى أرقامها فى الإصحاحات والأسفار المختلفة، إنما نضع معلومات أكيدة أمام القارئ لا تحتاج إلى تأويل أو تفسير فى أنها تعنى (محمد) ﷺ رسولًا ونبيًا منتظرًا بشرت به هذه الفقرات قبل قدومه بمئات السنين، ولسوف نشير إلى عدد منها بعد أن فسرنا ما جاء فى سفر التثنية فى

الإصحاح الثامن عشر، وما جاء فى الفقرة الثانية عشرة من الإصحاح ٢٩ من سفر أشعياء على الرغم من أن هذين السفرين قد أنبأ كلاهما بعبارات لاشك فيها بمقدم محمد ﷺ بشكل ظاهر واضح.

وإذا ما رجعنا إلى سفر التثنية الإصحاح الثالث والثلاثين الفقرة ٢، نجد عبارة نترجمها عن النص الإنجليزى لأن النص العربى الذى ترجمه الآباء اليسوعيين لا يساعد على فهم المضمون، لقد ذكرت الفقرة الثانية ما يلى: وقال موسى لقد جاء الرب من سيناء وأشرق عليهم من ساعير، وتلألأ نوره بقوة من جبل فاران - جاء وفد أحاط به عشرة آلاف قديس، وأعطى بيمينه شريعة نورانية سلمها، وقد عنى بسيناء، أن الله أعطى التوراة لموسى وبسعير، لأنه أعطى الإنجيل لعيسى، أما عن جبل فاران، فالمعنى واضح، إذ أنزل الله سبحانه وتعالى رسالته الأخيرة التى جبت جميع الرسالات على محمد ﷺ وموطنه جبل فاران، ولعلنا نتساءل ما هى فاران - هى منطقة سكنها إسماعيل جد الرسول، وتقع بين ثلاثة جبال بمكة المكرمة، هى أبو قبيس وقيعان وحراء، ولكن كيف نستطيع أن نستدل على أن فاران هى نفس الأرض التى ذهب إليها إبراهيم مع زوجه هاجر وابنه إسماعيل جد الرسول ﷺ؟ الدليل الذى نورده هنا قد ورد فى التوراة نفسها، إذ تقول لأن هاجر كانت قد تزوجت (بسيدنا إبراهيم) بموافقة سارة لتنجب له نسلاً لأن سارة كانت عاقرًا لا تنجب ولا تلد فأرادت أن ترضى زوجها الذى كان يتطلع إلى نسل من صلبه يحمل رسالته فوهبته هاجر المصرية لتكون أمًّا لأولاده، ولكن سارة كأية امرأة أصابتها الغيرة والحسد وراحت تعامل هاجر المصرية معاملة سيئة خاصة بعد أن أنجبت لإبراهيم سيدنا إسماعيل جد محمد ﷺ فكان إبراهيم كأى إنسان يشعر بالأبوة يعطف على ابنه الوليد ويرى حياته فى حياته مما أوغر صدر سارة زوجته، التى جاءت من وراء النهرين فصبت جام غضبها على هاجر وكان سيدنا إبراهيم لأمر أراده الله مطيعًا لسارة برغم أنها قد بلغت الكهولة فلم يتدخل بين هاجر أم ولده البكر (يكبر أخاه إسحاق بثلاث عشرة سنة) وبين سارة فطلبت سارة أن يرحل بهاجر إلى أرض الله الواسعة وكانت حبلى بإسماعيل، وبالفعل ذهبت هاجر إلى منطقة بلقع وعر حيث تجلى لها ملاك الرب وقال لها كما جاء فى سفر التكوين الإصحاح ١٦ الفقرة ١٠ مترجمًا عن النسخة الإنجليزية (سوف أكثر من نسلك فأضاعفه أضعافًا مضاعفة حتى لا يحصيه العدد)، وكان إبراهيم قد حاول أن يعيدها وهى الحبلى إلى مولاتها سارة حتى تلد هناك وقد بشرها ملاك الرب فى حديثه معها (بشرى لك إنك حامل وستلدين ولدًا وسوف تسميه إسماعيل لأن الله سمع رجاءك واستجاب له، ولسوف يكون شديد البأس بريًّا لا يخشى أحدًا، ويطلبه الجميع، ولسوف يسكن أمام جميع إخوته وبحضورهم (الفقرات ١١، ١٢ (من سفر التكوين) إصحاح ١٦)، «يبدو أن سيدنا إبراهيم قد شعر بوحدة وحزن شديدين عندما ترك زوجه أم إسماعيل فى البرية بمنطقة فاران وعاد إلى زوجه سارة، وكان يفكر طيلة السنوات الثلاثة عشرة فى ابنه إسماعيل الذى رعاه الله فكبر وسكن برية فاران، وراح يطمئنه كما جاء فى الفقرة ١٠ من الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين ويقول له (أما عن إسماعيل فقد استمعت إلى تضرعاتك وأبشر فإنى أباركه وأضاعف من نسله أضعافًا مضاعفة، ولسوف أرزقه باثنى عشر أميرًا من أولاده واجعل من نسله أمة عظمى كذلك يعزيه الخالق

سبحانه وتعالى ويطيب خاطره مرة أخرى فيقول له فى سفر التكوين الإصحاح ٢١ الفقرة ١٣ (ولسوف أجعل من نسل ابن جاريتك إسماعيل أمة لأنه من صلبك وذلك قبل أن يرحل بها إلى منطقة فاران مباشرة).

هذا هو إسماعيل الجد الأكبر لمحمد ﷺ، والذى وعد الله بأن يكثر من نسله ويجعل منه أمة عظمى.

ويمكننا أن نتتبع النبوات المختلفة التى وردت فى التوراة والإنجيل مبشرة بمحمد ﷺ رسولاً من الله تعالى، فمثلاً جاء فى الإصحاح ٢١ الفقرة من ١٣ إلى ١٧، مترجمًا عن النص الإنجليزى من سفر أشعياء «تحمل الجزيرة العربية العبء فيا قوافل الدادانيين DEDANUM، تسكنين فى قفرها ويا أهالى تيما، احضروا الماء له فهو عطشان، وأحضروا الخبز إلى هذا المهاجر ومن معه، فقد فروا من السيوف المشرعة والأقواس المهيأة للضرب، ومن مصائب الحروب وكربها، هكذا قال (الرب) لى ولن تمر سنة من سنوات الهجرة حتى يخبو مجد قيدار تتشتت فلول رماته من أصحاب الأسهم الأشداء من أولاد قيدار لأن رب إسرائيل أراد ذلك». وجدير أن نشير إلى معنى بعض كلمات غريبة فى هذه الفقرات أولها كلمة ددانيم، يقال إن (ددانيم) كان أحد أجداد سيدنا محمد ﷺ أما بلاد تيما، فهى منطقة عربية نعرفها باسم بن تميم، ويسكنها أولاد إسماعيل، أما الإشارة إلى الهجرة وإلى المهاجر فيعنى بها الهجرة إلى يثرب والمهاجر هو محمد ﷺ، أما قيدار فأحد أجداد رسولنا الكريم ﷺ.

ونجد فى كلام أشعيا فى الإصحاح الثانى والأربعين الفقرة من ٩ - ١٢ (فلتسمعوا ما فات من أشياء، قد فات وماهو آت، وقبل أن يأتى أنبئكم بنبئه)، سبحوا لله تسبيحة جديدة واشكروا الله من أقصى الأرض إلى أقصاها أنتم يامن تمخرون عباب البحار وتعيشون على البحار والجزائر وتسكنونها.

ولترفع البرية صوتها والمدن تسبيحها، مدن وقرى (قيدار) ويسبح سكان الجبال والبطاح، وليرفعوا أصواتهم من أعلى الجبال ممجدين الله، داعين له فى الجزر فالله، سبحانه وتعالى قوى جبار.

والنقطة الجديدة هنا، أنه كنى عن الأذان بالتسبيح ورفع الصوت من فوق الجبال أى من أعلى القمم سواء فى البرية أو المدن أو القرى، وهذا هو ما جاء به الإسلام من نهج جديد فى الدعوة إلى الصلاة، فالتسبيح هنا يعنى الأذان والإشارة إلى البحار والجزر والجبال والبطاح والمدن والقرى إنما تعنى مشارق الأرض ومغاربها بمعنى أنها دعوة للعالمين وليست لفئة من الناس كاليهود. كذلك الدعوة إلى الصلاة دعوة عن طريق صوت الإنسان لا عن طريق الأجراس أو الطبول أو ما شابه ذلك، ثم أعادت التوراة الإشارة إلى قيدار أحد جدود نسيدنا محمد ﷺ، وكأن هذه الفقرات قد أشارت إلى نهج جديد فى دعوة الناس إلى الصلاة، ودعوة الجنود إلى الحرب عن طريق الصياح كرجل واحد، مثل: لبيك اللهم لبيك، أو الله أكبر، خاصة عندما يخوضون الحرب وهى إشارة إلى الجهاد، والذى كان يقوم به قيدار، وتابعوه هو من أجل الرحمن سبحانه وتعالى، ثم أشارت إلى الجهاد والذى كان يقوم به قيدار، وتابعوه هو من أجل الرحمن سبحانه وتعالى، ثم أشارت الفقرات التالية من الإصحاح الثانى والأربعين من أشعياء إلى الوثنيين عبدة الأصنام والصور فقد جاء فى الفقرة ١٧ من هذا الإصحاح «ولسوف

يعودون القهقرى وكلهم خزى وعار لأنهم اعتقدوا فى الصور المنقوشة والمنحوتة واعتقدوا أن هذه الأصنام أو المسبوكات آلهة» وفى الفقرة التالية يشير إلى رحمة الله وكيف أنه سيأخذ بيد المخطئين إلى طريق الصواب بعد أن يرسل رسوله ويدلهم على الطريق المستقيم وقد صدق هذا الوعد، فقد حلت الهزيمة بعبدة الأوثان وأحاط بهم الخزى والعار، ودخل محمد مكة فكسر أصنامهم، ثم أخذ بيد هؤلاء المفتونين المخطئين إلى طريق الصواب والفلاح».

ونجد نبوة أخرى تشير إلى محمد ﷺ فى الفقرات من ١ إلى ٧ من الإصحاح الرابع والخمسين من كتاب أشعياء، إذ تقول ما ترجمته من الإنجليزية قال الرب ترنمى أيتها الأرض الجرداء برغم أنك لم تطرحى شيئًا ترنمى وانشدى وصيحى بأعلى صوتك فإنك وإن لم تحملى ولدًا فلسوف يعطيك الله من الأولاد فى عزلتك أكثر مما أعطى الزوجة الأخرى.

أوسعى مكان خيمتك، ودعيهم يبسطون ستائر لسكانك، ولا تدخرى فى ذلك وسعًا أطيلى حبال خيمتك وثبتى أوتادك، فلسوف تمتد رقعتك يمينًا ويسارًا، ويرث أبناؤك أرض الكفرة والملحدين، ولسوف يعمرون المدائن البعيدة المعزولة لا تخافى فلن يصيبك خزى أو عار، ولن تلحق بك لعنة، لأنك لم تأت عملًا إدا، كما أنك سوف تنسين ما لحقك من استحياء فى شبابك ولن تتذكرى بعد الآن أحزان ترملك.

فالذى صنعك هو زوجك (رب الشعوب) وهذا هو اسمه وهو وليك ومنقذك (قدس الأقداس)، الذى تعبده إسرائيل الآلة الواحدة خالق العالمين.

إن الله قد دعاك كما يدعو الرجل امرأة نسيها الدهر وانغمست روحها فى الحزن، أو كامرأة شابة رفضها الناس هكذا قال الرب.

والمقصود بكلمة الجرداء، مكة المكرمة، لأنها لم تعط نبيًا أو رسولًا، إذ أن - إسماعيل قد جاءها مع والدته هاجر، ولم يولد بها وهذه النبوة تقارن بين مكة وبين القدس، ففى الأولى لم يظهر أنبياء من أبنائها على حين فى الثانية، ظهر العديدون ولقد وعد الله مكة فى هذه النبوة بـاتباع عـديدين هم المسلمون، وتنبأ أشعياء بأنهم سوف يفوقون اليهود عددًا، وهكذا يفسر المفسرون هـذه النبوة، ثم يزيدون على ما سبق بأن المسلمين أى أبناء مكة، سوف يرثون أرض الكفرة والملحدين، ويعمرون المدائن وهكذا يطلب الله سبحانه وتعالى إلى مكة أن تبتهج وتفرح وتهلل، وتنشد الأناشيد، وتسبح بحمده، لأنه سوف يرسل رسولًا من أبنائها من نسل إسماعيل ويزيد من سكانها، لينشر تعاليم الله، ويوسع من رقعتها، ويهلك المشركين والملحدين وعبدة الأصنام، وهكذا صدقت دعوة ابراهيم، ﴿ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (سورة إبراهيم آية ٣٧)، ويتنبأ أشعياء أيضًا بقدوم محمد ﷺ قبل مجيئه بنحو سبعمائة سنة وكان فى بلاد مابين النهرين إذ قال ما ترجمته عن النص الانجليزى فى الإصحاح ٦٠ من الفقرة ١ إلى ٧ «انهض ولتشرق أنوارك، فقد حل مجد (الرب) عليك وظهر نورك».

واعلمى أنه فى ذلك الوقت سوف يحط الظلام على الأرض ويعيش الناس فى ظلمة دامسة، ثم ينهض الرب فيشرق نوره عليك ويحل مجده بك. ويأتى المشركون إليك وقد بهرهم نورك، ويخف الملوك إليك وقد راعهم ضياء إشراقك.

«ارفعى عينيك وانظرى حواليك، لقد اجتمعوا كلهم لديك، ويأتى أولادك من أقصى البلاد وتهنى بناتك فى أحضانك.

عندئذ سوف تزينين ويشع نورك ويخفق قلبك ويحل بك الخير العميم ويتدفق عليك كتدفق الماء فى البحار ويأتيك طواعية الملحدون بقواتهم منضمين إليك.

ولسوف تغطى أرضك جحافل من الإبل، كما يأتيك بعير مدين حاملة الذهب والبخور ملبية مسبحة لله عز وجل.

سوف يجتمع عندك قطعان (قيدار) وأغنام (بنايوث) للتضحية على مذبحى ولسوف أمجدبيتى» ويكفى أن نشير إلى أن سفر التكوين فى الإصحاح الخامس والعشرين، الفقرات (١٣، ١٤، ١٥) قد أشار إلى أولاد إسماعيل بن إبراهيم وأمه هاجر المصرية وأولهم (نبايوث، وقيدار، ثم عدبيل ومبسام ومشماع وروما ومسّا وحدار وتيما وبطور ونافيش وقدّمه) وهم الأمراء الإثنى عشر الذى وعد الله سبحانه وتعالى إسماعيل بهم وقد سمى كل واحد منهم باسم المدينة التى سكنها أو القلعة التى عاش فيها.

وهذه الشجرة التى وردت فى سفر التكوين بالتوراة أكدت على قيدار كل التأكيد، أما أسماء إخوته فقد اختلف فى تعيينها علماء الدين، فيرى بعضهم أن إسماعيل أنجب قيدار، وعدنان، ومضر، وغيرهم) وأن (مضر) أنجب (إلياس) ومنه انبثق (قحطان، وهران، وعقيل وكلاب وسعد بن بكر، وبنو نمير، وبنو ثقيف).

وقد ذكر الإنجيل المنسوب إلى متّى فى الإصحاح السابع الفقرة ١٥ ما ترجمته (خذوا حذركم من الأنبياء الكذبة الذين يأتون إليكم فى ثياب الحملان، وهم فى داخليتهم ذئاب شرسة) وفى الفقرة التالية يقول «ولسوف تعرفونهم من ثمارهم، فهل يجنى الرجال عنبًا من الشوك، أو تينًا من الحسك فكل شجرة جيدة تعطى ثمرًا جيدًا، والشجرة الرديئة تعطى ثمرًا رديئًا فلا شجرة طيبة تعطى ثمرة رديئة، ولا شجرة رديئة تعطى ثمرة طيبة، وكل شجرة لا تعطى ثمرة جيدة يجب أن تقلع ويلقى بها فى النار، فمن ثمارهم تعرفونهم.

ومن هذا نرى أن السيد المسيح قد نبه أتباعه إلى وجوب التحرز من الأنبياء الكذبة أو الأشرار، ومعنى ذلك أن الإنجيل بشر بأنبياء يأتون بعد (عيسى) بعضهم كذبة وبعضهم صالحون، كما أمر المسيح أتباعه أن يفحصوا تعاليم الأنبياء الذين يأتون بعده فإن وجدوها خيرًا فنعمة وبركة، وإن وجدوها شرًا وجب الابتعاد عنهم وهذا يعنى فى حد ذاته أن عيسى لم يكن آخر الأنبياء.. .. .. ، وهناك بشارات أخرى أهمها ما جاء فى إنجيل برنابا الذى يرفضه المسيحيون، لا لأنه إنجيل مصطنع، ولكن لأغراض سياسية، فقد اعترف إنجيل برنابا بوحدانية الله وأن هناك مسيحًا آخر أى رسولا آخر اسمه محمد بن عبدالله، سيأتى بعد عيسى ويكون خاتم النبيين، ونحن إذ نستشهد فى المقام الأول بما ورد فى التوراة

والأناجيل الرسمية، فإنما نستشهد بها لأن كلا من المسيحيين واليهود لا يعترفون إلا بكتبهم وما ورد فيها، فى حين أننى شخصيًّا أعتقد أن الكتب الحالية التوراة والأناجيل الرسمية إنما هى من وضع الإنسان وليست تنزيلا من عند الله، وإذا ما رجعنا إلى المصادر الإسلامية فنجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية فى الجزء الرابع من كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح صفحة ٤ يستشهد بالمثل بما جاء فى كتاب النبى دانيال» (سألت الله وتضرعت إليه أن يبين لى ما يكون من بنى إسرائيل وهل يتوب عليهم ويرد إليهم ملكهم، ويبعث فيهم الأنبياء، أو يجعل ذلك فى غيرهم؟ فظهر لى الملك فى صورة شاب حسن الوجه، فقال السلام عليك يا دانيال، إن الله يقول: إن بنى إسرائيل أغضبونى وتمردوا علىّ، وعبدوا من دونى آلهة أخرى، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، فسلطت عليهم (بختنصر)، فقتل رجالهم، وسبى ذراريهم، وهدم مسجدهم، وحرف كتبهم، وكذلك فعل من جاء بعده بهم، وأنا غير راض عنهم، ولا مقيل عثراتهم، فلا يزالون فى سخطى حتى أبعث مسيحى ابن العذراء البتول، وأختم ذلك عليهم باللعن والسخط، فلا يزالون ملعونين ، عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبى بنى إسماعيل الذى بشرت به هاجر، وأرسلت إليها ملاكى وبشرها به، وأوحى إلى ذلك النبى، وأعلمه الأسماء كلها، وأزينه بالتقوى وأجعل البر شعاره، والتقوى ضميره، والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب، وناسخ لبعض ما فيها، أسرى به إلى، وأرقيه من سماء إلى سماء حتى يعلو فأدنيه، وأسلم عليه وأوصى إليه ثم أرده إلى عبادى بالسرور والغبطة، حافظًا لما استودع صادقًا فيما أمر، يدعو إلى توحيدى باللين من القول والموعظة الحسنة، لافظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق رءوف بمن والاه، رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه، فيدعو قومه إلى توحيدى وعبادتى، ويخبرهم بما رأى من آياتى، فيكذبونه ويؤذونه.

ثم سرد (دانيال) قصة رسول الله ﷺ بما أملاه عليه الملك، حتى أوصل آخر أيام أمته بنهاية العالم وانقضاء الدنيا»

وجاء فى الإصحاح الرابع، فى رسالة (يوحنا) الأولى من الفقرة ١ حتى الفقرة ٤، ما ترجمته عن الإنجليزية «أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح تأتى إليكم، بل حاولوا أن تختبروها فيما إذا كانت من عند الله فهناك كثيرون من الأنبياء الكذبة قد خرجوا إلى العالم.

واعلموا أن كل روح تعترف بأن يسوع المسيح هو إنسان قد أتى بجسده فهى روح قد أرسلها الله.

وكل روح لا تعترف بأن المسيح لم يأت على هيئة إنسان بجسده فهى روح لم يرسلها الله، وهى روح معادية للمسيح الذى سمعتم أنه قد أتى، بل إنه الآن فى هذا العالم.

إنكم جميعًا من الله أيها الأطفال لقد غلبتموهم ففيكم من روح الله أكثر وأعظم مما فى العالم».

وإذا كانت كلمة الروح تعنى فى هذا المقام رسولا فقد سبق ورود نفس هذا المعنى عندما تحدث القرآن فى سورة النحل الآية ١٠٢ ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾، وفى سورة الشعراء الآية ١٩٣ تقول ﴿نزل به الروح الأمين، على قلبك﴾ والمعنى الحقيقى أن الروح فى ما قاله (يوحنا) إنما تتناول النبى المرسل من الله بمعنى أن (جبريل) هو روح القدس أو الروح الأمين الذى يتنزل على

الرسل، ولقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذا المعنى فقال ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس﴾، وبالفعل اصطفى (جبريل) من الملائكة كما اصطفى محمدًا من البشر، ولقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى جبريل كرسول فى الآيات ١٩، ٢٠، ٢١ من سورة التكوير إذ قال ﴿إنه لقول رسول كريم، ذى قوة عند ذى العرش مكين، مطاع ثم أمين﴾، كما أشار إلى محمد عليه الصلاة والسلام كرسول فى الآيات ٤٠ - ٤٣ من سورة الحاقة ﴿إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين﴾، ومعنى ذلك أن كلا منهما رسول أبلغ رسالته من عند الله، ولم يقل إنه لقول ملك ولا نبى، وبالتالى يكون كل من يدعى أنه قول بشر قد كفر بالله، ثم أشار القرآن فى سورة الطلاق ١٠ - ١١ ﴿قد أنزل الله إليكم ذِكرًا، رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور...﴾ وغنى عن القول أن الرسول نفسه لم ينزل، بل الذى أنزل هو القرآن أى أن الرسول أبدل: بالذكر لأنه جاء بالذكر.

وقد تنبأ أشعياء بمحمد عليه الصلاة والسلام، فى عدة مواضع، فمثلا نجد فى الإصحاح التاسع لاتنبأ بولد له اسم عجيب وله شامة فى كتفه، إذ جاء فى هذا الإصحاح ابتداء من الفقرة ٦ حتى الفقرة ٨ ما يلى مترجمًا عن الإنجليزية «فيولد لنا ولد ويرزقنا الله ابنًا على كتفه علامة الحكم يحمل اسمًا عجبًا، وفى هذه الفقرة لا يعنى أشعياء عيسى عليه السلام، لأنه لم يحكم، بل رفض أن يدعى الملك فى حين أن محمدًا كان يحكم وكان يقضى بالموت وبتوزيع الغنائم والصدقات وإنفاذ الجيوش، وبالتالى يكون الولد المذكور فى هذه الفقرة هو محمد عليه الصلاة والسلام خاصة وقد كانت بين كتفيه شامة تدل على الملك والحكم، وجاء فى الإصحاح الحادى عشر من أشعياء فى الفقرة الثانية ما ترجمته «وتحل به روح الرب، وروح الحكمة والتفاهم، وروح التشاور والقوة، وروح المعرفة ومخافة الله»، وهذا يؤكد ما عرف عن صفاته عليه الصلاة والسلام بعكس (عيسى) عليه السلام.

وهناك نبوة أخرى فى أشعياء وردت فى الإصحاح الثانى والأربعين بالفقرة ١ حتى الفقرة ١٣ ما ترجمته عن الإنجليزية «تبارك عبدى الذى أريده والذى اخترته واصطفيته لنفسى ووضعت فيه روحى وسرى فيه الحكم بالعدل ويخرج إلى الأمم.

لن يرتفع صوته ولن تسمع له نبرة عالية فى السوق، الرجل المسالم الذى لن يكسر عودًا، والذى لا يطفئ فتيلة، والذى يخرج بالحق دون أن يمل أو يكل حتى يعم العدل والحق والذى لا يفشل ولا يحبط حتى يعم العدل الأرض ولسوف تنتظر الجزائر شريعته»، ومعنى هذه الفقرة أن هناك شخصًا يكون قويًا فى عدله متسامحًا كريمًا تمتد شريعته إلى أقصى البلاد، أى الجزر وهو محمد الذى جاء للعالمين طرًا، وليس لفئة من الناس كما حدث بالنسبة لموسى، وعيسى وأشار أشعياء إلى بلاد (قيدار) أكثر من مرة وهى ما تعرف الآن بمكة المكرمة والتى سكنها أحد أبناء إسماعيل وهو قيدار الذى سميت باسمه فى أشعياء، ولقد جاء ذكر بلاد قيدار فى الفقرة ١١ من الإصحاح ٤٢، كذلك أشار إلى (مكة) كما سبق ذكره بالإصحاح الرابع والخمسين عندما وصفها بالعاقر التى لم تلد، وكيف أن الله حجب وجهه عنها

لحظة من اللحظات، ثم أقبل عليها بإحسان كبير، وكيف أنه بنى بها بيته ويصف لنا أشعياء هذه المدينة فيقول إن حجارتها مختلفة ألوانها وأساس بيته من الياقوت الأزرق، وشرفات بيوتها من العقيق اليمانى، وأبوابها من الياقوت الأحمر - كناية عن أنه سيجمل (مكة) كل التجميل لأنها بلد السلام، وبلد المحبة ويكمل أشعياء هذا الوصف فى الإصحاح الستين، فيقول فى الفقرة الأولى وما يليها ما ترجمته عن الإنجليزية «استيقظى وابسطى نورك، فقد جاء وقتك وحل بك مجد الرب، فى الوقت الذى تغطى فيه الظلمة الأرض، والجهالة الناس، فى حين يشرف الرب ومجده عليك»، ويسترسل أشعياء فى وصفه ما سوف تتمتع به (مكة) إلى أن يقول فى الفقرة ١٨ من نفس الإصحاح «ولن يكون هناك ظلم بين جوانبك وعلى أرضك، أو عدوان على تخومك، فكل من يدخلك آمن، ومن يعبر أسوارك يحل به الخلاص ويسبح بحمد الرب» ويستطرد أشعياء إلى أن شمس مكة لن تغرب أبدًا وقمرها لن يغيب عنها، فإن الله سبحانه وتعالى سيكون دائمًا أبدًا نورها الأزلى، وبالتالى تنتهى أيام الحزن والأسى، أما شعبها (المسلمون) فسوف يرثون الأرض وما عليها، وأبناؤها والمؤمنون برسالتها يصبحون أمة عظيمة.

وجاءت نبوة أخرى فى حبقوق فى الفقرة الثالثة من الإصحاح الثالث «جاء الرب من تيمان والروح القدس من جبال فاران - سيلاه - وغمر مجده السموات والأرض وامتلأت الأرض بالتسبيح له».

وهذه النبوة التى وردت فى حبقوق والتى تشير إلى حدث يقع فى بلاد فاران، إنما تعنى ظهور رسول يحمل رسالة تبقى أبد الآبدين، فيشع نورها كالشمس وتضىء للناس الطريق فى ظلمة التقاليد والعادات الموروية فينتقلون إلى ضوء الحقيقة التى شرعها الله سبحانه وتعالى.

ولنعد مرة أخرى إلى سفر التكوين الإصحاح السادس عشر ولا سيما الفقرة الثامنة فهذا الإصحاح يقص قصة هاجر أم إسماعيل وكيف غارت منها سارة بعد أن حملت ولدها، حتى أنها هربت، فقد جاء فى السفر ابتداء من الفقرة السابعة «فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية والواقعة فى طريق شور فقال لها يا هاجر يا جارية سارة من أين أتيت وإلى أين تذهبين فردت أنى هاربة من وجه سيدتى سارة، فرد عليها ملاك الرب عودى إلى سيدتك، وضعى نفسك بين يديها ثم قال ملاك الرب ولسوف أضاعف من ذريتك أضعافا مضاعفة حتى لا يحصيها العد وقال لها ملاك الرب بوركت فها أنت تحملين طفلا ولسوف تسمينه إسماعيل فقد استجاب الله لتضرعك ولسوف يكون بريا يرفع يده على كل إنسان ويرفع كل إنسان يده عليه، ولسوف يسكن (يموت) فى حضور جميع إخوانه).

وهناك بشارة فى رؤيا دانيال التى وردت فى الإصحاح التاسع من الفقرة ٢١، إذ تقول ما ترجمته عن الإنجليزية (نعم عندما كنت أتعبد فى صلاتى ترآى لى جبريل على هيئة رجل وكنت قد رأيته فى منامى وهو يطير فلمس كتفى وكان ذلك عند قدوم المساء.

واخبرنى متحدثنا قائلا «يادانيال إنى قادم خصيصا لأقدم لك الفهم والتجربة».

ففى بداية دعائك جاءنى الأمر أن آتى إليك فأنت محبوب كل الحب ومن ثم تفهم الأمور ولندرك حقيقة الرؤيا.. لم يبق على شعبك وعلى مدينتك المقدسة غير سبعين أسبوعا حتى ترتفع عنها المعصية والخطايا وتتم الكفارة وتنتهى الآثام التى وقعت فيها ثم تبدأ فى تقديم البر والعدالة وتعمل من أجل الطريق المستقيم إلى الأبد وتنهى الرؤيا والنبوة ويعفو قدس الأقداس، واعلم انه منذ صدور الأمر بتجديد أورشليم، وإعادة بنائها لاستقبال المسيح ستمر سبعة أسابيع، ثم اثنان وستون أسبوعا أخرى يعود بعدها السوق وتقام الحوائط حتى فى أيام الأزمات والاضطرابات وبعد اثنين وستين أسبوعا أخرى تحل العزلة على المسيح لا على شخصه ولكن على شعبه، ثم يحل الخراب بالمدينة والمعبد وتكون النهاية على هيئة فيضان ثم يتلوه حرب وخراب أكيد».

ثم يتناول دانيال بعد ذلك ما سوف يحل بالقدس ولعل المقصود من هذه النبوة ما فعله بختنصر بها من هدم وتخريب، إلى أن جاء المسيح عيسى بن مريم، ويرى ابن تيمية، فى هذه النبوة أن ذلك كان توطئة لنبى من بنى إسماعيل هو سيدنا محمد ﷺ، كما جاء فى الصفحتين الرابعة والخامسة من كتابه الثانى الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح والله أعلم.

الفصل الثانى

الفارقليط

إذا ما استعرضنا الإنجيل المنسوب إلى يوحنا فِي الإصحاحين الرابع عشر والخامس عشر، نجد بعض عبارات تشير إلى ما أسماه بالمعزى أو ما يعرف بالفارقليط، ولسوف نورد هذه الفقرات ثم نشرحها فيما بعد. جاء فى الفقرات ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨ من الإصحاح الرابع عشر ما ترجمته عن الإنجليزية «قال إذا سألتم شيئًا باسمى فلسوف أفعله. وإذا كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى. وإنى سوف أبتهل إلى الأب ليعطيكم معزيا، (أركونا – فارقليط) آخر، ولسوف يبقى معكم حتى النهاية، واعلموا أن روح الحق، لا يستطيع العالم أن يستقبله، لأنه لا يراه ولأنه لا يعرفه، ولكنكم سوف تعرفونه، لأنه سوف يسكن بين ظهرانيكم، ويكون معكم وبكم».

وجاء فى الفقرة ٢٤ من نفس الإصحاح «من أحبنى حفظ كلامى، وما أنطق به ليس من عندى بل من عند الأب الذى أرسلنى».

وما تحدثت به من أشياء إليكم سوف تحدث.

ولكن المعزى (الأركون – الفارقليط) الذى هو روح القدس، والذى سوف يأتى باسمى ويذكركم بجميع الأشياء وبكل ما قلته لكم سوف يعلمكم، ويذكركم).

وجاء فى الإصحاح ١٥ من الإنجيل المنسوب ليوحنا ابتداءً، من الفقرة ٢٦ ما يلى: «ولكن عندما يأتى المعزى الذى سأبعثه إليكم من لدن الأب بل روح القدس الذى ينزل بأمر الأب سيشهد لى».

وجاء فى الفقرة ١٢ من الإصحاح ١٦ ما يلى:

«هناك أشياء عديدة أو أن أقولها لكم، ولكنكم لن تحتملونها الآن، ولكن متى أتى روح الحق، فلسوف يرشدكم إلى الحقيقة إذ هو لن ينطق من نفسه، ولكنه سيردد ما يسمعه، فيتحدث به ويخبركم بما هو آت، ولسوف يمجدنى، فهو يستقى من نبع ما استقيت ويخبركم به».

وأشارت الفقرة السابقة من نفس الإصحاح ١٦ إلى المعزى (الفارقليط) مشيرة إلى أنه لن يأتى فى عهد المسيح بل بعده وأنه متى جاء سوف «يؤنب العالم على خطاياه ويذكره بالتقوى وبيوم الحساب».

وأود أولًا أن أشرح لقب (المعزى) أو الأركون، أو (الفارقليط).

(المعزى) هى ترجمة للكلمة الإنجليزية Comforter وهى ترجمة لكلمة (الفارقليط)، وكلمة (أركون)، وهذا اللفظ (أركون) غريب ذهب فيه المفسرون مذاهب شتى، كذلك لفظ (الفارقليط) فقيل إنه الحماد أو الحامد، وقيل أنه المعزّى، وقيل إنه الحمد نفسه، وقيل إن كلمة فارقليط هى سريانية

الأصل، وتتكون من مقطعين، (فارق وليط) والأول معناه معزى، أو مخَلِّص أو الذى يواسى الناس، والمقطع الثانى تأكيد للمقطع الأول أى هو، والتأكيد باستخدام الضمير هو شائع فى اللغة السريانية كما نقول نحن المعز هو، والغفور هو، ويقول البعض الآخر إن هذه الكلمة يونانية تعنى (المبعوث أو الرسول).

وهذه المعانى متقاربة، ولكن كيف وردت كلمة فارقليط على لسان المسيح، وهو الذى كان يعرف الآرامية دون السريانية ودون اليونانية (وإن كان البعض يرتكن إلى ما جاء فى أحد الأناجيل من أنه ذهب إلى مصر ولما يتجاوز السنة الأولى من عمره، ثم عاد منها وهو فى الثالثة عشرة، ثم يستنتج من ذلك أنه كان يعرف أيضًا المصرية القديمة، إذ لا يعقل أن يعيش هذه السنوات الطوال فى مصر دون أن يختلط بقرنائه فى السن من المصريين وبالتالى يعرف لغتهم حقًا)، لما كانت كلمة (فارقليط) من أصل يونانى فيرى العلماء أنها كانت من الكلمات الشائعة فى أيام (المسيح) مبررين بذلك معرفة المسيح لها وهذه الكلمة فى حد ذاتها تعنى باليونانية رسولاً أو مبعوثًا)، فى حين أن كلمة (المعزى أو المخلص) تعنى بالسريانية (نبيًا) جاء ليرفع عن قومه المعصية والخطيئة كذلك كلمة Logos أو المسيح، فهى تعنى المخلص، وإن تكن قد استخدمت فى هوشع بمعنى (الله) إذ جاء فى الفقرة ٤ من الإصحاح السادس عشر من هوشع «إلا مخلص غير الله» ولكن هذا المعنى يمثل صفة وليس لقبًا، مثل الرحيم أو العادل، وقد تطلق على الخالق، وقد تطلق على المخلوق، وبالتالى يجوز أن يكون (المعزى المخلص رسولاً) من بنى البشر.

وإذا ما انتقلنا إلى إنجيل يوحنا فى الفقرة ١٥ من الإصحاح الرابع عشر نجده يشير إلى المعزى وهى ترجمة (فارقليط) بمعنى أن المسيح سيطلب إلى الله أن يعطيهم معزيا آخر يثبت معهم إلى الأبد، وأن هذا المعزى هو (روح الحق)، واستخدام (المعزى) فى هذا المقام يعنى رسولاً، والمعنى أن (رسولاً) آخر سيأت بعد (عيسى) عليه السلام، ويحمل إلى العالم رسالة تثبت بين الناس إلى الأبد، فالمعروف أن الأناجيل التى بين أيدينا هى كتب موضوعة، وليست منزلة من عند الله سبحانه وتعالى وأن جميعها تناولتها يد المحرر أو المحررين بالتعديل، كما أراد أو أريد لهم أو من كانوا يعملون لحسابهم، وبالتالى يجب ألا نأخذ ما جاء فيها قضية لا يقبلها النقض أو النقد، أو هى كلمات مرصوصة أنزلها العزيز الحكيم، وإنى عندما أقرأ (يثبت معكم إلى الأبد) الواردة فى (الإنجيل) المنسوب إلى (يوحنا) أميل إلى أن الذى يثبت ليس الرجل المرسل أو المعزى، بل الرسالة التى حملها من عند الله، وفى ضوء هذا الفهم نجد (القرآن) وهو الرسالة الأخيرة التى أرسلها (الله سبحانه وتعالى) على يد (جبريل) إلى (محمد) ﷺ، هى التى بقيت ولسوف تبقى إلى الأبد «وإنا له لحافظون» وهذا المعنى ينطبق على (محمد) ﷺ بمعنى أن يوحنا فى الإنجيل المنسوب إليه قد بشر برسول يأتى بعد المسيح وتبقى رسالته إلى الأبد (وهى القرآن).

وإذا ما استعرضنا النبوءات التى وردت فى الأناجيل الأربعة الوضعية نجد أولاً فى الإنجيل المنسوب إلى يوحنا الإصحاح ١٦ فى الفقرتين ١٢، ١٣ وترجمتها عن الإنجليزية «إن لدى الكثير من

الأشياء التى أريد أن أحدثكم عنها، ولكنكم لن تستطيعوا أن تحتملوها الآن، ولكن متى جاء (روح الحق) فإنه سوف يرشدكم إلى كل الحق لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمعه ينطق به، ولسوف يخبركم بأمور آتية»، وهذه الفقرة تكاد أن تنطبق فى معناها على ما جاء فى (سفر التثنية) الفقرة ١٨ من الإصحاح ١٨ التى نصت على «واجعل كلامى فى فمه فيكلمكم بكل ما أوصى به»، أى أن الإنجيل والتوراة قد وجها الأنظار بنوع خاص إلى (نبى أو رسول) سيأتى بعد (موسى) وبعد (عيسى) لا يتكلم من نفسه بل ينقل ما يسمع ولقد زاد إنجيل يوحنا فوصف هذا الرسول (بروح الحق)، والحق هو من أسماء (الله) وروح الحق، هو رسول الحق، وقد وصفه القرآن الكريم، فقال فى سورة النجم الآيات ٣، ٤، ٥ ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، علمه شديد القوى﴾ ثم نجد نفس المعنى يتردد فى سورة المائدة الآية ٦٧ ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾ ثم ألم يقل الله سبحانه وتعالى (لمحمد) ﷺ فى سورة آل عمران الآية ١٢٨ ﴿ليس لك من الأمر شىء﴾ ثم نجد فى سورة الجن الآيات ٢١ إلى ٢٣ وصفًا لمهمة (محمد) ﷺ ﴿قل إنى لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا، قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدًا - أى ملجأ أو ملاذًا - إلا بلاغًا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدًا﴾.

ثم ألم يقل الله تعالى فى سورة الأنعام الآية ٥٠ ﴿قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ﴾.

وكل ما نستشهد به هنا من قرآن كريم وما ورد فى الإنجيل، والتوراة يشير إلى (محمد) ﷺ، وهنا قد يتساءل البعض كيف أدّعى إذن أن (الأناجيل) موضوعة وليست منزلة ثم استشهد بها، ولكنى أعترف بأن (التوراة) التى بين أيدينا إنما هى موضوعة، وليست هى التى أنزلها الله على (موسى)، فقد كتبت أول أسفارها بعد (موسى) بـ ٢٥٠ سنة، كما أن الأناجيل قد كتبها كتاب عديدون كما ذكرنا من قبل ولكن الرد على ذلك، أن الله سبحانه وتعالى أعمى بصيرة كتاب التوراة، والأناجيل فتركهم يشيرون إلى رسول يأتى بعد موسى، وعيسى ويحمل رسالة ثابتة إلى الأبد، ثم إن اليهود من كتبة التوراة ورواتها كانوا يظنون أن هذا (الرسول) سيكون من سبط داوود، كما أن كتبة الأناجيل ونساخها من المسيحيين، كانوا يظنون أن المسيح سيقوم مرة أخرى وينزل إلى الأرض حاملاً هذه الرسالة الأبدية، فتركوا الإشارة إلى رسول يأتى برسالة ثابتة ظانين أن هذا الرسول سيكون من بين ظهرانيهم، فخيب الله رجاءهم ونقل رسالته إلى أبناء عمومة اليهود (بنى إسماعيل).

ونلاحظ أيضًا أن الله سبحانه وتعالى قد غضب على بنى إسرائيل فأرسل إليهم (بختنصر) الذى جعل بلادهم خرابًا ودمارًا، ونقلهم إلى بابل عبيدًا أذلاء لأنهم كما جاء فى إنجيل متّى الإصحاح ١٥ الفقرة ٨، ٩ ما ترجمته عن الانجليزية «ولسوف يقترب الناس منى بفمهم ويكرموننى بشفاههم، أما قلوبهم فبعيدة عنى، وبالباطل يعبدوننى ولا جدوى من وراء قيامهم بتعليم تعاليمى ووصاياى للعالم»، ولقد ندد المسيح عليه السلام بالكهنة والكتبة والفريسين، كما ورد فى إنجيل متّى الإصحاح السابع من

الفقرة ٢١ إلى ٢٣ «ولن يدخل ملكوت الله وجناته كل من جاءنى وقال يارب يارب، ولكن من يفعل إرادةَ أبى الذى هو فى السماوات يدخل الملكوت، ولسوف يأتى إلىّ كثيرون ويقولون لى يارب يارب ألم نتنبأ باسمك ونخرج الشياطين باسمك ونصنع العجائب باسمك، ولكنى أجيبهم أنى لا أعرفكم اذهبوا عنى يا من فعلتم الإثم ولم تلتزموا بالعدل»، وهذا القول الذى جاء فى الإنجيل المنسوب إلى متّى ترديد لنبوة أشعياء الذى ظهر كتابه بعد موت موسى بأكثر من ٤٠٠ سنة والذى يعتبره اليهود جزءاً من التوراة، إذ قال أشعياء فى السفر ٢٩ فقرات ١٣ - ١٦ ما ترجمته عن الإنجليزية «ولقد قال الرب وبقدر ما يقترب هؤلاء الناس منى بأفواههم ويكرموننى بشفاههم بقدر ما هم يبتعدون عنى بقلوبهم حتى أصبح تباعدهم عنى وجفوهم منى وصية للناس يوصونهم بها.

«وعلى ذلك سأبدأ فى صنع أمر عجيب بين هؤلاء الناس، بل هو معجزة سأمحى حكمة الحكماء من بينهم، وأطمس معرفة أصحاب الفطنة منهم. ويل لهؤلاء الذين يتعمقون محاولين أن يكتموا رأيهم عن الرب فلسوف تذهب أعمالهم إلى الظلام ثم يقولون من يرانا ومن يعرفنا».

هكذا ساء حال الزعماء الدينيين فى أيام عيسى كما ساءت فى أيام أشعياء فقرر الله سبحانه وتعالى أن ينقل النبوة والرسالة من ذرية إسحاق إلى ذرية إسماعيل وأكد هذه الحقيقة الإنجيل المنسوب إلى متّى فى الإصحاح ٢١ الفقرتين ٤٢، ٤٣ إذ قال «ألم تقرأ ما فى الكتاب المقدس أن الحجر الذى رفضه البناءون يصبح حجر الزاوية، وأركون البناء هذا من أمر ربى، وأنه لأمر جليل، وعلى ذلك أقول لكم إن ملكوت الله سوف ينتزع منكم ويعطيه الله لأمة تستطيع أن تنشر ثماره على العالمين».

والمقصود من الحجر، هو الرسالة التى عهد بها الله إلى بنى إسرائيل، فلفظوها فقام بنقلها إلى بنى إسماعيل وحملوها ونشروا ثمارها الطيبة على العالمين وقد أشار سيدنا محمد ﷺ إلى أنه كان اللبنة التى أكملت البناء وأتمته، وكان فى نفس الوقت آخر لبنة فيه، أى أنه كان آخر الأنبياء والمرسلين وإذا أردنا تأكيدًا من القرآن لانتزاع النبوة من بنى إسرائيل وتحويلها إلى بنى إسماعيل نجده سبحانه وتعالى يشير فى سورة آل عمران ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرًا لهم﴾.

نحن عندما نقتبس ما ورد فى التوراة أو الإنجيل من تنبؤات عن مقدم محمد ﷺ، نعرف مسبقا أن التوراة على هيئتها الحالية، ليست هى التى أنزلت على موسى، فقد استغرق تحرير التوراة التى بين أيدينا قرونا عديدة تبدأ من القرن العاشر ق. م. حتى القرن الأول بعد الميلاد، علما بأن تسجيلها بدأ على هيئة تراث شعبى بعد موت سيدنا موسى بحوالى ٢٥٠ سنة، فإذا كان موسى عليه السلام قد وجد على حسب ما يدعيه اليهود فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فإن كتابتها تكون قد استغرقت ما بين ١٠ إلى ١١ قرنا قبل الميلاد، ثم أعيدت كتابتها بعد ذلك حتى القرن الرابع بعد الميلاد، أما من ناحية الإنجيل فنحن نعرف أيضًا أن له صورا رسمية أربعة، تنسب كل صورة إلى شخصية يشك كل الشك فى أنها ساهمت فى كتابة الإنجيل المنسوب إليها، ومعنى ذلك أن أتباع موسى وعيسى عليهما السلام لم يحفظوا ما أنزل الله سبحانه على الرسولين الكريمين من تحريف وتعديل، بل من إبادة ثم عادوا فجمعوا

المادة وكتبوها من جديد، ولا شك أنهم انحرفوا عما أنزل فعلا على هذين الرسولين العظيمين، وبالتالى يجب أن نأخذ ما ورد فى النسخ الموجودة من التوراة والأناجيل بحرص وحذر شديدين، ونحن عندما نفعل ذلك إنما نقتبس مما ورد فى هذه الكتابين - اللذين يعتقد اليهود والمسيحيون أنهما من لدن الرحمن - ما يفيدنا فى الاستشهاد على صحة ما نذهب إليه لتبيان الحقيقة أمام معتنقى هاتين الديانتين من الذين يعتقدون بأن الله أنزل ما ورد بالتوراة والإنجيل عن هيئتهما الحالية.

واليهود عند كتابتهم الفقرة ١٨ من الإصحاح ١٨ من سفر التثنية قد عنوا من وراء ذلك أن يكون هذا الرسول الذى تنبأت به هذه الفقرة (تأكيدا للفقرة ١٥ من نفس الإصحاح ومن نفس السفر) يهوديا من بنى داوود، على أن المسيحيين استغلوا نفس هاتين الفقرتين وذهبوا فى تأويلهما إلى أنهما يعنيان عيسى عليه السلام، وقد قمنا بدورنا بفحص هاتين الفقرتين بغض النظر عن سلامة أصلهما ووجدنا أن عيسى لم يكن مثل موسى إنما كان محمد مثل موسى.

ثم نأتى إلى الفقرة ٧ من الإصحاح ١٦ من إنجيل يوحنا كما نأتى إلى فقرات أخرى من نفس الإنجيل، فنجدها تتحدث عن روح الحق أو الرسول الذى يأتى بعد عيسى، وكان يسمى فى الأصل الذى ترجم عنه من اليونانية بالفارقليط، ولقد ترجمت هذه الكلمة أحيانا بالمعزى، وأحيانا بروح الحق، وأحيانا برسول، وهذه الكلمة باليونانية PARKLETOS وقد ترجمت إلى الفرنسية PARACLET، ولكن ما معناها الحقيقى؟

لقد شرح الإنجيل المنسوب إلى يوحنا معنى كلمة الفارقليط، بأنه روح القدس، وذلك فى الإصحاح الرابع عشر الفقرة ٢٦ إذ قال ما ترجمته (والفارقليط هو روح القدس الذى يرسله الأب باسمى، سوف يعلمكم الأشياء كلها، ولسوف يجعلكم تتذكرون كل ما قلته لكم) ثم يشرح نفس الإنجيل فى الإصحاح ١٥ فقرة ٢٦ الفارقليط، بأنه شاهد إثبات، فأشار بأنه سوف يشهد له ولكن كيف نجمع بين هذين المعنيين وبين ما جاء فى الفقرتين السابعة والثامنة من الإصحاح ١٦ إذ نص فيهما على أن المسيح إذا لم يرحل، فإن الفارقليط لن يأتى، وإن مجيئه يتوقف على رحيل عيسى بن مريم، كما أشار إلى أنه سوف يبين للعالم ماهية الخطيئة، كما سينشر العدل والأمان بين شعوب الأرض قاطبة، ونجد نفس هذا الإنجيل المنسوب إلى يوحنا مرة أخرى ما جاء فى سفر التثنية خاصة الفقرة ١٨ من الإصحاح الثامن عشر، إذ تقول (إنه لن يتكلم عن إرادته، بل سيردد ما يسمعه) أى أن هذا الفارقليط لن يكون إلا بشرا ورسولا يسمع أقوالا من رسول آخر هو روح القدس الذى يكون صلة الوصل بينه وبين الخالق.

والواقع أن كلمة فارقليط، لا تعنى إطلاقا روح القدس، كما جاء فى الفقرة (٢٦) من الإصحاح الرابع عشر، إذ كيف يكون وسيطا بين الله وعيسى عليه السلام، ثم يأتى مرة أخرى على هيئة بشر ليقوم بمهمة الرسول المنذر، فى حين أنه ملاك من ملائكة الرحمن، وفى عبارة أخرى تقول كيف يصبح الملاك الذى اتفقنا على تسميته بجبريل «الروح الأمين» بدوره رسولا بين الخالق وخلقه فى حين أنه رسول بين الخالق وبين الذين اختارهم لحمل كلمته إلى عباده.

وكلمة فارقليط اليونانية، والتى وردت فى الإنجيل المنسوب إلى يوحنا فى الترجمة الفرنسية، لم ترد فى غيره من الأناجيل وهذه الكلمة «فارقليط» تتكرر أربع مرات فى الخطاب الأخير الذى ألقاه عيسى على حوارييه فى العشاء الأخير (الفقرات ١٤، ١٥، ١٦ من الإصحاح السادس عشر، والفقرات ١٥، ١٦، ٢٦، من الإصحاح الرابع عشر والفقرة ٧ من الإصحاح ١٦، كما وردت كلمة فارقليط فى الإنجيل الفرنسى فى رسالة يوحنا اللاهوتى الأولى فى الإصحاح الثانى فقرة ١، وكلمة فارقليط، فى الإنجيل المنسوب إلى يوحنا، تعنى روح القدس، فى حين تعنى فى رسالته الأولى الرسول أو المسيح، ومعنى هذه الكلمة لدى اليهود اليونانيين فى القرن الأول بعد الميلاد والذى كتب فى نهايته الإنجيل المنسوب إلى يوحنا، وسيط أو رسول، وفى ضوء ذلك يستقيم المعنى فى الإنجيل إلى يوحنا، إذ يعنى قول المسيح أن الله سبحانه وتعالى سيرسل رسولا قادرا على هداية العالم من بعد عيسى، ويؤكد هذا المعنى ما كان قد أشارت إليه التوراة فى سفر التثنية، سواء فى الفقرة ١٥ أو الفقرة ١٨ من الإصحاح الثامن عشر أو ما ورد فى الإنجيل المنسوب إلى يوحنا نفسه عندما أشار إلى أن هذا الرسول (لن يتكلم عن إرادته، بل سيردد ما يسمع ويعرفكم بكل ما سيأتى).

ونحن عندما نرجع إلى النص اليونانى، إنما نستند إلى النص الأساسى الذى كتب به إنجيل يوحنا لأول مرة، والمعروف باسم NOTUM TESTAMENTUM YREECE طبعة نستلى والاند NESTLE ET ALAND عام ١٩٧١.

أما الترجمة السريانية ، فقد كتبت بعد القرن الرابع أو الخامس وقد اكتشفها LEWIS S.AGNES عام ١٨١٢ بدير سانت كاترين بسيناء، وقد وجد أنها تحمل كلمة الروح القدس فى الفقرة ١٤، وفى الإصحاح السادس عشر، والفقرة ٢٦ من الإصحاح الرابع عشر، وقد حاول أحدهم وضع كلمتين أخريين مكانهما، ولكن بعد مسح الصفحة ظهرت كلمة الروح دون كلمة القدس، ولا شك أن إسناد السمع والكلام إلى الروح فيه شىء من التصور والخيال، فالسمع والكلام من شيمة الإنسان، ولا شك أن كلمة يتكلم أو يتحدث تعنى الاتصال بالناس سواء عن طريق المقابلة الشخصية أو الجماعية، ومثل هذه المقابلة المادية مع الناس ليست من طبيعة الروح خاصة وأن الفعلين اليونانيين اللذين وردا فى الإنجيل الأصلى المكتوب باليونانية يعنيان كائنا يتمتع بحاسة السمع وبجهاز الكلام، وتطبيق ذلك على الروح القدس فيه تخريج كبير، ولكن إذا ما رجعنا إلى الأصل فى الفقرة ٢٦ من الإصحاح ١٤، وجدنا فارقليط، قد ترجموها بروح القدس، فى حين أنها تعنى وسيطا بشريا، ورسولا ، ومما يؤكد ذلك أن الرسالة الأولى ليوحنا استخدمت كلمة فارقليط فى معنى الوسيط عندما أشارت إلى المسيح باعتباره وسيطا من عند الله إلى الناس، وفى ضوء هذه الحقيقة نستطيع أن نفهم ما عناه كاتب إنجيل يوحنا عندما قال على لسان عيسى عليه السلام «سأبتهل إلى الله أن يرسل لكم فارقليطا آخر» أى رسولا من البشر بين الله وخلقه.

وخلاصة القول أن كاتب إنجيل يوحنا قد أشار إلى رسول آخر يأتى بعد عيسى من بنى البشر

يسمع ويتكلم، يسمع كلام الله ثم يردده دون زيادة أو نقصان على مسامع البشر قاطبة. وليس لطائفة معينة من اليهود، ويبدو لى أن الكنيسة المسيحية كانت تتمنى أن يكون المسيح هو خاتم الأنبيـاء والمرسلين وبالتالى أمرت عند إعادة نسخ يوحنا بإضافة كلمة الروح القدس، وليست هذه الإضافة بالوحيدة فقد عدلت الأناجيل وحرفتها بما يتلاءم وظروف الكنيسة عندئذ.

الفصل الثالث

محمد رسول الله ﷺ

لقد بشر عيسى عليه السلام فى إنجيله بمجيء من أسماه بالمعزى أو روح الحق أو الرسول، أو الفارقليط، وقد ولد فعلاً هذا الرسول الذى بشر به هذا الإنجيل فى شبه جزيرة العرب عام ٥٧١ م، وكان الناس فى أيام مولده قد نسوا فعلا الدين الذى أرسله الله على يد موسى، ثم أكده على يد عيسى، بعد أن خرجوا على الشريعة واتبعوا عقائد محرفة، ومذاهب مشوشة، ليس فى قطر واحد، بل فى جل الأقطار، وبعد أن انتشر الإلحاد والشرك فى أنحاء العالم. وقد ولد هذا الرسول من سلالة إسماعيل، وكان الناس فى ذلك الحين من عبدة الأوثان، كما كانوا يشركون بالله سبحانه وتعالى، بل كانوا فاسقين تغمرهم خطاياهم وخرافاتهم التى لاحدود لها. كانوا لا يعترفون بقانون، إلا قانون الغابة والمصادفة والفطرة وكانوا قبائل شتى ضربت عليهم البداوة يتنازعون فيما بينهم على أبسط الأشياء.

ولد محمد ﷺ، بين هؤلاء القوم، وشاهد ماهم عليه من جهل وإشراك، وكلما تقدم به العمر، كلما ثقل قلبه حزنًا على قومه، وأسفا على ما آل إليه العالم من حوله، وكان يمضى الساعات الطويلة يناجى نفسه، ويتفكر فى الهدف من هذه الحياة، ولماذا خلق الله الإنسان، ولماذا كان أهله على هذه الشرور والخطايا، وكان يمنى نفسه أن يرى أهله وهم يسيرون على هدى الله وصراطه المستقيم ومعهم هؤلاء الناس الذين أوغلوا فى الرذيلة، وابتعدوا عن طريق الله. شب محمد ﷺ ليكون الإنسان الذى يختاره الله رسولاً إلى العالم أجمع، إنها حكمة الله أن يختار من بين أرذل خلقه إنسانًا ينير طريق العالم إلى الخير والسلام، وكان محمد ظاهرًا مرموقًا بين أهل الجزيرة العربية، لما كان عليه من خصال حميدة نقية، وأخلاق كريمة لم يدنسها دنس مما كان يجرى من حوله من موبقات، وكان يستمسك بالصدق والأمانة، ويعطف على المرضى والفقراء والمساكين وشاعت أمانته وصدقه بين الناس، حتى أسموه بالأمين.

شب هذا الرجل -ﷺ- البرئ من الخطايا، المعصوم من الرذيلة، وهو يتفكر فى قومه وفى العالم، ويناجى نفسه وربه، ويمعن الفكر فى الحياة، وهل الحياة مجرد لهو وشهوة أو لها هدف وغرض؟ وكيف شط الناس ومالوا عن هذا الهدف، ولما بلغ الأربعين من عمره نزل عليه الوحى (جبريل) عليه السلام، وغمر قلبه بنور الحق، إذ اختاره الله رسولاً إلى الإنسانية، بعد أن أشرف على تربيته وتنشئته وسط محيط ملئ بالموبقات.

بدأ محمد ﷺ بقومه محاولا أن يقربهم من الله سبحانه وتعالى، ويهديهم إلى المعبود الواحد الحق، وأخذ ينادى بأن الله الخالق لكل شيء، المهيمن على كل شيء، وسعت رحمته كل شيء، وراح يجاهد

قومه ويحاورهم ويناشدهم أن يبتعدوا عما اعتادوا عليه من شرور وآثام وقسوة وجبروت، ويحثهم على أن يحبوا بعضهم بعضًا، وأن يتعاونوا فيما بينهم من أجل الخير وسعادة الإنسان.

أهاب محمد ﷺ بقومه أن يعتنقوا الدين الحق الذى يقوم على مواساة المحزونين، والعطف على المساكين، وسد حاجة المحتاجين وخدمة الإنسان للإنسان، فى غير أنانية أو منفعة شخصية، وأن الطقوس العقائدية التى كان قومه يزاولونها لا فائدة منها إطلاقًا، بل يجب على الإنسان أن يدرب نفسه، وينظم سلوكياته، بحيث يميل إلى الحق ويسانده ويعمل من أجل خير الآخرين، ﴿أرأيت الذى يكذب بالدين، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾، وهكذا ضرب محمد ﷺ بمعوله الأساس الذى شيدت عليه مشاعر السيادة الكاذبة التى تقوم على الجنس أو اللون أو الطبقة، معلنًا فى نفس الوقت مساواة الإنسان لأخيه الإنسان ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير﴾.

ولقد قوبل محمد ﷺ من شعبه، بنفس ما قوبل به الرسل والأنبياء الآخرون الذين سبقوه، فقد لفظته قريش، وتنكر له هؤلاء الذين لهم مصالح فى إبقاء الأشياء على وضعها، ونالوه بأقذع السباب، وبأقصى التعذيب، ولقد مات الكثيرون ممن صدقوه وآمنوا به ميتة مبتسرة، بل حاول قومه قتله، وأنابت كل قبيلة شخصًا من أبنائها، ليشترك فى اغتياله ﷺ ومع ذلك كله تحمل محمد ﷺ كل ذلك لثلاث عشرة سنة، لا يشكو إلا لربه، وأخيرًا ترك المدينة التى ولد فيها وترك قومه الذين أنكروه ورحل إلى المدينة (يثرب)، وكان عدد كبير من أهلها قد اعتنق الإسلام، وصدقوا الرسول ﷺ وآمنوا برسالته.

كانت هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة نقطة تحول فى حياته، إذ استقبله أهلها ونصروه على أعدائه، بل جعلوه رئيسًا عليهم، ﴿وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ وقد أدخل محمد ﷺ الكثير من التغيرات الأساسية على حياتهم إلى جانب نجاحه فى تغيير مشاعرهم الشخصية، وتعديل سلوكياتهم واتجاهاتهم، بل قام بتطبيق المعانى الاجتماعية لرسالته، وكان مما أحدثه أنه رفع المرأة درجات ليساويها بالرجل، وأخذ من الناحية العملية فى إلغاء الرقيق، وحرم جميع المشروبات الروحية، والميسر، ومنع جميع أشكال الاستغلال المختلفة، وقضى على الوساطة بين الإنسان وربه، وأظهر تسامحًا كبيرًا مع من لم يعتنق الإسلام، بل منح الحرية الدينية لجميع الأفراد والطوائف، وطبق الشريعة بحدودها، وبشكل لم يعهده البشر من قبل، وراح يعمل من أجل سعادة المدينة ورخائها وأقام فيها نوعًا من الإدارة، تميز بالعدل والرحمة وكان مما أدخله رسول الله على أهل يثرب، مؤاخاتهم لغيرهم من النازحين إلى مدينتهم، وبالتالى نشر الإخاء العالمى بين الناس على غير أساس من الطبقية أو الجنس أو اللون أو اللغة أو الثروة، وكان لا يفضل بينهم إلا من أظهر حماسًا أكثر فى خدمة الله الواحد القهار، وفى خدمة الإنسانية والمجتمع وبعد أن أتم رسول الله ﷺ مهمته وأدخل كل هذه التعديلات على المدينة رحل عن هذا العالم الذى جاءه رسولاً، وكان ذلك فى عام

٦٣٢ م تاركًا وراءه القرآن الكريم الذى أنزله الله عليه، كما ترك سنته التى أستنها بفضل من الله، لتكون مرشدًا للناس فى جميع الأزمان والأحوال.

الأخلاق المثالية:

عاش محمد ﷺ، حياة ينطبق عليها بحق وصف الأخلاق النورانية، وكان نموذجًا لا مثيل له للإنسان فى مختلف مناكب الحياة، وقد وصفه الله تعالى فى سورة الأحزاب فقال: ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا﴾ آية ٢١، كذلك وصف رسالته فى الآيتين ٤٥، ٤٦ من نفس السورة ﴿يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا﴾.

وقد عاش محمد ﷺ طيلة حياته متمسكًا بخلق القرآن الكريم، وكأنه يضرب المثل بنفسه على ما ذكره الله فى كتابه العزيز من فضائل وخصال حميدة، ولما سأل الناس عائشة زوجته، عن أخلاق سيدنا محمد ﷺ، كان جوابها «كان خلقه القرآن»، ولما أمتد الحديث وطلب السائل أن تفسر له هذا المعنى بضرب أمثلة من القرآن، ضربت له الأمثلة العديدة شارحة أحداثًا جرت لرسول الله ﷺ وسلك فيها سلوكًا لا مثيل له.

وإذا قلنا إن محمداً عليه الصلاة والسلام ناصع الصفحة لم يقترف إثمًا أو معصية، نكون فى الواقع قد وصفنا رجلا باع نفسه وروحه لله تعالى، رجلا قهر الشهوة والرغبة، وعاش من أجله سبحانه وتعالى يعمل بإرادته وأوامره، لقد قال عز وجل فى سورة الأنعام آية ١٦٢ ﴿قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين﴾، أو كما وصفه القرآن الكريم بأنه ﴿رحمة للعالمين﴾، فقد كان رحيمًا ﷺ بالأصدقاء والأعداء على حد سواء. ألم يقل ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه». كان هذا الشعار بمثابة نصيحة ينصح بها أتباعه، وكان شاغله الأكبر هذا الفساد الذى انتشر بين الناس وما انزلقت إليه أخلاقهم، حتى بلغت الحضيض وكان يحزن حزنًا شديدًا عندما كان يضطر بوصفه رئيسًا للدولة، (أى رئيسًا لمجتمع المدينة)، أن يصدر أمرًا بعقاب شخص، إحقاقًا للحق والعدل، أو من أجل تأمين سلامة المدينة ضد الخونة، ولكنه فى نفس الوقت لم يرفع أصبعًا ضد أى فرد من الأفراد، إذا كان هو المجنى عليه، ولقد سأله بعضهم فى لحظة حرجة أن ينزل اللعنات على أعدائه ومضطهديه، فقال حديثه «إنى لم أبعث لعانًا، بل رحمة للإنسانية.. اللهم اغفر لقومى» وعندما فتح مكة صفح عن أعدائه جميعًا، (وهذا حدث من أحداث كثيرة) على الرغم من أن هؤلاء الأعداء لم يدخروا وسعًا للقضاء عليه وعلى دينه وعلى أتباعه، وكان منهم القتلة والظالمون ومع ذلك قال لهم «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وهذا مثل عملى على شعاره الذى كان يرفعه دائمًا فى الرحمة بالصديق، والعدو. لقد أتى محمد رسول الله ﷺ، لإصلاح حال البشر، فاكتسب بسلوكه الطيب قلوب العناصر التى كانت تعاديه اجتماعيا وسياسيا، اكتسبهم إليه بالمحبة والعطف، وكان حبه للناس واستعداده لمساعدتهم بكافة الطرق مضرب الأمثال لقد كان أعظم صديق للبؤساء والمساكين والفقراء والمحرومين.

جاهد محمد ﷺ، طيلة حياته فى أن يقود البشرية إلى عبادة الواحد الأحد وأن يغير من سلوك الناس، فيحولهم إلى بشر صالحين، يعرفون فرائضه وأوامره، كان يحاول دائمًا أبدًا أن ينقذ الإنسان من خطاياه وخرافاته، ويدعوه إلى الحق بالقول الحسن والعمل الحسن، ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ سورة البقرة آية ٢٥٦ لقد ترسبت فى نفسه صفات نورانية مما جعل أصدقاءه وأتباعه ومن اقترب منه ينسى نفسه، ويقبل على دعوته ومع ذلك لم يغتر أو يتفاخر، فبقى متواضعًا حساسًا عالمًا بأنه لاشىء أمام الله، ومع أن محمدًا ﷺ، وصل إلى ذروة الأخلاق الحميدة، وقمة الكمال الروحانى، فقد كان دائمًا أبدًا يقول للناس ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد﴾.

محمد ﷺ فى نظر الأجانب:

بدأت الكتابات فى الغرب، تأخذ حجمها المناسب فى محمد ﷺ، بعد أن تولى الأساتذة الجامعيون البحوث والدراسات الشرقية التى كان يهيمن عليها المبشرون ومن على شاكلتهم من رجال الكنيسة، ولقد كتب الأستاذ Huston Smith الأمريكى فى كتابه عقائد الإنسان، والذى قامت دار Mentor بنشره فى صفحة ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٦ يقول عن محمد ﷺ مايلى:

(كان محمد ﷺ كما ترامى إلينا محبوبًا فى دائرته، ذا قلب ناصع، وكان حلو المعشر، لبقًا فى حديثه، وكان لسنوات الحرمان التى عاشها أثر كبير فى نفسه فجعلته حساسًا، لآلام البشر مهما كانت هذه الآلام خافية، ومشاعر الضعفاء مهما كانت تافهة، وعندما ترعرع وشب عوده، تكون لديه إحساس قوى بالشرف والواجب والأمانة، مما جعلهم يطلقون عليه اسم الأمين أحيانًا، والصادق أحيانًا أخرى، والمستقيم أحيانًا ثالثة، ومع شعوره بمشاركة الغير آلامه وأحلامه، فإنه كان يحتفظ لنفسه بأسلوبه فى الحياة، وفى نظرته إلى المستقبل، فابتعد عن المجتمع الذى كان يحيط به والذى كان يتصف بالفوضى والفساد، ولما شب محمد ﷺ عن طوق الطفولة إلى الشبوبية، ومنها إلى الرجولة، كان يشعر بالامتعاض والنفور مما كان يجرى من حوله، من خروج على الشرائع والقوانين، والمشاجرات والمنازعات التى لا طائل من ورائها بين القبائل التى كانت تزور مكة، لحضور أسواقها، وكان يشعر بنوع من الرعب نحو ما يجرى من حوله من فجور ودعارة، وفحش ونفاق، فترك ذلك فى نفسه رد فعل شديد، جعله يتمسك بالفضيلة والأخلاق الكريمة، وفى هدوء كان يفكر ويتمعن. ويقول نفس المؤلف فى صفحة ٢٠٣ (كان العصر الذى عاش فيه محمد يتميز بالسحر، وكان الناس لا يعتبرون شخصًا صالحًا مطيعًا لربه، إلا إذا أتى بمعجزات، ولكن محمدًا ﷺ رفض أن يتمشى مع ما كان سائدًا فى عصره، أو يتاجر بمشاعر الضعف البشرية وسلامة نية البشر، أو على الأصح البلاهة الناتجة عن الجهل، وكان عبدة الأوثان يشوقون إلى أعمال السحر، ويتطلعون إلى علامات إما تدلهم على خير قادم، أو شر مستطير، فكانوا يتشاءمون ويتفاءلون بأشياء لا تملك التشاؤم أو التفاؤل) وكان محمد ﷺ يقول لنفسه «إن الله لم يرسلنى لآتى المعجزات، بل لأعظكم، الحمد لله هل أنا أكثر من رجل أرسله الله رسولاً إليكم»، وكان محمد ﷺ من البداية حتى النهاية متواضعًا يقاوم كل من يحاول أن يمجده أويعظمه أو يسند إليه ماليس

فيه (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) ولكنى بشر وإذا ما كان الشعب من حوله يطلب علامة أو آية فإن محمدًا ﷺ لم يكن يسمح لنفسه بالتحدث عن عظمته، بل عن عظمة الله، وإن على الإنسان أن يفتح عينيه ليرى هذه العظمة، وكان يستشهد بالأجرام السماوية التى تسير فى فلكها ولا تحيد عنه، ودقة هذا النظام الكونى العجيب، والأمطار التى تسقط لتحيى الأرض والشجر الذى يميل من ثقل ما يحمل من ثمار والسفن التى تمخر عباب البحار تحمل الخير للإنسان، وكيف أن ذلك كله من فعل الله، وليس من آلهة قدت من حجارة).

وقد كتب Lane Poole، المؤرخ المشهور، يصف محمدًا رسول الله قائلا (إن الذى يقف وحيدًا يتلقى كراهية شعبه لسنوات عديدة، هو نفس الرجل الذى لم يتخل إطلاقًا عن يد امتدت إليه. كان يحب الأطفال ويحنو عليهم، وما كان يمر بمجموعة منهم إلا علت شفتيه بسمة رقيقة، وضحكت عيناه، ونطق لسانه بكلمة كريمة وكان لصوته حلاوة فقد كان أحد هؤلاء القلائل الذين وصلوا إلى أعلى مرتبة، وصار الحق تبارك وتعالى شغلهم الشاغل طيلة الحياة.

كان محمد ﷺ رسول الواحد الأحد، ولم ينس نفسه ومنزلته، أو شخصه، أو الرسالة التى كانت تسرى فى دمه، لقد راح يبشر أقاربه وعائلته وشعبه بكل كرامة، فقد كان يشعر داخليًا بمنزلته الكبيرة، ولكنه كان فى نفس الوقت متواضعًا كل التواضع، يعرف قدر ضعفه (انظر Lane Poole فى كتابه Table Talk Of The Prophet Mohammed صفحة ٢٩).

وقد أشار العقيد ليونارد، إلى صدق الرسول ﷺ وصدق رسالته، فى كتابه الإسلام قيمته الروحية والأخلاقية، قال (يجب أن نعترف من البداية بأن محمدًا ﷺ لم يكن مجرد أحد هؤلاء المجذوبين الروحانيين أو الهائمين على وجوههم يضيع وقته سدى، بل كان من أصدق وأعمق وأخلص الروحانيين، ليس فى عصره فقط، بل فى كل العصور والأجيال، لم يكن محمد عظيمًا فقط، بل أعظم الناس، ولم يكن مخلصًا أمينًا فقط، بل لم تشهد البشرية شخصًا فى أمانته وإخلاصه، كان عظيمًا ليس فقط كالرسول، بل كوطنى وسياسى، لقد كان رجل دولة، بنى أمة عظيمة، ليس فقط من الناحية الروحانية، بل من الناحية المادية، لقد بنى إمبراطورية، بل أكثر من إمبراطورية، لقد بنى عقيدة، وأتى بدين عظيم، كان صادقًا لأنه كان صادقًا مع نفسه وشعبه، وفوق هذا وذاك كان صادقًا مع ربه، وكان محمد يدرك أن الإسلام عقيدة صادقة قوية، ترفع معتنقها من ظلام الهوة التى تردى فيها الإنسان إلى ملكوت علوى يشع بالنور والصدق «انظر كتابه صفحة ٢٠، ٢١ كما أن لامرتان Lamartine، وهو من أكبر شعراء فرنسا وفلاسفتها، كتب يقول فى محمد ﷺ (لم يحدث من قبل أن كرس إنسان نفسه سواء طواعية أو مضطرا فى سبيل هدف سام، مثلما كرس محمد ﷺ نفسه فى سبيل الإسلام، ولما كان هدفه عظيمًا يفوق تصور الإنسان نفسه ويتمثل فى القضاء على الخرافات التى كانت تفصل بين الإنسان وربه، وفى سبيل تقريب الإنسان من خالقه ودعوة الله أن يعفو عن مخلوقاته ولاستعادة الفكرة الإلهية المقدسة، والتفكير المتزن المعقول وسط الفوضى الضاربة بين المادة والآلهة المشوهة المعروفة بالأوثان التى كانت فى عهده، لم يحدث من قبل أن قام إنسان بعمل يفوق طاقة البشر بأبسط الوسائل والأسباب كمحمد، فلم يكن لديه من أجل تنفيذ فكرته وتحقيق هدفه الأعظم وسيلة غير شخصه فلا مساعد ولا معين غير بضعة

رجال يعدون على الأصابع يعيشون فى ركن من الصحراء، وأخيرًا لم يتحقق لإنسان مثلما تحقق لمحمد ﷺ، فقد أمكنه تحقيق ثورة دائمة وعظيمة فى العالم، ففى أقل من قرنين من ظهور محمد ﷺ ساد الإسلام كعقيدة فى جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، كما غزا خلفاؤه باسم الله سبحانه وتعالى، بلاد فارس وخراسان وآسيا الصغرى، وغربى الهند وسوريا والحبشة، وما كان يعرف باسم القارة الأفريقية وجميع جزر البحر الأبيض المتوسط وأسبانيا وجزءاً من بلاد الفرنجة (فرنسا الآن)، وإذا أخذنا معيارًا لعبقرية الإنسان مثل عظم الهدف وتفاهة الوسيلة وإبهار النتائج، فلن يجرؤ أحد أن يقارن رجلًا من أى عصر بمحمد ﷺ، فغالبية مشاهير الرجال اشتهروا بما يتفاخرون به، من قوة وسلاح، أو من قوانين ولوائح، أو ما بنوه من إمبراطوريات ودول، وهؤلاء المشاهير إذا كانوا قد أوجدوا شيئًا فهذا الشيء لا يزيد ولا ينقص عن شكل من أشكال القوى المادية التى سرعان ما تنقضى وتتهاوى أمام ناظريهم.

أما هذا الرجل محمد، فلم يحرك الجيوش والفيالق العسكرية، بل ابتدع التشريعات والقوانين، وبنى الدول والإمبراطوريات، ورفع الشعوب والأسرات، وأدخل فى دينه ملايين من الناس حتى بلغوا نحو ثلث سكان العالم، وأكثر من ذلك لقد استطاع أن يحرج الآلهة التى كانت منتشرة فى عهده، والعقائد والأفكار والمعتقدات، والكنائس وبيوت العبادة، وجاء بعقيدة روحية، جمعت بين أناس وشعوب اختلفت ألسنتهم وتنوعت جنسياتهم على أساس ما جاء فى الكتاب الأوحد، الذى تحول كل حرف منه إلى قانون، لقد ترك لنا عقيدة إسلامية لا تتمحى شخصيتها، ولا تزول معالمها، تقوم على نبذ الأصنام والآلهة الكاذبة، وعلى محبة الواحد الأحد الخالد الباقى، وهذه العقيدة التى حاربت الإلحاد شكلت فى نفس الوقت أخلاق أتباع محمد ﷺ، ففتحوا ثلث العالم، وانضم سكان الأمصار التى فتحوها إلى العقيدة الإسلامية، إنها والله لمعجزة ليست معجزة إنسان، بل معجزة المنطق السليم والتفكير السليم، إن فكرة التوحيد التى نادى بها محمد وسط نظريات اللاهوت التى أخذت تتضاءل وتنهار، كانت فى حد ذاتها آية ومعجزة، فما أن تحدث هذا الرسول ونطقت شفتاه بالتوحيد، حتى انهارت المعابد القديمة وتلك التى كانت تضم الأوثان والأصنام، وأضاءت شعلة قوية فى ثلث أنحاء العالم، إن حياته وعبادته وتأملاته وشجبه واستنكاره الخرافات التى كانت سائدة فى وطنه، وجرأته فى تحدى شراسة عبدة الأصنام، وثباته وصبره على أذاهم ثلاث عشرة سنة فى مكة، ثم تجلده أمام الازدراء العام الذى وجده من أبناء بلدته، حتى كاد أن يذهب ضحية كيدهم، مضافًا إلى كل ذلك مثابرته على الوعظ والتبشير، وإعلاء كلمته سبحانه وتعالى، ثم خوضه الحروب غير المتكافئة ضد أضداد لا قبل له بها، ثم إيمانه بنجاحه وشعوره بالأمان والراحة خلال ما صادفه من أحداث، كذلك صبره خلال نجاحه وانتصاراته، وحصر كل أهدافه وتوجيهها نحو فكرة واحدة، وعدم سعيه إطلاقًا فى سبيل إقامة امبراطورية له.. ثم إيمانه القوى وصلاته الدائمة التى لاتنقطع بالله وتلقيه الوحى الإلهى وأخيرًا موته وانتصار الإسلام بعد موته، كل ذلك يشهد بأن محمدًا ﷺ لم يكن دعيًا، بل كان رسولاً مؤمنًا برسالته، لقد كان إيمانه بهذه الرسالة قويًا جعله يستعيد العقيدة التى نادى بها إبراهيم والتى تقوم على التوحيد. إن الله سبحانه وتعالى حقيقة نورانية، والتوحيد معناه التعرف على إله واحد وعلى قدرته، وإن الحقيقة النورانية تعنى أن الله تعالى فوق الماديات والمحسوسات، لقد كان محمد ﷺ فيلسوفًا وخطيبًا ورسولاً ومشرعًا ومقاتلاً وجنديا

منتصرًا وقائد فكر ومناديًا بعقيدة نادى بها إبراهيم، تقوم على نبذ الصور والأصنام، وعلى عبادة الواحد القهار، كما كان المهندس الذى ضم حوالى عشرين إمبراطورية فى إمبراطورية روحية واحدة... هذا هو محمد ﷺ، ونحن إذا ما حكمنا عليه بالمقياس الدنيوى الذى نقيس به عظمة الإنسان، حق لنا أن نتساءل هل هناك رجل أعظم من محمد ﷺ؟

وقد نشرت مجلة التايم فى عدد ١٥ يونيو ١٩٧٤ مختارات من آراء المؤرخين والكتاب والعسكريين، ورجال المال والاقتصاد، فى هذا الموضوع بالذات بعنوان: من هم أعظم رجال التاريخ؟ فقال البعض هتلر، وقال البعض الآخر غاندى، وقال غيرهم بوذا، كما قال آخرون لينين، أما Jules Masserman، وهو إمام علماء النفس فى الولايات المتحدة فقال: يجب عندما نختار أعظم الزعماء فى العالم أن نبحث عن ثلاث وظائف أو خصائص متوفرة فيه هى:

١ - توفير الرفاهية لشعبه.

٢ - توفير نظام اجتماعى يشعر الفرد فيه بالأمان والسعادة.

٣ - توفير مجموعة من العقائد.

وقد تتوفر بعض هذه الشروط الثلاثة فى كثير من الزعماء، ولكن هذا الأستاذ ينهى كلامه بهذه العبارة: (زعماء مثل باستير وسولك هم زعماء من الطائفة الأولى، كما أن الناس أعجبوا وأحبوا غاندى وكنفيشيس، كذلك نجد الإسكندر وقيصر وهتلر، من جانب آخر زعماء من الطائفة الثانية، أما موسى وعيسى، وبوذا فهم زعماء من الطائفة الثالثة، ولعل أعظم الزعماء فى جميع الأوقات هو محمد ﷺ الذى جمع بين الشروط الثلاثة).

محمد -ﷺ- وعيسى:

التاريخ: إذا حاولنا أن نقارن فردًا بفرد آخر قد نجد المقارنة فى بعض الأحيان كريهة إلى النفس، وحتى إذا ما صممنا على أن نقيم هذه المقارنة، فسرعان ما نجد أن عيسى الذى ورد اسمه فى الأناجيل، لا يمكن أن يقارن بمحمد ﷺ، فبينما نجد محمدًا ﷺ شخصية تاريخية حقيقية، حفظ لنا التاريخ كل تفاصيلها فى كتب موثوق بها، نجد أن حياة شخصية عيسى قد تسربلت فى عباءة من الغموض، فهناك كثير من الأساتذة المسيحيين الذين يرفضون فكرة الوجود التاريخى لعيسى ويعتبرونه شخصية أسطورية، وحتى إذا ما اعتبرنا هذا الرأى متطرفًا ومجافيًا لما نعتقد فيه من أن سيدنا عيسى قد ولد فى فلسطين فعلًا، فإن معلوماتنا عن المسيح ضئيلة وغير مؤكدة، وليس لدينا صورة واضحة عن حياته وشخصيته، بل هناك أيضًا بعض الشكوك فى تاريخ ميلاده ومكان ولادته، وكيف كانت حياته الأولى، حتى بلغ الثلاثين من عمره، كما أن رحيله عن هذه الحياة قد تناولته الخلافات والمنازعات المسيحية، فالأناجيل لا تسرد علينا إلا ما حدث له فى بحر سنتين من عمره، وحتى هذا القليل الذى تسرده يخضع للشك والنقد التاريخى ويقول الدكتور C.J. Cadoux الذى كان أستاذًا للتاريخ المسيحى فى أكسفورد بكلية Mackeneal، إن الكثيرين من الأساتذة والنقاد المحدثين، يجدون فى محاولة الفصل بين الصورة التاريخية، والصورة اسطورية اللتين وردتا بالأناجيل من أجل بناء قصة

عيسى المسيح على أسس تاريخية حقيقية عملاً ميئوسًا منه، فهو يبدو مما جاء فى الأناجيل شخصية غامضة مجدتها هذه الأناجيل بقصد تثبيت وجودها.

المثل الكامل:

أما إذا أخذنا القرآن الكريم أساسًا للبحث فى شخصية عيسى ومحمد ﷺ، فنجدهما رسولين على قدم المساواة، ونجدهما رجلين صادقين نبيلين ملهمين، على أن عيسى لم تسنح له الفرصة ليكون مثلاً كاملاً - يحتذيه البشر - لما يجب أن يكون عليه الإنسان فى مختلف مناكب الحياة، فى حين أن محمدًا كان قدوة ومثلاً ونحن لا نشك فى أن عيسى لو كانت قد سنحت له الفرصة والزمن لكان قد سلك مثلما سلك محمد الرسول ﷺ فكلاهما رسول من عند الله، ولتفسير ذلك أقول:

«لم تسنح الفرصة لعيسى لكى يتزوج فيصبح قدوة للأزواج نقتدى به، أو قدوة للآباء نقتدى به، كذلك لم ينتصر عيسى على أعدائه، وبالتالى لم تسنح له الفرصة ليرينا كيف يكون تصرف المنتصر نحو عدوه الذى لم يأل جهدًا للقضاء عليه وعلى أتباعه، كذلك لم تسنح الفرصة أو الوقت لعيسى بأن يتقدم إليه أعداؤه ومضطهدوه ويطلبون رحمته وعفوه، وبذلك لم يكن قدوة نقتدى بها فى مجال الصبر والعفو، ولم يرتفع عيسى إلى السلطة فيصبح حاكمًا نزيهًا مثاليًا رحيمًا عادلاً، ويرينا كيف يكون الحاكم العادل المثالى، كذلك لم تسنح له الفرصة أو الوقت ليكون قاضيًا بين الناس، ولكن محمد ﷺ كان حاكمًا وكان قاضيًا وكان كل ذلك».

يجب أن نتجه نحو محمد ﷺ، وليس نحو عيسى، إذا ما أردنا أن نجد صورة للزوج الصالح، والأب المربى الفاضل، ورب البيت السعيد، والحاكم العادل الرحيم الذى لا تستهويه مادة، ولا يقبل رشوة، بل ضرب لنا المثل للحاكم الذى يحكم بالعدل، لقد شهد محمد ﷺ ألوان الاضطهاد، وأعظم صور النجاح، لقد أظهر فى كل حالة صبرًا منقطع النظير، وجَلَدًا لا مثيل له، وشجاعة لا تبارى، وحبًّا لأعدائه وعطفًا عليهم، بوصفه داعية ذاق ألوان الاضطهاد، وعاش ساعات بل أيامًا كلها يأس، ومع ذلك احتفظ برباطة جأشه، وكان قدوة فى ذلك، وأظهر الرحمة نحو ألد أعدائه، وهم بين يديه لا يستطيعون مقاومته، حتى كان قدوة فى ذلك، ولكن لم تسنح الفرصة لعيسى بأن يطبق الكثير من مبادئه وآرائه، بل العكس فقد أمر أتباعه أن يبيعوا ملابسهم ويشتروا بأموالها سيوفًا (انظر لوقا ٢٢ فقرة ٣٦)، ولكنه لم يرينا متى وأين يستعمل السلاح، متى يكون الاستسلام، وكيف نقاوم الطغيان والعدوان، وقد تصبح هذه المقاومة شاغلنا الشاغل، فمثلاً إذا ما اعتدى أحد على شيوخنا البؤساء، أو نسائنا الضعفاء، أو أولادنا المساكين، وأخذ يذبح فيهم أو إذا ما اعتدى أحد على حريتنا الدينية وحرمنا من أن نزاول طقوسًا، أو منعنا من أن نزاول عباداتنا، فما هو الحل؟ لقد كان الرسول محمد ﷺ، الشخص الذى أرانا كيف يكون الجندى الحق مخلصًا لله حاميًا للضعفاء، لقد آرانا كيف يكون الكر والفر فى ساحة القتال، والصبر فى أوقات الهزيمة والنصر.

كانت حياة عيسى مثل حياة محمد ﷺ، فى أول عهده بالرسالة، ولكن عيسى لم يمتد به العمر ليقدم

لنا صورة عملية لتعاليمه ودعوته، أو للتطبيقات الاجتماعية والاقتصادية لرسالته كما لم تسنح له الفرصة لينشر تعاليمه ويوسع مداها حتى تشمل أغلبية المواقف الإنسانية فى الحياة، أو أن يحاول القيام بالإصلاحات الاجتماعية العظيمة التى قام بها محمد ﷺ وإن إنسان اليوم الذى يحاول أن يعيش كابن فى عائلة، أو زوج أو والد، أو عامل بسيط، أو مواطن أو جار، أو مدافع عن أفكار جديدة وطرق جديدة، أو ضحية لاضطهاد دينى أو اضطهاد سياسى، أو رجل فى مركز المسئولية، أو قائد ناجح لفريق من الرجال، أو جنديًّا، أو رجل أعمال أو قاضيًا أو حاكمًا، إن كل هؤلاء سيجدون فى محمد ﷺ نعم القدوة ونعم المثل، ففيه تمثلت جميع أنواع قيادات الحياة والمواقف الإنسانية، أما عيسى فلم تسنح له الفرصة ليرينا كيف يكون قدوة لشعبه، وكيف يكون مثلاً يحتذى به فى كل هذه الوظائف الاجتماعية.

الباب الخامس

الفصل الأول

الإسلام والمسيحية

عندما يتعرض العلماء المسلمون إلى الأديان المقارنة بالبحث والدراسة، إنما يتعرضون إليها من ناحية تختلف كل الاختلاف عن نظرة المسيحيين إلى نفس الموضوع. فالمسيحى ينشأ ويترعرع فى جو ملىء بالتعاليم والعقائد التى تنمى فى فكره ووجدانه أن دينه هو الدين الحق، وأن اليهودية جاءت لتعبد الطريق أمام المسيحية، وأن جميع الأديان فيما عدا الدين المسيحى باطلة وغير صحيحة، وأن الله لم يصطف غير أبناء إسرائيل وحدهم، لإبلاغ رسالته إلى شعوب الأرض، وبالتالى يعتقد المسيحى بأن الأنبياء والرسل من غير بنى إسرائيل منافقون مدعون كاذبون، ولا يقف الأمر عند هذا الحد فنجد الإرساليات - المسيحية فى أفريقيا وآسيا وجميع القارات الأخرى، تجهد كل الجهد لتصوير أصحاب الرسالات الأخرى غير المسيحية فى صورة الأشرار والمنافقين، ذلك لكى يؤكدوا فى عقول أتباعهم أو من يلوذون بهم والمترددين عليهم، بأن عيسى كان الوحيد المعتمد من بين الرسل جميعًا، ويكفى أن نقرأ كتبهم أو ما قالوه عن محمد عليه الصلاة والسلام، أو ما كتبوه عن الإسلام لنرى طبيعة أفكارهم الدينية المترسبة فى عقولهم من قبل، وكيف أن تحاملهم على الإسلام قد أعمى بصيرتهم عن الحقيقة، بل لم يحجموا عن تعمد الخطأ فى ترجمة القرآن خدمة لأغراضهم، وإذا ما وجدوا ما يتشابه فى دين مع دينهم شعروا بحزن وكآبة، وأسرعوا فى تفسير هذا التشابه بأنه نتيجة تأثير المسيحية فى هذا الدين وكان أولى بهم أن يغتبطوا ويفرحوا.

والمسلمون من ناحيتهم يعتقدون فى أن مبدع جميع الرسالات السماوية هو الله سبحانه وتعالى، بل إن الله أرسل لكل أمة رسولا ليرشدها إلى طريق الحق، والواقع أن الله سبحانه وتعالى الذى خلق العالم وتكفل به ورزق ما فيه من أحياء من إنسان ودواب وحشرات، لا يفضل أمة على بقية الأمم فيختار منها وحدها رسلا للعالم يحملون كلماته وتعاليمه، فكل العالم من خلقه، والمسلم يعتقد فى الرسل الذين أتوا برسالات من السماء، وقد يشعر المسلم بالألم والأسى عندما يدرك أن اليهود والمسيحيين قد تجاوزوا عن بعض تعاليم الله الحقيقة أو غيروا من كلماته وآياته، كما أرسلها عن طريق موسى وعيسى، والقرآن يأمرنا أن نؤمن بموسى وعيسى إيماننا بمحمد، باعتبارهما مبعوثان يحملان رسالة السماء، كذلك أمر القرآن المسلم أن يحترم ويحب موسى وعيسى كما نحترم محمدًا عليه الصلاة والسلام ونحبه.

وعلى ذلك نبدأ هذه المقارنة بين الإسلام والمسيحية، وكلى حب عميق واحترام كبير لموسى وعيسى ورسالتيهما، وإذا كنت اختلف مع تفسيرات اليهود أو المسيحيين، فإنى لا أختلف معهم فى شأن عيسى أو موسى وأسس رسالتيهما السماويتين، ولكن أختلف معهم فيما حوروه من رسالتى موسى وعيسى، وفى السمات التى أطلقوها على موسى أو عيسى حتى جعلوا الأخير إلها. والواقع أنى أجد فى الإسلام والمسيحية الأولى (كما بشر بها عيسى نفسه)، دينين شقيقين لا يفصل بينهما سوى بعض المذاهب الوضعية والتفصيلات التى لا تمس جوهر التوحيد.

الفصل الثانى

أعمدة الإسلام والمسيحية

عندما نتكلم عن المسيحية نعنى هذه العقيدة التى يدين بها أتباع عيسى ، سواء كانوا من الرومان الكاثوليك أو البروتستانت أو الأرثوذكس، وتقوم المسيحية على خمسة أركان أساسية:

١ - التثليث

٢ - ألوهية عيسى المسيح

٣ - عيسى بن الله إله أيضًا

٤ - الخطيئة الأصلية (التى اقترفها آدم)

٥ - الكفارة.

أما الإسلام فلا يعترف بشىء من هذه الأركان الخمسة، والمسلمون يعتقدون فى وحدانية الله، ويعارضون نظرية الثالوث المقدس فى المسيحية، ويرى المسلمون أن تأليه المسيحيين لعيسى إنما هو ردة إلى الوثنية، كما ورد فى القرآن الكريم إن عيسى كان بشرًا ورسولا من قبل الله، مثله مثل أى رسول آخر، ومنهم محمد الذى كان إنسانًا بمعنى الكلمة وليس تجسيدًا لله سبحانه وتعالى، وقد نتسامح فى تسميته بابن الله مجازًا على أساس أن جميع الصالحين هم أبناء الله، ولكنهم ليسوا أبناء عضويين أو حقيقيين، وبنفس القوة يرفض الإسلام نظرية الخطيئة الأصلية، كما يرفض تضحية المسيح ككفارة على ما أتاه آدم عندما عصى الله، كذلك يرفض تأليه عيسى سواء بوصفه شخصًا مستقلا، أو باعتباره ابنا يشارك الله فى ألوهية.

والإسلام يقوم على الأركان الأساسية العقائدية التالية:

١ - التوحيد أو الشهادة بأن الله واحد لا شريك له.

٢ - الشهادة بأن محمدًا رسول الله، وبالتالى يعتقد المسلمون بأن الرسل ما هم إلا بشر أرسلهم الله إلى أمم العالم لهدايتها إلى الطريق المستقيم.

٣ - الاعتقاد بأن الوحى الذى نزل على الأنبياء، إنما نزل عليهم لينير طريق البشرية إلى الحق والصراط المستقيم.

٤ - أن الإنسان لم يرث خطيئة آدم، وبالتالى ليس مطالبًا بدفع الكفارة وأن له قدرة لا حدود لها للتقدم معنويًا وروحيًا عن طريق الاعتقاد فى الواحد الأحد، والتمسك بصدق بتعاليم محمد عليه الصلاة والسلام، واعتقاده فى الرسل الآخرين.

٥ - أن كل فرد مسئول شخصيًا عما يفعل.

٦ - الاعتقاد بوجود حياة أخرى بعد الموت.

٧ - الناس متساوون فى إنسانيتهم، كبشر، ولا يمتاز فرد على آخر إلا بالعمل الحسن وبالتقوى.

التثليث:

نظرية التثليث تقوم على وجود ثلاثة أشخاص (أقانيم)، مستقلين بعضهم عن بعض، ومتميزين بعضهم عن بعض، ويشتركون كلهم فى الألوهية، أى أن هناك الله الأب، والله الابن والله روح القدس، (وكلمة أشخاص ترجمها البعض بـأقانيم، ولكن المعنى الحقيقى شخص أو شخصيـة، وقد لا يفهم الكثيرون كلمة أقنوم، ولذلك يستحسن أن نستخدم كلمة شخص لأن لها معنى محددًا بين الناس)، ويقول مذهب أثناسيوس ما يلى:

(هناك شخص واحد هو الأب، وشخص ثان هو الابن، وثالث هو الروح القدس)

(ولكن ألوهية الأب، والابن والروح القدس، ألوهية واحدة، ولكل منهم مجد يعادل مجد الآخر، وأن جلالة كل منهم أبدية سرمدية مع جلالة الآخرين، فالأب إله، والابن إله، والروح القدس إله، ومع ذلك لا يكونون ثلاثة آلهة، بل إلها واحدًا ونحن مضطرون بوصفنا مسيحيين، أن نعترف بكل شخص على حدة كإله، ويحرم علينا ديننا الكاثوليكى، أن نقول أن هناك ثلاث آلهة أو ثلاثة أرباب).

وهذا البيان الصادر عن المذهب الأثناسيوسى، يناقض بعضه بعضًا، كما لو قلنا واحد + واحد = ١، فإذا ما كان هناك ثلاثة أشخاص إلهية متميزة بعضها عن بعض، كان مجموع الآلهة ثلاثة والواقع أن الكنيسة المسيحية تعترف باستحالة التوفيق بين ثلاثة أشخاص إلهية وشخص أو إله واحد. وبالتالى تعلن الكنيسة أن نظرية التثليث، هى سر كهنوتى يجب أن يؤمن به الإنسان إيمانـا أعمى دون أن يناقشه، وهذا ما يقوله القسيس J. E. DE GROAT فى كتابه CATHOLIC TEACHING: (إن الثالوث الأقدس، هو لغز بمعنى الكلمة، والعقل لا يستطيـع أن يهضم وجود إلـه مثلث، ولكن هذا ما علمنا إياه الوحى؟ وحتى بعد وجود هذا اللغز الذى كشف عنه الوحى لنا، فلايزال من المستحيل على عقل الإنسان أن يعى كيف يجتمع ثلاثة أشخاص فى طبيعة إلهية واحدة) انظر كتاب القسيس سالف الذكر ص ١٠١.

ومن العجيب حقًا أن عيسى نفسه لم يشر إطلاقًا إلى التثليث، بل ولم يقل شيئًا عن وجود ثلاثة أشخاص إلهية فى شخص إله واحد، وكان اعتقاد عيسى فى الله مماثلا تمامًا لمن سبقه من أنبياء بنى إسرائيل الذين نادوا بوحدة الخالق، ولم يشيروا إلى الثالوث، لقد ذكر عيسى ما قاله الأنبياء من قبله عندما قال «أول الوصايا هى اسمعى يا إسرائيل الرب إلهنا واحد».

(وأنتم سوف تحبون الرب إلهكم من كل قلبكم، وبكل وجدانكم ، وبكل تفكيركم، وبكل قواكم، هذه هى الوصية الأولى) انظر مرقص الإصحاح ١٢ فقرتى ٢٩، ٣٠ مترجمة عن الإنجليزية نظرًا لأن الترجمة العربية ركيكة.

وبالتالى نستطيع أن نقول إن عيسى كان يعتقد فى إله واحد، كما هو واضح أيضًا فى عبارته التالية «ثم قال عيسى له فلتعلم يا شيطان أنه مكتوب أنك سوف تسجد للرب إلهك، وأنك سوف تعبده وحده».

والواقع أن نظرية التثليث قد صاغها المسيحيون بعد أكثر من أربعمائة سنة من مولد عيسى، فالأناجيل الأربعة التى تعترف بها الكنيسة والتى كتبت ما بين ٧٠، و ١١٥ سنة بعد مولد عيسى لم تشر إطلاقا فى نصها الأول إلى التثليث حتى بولس الذى استعار الكثير من الأفكار الوثنية وأدخلها فى المسيحية، لم يقل شيئًا عن قداسة الثالوث، وتعترف دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة بأن التثليث لم يكن معروفًا فى العهد المسيحى الأول، وأنه أدخل على المسيحية فى الربع الأخير من القرن الرابع «من الصعب ونحن فى النصف الثانى من القرن العشرين أن نقدم تفسيرًا واضحًا إيجابيًّا لا لف فيه ولا دوران عن الوحى، وعن تطور النظرية، وتفسير لغز التثليث مذهبيا، خاصة وأن المدافعين عن التثليث فى مناقشاتهم، يقدمون كما يقدم الكاثوليك الرومان وغيرهم صورة مهزوزة، فقد حدث شيئان، أولهما نادى المتضلعون فى علم اللاهوت ورجال الدين المسيحى مع أعداد متزايدة من الرومان الكاثوليك، بأنه ممنوع على الفرد أن يتحدث عن التثليث فى العهد الجديد، دون أن يكون مؤهلا لذلك، ويسير مع هؤلاء وعلى قدم المساواة المؤرخون للدين المسيحى والمذاهب الدينية المنبثقة عنه، فكل من يتكلم فى التثليث دون أن يكون مؤهلا لذلك، إنما ينتقل إلى أحداث الربع الأخير من القرن الرابع، ففى هذا الوقت فقط أدخل ما يسمى بالتثليث (إله واحد فى ثلاثة أشخاص)، إلى المسيحية فكرًا وحياة، (انظر دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة طبعة ١٩٦٧ المجلد الرابع عشر صفحة ٢٩٥).

وتقول نفس دائرة المعارف فى عبارة واضحة بعد ذلك بقليل لم تستقر نظرية التثليث «إله واحد فى ثلاثة أشخاص»، استقرارًا قويًّا فى حياة المسيحية وفى العقيدة قبل نهاية القرن الرابع الميلادى، وكانت الصيغة الأولى التى نسبت إليها نظرية التثليث هى «إله واحد فى ثلاثة أشخاص»، ولم يعرف الآباء الرسل قبل ذلك شيئًا يشبه من قريب أو بعيد مثل هذه الفكرة أو هذه النظرية، (انظر المجلد الرابع عشر صفحة ٢٩٩ من دائرة المعارف الكاثوليكية الجديدة، طبعة ١٩٦٧).

ومن هذا نرى أن نظرية التثليث، لم تكن فى عهد عيسى ولا قام بالدعوة إليها، ولا أثر لها فى الكتاب المقدس، سواء العهد الجديد أم العهد القديم، وهى غريبة عن فكر وتصور المسيحيين الأوائل، على أنها أقحمت على العقيدة المسيحية فى حوالى الربع الأخير من القرن الرابع الميلادى.

وإذا ما استعرضنا فكرة التثليث نجدها «ضعيفة للغاية وعرضة للنقد» ولا يقبلها العقل (فمن ناحية نجدها لا تتفق مع المنطق، ويلفظها أى إنسان عاقل، أو كما قلنا من قبل لا تتمشى مع نظرية التوحيد والجمع بينهما خطأ كبير، فإذا ما كان هناك ثلاثة أشخاص متميزين الواحد منهم على الآخر ومنفصلين الواحد منهم عن الآخر، وجب أن يكون هناك ثلاثة جواهر كل جوهر يختلف وينفصل عن الجوهرين الآخرين، نظرًا لأن كل شخص يرتبط بجوهره، ولا يمكن فصله عنه، والآن إذا ما فرضنا إن كان الأب إلها، والابن إلها، والروح القدس إلها، وجب أن يكون لكل منهم جوهر متميز وبالتالى يصبحون ثلاثة آلهة، أضف إلى ذلك أن الأشخاص الثلاثة التى يسند إليها المسيحيون الألوهية، إما أن تكون محدودة أو سرمدية فإذا كانت هذه الأشخاص سرمدية أى خالدة إلى الأبد، فعندئذ وجب أن يكون هناك ثلاثة أشخاص سرمديين متميزين، لهم القدرة الكلية، ويعيشون إلى الأبد حتى يصبحوا

آلهة، أما إذا كانوا محدودين بزمن، فعندئذ نصطدم بفكرة سخيفة تافهة لا يقبلها العقل تتمثل فى وجود كائن أبدى له ثلاث هيئات محدودة أو ثلاثة أشخاص محدودين إذا ما اجتمعوا كونوا فيما بينهم هيئة سرمدية، والواقع أنه إذا ما كانت هذه الأشخاص الثلاثة محدودة وجب ألا يصبح الأب إلها، أو الابن إلها، أو الروح القدس إلها.

ثم تطورت فكرة التثليث نتيجة تأليه شخصين هما عيسى المسيح، والروح القدس، الذى لا نعرف كنهه، وبالتالى تطورت صلتهما بالأب كشركاء فى شركة غير مفهومة ولا داعى لها وكما شرحنا من قبل فى الأدب المسيحى يعتبر التثليث تجسيدًا لاشخاص ثلاثة مستقلة لهيئة الخالق وسواء بحثنا هذا الموضوع من الناحية التاريخية أو من غيرها لا نستطيع إلاّ أن نسلم بأنه ردة إلى الوثنية إذ تقوم جميع العقائد الوثنية على أفكار لا يقبلها العقل الإنسانى تتطلب منه تأليه أشخاص وتجسيد قوى وهيئات غير إنسانية، ثم تقوم بتصويرها على هيئة أشخاص مؤلهة، أما الإسلام فهو يدعو إلى عقيدة بسيطة لا تعقيد فيها فهو يدعو إلى الوحدانية وحدة الإله.. .. والإسلام يقدم لنا فكرة تقوم على أن الخالق منزه عن الصور الإنسانية وعن التصورات التى تقوم على الألغاز والأسرار، والإسلام يؤكد تمامًا أن الله واحد، وأنه لا شريك له فهو واحد أحد، وهو واحد فى جوهره، وهو واحد لا يعتمد على أحد والكل يعتمد عليه، هو الخالق وما عداه مخلوقات، هو الذى يتولى رعاية المخلوقات ويرزقها هو الخير كله، ولا يحيط أحد بشىء من علمه، وهو المحبة والرحمة هو الباقى، هو الخالد السرمدى، وهو الذى لم يلد ولم يولد، وهو الوحدة التى لا تتجزأ ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد﴾ سورة الإخلاص.

﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما فى السموات وما فى الأرض، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم﴾ آية الكرسى ٢٥٥ - سورة البقرة.

ألوهية عيسى المسيح:

النظرية المسيحية الثانية تنادى بألوهية عيسى، ويقول أتباع أثيناسيوس (أنه من الضرورى أن يؤمن الفرد من أجل خلاصه بتجسد الرب إلهنا فى عيسى المسيح). ومعنى ذلك أن عيسى أخذ هيئته المثلة فى جسم الإنسان. والمسيحيون سواء أكانوا من الرومان الكاثوليك أم البروتستانت أم الأرثوذكس، يؤمنون بأن عيسى المسيح إله له الخلد، وأنه الشخص الثانى فى المثلث الإلهى، وأنه منذ حوالى ألفى سنة رأى أن يظهر على هيئة إنسان، وبالتالى ولد من مريم العذراء.

ويقول لنا مؤلف «التعاليم الكاثوليكية» القس j.F. De GRCOT فى ص ١٤٩ (لقد نادت الكنيسة بألوهية المسيح التى نجدها فى أمكنة كثيرة من الكتاب المقدس باعتبارها ركنًا من أهم أركان العقيدة، ولقد ولدت هذه الفكرة فى (مجمع نقيا)، وهو المجمع الأول لرجال الكنيسة بعد الاضطهادات، وقد

حارب المجمع أريوس، الذى كان ينادى بأن المسيح إنسان وقد اجتمع هذا المجمع اللاهوتى فى عام ٣٢٥ ويعرف باسم (مجمع نقيا) ليضع حدًا للاختلافات التى سادت المسيحيين فى حقيقة المسيح، فقد كان بعضهم يراه رسولا ككل الرسل، وكان بعضهم يراه إلها، ولما اشتدت الاضطرابات بين الطوائف المسيحية، جمع قسطنطين إمبراطور الروم البطارقة والأساقفة لوضع حد لهذه الاختلافات، وكان عدد المجتمعين ٢٠٤٨، وقام أريوس المصرى معلنًا أن الأب وحده هو الإله، والابن مخلوق مصنوع، فى حين قاومت كنيسة الإسكندرية التى كانت متأثرة بالفلسفة الإغريقية وبالأفلاطونية، والعقائد الوثنية السائدة، التى تنادى بالتثليث، قاومت آريوس وانضمت إليها كنيسة روما وصار اضطراب شديد بين المجتمعين، فتدخل الإمبراطور مؤيدًا رأى كنيسة روما، وأصدر أمره بإخراج جميع الكهنة والأساقفة الذين ليسوا على وفاق مع رأى كنيسة روما والإسكندرية، وبعدم السماح للمعارضين بحضور المجمع ويقتل أريوس المصرى، وبالتالى اجتمع ٣٠٨ من القساوسة واتخذوا قرارًا بألوهية المسيح، وعند كتابة نص القرار اعترض أكثرهم على عبارات المساواة بين الأب والابن، ولكنهم خافوا أن ينزل بهم قسطنطين ما أنزله بأريوس المصرى انظر J.F.De Groat, Catholic Teaching The Truth of Christ Teaching ص ١٤٩) ونجد مؤلف كتاب حقيقة المسيحية يقول ما يلى فى هذا الموضوع: (من الواضح أن يوحنا فى استعماله تعبير ابن الله وغيره من مؤلفى العهد الجديد، استخدموا هذه العبارة بكثرة لتأكيد أن المسيح كان ابن الله حقيقة، أو الإله الابن بكل معنى هذه الكلمة، انظر W.H. Turton, The truth Of Chtistianity ص ٥٠٧، ولكننا نجد فى مرقص الإصحاح ١٠ الفقرة ١٨ ما يلى: (فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحا ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله)، وهذا يناقض على طول الخط ما ذهب إليه فلاسفة المسيحية الأوائل.

وقد تحدث عيسى عن الإله كما يلى (أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم) انظر يوحنا الإصحاح ٢٠ فقرة ١٧... وهذه الكلمات التى نطق بها عيسى، والتى وردت فى إنجيل يوحنا، تدلنا على أنه فى علاقته بالخالق كان كأى إنسان آخر أى أنه كان مخلوقًا، وإذا ما تذكرنا العبارات التى فاه بها عيسى عند صلبه وهو يتعذب والتى وردت فى مرقص الإصحاح ١٥ فقرة ٣٤ (إلهى إلهى لما شبقتنى - أو تركتنى)، نستطيع أن نتساءل هل حقيقة يستطيع رجل أن يتصور صدور مثل هذه الكلمات من فم إله؟ نحن هنا أمام صرخة عذاب لرجل يائس يتعذب يخاطب خالقه وسيده، ويقول له لماذا نسيتنى (الترجمة الصحيحة لكلمة شبقتنى: نسيتنى)، والله العلى هو خالق كل شىء نتجه إليه فى صلواتنا وفى محنتنا، فكيف نستطيع أن نتصور وجود إله يتجه فى صلواته نحو إله آخر، نجد فى الإنجيل ما يدعم أن عيسى إنسان وليس إله، إذ كان يذهب إلى البرية ليصلى لله تعالى (وفى الصباح صحا عيسى قبل طلوع الشمس بوقت طويل وخرج ذاهبًا إلى مكان خال حيث راح يصلى)، هذه ترجمة الفقرة ٣٥ من الإصحاح الأول فى إنجيل مرقص كذلك ورد فى إنجيل لوقا الإصحاح ٥ فقرة ١٦ ما يلى (ثم انسحب عيسى نفسه إلى البرية وأخذ يصلى).

والواقع أن عيسى عليه السلام لم يدّع إطلاقًا الألوهية، إنما وصف نفسه بالرسول فقد كان رجلًا

كشف له الله عن رسالته فى إرشاد البشرية أو كما ورد فى يوحنا الإصحاح ٨ فقرة ٣٩ و ٤٠ (فأجابوه، وقالوا له إن إبراهيم هو أبونا فقال لهم عيسى إذا ما كنتم أولاد إبراهيم فافعلوا ما كان يفعله إبراهيم، ولكنكم تتداولون لقتلى وأنا الذى قلت لكم الحق كما سمعته من ربى)، وفى الإصحاح ١٧ من نفس الإنجيل الفقرة ٣ نجده يقول (فى هذه الحياة الأبدية أن يعرفوك بوصفك الإله الحقيقى الوحيد وأن يسوع المسيح هو الرسول الذى أرسلته).

ولا شك أن هذه الكلمات التى قالها عيسى حسب ما وردت فى يوحنا تبرهن لنا على ما يلى:

١ - أن هناك جوهر واحد أو إله واحد.

٢ - أن عيسى لم يعرف قط التثليث (وذلك من عبارته أنت الإله الحقيقى الوحيد).

٣ - أن عيسى لم يدّع الألوهية، فقد أشار إلى جوهر آخر قائلاً (إنك أنت الإله الوحيد).

٤ - أن عيسى نسب لنفسه صفة الرسول، إذ جاء فى الإنجيل (عيسى المسيح الذى أرسلته).

وإذا أتينا إلى نظرية التجسد نجد أنها ظهرت مثل نظرية التثليث بعد وقت طويل جدًا من رحيل عيسى، والواقع أننا نستطيع أن نترسم المراحل التى مر بها اسم عيسى حتى نصبه المسيحيون إلهًا، ففى المصدر الإنجليكى المعروفة باسم Q كان المسيح يعرف دائمًا بأنه رسول الله كإنسان حى ولا شىء أكثر من ذلك وفى المصادر المعروفة بإسم Urmarcus، ظهرت أولى محاولات تمجيد شخص المسيح كما عزيت إليه معجزات عديدة، وفى القرنين الأول والثانى قدمته هذه المصادر كملاك عظيم، وأول المولودين من المخلوقات، ولكنها مع ذلك أشارت إليه بأنه مخلوق، وفى النهاية نجد فى مقدمة إنجيل يوحنا والكتب التى ألفت فى القرنين الثالث والرابع، أنها وصفت المسيح كإله ويكفى أن نشير إلى ما حدث فى (مؤتمر نقيا) من قيام أريوس المصرى ومعه الأغلبية بمعارضة ما نادت به الأقلية من أن المسيح إله، فقد أعلنت هذه الأقلية (نحن نعتقد فى رب واحد هو عيسى المسيح الولد الوحيد الذى رزق به الله فقد ولد من الأب قبل أن تحل العشور فهو إله من إله، ونور من نور ورب حقيقى، ولد ولم يخلق، وجوهره من جوهر الأب)، والعاقل يرفض قبول رجل ولد من امرأة وذاق طعم الحرمان، كما أحس بجميع أحاسيس البشرية من رغبة وحرمان ويتطور تدريجيًا سواء من ناحية البناء الجسمانى أو القوة أو العقل كما يتطور أى إنسان عادى أن العقل يرفض قبول مثل هذا الشخص إلهًا، فلا يمكن أن يكون الإله مقيدًا بقيود البشر البيولوجية والسيكلوجية، كما يرفض العقل إدعاءهم بأن الإله قد تجسد على هيئة إنسان فهذا التجسد فى حد ذاته يمس كمال الله وشموله لأنه يقيده ويحصره فى الجسد الذى تجسد فيه.

والواقع أن نظرية التجسد قد دخلت المسيحية كغيرها من الأفكار السائدة الآن فى المسيحية - دخلت من الوثنية، ففى العقائد التى كانت سائدة قبل المسيحية نقرأ عن أبطال اتخذتهم الشعوب آلهة فمثلاً الهندوك الذين يعيشون فى الهند يؤلهون أبطالهم حتى فى هذا التاريخ، خذ مثلاً براهما أو راما الذى تجسد فى فيشنو وكريشنا، وهو الأقنوم الثانى، أو الشخص الثانى، فى التثليث الهندوكى (انظر كتاب الدكتور أحمد شلبى فى مقارنة الأديان)، كذا يقول إن المصريين القدماء نادوا فى عصر ما بتعدد الآلهة، كما نادى به الآشوريون والبابليون والفرس والهنود والصينيون واليونانيون.

أما الإسلام فقد حرر معتنقيه من هذه الخرافات، بأن رفض كلية مبدأ التجسيد فنجد القرآن الكريم يرفض ألوهية المسيح فى (سورة المائدة آية ٧٢) ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾، ثم يقول فى سورة آل عمران الآية ٥٩ ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾، ويؤكد القرآن الكريم بأن عيسى كان رسولاً نقيًا طاهرًا صالحًا كغيره من الرسل ولكنه كان إنسانًا وبشرًا بمعنى الكلمة انظر سورة مريم الآية ٣٠ ﴿قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيًا﴾.

والمسيح فى نظر المسلمين كغيره من الرسل بشر وأنه بفضل إخلاصه وإيمانه بالحق سبحانه وتعالى وبفضل حياته الطاهرة المطهرة اختاره الله رسولاً إلى اليهود وأن الرسل عامة لا ينطقون عن الهوى إنما يوحى إليهم سواء فى أفعالهم أم أقوالهم، وأنهم يقومون بتنفيذ إرادة الله سبحانه وتعالى وأن الله عز وجل قد أرسل كلمته إليهم حتى يكيفوا حياتهم وفق مشيئته ويصبحوا قدوة لغيرهم من بنى الإنسان، وقد أعلن النبى ﷺ كما جاء فى القرآن سورة فصلت آية ٦ ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ، أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين﴾.

نظرية ألوهية الابن:

النظرية الثالثة التى تقوم عليها المسيحية تنادى بأن عيسى المسيح هو ابن الله ليس بمعناه المجازى، بل بمعناه العضوى، ابن خاص لله وحده، وهذه النظرية لا تتمشى بل تخالف ما قاله وما بشر به عيسى المسيح، فقد استخدمت الأناجيل والتوراة كلمة ابن بمعناها المجازى ونسب الأنبياء إلى أنفسهم هذه الصفة، والواقع أن كلمة ابن أو أب أو عم لا تزال تستخدم حتى الآن فى الشرق الأوسط كلفظ يدل على الإعزاز أو التبجيل ونحن نجد فى أحد كتب موسى هذا اللفظ مستخدمًا فى وصف إسرائيل (يعقوب) بأنه ابن الله ذلك فى سفر الخروج الإصحاح الرابع ، فقرة ٢٢ إذ تقول (فتقول لفرعون هكذا يقول الرب إسرائيل ابنى بل ابنى البكر) مترجمة عن التوراة الإنجليزية).

وفى المزامير نجد هذا اللفظ قد أسند أيضًا إلى داود، فجاء فى المزمار الثانى فقرة ٧ ما يلى (إنى أعلن أمر الله لقد قال لى ربى أنت ابنى ابتداءً من اليوم) ومن هذه الفقرات نستطيع أن نكون لأنفسنا رأيًا فى معنى كلمة ابن الله.. وبالتالى لا نجد مبررًا إطلاقًا لما يعتقده البعض من أن عيسى كان يسمى نفسه بابن الله بمعناه العضوى أى أنه من صلب الله، أضف إلى ذلك أن عيسى كان يسمى نفسه بابن الإنسان وحتى إذا كان قد استخدم لقب ابن الله حسب ما جاء فى الأناجيل وهو مشكوك فيه، فإن استخدامه لهذا اللقب هو دون شك فى حدود المعنى الذى انتسب فيه آدم - ويعقوب، وداود وسليمان، إلى الله كأبناء وكان هؤلاء الرسل من قبله وكانوا أحباء الله، وقد تحدث عنهم عيسى نفسه، كما تحدث عن هؤلاء الذين يغمر قلوبهم الحب والذين عاشوا فى سلام مع غيرهم من بنى الإنسان بأنهم أبناء الله ولسوف نورد بعض ملاحظات لعيسى نفسه لترينا بأن لقب ابن الله، هو لقب مجازى فإذا أخذنا من

يوحنا الإصحاح ١٠ الفقرة ٣٤ إلى ٣٦ نجد ما يلى: (فأجابهم عيسى أليس مكتوبًا فى ناموسكم أن قلت أنكم آلهة، وإذا ما أسمى الله هؤلاء الذين نزل عليهم وحيه بآلهة، فلا يمكن أن ينسخ ما جاء فى الكتاب أن ما يقدسه وما يرسله لا يجب أن تدعوا عليه بالتجديف لأنى قلت أنا ابن الله) - الترجمة عن الإنجليزية، ولاشك أن عيسى فى هذا الكلام الذى نسب إليه فى إنجيل يوحنا، كان يشير إلى ما ورد فى المزامير من عبارة أصبحت متداولة.

ثم نجد نفس هذا اللفظ فى وصف سليمان فى أخبار الأيام الأولى إصحاح ٢٢، فقرة ١٠ (ولسوف يبنى بيتا باسمى، ويكون ابنًا لى، وأكون أبًا له، وأقيم له عرشًا فى مملكته على إسرائيل، وأثبته له إلى الأبد). وهذا اللفظ لا يعنى شيئًا غير رضاء الله على عبده أو عباده، ولقد قال مؤسس النصرانية وصاحبها (إن كل من ينفذ إرادة الأب فى السماوات إنما هو ابن الله)، ويعتبر فى نفس الوقت تكريمًا لمن يوصف بهذا اللقب لأنه عاش عيشة مخلصة لله، وكان رحيمًا وعطوفًا على إخوانه البشر، وبالتالى أصبح من حقه أن يلقب بهذا اللقب. ونجد نفس هذا المعنى الذى يدل على التبجيل على لسان عيسى نفسه كما جاء فى إنجيل متّى الإصحاح ٥ فقرة ٤٤، ٤٥ (ولكنى أقول لكم أحبوا أعداءكم واطلبوا البركة لمن يلعنكم، وكونوا طيبين مع من يكرهكم، وصلوا من أجل الذين يستخدمونكم عنوة، ويضطهدكم حتى يمكن أن تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات الذى تشرق شمسه على الصالحين ويرزق العادلين والظالمين) ونجد فى متّى الإصحاح ٥ فقرة ٩ ما يفيد هذا المعنى أيضًا (طوبى لصانعى السلام فلسوف يلقبون بأبناء الله).

ثم نجده خاصة فى المزمار ٨٢ الشطرة ٦ يقول: (لقد قلت إنكم آلهة، وأنكم جميعًا أبناء العلى العظيم ولكنكم سوف تموتون كما يموت الإنسان وتسقطون كما يسقط الأمراء)، والواقع أن الأنبياء والقضاة كانوا يلقبون فى الأزمنة الخالية بآلهة فى مفهومها المجازى وبالتالى إنهم يدعون أن عيسى نفسه على حد ما جاء فى إنجيل يوحنا يسمى نفسه ابن الله، وذلك مجازيًا، ومن هذا يتضح أن لقب ابن الله كان بالنسبة لعيسى لقبًا عاديًا لا يتجاوز معناه المتواتر ثم لا يوجد هناك من الأسباب ما يجعل عيسى يشذ فى استخدامه هذا اللقب ويعنى بنوة حقيقية فعلية كما رأى المسيحيون، المتأخرون. ولقد رفض القرآن الكريم فى عبارة قوية للغاية نظرية كون عيسى ابن الله فيقول فى سورة البقرة الآية ١١٦ ﴿وقالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه بل له ما فى السموات والأرض كلٌّ له قانتون﴾ كذلك قال فى سورة مريم الآية ٣٥ ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ ومن هذا نرى أن العقل والمنطق فى جانب الإسلام، كما أننا نعرف بأنه ما من كائن حى يخرج من كائن حى آخر ويبقى كائنًا مستقلا مساويا ويصبح فى الحال نظيرًا له وشريكا، بل لابد أن يكون ناقصًا عنه وأضعف منه، وبالتالى إذا ما نسبنا لله بنوه فإننا نكون قد أزلنا صفة الكمال عن الله (انظر Bergson: The Creative Evolution, Modern Liberary. ص١٦).

الخطيئة الأولى:

النظرية الرابعة التى تقوم عليها المسيحية هى الكفارة وقصتها «أن آدم عليه السلام قد عصى ربه سبحانه وتعالى عندما أمره ألّا يأكل من شجرة المعرفة، ثم أكل منها، فكانت الخطيئة الأولى وهذه الخطيئة التى أتاها آدم قد توارثها أبناؤه من بعده بمعنى أن جميع البشر قد ولدوا وقد ركبتهم الخطيئة التى أتاها آدم وإن هذه الخطيئة توارثها أولاد آدم من بعده ووجبت عليهم الكفارة وتذهب هذه النظرية إلى الزعم بأن عدالة الله تطلب كفارة من أجل رفع هذه الخطيئة عن الإنسانية، وأن الله سبحانه وتعالى (حاشا لله) لا يستطيع ولا يسمح بعدم إنزال العقاب جزاء هذه المعصية، وأن ما من شيء يمسح المعصية غير إراقة الدماء أو كما يقول بولس فى رسالته إلى العبرانيين الإصحاح ٩ فقرة ٢٢ (وكل شيء تقريبًا يتطهر بالدم كما قضى الناموس وبدون سفك الدماء لن تكون هناك مغفرة) الترجمة عن النسخة الإنجليزية. ولكن هذه الدماء يجب أن تكون زكية طاهرة لم تتنجس بالمعصية، (ولما كانت المعصية الأولى للإنسان موجهة ضد الله، فهى غير محدودة بحدود، ومن ثم تتطلب مغفرة لا حدود لها)، وبالتالى دفع يسوع المسيح الذى أتى من السماء الثمن فأريقت دماؤه الزكية ومثل بجسده وعذب عذابًا لا يوصف، ومات مكفرًا عن خطايا البشرية، ولما كان عيسى إلها مطلقًا لا حدود له فى نظر المسيحية، كان فى وسعه وحده أن يدفع هذا الثمن الذى لا حدود له ويخلص المسيحيون من الخطيئة الأولى غير أنه لا يمكن لشخص أن يخلص نفسه من المعصية الأولى إلا إذا اعترف بأن عيسى هو منقذه، فالإنسان كتب عليه أن يدخل النار إلى الأبد لطبيعته القائمة على الخطيئة، وبالتالى إذا لم يسلم بالكفارة التى دفع ثمنها عيسى المسيح بدمه فلا يدخل الجنة) هذا ما يقوله: J.F. Great فى كتابه Gods Plan for Your Saluotion.

وهذه النظرية تقوم على ثلاثة أجزاء:

١ - المعصية الأولى.

٢ - الاعتقاد بأن عدالة الله تتطلب إراقة الدماء تكفيرًا عن المعصية.

٣ - الاعتقاد بأن عيسى قد دفع ثمن هذه المعصية ومعاصى البشرية عندما صلب على الصليب - كما يقولون - وأن على الإنسان أن يقبل هذا الرأى حتى ينقذ نفسه من النار، وإذا ما حللنا هذه الأجزاء الثلاثة نجد شرحًا للجزء الأول فيما يقوله القس De Great فى كتابه ص ١٤٠ Catholic Teaching (يعلمنا الكتاب المقدس أن الإنسان ورث معصية آدم فيما عدا العذراء مريم، ودليلنا على ذلك ما قاله القديس بولس فى رسالته إلى أهل روما الإصحاح (٥) الفقرات ١٨، ١٩ وكما أدين الناس جميعا نتيجة خطيئة واحد - آدم - فإن الناس جميعًا ترفع عنهم الخطيئة ويجدون مبررًا للحياة نتيجة عدل واحد فقط (المسيح)، ذلك لأنه كان من نتيجة معصية رجل واحد (آدم)، أن أدين الناس بالخطيئة ونتيجة إطاعة واحد - المسيح، أن حل العدل بالناس) وهذه الكلمات توضح أن الناس جميعًا قد ورثوا خطيئة آدم.

هذا ما قاله القسيس المتبحر فى المسيحية، ولكننا نرى أن هذا الجزء من نظرية الخطيئة كغيره من المعتقدات المسيحية لا سند له فى كلمات المسيح نفسه أو فى أقوال الرسل الذين سبقوه، فقد بشروا بأن الإنسان مسئول عن أعماله، وأن الأبناء لن يرثوا معصية آبائهم والبرهان على ذلك نجده فى كتاب أرمياء، فقد جاء فى الإصحاح ١٣١ الفقرتين ٢٩، ٣٠ (وفى تلك الأيام لن يقولوا، أن الآباء قد أكلوا حصرمًا، وأن أسنان الأبناء قد ضرست، وكل إنسان يموت حاملا ما اقترفه من ذنوب وكل إنسان يأكل حصرمًا تضرس أسنانه)، كذلك رفض الرسول حزقيال نظريـة تحميل الابن معصيـة أبيه، وبنفس الكلمات تقريبًا إذ يقول فى إصحاح ١٨ من الفقرة ١ إلى الفقرة ٩، ومن الفقرة ٢٠ - ٢١ من نفس الإصحاح، (واسترجعت كلام الرب عندما قال ماذا تعنون من ضرب هذا المثل بخصـوص أرض إسرائيل، وتقولون لقد أكل الآباء حصرمًا وضرست أسنان الأبناء وقال الله وبحياتى لن تسنح لك فرصة بعد الآن لتستخدم هذا المثل فى إسرائيل واعلم أن جميع الأرواح ملكى، وكما أن روح الأب ملكى، كذلك روح الابن كما أن الروح التى تعترف بالخطيئة سوف تموت، ولكن إذا كان الإنسان عدولا يعمل كل ما هو حق وعدل، ولا يأكل على الجبال، ولا يرفع عينيه إلى أصنام بيت إسرائيل، ولا يظلم زوج جاره، ولا يقترب من امرأة محيضة، ولا يظلم أحدًا، ويوفى الدائن حقه، ولا يغتصب شيئًا بالقوة، ثم يطعم الفقير، ويكسو العريان بثوبه، ولا يقرض ماله بالربا، ولا يأخذ زيادة عن حقه، ثم من يقبض يده عن الظلم، ويحكم بالعدل والحق بين الإنسان والإنسان، فإنه بذلك يسير على الطريق المستقيم، ويحفظ أحكامى، ويكون عادلا، وعندئذ يتعايش مع ما يقول الله من أن الابن لن يرث ظلم والده، ولا يتحمل الأب ظلم ابنه - العادل له عدله، والشرير له شره، ولكن إذا تاب الشرير عن خطاياه التى اقترفها، وعمل بأحكامى وفرائضى وبما هو عدل وحق، فلسوف يحيا ولن يموت) الترجمة عن الإنجليزية، والحق أن المسيح نفسه كان يرى الأطفال أبرياء طاهرين أنقياء، ولم يولدوا فى خطيئة، هذا واضح من كلامه الذى ورد فى إنجيل مرقص الإصحاح ١٠ الفقرتين ١٤، ١٥ (فلما رأى عيسى ذلك غضب غضبًا شديدًا وقال لهم دعوا الأطفال يأتون إلىّ ولا تمنعوهم فلهم ملكوت الله الحق، أقول لكم أن من لا يدخل فى ملكوت الله كهؤلاء الأطفال الذين يدخلون ، فلن يدخله أحد إطلاقًا، ثم احتضنهم ومسح بيده عليهم ودعا لهم بالبركة).

والإسلام لا يعترف بنظرية الخطيئة الأولى، ويرى أن الأطفال مطهرون أنقياء عند ولادتهم ويبقون كذلك حتى يدركوا معنى الخطيئة / فإذا أتوها حقت على من يرتكبها كفارتها، وأن الخطيئة لا تورث، بل يكتسبها الإنسان بما يفعله من أمور تخالف الدين والشرع، أو إذا امتنع عن فعل شيء وجب عليه فعله، وإذا ما حكمنا الفكر فى هذه النظرية نجد فى إدانة الجنس البشرى كله لا جيلا وحده، بل الأجيال بمعصية اقترفها أبوالبشر منذ آلاف السنين ذروة الظلم، بل هى عدوان على شريعة الله وعلى قانون الحق والعدل، وبالتالى إذا كان لابد من إدانة أحد بجريرة ما ، يجب أن يكون هذا الشخص هو مقترف هذه الجريرة لا أحد غيره ولا تقع جريرته على أولاده.

لقد ولد الإنسان وله إرادة حرة، ومعه ميول ومقدرة نحو إتيان المعصية، أو محاربة المعصية، أو عمل

الخير طالما كان بالغًا راشدًا محتفظًا بقواه العقلية، والإنسان عندما يبلغ رشده يستطيع أن يميز بين الصواب والخطأ، بين الخير والشر، فإذا أساء استخدام حريته، ووقع فريسة لميوله وأطماعه، وقعت عليه المعصية أو الخطيئة وكثير من الرجال والنساء استطاعوا أن يقهروا فى أنفسهم نزعة الشر، وعاشوا حياتهم صادقين مع ربهم، يعملون بإرادته وأحكامه وشرعه، ونجد هؤلاء الناس بأعداد كبيرة فى كل الأمم، ولقد أشار الكتاب المقدس إلى عدد منهم مثل نوح، وأيوب، ويوحنا المعمدان، (يحيى بن زكريا) وزكريا، كما أن هناك كثيرين قد صدقوا ربهم وعاشوا عيشة كلها الاستقامة والكمال، وخافوا ربهم فى أعمالهم وابتعدوا عن الشر والخطيئة والواقع أن اعتبار فلاسفة المسيحية الأطفال عند ولادتهم محملين بالخطيئة والمعصية، هو منتهى الظلم والحقد على البشرية، إن الإنسان الذى يعتقد فى توارث الخطيئة الأولى، لابد أن يصبح متعصبًا غليظ القلب ظالمًا والواقع أن القديس AUGUSTINE، قد جانبه الصواب عندما قال إن جميع الأطفال الذين لم يتعمدوا بماء القدس سوف يحشرون فى النار حشرًا وإلى أبد الآبدين، بل ذهب الأمر بالبعض حتى عهد قريب إلى تحريم دفن من يموت من الأطفال دون تعميد فى مقابر المسيحيين، لأنهم يعتقدون أنهم يحملون المعصية الأولى، إن أساس نظرية الكفارة أى الاعتقاد فى حمل الإنسان للمعصية الأولى خطأ كما أشار عيسى نفسه عندما قال إن الأطفال يدخلون ملكوت الله ، بل هو خطأ بكل المقاييس والمعايير، وبالتالى فإن ما بنى على هذه النظرية خطأ أيضًا ولكن يجب أن ندرس مشروع المسيحية للخلاص، بعد أن ننتهى من النظريات المفتعلة التى تقوم عليها عدالة الله.

الجزء الثانى من النظرية المسيحية الخاصة بالكفارة، هى أن عدالة الله تتطلب أن يدفع الإنسان ثمن المعصية الأولى التى أتاها آدم، والمعاصى الأخرى التى اقترفها الإنسان بعد ذلك، مثل تلك التى يقترفها فى يوم عمله، وتقوم هذه النظرية على أن الله لن يعفو عن المخطئ أو العاصى دون أن يذوق العقاب أولا، وإلا كان فى ذلك رفض لعدالته جل جلاله، ويقول القسيس الفيلسوف GOLDSACK فى هذا الخصوص : يجب أن يكون واضحًا كنور النهار، لكل فرد أن الله لا يمكن أن يحيد عن شريعته وقانونه، لن يغفر الله لصاحب المعصية معصيته دون أن ينزل به عقابًا، فإن فعل ذلك فلن يسمى بالعادل - انظر كتاب هذا القسيس بعنوان (الكفارة) ص (٥)، ATONEMENT وهذا الرأى الذى يقدمه لنا هذا القسيس يقوم على جهل مطبق بطبيعته سبحانه وتعالى فالله ليس مجرد قاض أو ملك طالب ثأر، فهو كما يصفه القرآن ﴿مالكِ يوم الدين﴾ أى الوحيد المهيمن فى يوم الحشر، وهو ليس مجرد عادل ولكنه إلى جانب اتصافه بالعدل رءوف غفور رحيم، فإذا ما وجد الله سبحانه وتعالى خيرًا حقيقيًّا فى إنسان، أو وجد شخصًا مذنبًا ثاب إلى رشده، وتاب توبة نصوحًا، وأخذ يحارب الشر فى نفسه، فإنه غفور لما أتاه من سيئات وخطايا ولا يمكننا أن نسمى ذلك خروجًا عن العدالة الإلهية ثم لنتساءل ما هو الداعى إلى العقاب ألم يفرض العقاب للحد من الشر وإصلاح المخطئ، والأخذ بيده إلى الطريق المستقيم، وإذا كان لابد من معاقبة الإنسان على ما اقترف من معاص فى حياته، حتى بعد أن تاب وأناب وصدقت توبته وأصلح نفسه، فمثل هذا العقاب يشير إلى غريزة التشفى والانتقام، وليس إلى عدالة إلهية، وإذا كانت عدالة الله كما يدعى هذا القس تتطلب عن كل سقطة وكبوة إنزال العقاب بالإنسان،

فمعنى ذلك أن العدالة الإلهية قد بلغت دركًا أسوأ وأفظع من شيلوك الذى طلب حقه رطلا من لحم الإنسان، إن الله الذى نعبده، وهو خالق هذا العالم، ورازق كل من فيه، هو الرحمن الرحيم الغفور القيوم، فإذا ما شرع الله قانونًا وأمرنا بطاعته فإنما يفعل ذلـك لمصلحتنا نحن، لا لمصلحتـه فكل ما شرعه الله فى صالح الإنسان، حتى الصلاة أو الصوم الذى يجزى هو عليه، هما أيضًا فى صالح الإنسان والله إذا ما أنزل عقابه بإنسان لما أتاه من خطيئة أو معصية، فإن هذا العقاب ليس تشفيًا أو تعويضًا يستفيد به خالق هذا العالم كما تدعى هذه النظرية المسيحية إنما فرض الله العقاب ليرتدع الإنسان عن غيه وشره، وأن يتطهر من معاصيه وخطاياه، وليس ببعيد أن نشبه النار بمستشفى يدخلها المرضى النفسانيون الذين استشرى بهم الحقد والكراهية والأنانية والذين غلظت قلوبهم وامتلأت بالرياء والنفاق وبالخيانة والجشع، فهم يدخلونها لتتطهر نفوسهم بنار العذاب وتأنيب الضمير، أما هؤلاء الذين يعملون صالحًا ويذكرون الله ويؤدون فرائضه ويتوبون إليه، فإن الله يغفر لهم هفواتهم وكبواتهم، كما يعفو عن خطاياهم ومعاصيهم ولا يطلب فى سبيل ذلك عوضًا منهم ولا من غيرهم أليس هذا ما قاله الرسول حزقيال، كما ذكرنا آنفا أليس هذا ما قاله عيسى فى مجازاته واستعاراته، خاصة بالنسبة للشاة الضالة، والعملة المفقودة، والابن الضال، ونحن إذا صدقنا ما يقوله هذاالقس من أن كل معصية لابد لها من عقاب، كيف نفسر قول المسيح الذى علمنا (اغفر لنا خطايانا، كما غفرت خطايا غيرنا)، ثم أين هو هذا الغفران الذى يأتى بعد معاقبة المخطئ، أو معاقبة نسله بجريرة المخطئ، وما الداعى للغفران إذا كان العقاب سينزل حتمًا بالمخطئ ليس هذا إذن تسامحًا أو تكفيرا أو غفرانًا والله سبحانه وتعالى يستطيع، بل هو يغفر السيئات والخطايا لهؤلاء الذين يتوسم فيهم الخير، وهؤلاء الذين تابوا إليه ونبذوا المعاصى، وكفوا عن الخطايا وأصلحوا أنفسهم، فلا هو ينزل بهم عقابًا ولا بغيرهم، بدلا منهم وليس فى ذلك ما يناقض عدالة الله، بل التوبة النصوح هى طريق الغفران ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعًا، إنه هو الغفور الرحيم، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ سورة الزمر الآيات ٥٣، ٥٤.

﴿ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله، يجد الله غفورًا رحيمًا، ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيمًا﴾ سورة النساء الآيتان ١١٠، ١١١.

كفارة الدم:

النظرية الثالثة من النظريات المسيحية هى نظرية كفارة الدم، ومعناها فى رأى المسيحيين أن عيسى قد دفع ثمن المعصية الأولى لآدم ومعاصى الذين أتوا بعده بموته على الصليب وأنه لا خلاص للإنسان من المعصية الأولى وجميع المعاصى إذا لم يعتقد بأن دم المسيح الذى أريق على الصليب قد أنقذه. هذا فى الواقع ما نقرؤه فى الرسالة الأولى المنسوبة إلى بطرس، فيقول فى الإصحاح الأول الفقرتين ١٨، ١٩ ما ترجمته عن الإنجليزية (واعلموا أنكم قد افتديتم لا بأشياء فانية كالفضة والذهب من أحاديثكم

الباطلة التى توارثتموها عن آبائكم، ولكنكم قد افتديتم بدم كريم دم المسيح فغدوتم كالحمل أنقياء طاهرين).

وإليكم ما يقوله اثنان من المفسرين المسيحيين أحدهما بروتستانتى والآخر كاثوليكى فى مسألة الكفارة (قال W.H.TUKTON فى كتابه THE TRUTH OF CHRISTIANITY ص ٢٨٩ (ولننتقل الآن إلى نظرية الكفارة بالدم التى تقول بأن موت المسيح يعنى فى ناحية من معانيه بأنه ضحى بنفسه من أجل رفع المعصية، وتقريب الله الأب من الإنسان صاحب الخطيئة، كذلك نفهم هذا المعنى ضمنيا من عبارة (قد صلب من أجلنا) ومن عبارة (الذى تعذب من أجل خلاصنا على الرغم من عدم الإفصاح عن هذا المعنى فى مذهبنا البروتستانتى).

ويقول J.F.DE GROAT فى كتابه CATHOLIC TEACHING ص١٦٢، (كان المسيح الإله والانسان قد حمل عنا معاصينا بصلبه على الصليب- مكفرًا عن ذنوبنا وخطايانا ومهدئا لغضب الله وسورته، وهكذا كان وسيطًا بين الله والإنسان)، وهذه النظرية لا تنقد فقط رحمة الله بل عدالته السماوية، فطلب التكفير بالدم حتى يسامح الله الإنسان، بل تعنى أن هذا القسيس قد جرد الله من الرحمة إذ هو يطلب عقاب الإنسان البرىء من أجل معصية أو معاصى آتاها آخرون من بنى الإنسان، وهذا منتهى الظلم والتشفى والحقد على البشرية، ويحاول بعض المسيحيين الدفاع عن هذه النظرية وتخفيف وقعها فيقولون إن المسيح قد تعذب حتى الموت بإرادته ليدفع ثمن معصية الإنسان ونحن نرد على ذلك بما يلى: أولا.. هذا القول يقوم على مغالطة تاريخية إذ يشير إلى أن المسيح قد جاء إلى هذا العالم ليموت بإرادته وبقصد ان يكفر عن خطايا الإنسان، فى حين أننا نقرأ فى الكتاب المقدس أنه كان يرغب فى الحياة ولا يريد أن يموت على الصليب فقد أعلن عندما علم بأن أعدائه يتآمرون على حياته، أنه فى غاية الحزن على نفسه لأنه سيموت، وطلب من تلاميذه وحوارييه أن يحرسوه ويحموه من أعدائه وأنه راح يصلى لله سبحانه وتعالى (انظر مرقص الإصحاح ١٤ الفقرتين ٣٤، ٣٥)، (فقال لهم نفسى حزينة حتى الموت امكثوا هنا، واحرسونى، ثم ذهب إلى الأمام قليلاً وخر ساجدًا على الأرض وأخذ يدعو الله أن يقيه من عذاب هذه الساعة إن كان ذلك ممكننا، وقال يا أبتاه ياأبى أنت قادر على كل شئ فارحمنى من هذا الكأس، وابعده عنى إنها مشيئتك وليست مشيئتى).

ثانيا: لا نفهم كيف يكون فى موت رجل وعذابه تكفير عن خطايا الآخرين. إن كل إنسان مسئول عن عمله، وهل يشفى الطبيب مريضًا بصداع، إذا قطع رأس غيره، إن فكرة تضحية شخص برىء فى مقابل رفع العقاب عن شخص مذنب فكرة ظالمة لا معنى لها، ولا تتمشى مع المنطق.

ثالثًا: إن فكرة إراقة الدماء لإخماد سورة الله وغضبه، هى فكرة وثنية فى الأصل دخلت المسيحية نتيجة تصوير الأوربيين لله كمارد جبار لا يرضى إلا بإراقة الدماء، ونحن لا نرى هناك علاقة بين الخطيئة أو المعصية، وبين سفك الدماء لإزالتها ومحوها، إن ما يجب أن نفعله لنغسل هذه الخطيئة أو المعصية أن نتوب وأن - يتعذب ضميرنا فيواصل كفاحه ضد ماقد يشعر به صاحبه من ميول عدوانية أو شرانية إن إزالة الخطيئة عن طريق التوبة، فيه نوع من الرحمة ببنى الإنسان، وفيه إصرار

على تنفيذ إرادة الله كما كشف عنها الرسل، ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين﴾ سورة الحج آية ٣٧.

والواقع أن نظرية الكفارة بالدم التى ينادى بها المسيحيون، تصور الشخص الأول فى مثلث الألوهية (الأب) كمستبد طاغ يشتهى إراقة الدماء إذ هو يضحى بالشخص الثانى (الابن)، من أجل ذاته وحبا فى ذاته وهذه التضحية تبدو للناقد العادل المنصف فى غير موضعها ولا معنى لها إذ أن إصرار الشخص الأول على إراقة الدماء قد تسبب فى صلب الشخص الثانى، مما يدل على قسوة (الأب) وميله للشر ولا تذهب بعيدًا فهذا ما يقوله ARTHUR WEIGALL فى كتابه الوثنية فى مسيحيتنا عن نظرية الكفارة «لا نستطيع أن نتقبل بعد الآن النظرية الدينية البغيضة التى تقول بأن المسيح استرضاء لله اضطر إلى أن يضحى بنفسه، وما يتبع ذلك من أسباب روحانية مفتعلة، وهذه الحجة تثير غضبنا، كما تجعلنا نجفل من الاعتقاد فى الله كقوة عظمى، أو الاعتقاد فى المسيح بأنه كان محبًا للبشرية رحيمًا بها» ويعتقد الدكتور GRUDEN، أن المسيح من أجل تضحيته بنفسه تعذب عذابًا شديدًا على يدى الله» وهذه الحجة تجعلنا نشعر بغثيان عند التفكير فيها تفكيرًا علميا حديثًا وبالتالى تكون نظرية الكفارة نظرية بشعة لها صلة بالطبيعة البشرية الفطرية التى تميل نحو الشر كما أنها فكرة وثنية ولعلها أظهر ما تركته الوثنية من بصمات فى العقيدة المسيحية.

والواقع أن النظام المسيحى الخاص بالخلاص، هو نظام خاطئ من الناحية الأخلاقية ومن الناحية المنطقية والعقلانية وليس هناك ما يؤيده فى أقوال المسيح.

قد يقولون إن المسيح تعذب من أجل رفع خطايا الإنسان بمعنى أنه فى سبيل إخراج الإنسان من الظلمات إلى النور جلب على نفسه غضب الأشرار الذين راحوا يعذبونه، ولكن ذلك لا يعنى أن موته كان كفارة عن سيئات ومعاصى الآخرين، وأن هؤلاء الذين يعتقدون فى كفارة الدم سيمنحون العفو والغفران قد أتى عيسى لينقذ الإنسان من معاصيه وسيئاته، عن طريق مواعظه وتعاليمه، وماضرب من أمثلة وليس بأن يموت على الصليب عنية وقصدا ويقدم دمه استعطافا واسترضاء لله أن يغفر خطاياهم فعندما جاءه صبى وسأله ايها السيد الصالح ما الذى أفعله حتى أدخل الجنة (أرث الآخرة)، رد عليه كما يرد أى شخص أو أى نبى فقال: لماذا تسميننى بالصالح ليس هناك أحد غير الله صالحًا أما إذا أردت أن تدخل الجنة فعليك باتباع الوصايا انظر متى إصحاح ١٩ فقرة ١٧ - ومن ذلك نفهم أن عيسى لم يذكر لهذا الصبى بأنه سوف يضحى بنفسه تكفيرًا عن سيئات بنى الإنسان وأنه بدمائه سيخلص الإنسانية، بل قال له اعمل بالوصايا حتى تدخل الجنة، وبالتالى يكون خلاص البشرية بالاعتقاد فى الله، والبعد عن المعاصى، والكف عن الأعمال السيئة والشريرة مع عمل الخير، وليس عن طريق الاعتقاد فى عيسى كمخلص أو الاعتقاد فى دمه ككفارة عن البشرية.

ونظرية الكفارة نظرية كاذبة.. لأن:

١ - الإنسان لم يولد فى خطيئة.

٢ - الله لم يطلب ثمنًا للعفو عن العصاة المذنبين.

٣ - فكرة الإبدال أو التكفير بالنيابة فكرة خاطئة وبغيضة.

والإنسان إذا ما أتى معصية أو اقترف خطيئة لا يسىء إلى الله سبحانه وتعالى بل يسىء إلى نفسه، فوصمة الخطيئة تلتصق بأرواحنا ولا تزول هذه الوصمة عن طريق تعذيب شخص آخر حتى الموت سواء أكان هذا الشخص راضيًا أم غير راض، ولكن عن طريق توبتنا والابتعاد عن الشر وعمل الخير، ومن هذا نقول إن آدم بعد أن عصى الله استغفر ربه وأسلم نفسه لله سبحانه وتعالى، فغفر له خطيئته ولم يرث أولاده من بعده هذه الخطيئة، ولا هى تطلبت تعذيب المسيح حتى الموت من أجل الحصول على غفران الله وعفوه، ثم إن عيسى لم يمت إطلاقا على الصليب، وإن نظرية الكفارة، إنما هى إنكار لعدل الله ورحمته وغفرانه، والإسلام يرفض هذه النظرية، ويعلن أن الإنسان لن يحصل على عفو من الله عن سيئاته عن طريق تعذيب نفسه أو التضحية بشخصه أو بشخص آخر، ولكن عن طريق رحمة الله التى وسعت كل شىء، وعن طريق جهودنا الدائبة المخلصة فى مقاومة كل ماهو شر، وعمل كل ماهو خير ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ماسعى. وأن سعيه سوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ سورة النجم الآيات ٣٨-٤١.

﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ سورة الإسراء آية ١٥.

نفهم من ذلك أن الإسلام يعد الإنسان بالعفو والخلاص من ذنوبه إذا اعتقد فى الله وعفوه وفعل الخير، بل إن الإسلام يتسامح مع هؤلاء الذين يرسل الله لهم رسولا فيعفو عن جميع سيئاتهم دون حاجة إلى إراقة الدماء أو التعذيب حتى الموت، حسبما تنادى هذه النظرية المسيحية ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ سورة البقرة آية ١١٢.

الفصل الثالث

الإسلام دين العقل

لقد بحثنا بعض النقط الهامة فى المسيحية، خاصة تلك التى تقوم عليها المذاهب الأرثوذكسية والبروتستانتية والكاثوليكية، وخلصنا من ذلك بأن نظرية التثليث، ونظرية ألوهية عيسى، ونظرية ألوهية الأبن، ونظرية الخطيئة الأولى وكفارة عيسى بالدم، إنما هى نظريات بعيدة عن المنطق والعقل، بل لا تتمشى مع ما قاله عيسى نفسه. هذه النظريات لم تكن فى أيام المسيحيين الأوائل، بل دخلت المسيحية بعد رحيل عيسى بأربعة قرون نتيجة تأثير الوثنية المتبقية فى أوربا على الدين المسيحى، وخلصنا أيضًا إلى أن هذه النظريات، إن جاز التعبير عنها بنظريات، قد أخرجت المسيحية عن دين المسيح.

والواقع أن الإسلام إنما هو بعث لرسالة عيسى ولرسالة موسى وتثبيت لجميع الأديان التى أتى بها كل الرسل من قبل خاصة وأن الدين الذى أوحى به الله إلى رسله فى مختلف الأمم هو دين واحد ويقوم على مبادئ واحدة وينادى بأساسيات واحدة، ولكن بمرور الوقت تعرض بعضها لتفسيرات غير صحيحة أو اختلط بالخرافات، أو تدنى إلى السحر والشعوذة أو المراسم والطقوس التى لا معنى لها وما تفهمه من كلمة الله هو لب الدين وأساسه، وهذا الفهم تدنى فى المسيحية عن الطرق التالية:

١ - ميل المسيحية إلى الحط بالله إلى مرتبة البشر وتجسيده على هيئة إنسان وأن تنسب إليه مشاعر بشرية.

٢ - الإشراك بالله الواحد الأحد فى ألوهيته- والمسيحية هنا تشبه الهندوستانية وبعض الديانات المصرية القديمة والوثنية الرومانية والإغريقية، والفارسية (مترا).

٣ - تأليه الملائكة وهذا يشبه ديانة ديفاس DEVAS فى الهندوكية وديانة يزتاس YAZATAS فى الزورسترينية ZOROASTRI ANISM ووجه الشبه بينهما تأليه الروح القدس.

٤ - تجسيد الله فى الرسل وهو قائم فى ديانة أفاتارز AVATARS ويشبه تأليه المسيح فى المسيحية وبوذا فى مهيانا البوذية، وراما كرشنا ,RAMA, KRISHNA RAMA فى الهندوكية.

٥ - الإشراك بالله بجعل لله شركاء، وهو مايسمونهم بالأقانيم، أى الأشخاص الإلهية ونجد نفس الشىء فى التثليث، وهو إشراك بالله وجعل الابن والروح القدس شركاء له على قدم المساواة، والمسيحية فى ذلك تشبه الهندوكية خاصة التريمورتيه TRIMURTI فى ديانة براهما وفشنوا VISHNWA وشيف SHIVA، أو أميشا اسبنتش AMESHA SPENTAS فى الديانة الزورواسترينيه ZOROAS TIANISM.

وقد استنكر محمد عليه الصلاة والسلام، كل ذلك وانتقد هذه الميول العقائدية التى لا تقوم على منطق أو عقل، ونادى بفكرة وحدانية الله نقية صافية منذ الأزل.. ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد﴾ ووصف الله بأوصاف عدة منها الصمد ورب العالمين الرحمن، الرحيم، الغفار، العزيز والعالم والقدوس، والواسع الرحمة، ثم قام بتنقية المسيحية واليهودية من الخزعبلات والخرافات التى لا معنى لها، والمراسم والطقوس التى دخلت من الوثنية، ثم وسع مدى العقيدة فجعلها مصدر الوحى والتأمل والرشاد لجميع البشر ووحد بين الشعوب والقبائل والأمم على اختلاف أجناسها وألوانها فى عروة وثقى وأخوة عالمية.

والإسلام دين لايقوم على الأساطير، ولا يعترف بها، وتعاليمه بسيطة ومنطقية فهو يستلهم حكم العقل والضمير معًا، والإسلام يقوم على حقيقة هامة، هى التوحيد وينادى بأن الله يريد الخير بالإنسانية، وليس فيه كفارة دم يضحى بها إنسان، مهما كان وضعه ومكانته، والتوحيد فى الإسلام يقوم على الاقتناع نتيجة التأمل فى الكون، ودراسته فمهما اتجهنا، نجد الوحدة وراء كل ظاهرة طبيعية على اختلاف هذه الظواهر، كذلك إذا مادرسنا تعاليم الأنبياء والمرسلين نجدها تنادى بوحدة الله أو التوحيد، حتى ما ورد فى عقائد الأمم من أمور لا يدركها العقل تشير إلى الوحدانية بطريقة أو أخرى حتى هؤلاء الذين ينادون بالتثليث وبوجود ثلاثة آلهة على قدم المساواة يعودون فى نفس الوقت، ويعلنون أن هذه الآلهة الثلاثة هى إله واحد، والحقيقة أن المبادئ الأخرى التى يقوم عليها الإسلام إنما تنبع من الاعتقاد بوجود إله واحد، وهذا أمر منطقى، فإذا كان خالق هذا الكون واحدًا فقط، فإن مخلوقاته التى صنعها إنما هى من صنع صانع واحد، لا شريك له، وأن هذه المخلوقات تتساوى فى نظره حسب أنواعها ، فالنوع البشرى مثلا على قدم المساواة فيما بينه برغم اختلاف ألوانه ولغاته، أى أن جميع النساء والرجال تجمعهم أخوة واحدة ويتساوون فى نظره سبحانه وتعالى، ولا يُفضل أحدًا على أحد إلا بما يقدم من جليل الأعمال ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

وإذا ما كان الله تعالى هو خالق هذه الأكوان والعوالم، وهو الذى يحفظها ويسهر عليها فإنه لابد وأن يوفر للأحياء التى خلقها كالإنسان ما يحتاج إليه من مواد غذائية وغير غذائية، كما يوفر قيمًا أخلاقية وروحية ويكون ذلك عن طريق إرشاد الإنسان إلى طريق الحق والخير، وبالتالى فإن الإسلام يعترف بالوحى الإلهى الذى يرشد البشر، سواء بطريق مباشر أو عن طريق رسول، زد على ذلك أن هذا الوحى الإلهى ينزل عندما وأينما كانت الحاجة ماسة إليه، حاملًا لرسالة الله ومرشدًا البشر إلى الطريق المستقيم، ويتم ذلك عن طريق اختيار الله أناسًا يكرسون أنفسهم للحقيقة الكلية، يعيشون حياة نقية زكية لا خطيئة بها أو معصية، فيقومون بإرشاد البشر إلى طريق الحق، وبالتالى يعترف الإسلام بأن الله قد أرسل رسولًا إلى كل أمة وإلى جميع الأمم، وأخيرًا إذا ماكان الله هو رب الخير، وإذا ما كان يريد من وراء خلقه الإنسان أن يكون عاملًا لنشر الأخلاق الحميدة، وليس الاتجاهات والسوكيات التى لا معنى لها، أو الاستهتار والطيش، فلابد إذن من وجود حياة بعد الموت حيث يجنى الإنسان ثمار عمله وموقفه نحو خالقه، ومن ثم فإن الإسلام ينادى بحياة أخرى بعد الموت، وهناك

إحدى المستشرقات الإيطاليات هى الدكتورة LAURA VECCIA VAGLIERS، وقد كتبت تصورها لروح الإسلام العامة والمنطقية فى كتابها الذى ترجم إلى الإنجليزية تحت عنوان تفسير الإسلام AN INTERPRETATION OF ISLAM قالت فيه (كان لمحمد - النبى العربى - صوت عميق مقنع يجعلك تعتقد بقربه من الله لما فيه من رنة جذابة تدل على صلاحه وزهده، وكان يعظ الناس بالوحدانية النقية الطاهرة، وكان ينهاهم عن عبادة المساخيط، كذلك كان يبشر بنفس الشىء بين المنافقين من المسيحيين واليهود.

ولقد صارع علنًا أصحاب الميول الرجعية، من الوثنيين، والمسيحيين، واليهود على حد سواء ممن كانوا يعتقدون فى وجود شريك أو شركاء مع الله سبحانه وتعالى.

وفى سبيل تحبيب الناس فى عبادة الواحد الأحد لم يدخل عليهم الغفلة أو يشتت أفكارهم أو يسرد عليهم أساطير غريبة، أو أحداثًا عجيبة تجعلهم ينحرفون عن الطريق الطبيعى إلى الغيبيات أى أنه لم يلجأ إلى المعجزات أو ماشابه ذلك من أعمال السحر، ولا هو أجبر الناس على السكوت باستخدامه تحذيرات أو تهديدات علوية كتلك التى تشل عقل الإنسان عن التفكير، وبكل بساطة كان يدعو الناس الى التفكير المنطقى فى أن ينظروا من حولهم ويتأملوا فى الكون وفى قوانينه، وكان محمد (عليه الصلاة والسلام)، مقتنعًا بوحدانية الله وبوجوده وأن العالم لا يمكن أن يسير إلا بأمر منه فطلب من الناس أن يتمعنوا فى الظواهر الطبيعية وأحداث الحياة، ثم يدعوهم إلى تحكيم ضمائرهم وفكرهم، وهو واثق كل الثقة من نتيجة ما يطلب إليهم ألا وهو وصولهم إلى وحدانية الله، وقد قام بترجمة كتاب السيدة الإيطالية المستشرقة سالفة الذكر إلى الإنجليزية CASELLI تحت عنوان INTERPRETA-TION OF ISLM انظر ص ٣٠، ٣١.

وتستطرد الكاتبة إلى القول (والفضل فى اندحار الوثنية بجميع أشكالها يرجع الى الإسلام وفكرته عن الكون ومزاولة الفرائض الدينية والعادات الاجتماعية التى تحررت من جميع أنواع اللامعقوليات، كالخرافات والتهديدات التى جعلت الإنسان ينزل إلى أحط الدرجات، وبذلك تحرر عقل الإنسان من التعصب لأفكار قديمة، وأخيرًا وجد الإنسان كرامته وعزته فلا يحط بنفسه إلى مستوى يقل عن مخلوق مثله، بل للخالق صانع الخلق جميعًا، لقد حرر الإسلام الروح البشرية من التعصب، وأطلق إرادة الإنسان مما كان يجدها من عادات وتقاليد مما يجعله أسيرا لإرادة الآخرين، كالكهنة، أو أسيرا للغيبيات، أو هؤلاء الذين يدعون بأنهم حراس على الأسرار الإلهية، أو هؤلاء الذين كانوا يتاجرون فى عملية خلاص الإنسان ثم هؤلاء الذين ادعوا لأنفسهم صفة الوساطة بين الله والإنسان، وادعوا لأنفسهم سلطة يتحكمون بها فى إرادة الخلق كل هؤلاء سقطوا عن عروشهم أمام مبادئ الإسلام، وغدا الإنسان حرًّا لا يخدم أحدًا غير صاحب هذا الكون، أما عن غيره من بنى الإنسان فجمعته بهم روابط أخلاقية واجتماعية تشده كرجل حر إلى أمثاله من الأحرار وكان الإنسان قبل الإسلام يكره التفرقة والظلم الاجتماعى الذى استهدف له فجاء الإسلام وأعلن المساواة بين جميع البشر، وأن الإنسان لا

يفضل إنسانًا غيره بسبب مولده أو بسبب ثروته، أو بسبب لونه أو بسبب قوته وشخصيته، بل بخوفه من الله وبما يقدمه من خير وما يتمتع به من تقوى وصفات وأخلاق حميدة.

إن الإسلام رسالة عالمية تنادى بالوحدانية - وحدانية الله - ووحدة الأديان جميعًا ووحدة الرسالة ووحدة الإنسانية.

الباب السادس

الفصل الأول

التعاليم الأخلاقية فى الإسلام والمسيحية

يحضّ كل من الإسلام والمسيحية الإنسان على عمل الخير، وعلى سلوك حياة صالحة نقية كريمة، وكلاهما يستنكر الكذب والخيانة والنفاق، والظلم والقسوة والتكبر والعتولة، والغدر والغضب، كما يحرم كلاهما الطمع والشهوة والبلادة والغيرة، والأنانية والجحود والتجمد، واستخدام القوة والكلمات القاسية، وكلاهما ينادى بالإيمان والثقة فى الله سبحانه وتعالى، والتوبة وقول الصدق والحياة النقية، والاتصاف بالشجاعة والعدل، والإحسان والعطف والرحمة، واحتفاظ الإنسان بضبط النفس والاستقامة، ويمكننا أن نجمع الخصال الرئيسية التى نجدها فى الإسلام والمسيحية على حد سواء فى مجموعتين المجموعة الأولى: التى تحرم على الإنسان وتمنعه من العدوان على النفس والمال والشرف، ومن النفاق والمداهنة، والمجموعة الثانية: التى تحض على عمل الخير وعلاقة الإنسان بالإنسان مثل الرحمة والتسامح والصدق والعطف والمحبة، ولسوف نورد فيما يلى موجزا لهذه التعاليم الأخلاقية للإسلام والمسيحية كما وردت فى القرآن والأناجيل الرسمية المنسوبة إلى الأربعة: متّى - مرقص - يوحنا - لوقا.. أو التوراة، باعتبارها الركيزة التى ترتكز إليها المسيحية.

الإسلام	المسيحية
العفــــة	
﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ سورة الإسراء، الآية٣٢. ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ سورة النور الآية ١٩. ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ سورة الأنعام آية ١٥١. «العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا...»	«قد سمعتم أنهم قالوا فى الأزمان القديمة لا تزن، وإنى أقول لكم إن من ينظر إلى امرأة مشتهيًا إياها، فقد زنا بها من قلبه».

الإسـلام	المسيحية

السـلام

﴿من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد فى الأرض، فكأنما قتل الناس جميعًا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا، ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات، ثم إن كثيرًا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون﴾ سورة المائدة الآية ٣٢.

﴿يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة﴾ سورة البقرة آية ٢٠٨.

﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ سورة الأنفال آية ٦١.

﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ سورة الرعد آية ٢٤.

﴿هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام﴾ سورة الحشر آية ٢٣.

«المسلم من سلم الناس من لسانه ويده» حديث شريف.

«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ افشوا السلام بينكم» حديث شريف

«طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض» متّى الإصحاح ٥ فقرة ٥.

«طوبى للضعفاء، لأنهم أبناء الله يدعون» متّى إصحاح ٥ فقرة ٩.

الأدب

﴿ولا تصعر خدك للناس، ولا تمش فى الأرض مرحًا، إن الله لا يحب كل مختال فخور، واقصد فى مشيك، واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ سورة لقمان الآيتان ١٨، ١٩.

﴿يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد

«وأما أنا فأقول لكم إن من يغضب من أخيه دون سبب حق عليه الحكم، ومن قال لأخيه راقا - هذه الكلمة نابية - حق عليه المجلس، ومن قال أنت أحمق، حقت عليه نار جهنم» متّى إصحاح ٥ فقرة ٢٢.

الإســلام	المسيحية
الإيمـان، ومن لم يتب فأولئـك هم الظالمـون﴾ سورة الحجرات الآية ١١.	
﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الـظن إثم، ولا تجسسـوا ولا يغتب بعضكم بعضًا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه، واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ سورة الحجرات آية ١٢.	
«المسلم من سلم الناس من لسانـه ويده» حديث شريف.	

الأمـانــة

الإســلام	المسيحية
﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم عـلى بعض للرجـال نصيب ممـا اكتسبـوا وللنسـاء نصيب مما اكتسبن، واسألوا الله من فضله، إن الله كان بكل شيء عليمًا﴾ سورة النساء آية ٣٢.	«لا تشتهى بيت جارك ولا زوجة جـارك ولا عبيده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئًا مما يملك» الخروج إصحاح ٢٠ فقرة ١٧.
﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾ سورة البقرة الآية ١٨٨.	
﴿وأوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين، وزنوا بالقسطاس المستقيم، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ سورة الشعراء الآيات ١٨١، ١٨٢، ١٨٣.	
«ثلاثة أختصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل ثمنه، ورجل استأجر حـرًا فاستـوفى منه ولم يعـطه أجره» حديث شريف.	

الحـق والعــدل

الإســلام	المسيحية
﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتمـوا الحق وأنتم تعلمون﴾ سورة البقرة آية ٤٢.	«لا تشهـد عـلى جـارك شهـادة زور» - الخروج إصحاح ٢٠ فقرة ١٦.
﴿يأيها الذين آمنوا إذا تـداينتم بدين إلى	«لا تحرف القضاء، ولا تحترم أشخاصًا دون

الإســلام

أجـل مسمى فاكتبـوه، وليكتب بينكم كـاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله، فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئًا، فإن كان الذى عليه الحق سفيهًـا أو ضعيفًا أو لا يستـطيع أن يمـل هو، فليملل وليه بالعدل، واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهـداء أن تضل إحـداهما فتذكر إحداهما الأخرى، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرًا أو كبيرًا إلى أجله، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا، إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم، فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهـدوا إذا تبايعتم، ولا يضـار كاتب ولا شهيد، وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم، واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكـل شىء عليم﴾ سـورة البقرة آية ٢٨٢.

﴿ولا تقتـلوا النـفس التى حــرم الله إلا بالحق﴾ سورة الإسراء آية ٣٣.

﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته، ويقطع دابر الكافرين﴾ سورة الأنفال آية ٧.

﴿فـاليوم تجـزون عذاب الهـون بمـا كنتم تستكبـرون فى الأرض بغـير الحق﴾ ســورة الأحقاف آية ٢٠.

﴿وفى أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ سورة الذاريات آية ١٩.

﴿اعدلوا هو أقرب للتقـوى واتقوا الله﴾ سورة المائدة آية ٨.

﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كـان ذا قربى﴾ سورة الأنعام آية ١٥٢.

﴿وإذا حكمتم بـين النـاس أن تحكمــوا

المسيحية

أشخاص، ولا تقبل رشوة، فالرشوة تعمى أعين الحكماء، وتجعل كلام الصادقين معوجا، وعليك أن تلتزم العدل فى حياتك حتى تعيش وتـرث الأرض التى يهبك الله إياها» التثنية إصحـاح ١٦، فقرة ١٩، ٢٠.

بالعدل﴾ سورة النساء آية ٥٨.

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى﴾ سورة النحل آية ٩٠.

﴿فـإن فاءت فـأصلحـوا بينهـما بـالعـدل وأقسطوا...﴾ سورة الحجرات آية ٩.

﴿وأمرت لأعدل بينكم...﴾ سورة الشورى آية ١٥.

﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقـوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ سورة المائدة آية ٨.

﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهـداء لله ولو عـلى أنفسكم، أو الـوالـدين والأقربين، إن يكن غنيًا أو فقيرا، فالله أولى بهما فـلا تتبعوا الهـوى أن تعـدلـوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا﴾ سورة النساء، آية ١٣٥.

الشجاعة والصبر

﴿يـأيها الـذين آمنوا استعينـوا بـالصـبر والصلاة إن الله مع الصابرين، ولا تقولوا لمن يقتـل فى سبيل الله أمـوات بل أحيـاء ولكن لا تشعـرون، ولنبلونكم بشـىء من الخـوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشـر الصـابـرين﴾ سورة البقـرة آيـات ١٥٣-١٥٦.

﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم، إنما ذلكم الشيـطان يخوف أوليـاءه فلا

«ولسـوف يسلم الأخ أخـاه، والأب ابنـه للموت، ويقوم الأولاد عـلى آبائهم وأمهـاتهم ويتسببون فى موتهم ولسوف يبغضكم الجميع من أجلى، ولكن سيجد من يصبر ويتحمل الخلاص والنجاة، عندمـا يضطهـدونكم فى هذه المـدينة فالجئوا إلى أخرى، والحق أقول لكم إنكم لن تكملوا جولتكم فى مدن إسرائيل حتى يكـون ابن الإنسان قد أتى، ليس التلميذ أفضل من المعلم، وليس الخادم أفضل من سيده.

ويكفى للتلميذ أن يبلغ مبلغ أستاذه والخادم يصل إلى مركز سيده، وإذا ما لقبوا رب البيت بعازبول، فبماذا يا ترى يلقبون أهل بيته، فلا

الإســلام

تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ سورة آل عمران الآيات ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥.

﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ سورة الشورى آية ٤٣.

﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ سورة النحل آية ٩٦.

﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ سورة القصص آية ٥٤.

﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ سورة آل عمران آية ١٢٥.

﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ سورة لقمان آية ١٧.

﴿اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ سورة آل عمران آية ٢٠٠.

﴿ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ سورة البقرة آية ٢٥٠.

﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ سورة البقرة آية ٢٤٩.

﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين﴾ سورة العنكبوت آية ٦.

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ سورة آل عمران آية ١٤٢.

﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، أعظم درجة عند الله﴾ سورة التوبة آية ٢٠.

﴿يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ سورة التحريم آية ٩.

المسيحية

تخافوهم ولا تخافوا من يقتل الجسد، فلن يستطيعوا أن يقتلوا الروح، ولكن خافوا هؤلاء الذين يدمرون الجسد والروح فمآلهم جهنم» متى إصحاح ١٠ الفقرة ٢١-٢٨.

الإســلام	المسيحية
﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق...﴾ سورة محمد آية ٤.	

العفـو والمغفـرة

﴿الــذين ينفقــون فى الســراء والضـراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ سورة آل عمران الآية ١٣٤.

﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق، فاعفـوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره، إن الله على كل شيء قدير﴾ سورة البقرة آية ١٠٩.

﴿وأن تعفـوا أقـرب للتقـوى ولا تنسـوا الفضل بينكم﴾ سورة البقرة آية ٢٣٧.

﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ سورة البقرة آية ٢١٩.

﴿لا تقنـطوا من رحمـة الله إن الله يغفـر الذنوب جميعًا﴾ سور الزمر آية ٥٣.

﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قومًا بما كانوا يكسبون﴾ سورة الجاثية آية ١٤.

﴿ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا﴾ سورة النسـاء آية ١١٠.

«وقال له بطرس يا سيـد كم مرة أسمـح لأخى أن يخـطئ فى حقى وأغفر لـه إلى سبع مرات، فرد عليه يسوع لا أقول لك إلى سبع مـرات بل إلى سبعـين مرة سبـع مرات» متى ١٨ - ٢٢.

عمل الخير

﴿أرأيت الذى يكذب بالدين، فذلك الذى يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، فويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون﴾ سورة الماعون الآيات من ١ إلى ٧.

فأجاب عيسى قائلًا: ولسوف تحب الرب إلهك من كل قلبك وبكل تفكيرك وبكل قوتك، ولسوف تحب جارك بالمثل، ثم قال لهم صوابًا تحبه أفعل ذلك فلسوف تحيا.

فرد عليه هذا الذى أراد أن يبـرر موقفـه

الإســلام	المسيحية

الإســلام

﴿الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خـوف عليهم ولا هم يحزنـون، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم، يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدًا لا يقدرون عـلى شيء مما كسبـوا والله لا يهـدى القـوم الكافرين﴾ سورة البقرة الآيات ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤.

﴿وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم﴾ سورة النساء آية ٢٥.

﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ سورة البقرة آية ١١٠.

﴿إن مـا عند الله هـو خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ سورة النحل آية ٩٥.

﴿وزنـوا بالقسـطاس المستقيم ذلك خـير وأحسن تأويلا﴾ سورة الإسراء آية ٣٥.

﴿ومن جاء بالحسنة فله خير منها﴾ سورة القصص آية ٨٤.

﴿ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعـدها لغفـور رحيم﴾ سورة النحـل آية ١١٩.

﴿أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين النـاس﴾ سورة البقرة آية ٢٢٤.

﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم﴾ سورة الأنفال آية ١.

﴿... والصلح خـير وأحضـرت الأنفس الشح...﴾ سورة النساء آية ١٢٨.

المسيحية

موجهًا كلامه إليه (عيسى عليه السلام) ومن هو جارى؟

فأجاب عيسى كان هناك رجل مسافر من القـدس إلى أريحا فـوقع بـين يدى لصـوص فجردوه من ملابسه وأثخنوه جراحًا ثم تركوه بين الحياة والموت، وحدث أن قسيسًا كان مارًا صدفة بالطريق، فلما شاهده عرج إلى الناحية الأخرى من الطريق، وبالمثل حدث أن لاويًا مر بهذا المكان وعرج أيضًا إلى الناحية الأخرى من الطريق ثم جاء سامرى، ولما رآه حن إليه قلبه وهرع إليه وضمد جراحه وصب عليها زيتًا ونبيذًا ثم أركبه دابته وسار معه حتى أتى نزلاً وبقى معه يرعاه، ولما أصبـح الصباح أخـرج دينـارين وأعطاهـا لصاحب النـزل وأوصـاه بالعناية به ورجاه إذا ما أنفق عليه مهما أنفق فإنه سيرد إليه كل ما ينفق ثم سأل عيسى أى هؤلاء الثلاثة تظنون أقـرب إلى هذا الـرجل الذى وقع بين أيدى اللصوص.

وقال لا شك أن هذا الذى أظهر رحمة به وصاح عيسى فى سائله اذهب وافعل كما فعل (لوقا إصحاح ١٠. ٣٠ - ٣٧).

﴿... أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾ سورة الأنبياء آية ١٠٥.

المحبة والعطف والرأفة

﴿... وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ سورة البقرة آية ١٩٥.

﴿يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ سورة البقرة آية ٢٧٦.

﴿... إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورًا﴾ سورة النساء آية ٣٦.

﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم...﴾ سورة النساء آية ١٤٨.

﴿... ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ سورة المائدة آية ٨٧.

﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ سورة العاديات آية ٨.

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» حديث شريف.

«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر». حديث شريف.

وقد أتى الإسلام بتشريعات جديدة لم ترد فى الكتب المنسوبة إلى موسى وعيسى وبعض هذه التشريعات تقضى بما كان متبعًا أو هى تفسير وتأكيد لما يجب أن تكون عليه المعاملات ولسوف نقارن بين ما جاء به القرآن وبين ما هو متبع بين المسيحيين فى بعض هذه الأمور.

«فأجابه عيسى إن أول الوصايا ياإسرائيل أن الرب إلهنا هو واحد لا شريك له، وأنكم سوف تحبون الرب إلهكم من كل قلبكم، وبكل روحكم، وبكل تفكيركم، وبكل قوتكم، هذه الوصية الأولى، والوصية الثانية: أن تحب جارك كما تحب نفسك وليس هناك من وصية أعظم من هاتين الوصيتين».

مرقص إصحاح ١٢ فقرة ٢٩ - ٣١.

«وصية جديدة أعطيكم إياها، أن تحبوا بعضكم بعضًا وكما أحببتكم ولسوف يحب الواحد منكم الآخر، وبهذا سيعرف كل الناس أنكم تلاميذى إذا ما أحب الواحد منكم الآخر».

يوحنا إصحاح ١٣: ٣٤ - ٣٥.

الزواج والطلاق
والعلاقات الزوجية

سوى الإسلام بين المرأة والرجل فى جميع الحقوق والواجبـات.. فالمـرأة مكلفة بكـل ما كلف به الرجل فى العبادات، ولقد بايع الرسول النساء والرجال على حد سواء.

والمرأة تتزوج برضائها وليس برضاء أحد من أهلها أو عشيرتها.

المرأة ترث من أبيها وأمها كما يرث الرجل وإن اختلف النصاب، فأحياناً يزيد على الرجل وأحياناً ينقص عنه.

إذا كان الرجل عمًّا أو أبًـا أو خالا تـرث البنت الوحيدة من أمها المتوفـاة أو من أبيها المتوفى أكثر من العم أو الخال.

قال الله تعالى فى تسويته بين المرأة والرجل فى سورة آل عمران الآية ١٩٥: ﴿أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾.

﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهـو مؤمن فأولئـك يدخلون الجنـة﴾ سـورة النساء آية ١٢٤.

﴿من عمل صالحًـا من ذكر أو أنثى وهـو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ سورة النحل آية ٩٧.

﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء..﴾ سورة النساء آية ٢٢.

﴿وإن خفتم ألا تقســطوا فى اليتــامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فـواحدة أو مـا

لم يرد فى الإنجيل أى نص صريح يدل على تحريم الزواج بأكثر من واحدة، بل كان اليهود فى الشرق يتزوجون بالمئات، فداوود مثلا تزوج بعدد كبير من النساء، وجاء فى صمويل الأول الإصحـاح ٢٥ فقـرة ٣٩ مـا تـرجمتـه عن الإنجليزية (ولما سمع داوود بموت نابـال، قال بوركت اللهم بوركت فقد انتقمت لى من نابال وباعدت خادمه عن المعصيـة فقد رددت شر نابال على رأسه، ثم أرسـل داوود رسولا إلى ابيجايل يعرض عليها الـزواج وكانت امـرأة نـابال ولـما جاء عبيـد داوود إلى إبيجايـل فى الكرمل وكلموها قائلين إن داوود قد أرسلنـا إليـك ليتخذك زوجـة، قامت وسجـدت عـلى وجهها وقالت: رعاك الله يا داوود إنى أمتـك وخادمتك، أغسل أرجل خدمك يا سيدى، أما سليمان، فقد تزوج عددا لا يحصى من النساء قدر بنحو ٧٠٠ امرأة، فقد جاء فى سفر الملوك الإصحاح (١١ من الفقرة ١: ما ترجمتـه من الإنجليزية) أما الملك سليمان فقد أحب الكثير من النساء المختلفات إلى جانب بنت فرعون، منهن العمـونيات، والمـوابيـات، والأدوميـات، والصيدوبئات، والحتيـات وكانت لـه سبعمائـة امرأة وثلاث مائة جارية، وكانت لكل زوجة من أزواجه نصيب فى قلبه، وجاء فى الفقرة ٥ من نفس الإصحـاح: وكان سليمـان يجـرى وراء عشتورث «آلهة الصيـدونين» ومن يقـرأ هذا السفر يجد عجبًا.

الإسلام	المسيحية
ملكت أيمانكم، ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ سورة النساء آية ٣.	ثم إن إبراهيم تزوج أكثر من واحدة إلى جانب سارة اشتهرت منهن هاجر المصرية أم إسماعيل.
﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم...﴾ سورة النساء آية ١٢٩.	أباحت الأناجيل الزواج بدون حد. أما الزواج بواحدة فيرجع إلى القانون المدنى.
﴿فاعتزلوا النساء فى المحيض﴾ سورة البقرة آية ٢٢٢.	
﴿وإذا طلقتكم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف...﴾ سورة البقرة آية ٢٣١.	
﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة...﴾ سورة النساء آية ٤.	
﴿إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة...﴾ سورة الطلاق آية ١.	
﴿لاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجًا منهم...﴾ سورة الحجر آية ٨٨.	

الإفراط والتسامح

الإسلام	المسيحية
«لم يفرط الإسلام فى التسامح إلى حد الإذلال والهوان، ولكنه نادى بالعفو المتزن، أو طلب العفو من الله»..	«ولكنى أقول لكم أحبوا أعداءكم وباركوا من يلعنكم، افعلوا الخير مع من يبغضكم وصلوا من أجل من يستغلونكم استغلالا حقيرًا أو يظلمونكم» إنجيل متى إصحاح ٥ فقرة ٤٤ - عن الإنجليزية.
﴿فاعف عنهم واصفح، إن الله يحب المحسنين﴾ سورة المائدة آية ١٣.	
﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ سورة الأعراف آية ١٩٩.	
﴿.. والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس..﴾ سورة آل عمران آية ١٣٤.	

الإفراط فى الانتقام وإثارة الفتنة

الإسلام	المسيحية
لم يحدث أن حث الإسلام على الانتقام لمجرد الانتقام أو إثارة الفتنة بين الأخ وأخيه، والابن وأبيه، ككلام واضعى هذه الأناجيل، وكتبتها، أو	أما عن أعدائى الذين يرفضون ملكى عليهم فأتوا بهم واذبحوهم أمامى. إنجيل لوقا إصحاح ١٩ فقرة ٢٧ مترجمة عن الإنجليزية.

الإسلام

من أمر بكتابتها على هذا النحو، ثم إن مثل هذه العبارات التى تفرط فى القسوة والتفرقة الحمقاء، لم ترد إلا فى إنجيلىْ لوقا ومتّى، أما القرآن فجاء بنقيض ذلك كله، ويكفى أن نشير إلى الآية ٨ من سورة المائدة ﴿يٰأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

المسيحية

«ولسوف يسلم الأخ إخوته للموت، والأب بنيه، ويتمرد الأبناء على الآباء، ويكونون سببًا فى موتهم» متّى الإصحاح ١٠ الفقرة ٢١ مترجمة عن الإنجليزية.

ثم جاء فى الفقرة ٣٤ من نفس الإصحاح ما يلى:

«لا تظنوا أنى جئت لألقى سلامًا على الأرض، ما جئت لألقى سلاما بل سيفًا»

وجاء فى الفقرة ٣٥ من نفس الإصحاح والترجمة عن الإنجليزية «جئت لأفرق بين الإنسان وأبيه، والابنة وأمها، والكنة وحماتها، ولسوف يكون أعداء الإنسان أهل بيته».

ملاحظة: كل ما ورد عن الانتقام وإثارة الفتنة لا يمكن أن يكون من كلام الله سبحانه بل كلام دخيل.

العدالة المطلقة

نادى القرآن بالعدالة المطلقة بين الناس وبمساواة كاملة دون تفضيل أو محاباة بين المؤمنين، إنما يكون التقرب عند الله بما يأتيه الإنسان من تقوى وخير ورحمة بمن كانوا إخوة له فى الإنسانية، انظر الآية ١٣٥ من سورة النساء ﴿يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيًّا أو فقيرًا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا﴾.

ثم انظر سورة المائدة آية ٨:

﴿يٰأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا

جاء فى الوصية التاسعة «لا تشهد على قريبك بالزور»، وقد قصر الشهادة بالعدل على من هم أقرباء الشاهد، على حين قيدها بالنسبة للغرباء فحث على شهادة الزور لصالح هذا القريب ضد الغير.

وقد فرق الإنجيل بين الطوائف بعضها وبعض فخص الجنة للفقراء، فقد جاء فى الإصحاح ١٩ من إنجيل متّى الفقرة ٢٣ «ثم قال عيسى لتلاميذه الحق أقول لكم من المستحيل تقريبًا أن يدخل غنى ملكوت السماوات وإنى أقول لكم مكررًا إن من السهل أن يدخل الجمل من ثقب إبرة من أن يدخل غنى ملكوت الله».

الإسلام

اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾.

كذلك جاء فى سورة الأنعام الآية ٧٠:

﴿... وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾.

وجاء فى سورة الأنعام الآية ١٥٢:

﴿... وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾.

وجاء فى سورة النحل الآية ٩٠:

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾.

المسيحية

وكأن المعيار فى دخول الجنة هو الفقر والغنى لا التقوى والمحبة والإحسان والعطف على اليتامى والمساكين ومساعدة الغير من المحتاجين.

ثم جاء فى الفقرة ٢١ من نفس الإصحاح «قال يسوع له إذا أردت أن تكون كاملا اذهب ومعك كل ما تملك وانفقه على الفقراء وعندئذ سوف تجد لنفسك كنزًا فى السماوات.. ثم احضر واتبعنى».. وهذه الفقرة تؤكد ما ذهب إليه كاتب إنجيل متّى من أن الفقر والإملاق كفيلان بدخول الجنة، حتى لو كان هذا الفقير مجرمًا قاتلا.. ولقد قصر كاتب إنجيل متّى دخول الجنة على الذين أعطى لهم أو الذين يترهبون، فقد جاء فى الفقرة ١٢ من الإصحاح ١٩، يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم حتى يدخلوا ملكوت السماوات».

وكأن كاتب هذا الإنجيل المنسوب إلى متّى يحث الناس على أن يخصوا أنفسهم حتى يدخلوا الجنة وبالتالى يتركون الأشرار والفجار والمفسدين يرتعون فى الأرض وينسلون، ألم يعلم أن داوود قد تزوج أكثر من ٩٠ امرأة وأن إبراهيم تزوج على الأقل من امرأتين وأن موسى نفسه والذى جاء عيسى لتثبيت شريعته كان مزواجًا.

الفصل الثانى

التعاقب الزمنى للأحداث

لا تهتم الأناجيل بالتعاقب الزمنى للأحداث.. فمثلاً الإنجيل المنسوب إلى مرقص يشير إلى قصة الصيادين فى الإصحاح الأول من الفقرات ١٦ إلى ٢٠ ويشرح كيف دعا المسيح الصيادين الأربعة إلى اتباعه قائلاً لهم «ستصيرون صيادى الناس» فى حين أنه لم يكن يعرفهم ولم يختبرهم، وبالتالى يكون سرد القصة على هذا النحو غير مستساغ، لأنها تقوم على العفوية، ويختلف الإنجيل المنسوب إلى مرقص والإنجيل المنسوب إلى لوقا مع الإنجيل المنسوب إلى متىّ خاصة بالنسبة لقصة يونس فتقول الفقرتان ١١، ١٢ من الإصحاح ٨ من إنجيل مرقص (لن يعطى هذا الجيل آية، ثم تركهم وصعد إلى السفينة ليمضى إلى الضفة الأخرى) كذلك يقول إنجيل متىّ «لن يكون لهذا الجيل آية» أما إنجيل لوقا فقد أورد فى الإصحاح ٧ الفقرة ٢٢ ما يلى «فأجابهم عيسى قائلاً لهم اذهبوا فى طريقكم وانقلوا إلى يوحنا ما رأيتم وما سمعتم وكيف يرى الأعمى ويسير الأعرج، ويشفى الأبرص، ويسمع الأصم ويقوم الموتى، ويكرز بالإنجيل للفقراء» وجاء فى إنجيل لوقا الإصحاح ١١ الفقرة ٢٠ «وإذا ما كنت بيد الله أخرج الشياطين فإن مملكته سبحانه وتعالى قد حلت بكم»، ومعنى ذلك أن هناك آية أو آيات قد قدمها المسيح فعلاً مما يتنافى مع ما سبق قوله من أن هذا الجيل لا يستحق آية، وتعترف الكنيسة بوجود إضافات فى الإنجيل المنسوب إلى مرقص خاصة الإصحاح السادس عشر من الفقرة ٩ حتى الفقرة ٢٠، ويؤكد الأب كانينجر وجود إضافات لم ترد فى أى إنجيل آخر، كما أنها تتعارض مع قول المسيح، مثال ذلك، أنه جاء ليهدى أبناء إسرائيل الضالين، غير أن الفقرات من ٩ إلى ٢٠ تتناول ظهور المسيح لتلاميذه بعد موته، والدعوى بأنه أمرهم بنشر المسيحية فى العالم أجمع، فى حين أن ذلك يتنافى مع إعلانه أنه جاء لإعادة الضالين من بنى إسرائيل إلى حظيرة الرحمن، كذلك نجد الإنجيل المنسوب إلى لوقا، يتعمد حذف الفقرات التى تتمشى مع اليهودية بعكس إنجيل مرقص، الذى يبرز أكثر الفقرات تمشيا مع اليهودية، وترى دائرة المعارف البريطانية أن كاتب إنجيل لوقا، كان وثنيًا ثم آمن بالمسيحية، وترى أن إنجيل مرقص، كتبه فى الأصل يهودى على أنه استخدم بعض التعبيرات اللاتينية، وأنه عنى من إنجيله غير الفلسطينيين، فاعتنى بشرح الفقرات الآرامية الأصل، ويرى أسقف هيرا أن كاتب إنجيل مرقص، كان يدعى بطرسًا، وكان يعمل مساعدًا لبولس، فى نحو عام ١٥٠ م وأن بطرس هذا لم ينل حظًا من التعليم.

الفصل الثالث

حفظ القرآن والتوراة والأناجيل

* تدوين القرآن والتوراة والأناجيل.
* تدوين القرآن.

بدأ المسلمون يحفظون القرآن فى صدورهم بمجرد نزوله على صاحب الوحى ﷺ، وكلما نزل منه شيء كانوا يتلقونه ويستظهرونه (عن ظهر قلب)، ولم ينحصر حفظه على أصحاب رسول الله، بل قاموا بكتابته فى العسب، وقطع الأدم، وكسر الأكتاف التى كان يكتب فيها كتاب النبى ﷺ، وتحت رعايته، بل كان يرتسم كذلك بمجرد نزوله على العشرات ثم المئات من الصدور.

ولما ظهرت فتنة الردة بعد وفاة النبى ﷺ، أنفذ الصحابة جندًا لقمعها، فاستشهد عدد كبير من حفظة القرآن مما دعا عمر رضى الله عنه إلى مفاتحة أبى بكر فى جمع القرآن وكتابته فى مصحف واحد، وتم ذلك بعد موقعة اليمامة، إذ كان أبو بكر قد كلف زيد بن ثابت الأنصارى - وكان من كتاب النبى - أن يتتبع القرآن ويجمعه من الرقاع والجلد ونحوها، ويأخذ ما يوجد عند أى واحد من الصحابة ما كتب من القرآن، ثم استعان بحفاظ الصحابة فى ضبط المحفوظ، وبناء على شهادة إجماعية من هذه الوسائل الثلاث وبعد التثبت من عدم وجود أى غلطة فى المكتوب والمقروء، تم تدوين القرآن لفظة لفظة، وبهذه الطريقة المحكمة كتبت نسخة من القرآن فى المصحف وأودعت عند أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها، وكانت تحفظ القرآن كله فى صدرها، وأذن لعامة المسلمين أن ينسخوا منها أو يقابلوا ما عندهم من المكتوب عليها، وحرصًا على إبعاد المسلمين عن الفتن، قرر عثمان رضى الله عنه، وعلى مشورة من أصحاب رسول الله، أن تنسخ المصاحف من المصحف المعتمد لدى حفصة والتى ضبطت كلماته فى عهد أبى بكر، وتفرق فى البلاد الإسلامية ويمنع من التداول ما سواه من القرآن المكتوب بقراءة أخرى أو بلهجة مخالفة، وبعد أن أتم عثمان عمل نسخ من المصحف، بعث مع كل نسخة من المصحف من يرشد الناس إلى قراءته ولا تزال إحدى هذه النسخ المعتمدة فى الاتحاد السوفيتى.

أما عن التوراة فقد بدأت كتراث شعبى ينشده الشعراء فى المجتمعات والحفلات بعد مائتين وخمسين عامًا من وفاة موسى، ويرجع أول نص كتب عن التوراة، وهى توراة القديس إيرونيماس إلى القرن الخامس بعد الميلاد وهى طبعة فالجيت Vulgate، وكانت هناك قبل ذلك ثلاث نصوص للتوراة وهى الماسورى، والعبرى، والسامرى، (أسفار موسى الخمسة)، وذلك حتى القرن الثالث قبل الميلاد أى بعد

وفاة موسى بأكثر من تسعة قرون، وهناك نص آخر يرجع إلى القرن الرابع بعد الميلاد، ومحفوظ فى الفاتيكان، وآخر بالمتحف البريطانى، وهناك نص عبرى يرجع إلى القرن الخامس بعد الميلاد، ومع ذلك لا تزال بعض الكنائس ترفض بعض نصوص التوراة.

وما يرويه العهد القديم عن موسى والآباء الأولين، لا يتمشى مع أحداث التاريخ، ولكن الناس صدقوه بفضل الرواة المنشدين وما أضفوه على أساطيرهم الشفهية من خيال وجمال وإمتاع.

(ب) الطهارة والختان:

لم يرد شىء فى القرآن الكريم عن الختان، ولكنه أشار إلى الطهارة بمعنى الغسيل والنظافة، فقال بالنسبة للنساء ﴿فاعتزلوا النساء فى المحيض، ولا تقربوهن حتى يطهرن...﴾ سورة البقرة آية ٢٢٢.. كما أشار إلى الزكاة وكيف تطهر نفوس الذين يتزكون فقال ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها...﴾ سورة التوبة آية ١٠٣.

ومن ناحية الغُسل قال تعالى: ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به...﴾ سورة الأنفال آية ١١. كذلك قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾ سورة الأحزاب آية ٣٣. واستخدم الطهور بمعنى الغسيل والنظافة كما أشار إلى غسيل البيت الحرام بمكة فقال: ﴿وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ سورة الحج آية ٢٦. وقال ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين﴾ سورة البقرة آية ١٢٥، كما أشار إلى الطهارة من الجنابة فى آيات عدة مثل ﴿...فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله...﴾ سورة البقرة آية ٢٢٢. وقال ﴿...إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا...﴾ سورة آل عمران اية ٥٥. أما الختان فهو سنة، إذ ختن ﷺ وهو طفل، وبالنسبة للإناث جوازًا وليس حتميًا.

أما عن المسيحية فقد كان المسيحيون الأوائل يمارسون الختان «ختان الأولاد والبنات» كاليهود تمامًا ولكن بعد انضمام الوثنيين الذين تنصروا كونوا مجمع القدس المسكونى عام ٤٩، ثم أخذوا يسعوْن عن طريق هذا المجمع إلى التحلل من بعض مناسك اليهودية، ومنها الختان، وراحة يوم السبت، وديانة المعبد، وكان من بين هؤلاء الوثنيين الذين تنصروا بولس، الذى حاول أن يجمع بين المسيحية والوثنية.

(ج) رفع عيسى عليه السلام إلى السماء:

ينفى الإسلام تمامًا أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، قد قتل على الصليب، ويؤكد أنه رفع إلى السماء وأنه كان رسولاً ولدته أمه مريم بمعجزة، قال تعالى: ﴿... إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم...﴾ سورة النساء آية ١٧١.

وقال: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ سورة المائدة آية ١٧، ٧٢.

وقال: ﴿ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل...﴾ سورة المائدة آية ٧٥.

ويشير القرآن إلى أنه ولد بكلمة من الله، أى كانت ولادته غير طبيعية فلم يحدث الحمل عن طريق اتصال عضوى، كذلك كان رحيله، إذ قال تعالى ﴿... يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ...﴾ سورة آل عمران آية ٥٥. فقد خلق عيسى من تراب كآدم على حد سواء ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب...﴾ سورة آل عمران آية ٥٩. وكانت مهمة عيسى محصورة فى هداية بنى إسرائيل إذ جاء يذكرهم بالشريعة اليهودية وتطبيقها، قال تعالى ﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم...﴾ سورة الصف آية ٦ أما عن المسيحية، فلم يرد فى الإنجيلين المنسوبين إلى متىّ، ويوحنا، شىء عن صعود المسيح إلى السماء فى حين أشار لوقا إلى أنه صعد يوم القيامة، أما الإنجيل المنسوب إلى مرقص، فيشير إلى صعوده فى عبارات عامة دون تحديد وقت، وجاءت هذه الإشارة فى خاتمة الإنجيل المنسوب إلى مرقص، وتقول دائرة المعارف البريطانية إن خاتمة مرقص مزورة وغير صحيحة.

وإذا فحصنا إنجيل لوقا، وقارناه بأعمال الرسل، التى ألفها لوقا نفسه، نجده يشير فى الأخيرة إلى أن المسيح صعد إلى السماء بعد ٤٠ يومًا من صلبه، فى حين يتناقض ذلك مع إنجيله، إذ يشير إلى أنه صعد فى يوم الفصح أى بعد ٢٤ ساعة من صلبه، على أن برنابا أشار إلى أنه لم يصلب بل رفع إلى السماء.

(د) صلب المسيح:

يبدو أن عقوبة الصلب، كانت شائعة فى زمن المسيح، وعند قدماء المصريين، عقابًا لمن يقترف جريمة عقوبتها القتل، فيحدثنا القرآن عن نبوءة يوسف لأحد نزلاء السجن معه فيقول إنه ﴿وتأكل الطير من رأسه﴾، كما أن فرعون هدد السحرة بقوله: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، ثم لأصلبنكم أجمعين﴾ سورة الأعراف آية ١٢٤. ثم جاء الصلب بمعنى الشنق فى سورة طه الآية ٧١، إذ قال تعالى: ﴿ولأصلبنكم فى جذوع النخل﴾.

وعن المعجزات التى وقعت عند صلب المسيح يقول متى فى الإصحاح ٢٦ من الفقرة ٥١ – ٥٣ ما ترجمته عن الإنجليزية «وإذا حجاب الهيكل قد شق إلى نصفين من أعلى إلى أسفل وتزلزلت الأرض وتشققت الصخور وانفتحت المقابر وقامت أجساد الكثيرين من القديسين من موتها وسارت تاركة قيودها بعد قيامها ودخلت المدينة المقدسة وظهرت للكثيرين».

وجاء فى إنجيل متىّ الإصحاح ١٢ الفقرات من ٣٨ إلى ٤٠ ما ترجمته عن «الإنجليزية» ثم رجا بعض الكتبة والفريسيون قائلين يا معلم هلا أظهرت لنا آية، ولكنه أجابهم «جيل شرير وفاسق يطلب آية، ولن يعطى آية أخرى غير آية يونس النبى، فكما مكث يونس فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، يمكث ابن الإنسان ثلاثة أيام وثلاث ليال فى بطن الأرض»، وابن الإنسان المقصود هو عيسى عليه السلام.

ويقول متىّ فى الإصحاح السادس عشر مؤكدًا أن عيسى تركهم دون أن يكلمهم، فقال فى الفقرة

الرابعة «جيل شرير وفاسق يطلب آية ولن يعطى آية غير آية يونس النبى ثم تركهم ومشى»، ويعزز لوقا هذا القول فى الإصحاح ١١ الفقرة ٢٩، فيقول ما ترجمته «وعندما اجتمع الناس وتكاثروا بدأ يقول لهم إنه جيل شرير يطلبون آية، ولن يعطوا آية غير آية يونس النبى»، كذلك مرقص فى الإصحاح ٨ الفقرة ١١ إلى ١٣ وترجمتها كالتالى:

«وأتى إليه الفريسيون وبدءوا يستجوبونه طالبين آية من السماء، فتنهد من روحه وقال: لماذا يطلب هذا الجيل آية، الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية ثم تركهم ودخل المركب فأبحرت به إلى الشاطىء الآخر».

وهذا الوصف الذى وصفه متى من زلزلة الأرض وتشققها لم يرد فى أى إنجيل آخر، كذلك لم يشر إنجيل واحد غير متى إلى قيام القديسيين من رقادهم الأبدى وساروا تاركين قبورهم بين طرقات القدس ومن المعلوم أن المسيح - كما يروى المسيحيون - قد صلب يوم الجمعة، وما كان لأرواح هؤلاء القديسين وأجسادهم أن تخرج قبل قيام المسيح نفسه أى غداة السبت كما تشير المصادر الإنجليكية، ولما كان يوم السبت راحة كان على هؤلاء القديسين أن يراعوا السبت فلا يتركون قبورهم قبل قيام المسيح، وإلا اتهموا بالزندقة.

والوصف الذى جاء فى متىّ خيالى لا يؤيده علم، ولا يقوم على واقع، ثم لنا أن نتساءل، كيف يستطيع عيسى أن يقوم من قبره بعد يوم كامل، وكان من المتعين عليه أنايقضى ثلاثة أيام وثلاث ليال، كما أجمع متىّ ولوقا ومرقص فى الأناجيل المنسوبة إليهم، وهم الذين حددوا موته بيوم جمعة أى يوم واحداقبل يوم السبت كذلك لم تصدق أقوال المسيح عندما أشار إلى أنه سيمكث ثلاثة أيام وثلاث ليال، كما جاء فى متىّ الإصحاح١٢ الفقرة ٣٨-٤٠، ثم - أى حساب هذا «ثلاثة أيام وثلاث ليال» والواقع أنه لا يمكن أن تكون هناك ثلاثة أيام وثلاث ليال «نعم قد تكون هناك ثلاث ليال ويومان (نهاران) أو ثلاثة أيام وليلتان.. وبالتالى لا يمكن أن نصدق أن هذا القول قد قاله حقا المسيح لأنه باعتباره رسولا من عند الله لا يستطيع أن يقع فى مثل هذا الخطأ الحسابى البسيط، ثم هناك خلاف بين متىّ من ناحية ومرقص ولوقا من ناحية أخرى، فبينما ينسب مرقص عبارة «جيل شرير يطلبون آية...» إلى المسيح وهو على ظهر السفينة، يعارضه فى ذلك لوقا الذى لم يعايش المسيح ومتىّ الذى لم يعرف المسيح ويدعيان أن هذا القول كان فى العيد.. الأمر الذى يسقط هذه الفقرة من سجل الحقائق وينقلها إلى سجل الأساطير.

(هـ) ظهور المسيح بعد موته:

ظهر المسيح طبقًا للإنجيل المنسوب إلى يوحنا لتلاميذه على بحيرة طبرية، فقد جاء فى الإصحاح ٢١ الفقرة من ١ إلى ١٤ وصف ظهور المسيح، ولكنه ممزوج بنفس قصة العيد التى قصها لوقا فى الإصحاح الخامس ابتداءً من الفقرة (١) حتى الفقرة ١١، ويقول علماء المسيحية إن هذه الرواية إضافة لاحقة للإنجيل المنسوب إلى يوحنا، وإن الحدث نفسه وقع فى حياة المسيح، وليس بعد موته وأمام هذا التضارب تعتبر قصة ظهور المسيح بعد موته من قبيل القصص الزائفة.

(و) بعثة المسيح:

تحدد الأناجيل المنسوبة لمرقص ومتىّ ولوقا بعثة المسيح بعام واحد، ولكن يحدد الإنجيل المنسوب إلى يوحنا بعثة المسيح بعامين، فقد تحدث عن مكوثه فترات طويلة فى الناصرة والقدس وحضوره احتفالات عيد الفصح اليهودى أربع مرات فى الإصحاح الثانى فقرة ١٣ والإصحاح الخامس فقرة ١ والإصحاح السادس فقرة ٤ والإصحاح ١١ فقرة ٥٥ مما يوحى بأن بعثة المسيح امتدت إلى نحو عامين، ولكن لا يعرف على وجه التأكيد أيها على صواب، كاتب إنجيل مرقص أم كاتب إنجيل لوقا أم كاتب إنجيل يوحنا، ولكن مما لا شك فيه أن عيسى قد وجد وعاش ولكن لا يعرف أحد فترة بعثته، هل هى سنة أم سنتان أم أقل.

(ز) القربان المقدس:

يقول الإنجيل المنسوب إلى لوقا فى الإصحاح ٢٢ الفقرات ١٩ إلى ٢٤ «وتناول الخبز وشكر الله ثم قسمه وفرقه عليهم قائلا هذا جسدى أعطيكم إياه فاذكرونى بالخبز.

وبالمثل أعطاهم كأسًا من النبيذ بعد العشاء قائلا هذا الكأس هو العهد الجديد فى دمى الذى يراق من أجلكم، ولكن يد الذى يخوننى على نفس المائدة التى عليها يدى.

والحق أقول لكم إن ابن الإنسان يرحل وكان ذلك مكتوبًا، ولكن ويل لمن يسلمه، وعندئذ بدءوا يتساءلون فيما بينهم عمن سيقوم بهذه الفعلة وانتقل النقاش إلى من هو أعظمهم مقامًا.

ويقول إنجيل مرقص فى الإصحاح ١٤ من الفقرة ٢٢ إلى ٢٤ «وعندما كانوا يأكلون أخذ عيسى خبزًا وباركه ثم قطعه وفرقه عليهم قائلا «خذوا كلوا هذا جسدى، ثم أخذ كأسا من النبيذ وشكر الله وسلمه إليهم فشربوا جميعهم منه وعندئذ قال لهم هذا دمى فى العهد الجديد أريقه للكثيرين» وهذا القول الوارد فى الإنجيل المنسوب إلى مرقص يختلف عما هو وارد فى لوقا عن سر القربان المقدس، كذلك تغاضى لوقا، عن العبارة الخاصة بوجود التلميذ الذى خان سيده على نفس المائدة، وبالتالى تكون القصة مشكوكًا فيها، خاصة وأن كلا المؤلفين لم يعايشا عيسى عليه السلام، فلا يتحول الخبز إلى جسد ولا يتحول النبيذ إلى دم.. وتصبح قصة القربان من القصص الخرافية الوثنية.

التضارب بين الأناجيل

(أ) الوصايا العشر:

تختلف الوصايا العشر التى جاء عيسى عليه السلام لتأكيدها والواردة فى سفر الخروج فى الإصحاح العشرين من الفقرة ١ إلى الفقرة ٢١ عن الوصايا التى وردت فى سفر التثنية للإصحاح الخامس من الفقرة ١ إلى الفقرة ٣٠ وهى كالتالى فى سفر التثنية:

١ - تحريم صنع التماثيل والسجود لها وعبادتها.
٢ - الحض على الإحسان إلى الغير.
٣ - يحرم النطق باسم الرب باطلا.
٤ - وجوب المحافظة على يوم السبت كراحة أسبوعية متمثلين فى ذلك بأن الله أراح يوم السبت.
٥ - وجوب إكرام الأب والأم والإحسان إليهما.
٦ - تحريم القتل.
٧ - تحريم الزنى.
٨ - تحريم السرقة.
٩ - الامتناع عن شهادة الزور بالنسبة للأقارب.
١٠ - عدم اشتهاء امرأة القريب أو ماله أو عبده أو ما ملك.

أما الوصايا التى وردت فى سفر الخروج فهى كالتالى:

١ - عبادة الله الواحد الأحد.
٢ - الامتناع عن صنع التماثيل والصور وعبادتها والسجود لها.
٣ - الحض على الإحسان.
٤ - تحريم القسم باسم الجلالة.
٥ - احترام يوم السبت.
٦ - إكرام الأب والأم والإحسان إليهما.
٧ - تحريم القتل.
٨ - تحريم الزنى.
٩ - تحريم السرقة.
١٠ - الامتناع عن شهادة الزور بالنسبة للقريب.
١١ - تحريم اشتهاء امرأة القريب أو ماله أو بيته أو ما ملكت يداه.

(ط) السامريون:

وفى الوقت الذى يطنب فيه كاتب إنجيل لوقا فى العلاقات الطيبة التى كانت تربط المسيح بالسامرين الذين كانوا أعداء اليهود نجد كاتب إنجيل متىّ يؤكد على أن المسيح طلب من تلاميذه أن يتجنبوا هؤلاء السامريين الأمر الذى يجعلنا نسقط الإنجيلين لتضاربهما فى فحوى أقوال المسيح نفسه وفى أكثر من موضع.

(ى) طفولة عيسى:

إذا استعرضنا الإنجيل المنسوب إلى لوقا، نجده يفسح مجالا مناسبًا لطفولة عيسى، كما يسرد شجرة أنسابه ويتتبعها إلى ما بعد سيدنا إبراهيم ولكنه يتناقض مع كاتب إنجيل متىّ ابتداء من

داوود.. فهناك خلاف فى الأنساب، ولا نستطيع أن نصدق أحدهما، كذلك إذا ما استعرضنا إنجيل مرقص، لا نجده يشير بشىء إلى طفولة المسيح، فى حين يسرد إنجيل متىّ أنسابًا - متناقضة مع إنجيل لوقا، فينسب شجرة المسيح إلى إبراهيم مارًّا بداوود.. وبالتالى نقول إن الشك يكتنف الأقوال الواردة فى مرقص، ومتىّ، ولوقا، فى طفولة عيسى، كما أن إنجيل يوحنا، وما أدخل عليه من إضافات يجعلنا نسقط جميع هذه الأناجيل الرسمية.

الفصل الرابع

الإباحة والتحريم فى التوراة والأناجيل

(أ) السلبية فى مقابلة الشر:

إذا استعرضنا بعض التعاليم المسيحية، نجد أنها تميل ميلاً كليًّا إلى جانب دون جانب وبشكل مبالغ تنتفى معه الواقعية، ولنأخذ مثلاً الفقرة التالية من الإصحاح الثالث فقرة ٣٩ - ٤١ من إنجيل متى، «ولكنى أقول لكم لا تقاوموا الشر، ومن لطمك على خدك الأيمن فدر له خدك الآخر، ليلطمك وإذا ما اختصمك إنسان طالبًا معطفك فدعه له أيضًا، ومن يجبرك على أن تسير ميلاً فسر ميلين».

ولعل هذه الموعظة قد قصدت تلطيف الحكم القاسى القائم على الانتقام، عين بعين وسن بسن، إذا ما نفذ حرفيًّا كما هو فى الشريعة اليهودية ولكن هل نعمل بالموعظة التى نسبت إلى المسيح، والتى فيها تخاذل وخنوع والتى تقول من ضربك على خدك الأيمن در له خدك الأيسر؟ هل نعتبر هذه الموعظة التى نسبت للمسيح حكمًا عامًّا؟ وهل يمكن أن نزاول هذا الحكم كشرع أو وصية معنوية تصلح لكل الأحوال ولجميع الظروف، خاصة وأن مقابلتنا للشر بسلبية مطلقة وخنوع واستسلام لا يدل على شيء بل على جبن وخور وإذعان للمستبدين والمعربدين، لا يأتى بنتيجة طيبة بل يزيد هؤلاء المتغطرسين المغرورين طغيانًا على طغيانهم وشرًّا على شرهم؟ ومن الناحية الأخرى تزيد هذه الموعظة من نكبات الإنسانية وويلاتها، فالخنوع للمستبدين والطغاة يشجعهم على استغلال المستضعفين، بل يشجعهم على إخضاع أعداد أخرى من الضعفاء والمساكين لحكمهم الاستبدادى ومن ناحية أخرى فهذه الموعظة تعمل على زيادة التذمر والاضطراب بين الشعب، وعلى انتشار الظلم بين الناس وهذا مالا يرضاه الخالق أو المخلوق، وإذا كان من الممكن إصلاح حال الشرير أو الظالم ومنعه عن إنزال الشر أو اقتراف الظلم بالموعظة والكلمة الحسنة، فعندئذ لا يكون هناك ضرورة لاستخدام العنف، عندئذ أيضًا تعود المحبة بين الناس، ولكن إذا ما أخذ الظالم المستبد هذا المسلك الطيب على محمل الضعف، وراح يستشرى ظلمًا وعدوانًا وشرًّا، فلابد فى هذه الحالة من القصاص وإنزال عقوبة به تتناسب مع جرمه وظلمه للآخرين، ويقول القرآن الكريم فى هذا الصدد قولاً لا ينطبق على حالة معينة بالذات، بل على جميع الحالات ولا على ظرف، بل على جميع الظروف والأحوال فقد جاء فى سورة فصلت الآية ٣٤ ما يلى:

﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾.

كذلك جاء فى سورة الشورى الآيات ٣٩ إلى ٤١ : ﴿والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون، وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾.

(ب) الرهبانية:

تهتم المسيحية اهتمامًا كبيرًا بالآخرة، وقد نسب إلى السيد المسيح أنه قال للشعب اليهودى «إذا أتانى أحد وأدركت أنه يبغض أباه وأمه وزوجه وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه، فلن أقبله تلميذاً لى» (لوقا ١٤ – ٢٦) ونسب إليه أيضًا «وكل واحد منكم لا يتزكى بماله لا يمكن أن يكون تلميذًا لى» (لوقا ١٤ – ٣٣)، وعندما جاءه رجل وقال له سأتبعك على أن تسمح لى أولاً بأن أذهب لأدفن جثة والدى، قيل أن المسيح قال له اتبعنى ودع الأموات يدفنون الأموات (متى ٨ – ٢٢)، بل قيل إنه أعلن أمام الناس «يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم، ويوجد خصيان خصاهم الناس، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم، من أجل ملكوت السماوات (متى ١٩ – ١٢)، ونتيجة هذه الأقوال أو المواعظ هى خلق نوع من الجمود والتبلد والانصياع والنفاق فى الناس بدلاً من مساعدتهم على أن يصبحوا بشرًا مكتملى النمو العقلى والبدنى.

وإذا ما بحثنا عما يقابل هذا فى الإسلام، نجده يطالب المؤمنين بإيجاد توازن صحى بين هذا العالم الذى نعيش فيه، وبين الآخرة، إذ ينادى بأن الجسد إذا مادمر أو أذل، فإن النفس لابد وأن تتأثر، وأن الغرائز الجنسية ليست فى حقيقة ذاتها أمرًا سيئًا، وبالتالى لا يجب أن نكبت هذه الغرائز ولكن يجب أن نتحكم فيها ونوجهها ونستفيد منها من أجل إثراء حياة الإنسان، وتحسين معيشته وظروفه، فللحياة معنى وهدف، وإننا بحياتنا حياة عادية مثمرة ومنتجة فى هذا العالم، وإننا باستمتاعنا بما وهبنا الله من مواهب وخيرات، فإن الإنسان يقترب من جنته وبالتالى الإنسان يخدم أخاه الإنسان، ويعد نفسه لاستقبال الحياة الآخرة والإسلام لا ينادى بالتطرف بل باتخاذ الطريق الوسط. ويكفى أن نشير إلى أن الرسول قال لا رهبنة فى الإسلام.

(جـ) الخمر والجنس والميسر:

فى الوقت الذى نجد فيه المسيحية تميل نحو الرهبانية، لا نجدها فى أى كتاب من الكتب المنسوبة إلى الرسل تحرم أسباب الجريمة والخطيئة، أعنى الخمر والجنس الحرام والميسر، بل هى لا تمنع عرض النسوة لمفاتنهن الجسمانية عرضًا لا تحشم فيه، أما عن الخمر فنجده عنصرًا أساسيًا فى القربان المقدس، بل المعجزة الأولى التى أتاها المسيح، كما أشار إنجيل يوحنا، أنه حول الماء إلى خمر، أما القرآن، فقد أتى بميثاق شرف كامل حرم فيه هذه المحرمات الثلاثة وقال عن الخمر والميسر ما يلى:

﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون﴾ سورة المائدة الآيتان ٩٠ ، ٩١.

هذا ونجد عيسى عليه السلام يمنع أتباعه أن ينظروا بعين الشهوة إلى زوجات الآخرين، ولكن الإسلام يذهب أبعد من ذلك، إذ يحرم على الرجال والنساء أن ينظروا إلى بعضهم بعضًا دون داع، سواء أكان ذلك بدافع الشهوة أم بدافع آخر، ويتطلب من المرأة والرجل ارتداء ملابس محتشمة ويستنكر أى عرض مخز للمفاتن البدنية والجسمانية.

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعًا أيُّهَ المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ سورة النور الآيتان ٣٠، ٣١.

الباب السابع

الإسلام دين عالمى

عندما جاء عيسى بالمسيحية، لم يكن من المفروض حسب ما جاء فى الكتب المقدسة المنسوبة إلى حوارييه أن يبشر بها العالم، بل الضالين من بنى إسرائيل على الرغم من أن أساسيات الرسالة التى جاء بها وتعاليمها لا تختلف عن أساسيات الاسلام الكلية وتعاليمه غير أن رسالة عيسى، لم تكن على شمول الإسلام أو مثيلا له فى ذكر إرشادات كلية لمختلف المواقف فى الحياة، كما لم تكن رسالة عيسى موجهة إلى شعوب الأرض جميعا فى جميع الأوقات والأحوال، أما الإسلام فقد نص على أنه جاء لجميع الشعوب على اختلاف ألوانها وألسنتها، وليس لعصر بالذات، بل لجميع العصور التى توالت على البشرية حتى الآن وحتى يوم الدين.

ولقد عاشت الأجناس المختلفة، سواء فى عصر أو فى عصور متصلة من التاريخ، فى عزلة ولم تكن هناك وسائل سريعة للاتصال بينها، وبالتالى شاءت إرادته سبحانه وتعالى أن يرسل لكل أمة رسولا، وهكذا كانت هناك رسل عديدة لأمم عديدة فى أزمان عديدة، كان عيسى عليه السلام هو الرسول الذى خصه الله بإرشاد الإسرائيليين إلى الطريق المستقيم وإليك ما يقوله د. C.J.CADAUX الذى استشهدنا بكلامه فى كثير من المواقف من قبل فى هذا الكتاب قال: «اعتقد عيسى أن المهمة التى كلفه الله بها هى مهمة تتميز بدور قومى، وعلى ذلك نجده يحصر تبشيره برسالته ومعجزاته العلاجية فى جماعة معينة من الناس بل نراه يقصر مهمة الحواريين على الذهاب إلى أراضى اليهود، وكان عيسى مترددا كل التردد، عندما سأله أحد الناس أن يشفى بنتا وثنية وقد أظهر عيسى فى وضوح تام احترامه للقدس وتبجيله لمعبدها، كما أن الإنجيل قد أظهر لنا كيف احتل الاسرائيليون فى تفكير عيسى عليه السلام منزلة خاصة، بل إن الكثير من مواعظه وتعاليمه تدور حول الإسرائيليين وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، وكان ينادى مستمعيه من الاسرائيليين بالاخوة، وكان يعتبر كل واحد منهم أخا للآخر بمعنى أنه كان أخا لليهود، وكان يقارن دائما أبدا طرق معيشتهم ومعتقداتهم بمعيشة الوثنيين ومعتقداتهم، كما أنه كان يبتكر الأعذار التى تشير إلى أصول يهودية فيما كان يأتيه من معجزات، خذ مثلا كيف دافع عن نفسه عندما عالج امرأة فى يوم السبت قائلا إنها ابنة سيدنا إبراهيم، ثم كيف صادق ذا خيوس، جابى الضرائب الذى كان مكروها من اليهود على زعم انه أحد أبناء إبراهيم، ثم أنه عندما حدد حوارييه باثنى عشر شخصا، فعل ذلك ليتمشى العدد مع أسباط إسرائيل الاثنى عشر.

لقد أظهر عيسى فى كل ذلك مدى تأثره بالطابع اليهودى، ومدى رغبته فى صبغ رسالته اليهودية» انظر ص٨١، ٨٢ من كتاب حياة عيسى The life of Jesus christ.

لقد أرسل الله لكل أمة رسولا من بينهم ليقودهم إلى الحق، ولما حان الوقت لإرسال رسول إلى العالم أجمع، حاملا رسالة علوية عالمية، أنفذ محمدا عليه الصلاة والسلام، أرسله الله تعالى حاملا أساسيات كل رسالة حملها رسول قومى إلى أمته، فقد كانت مهمة هؤلاء الرسل محدودة بقومية هؤلاء الذين أرسلوا إليهم، كما كانت مؤقتة بالزمن الذى أرسل فيه الرسول، ومحدودة بحدود قومه، ولما جاءت رسالة محمد ﷺ نسخت جميع ما كان سائدا، وأصلحت ما كان موجودا من فساد وتزييف وتأويل وتحريف، ودمجت جميع التقاليد النبيلة، والتعاليم الدينية للأمم المختلفة، فى دين واحد عالمى، وفى ثقافة واحدة عالمية، ووحدت بين شعوب الأرض فى أخوة واحدة، غير قاصرة على دولة أو دولتين أو ثلاثة بل شاملة جميع الأمم، كانت رسالة محمد ولا تزال القبس الذى ينير أمام البشرية وبكل وضوح الطريق الصحيح فى الحياة ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب...﴾ سورة الزمر آية ٦٩.

ومن الجميل حقا أن محمدا ﷺ لم يلجأ فى سبيل تأكيد حقيقة الإسلام إلى المعجزات التى قد تقنع بعض الناس الذين يحضرونها أو يرونها، ولكنها لا تقنع هؤلاء الذين يعيشون بعيدا، أو الأجيال التالية للجيل الذى وقعت فيه المعجزة، ولقد استند محمد ﷺ فى إقناع الناس برسالته إلى العقل والمنطق والوجدان، وحتى يقنعنا برسالته أخذ يلفت نظرنا إلى ما فى الكون من ظواهر طبيعية، وإلى ما سجله التاريخ من دروس وإلى تعاليم وتجارب من أرسلهم الله كرسل إلى الأمم المختلفة وأستطيع أن أقول أن ليس هناك فى الإسلام ما يهم أو ينفع شعبا معينا فى منطقة أو فى زمن معين، ولكن هناك ما ينفع الشعوب قاطبة أينما كانت وفى أى زمن عاشت، والقرآن الكريم قد أتى بكل ما يلهم الإنسان على اختلاف لونه وعصره ومكانه، بل إنه جاء بما يعلم ويثقف ويهذب الإنسان من الناحية العملية فى كل وقت وفى كل مكان، وتقوم تعاليم الإسلام الأخلاقية على طبيعته العالمية.

ونحن عندما نتدارس عالمية الإسلام، وإقليمية المسيحية وقصرها على بنى إسرائيل، نأخذ فى الاعتبار الحقائق التالية:

١ - كانت بعثة عيسى إلى أبناء إسرائيل وحدهم، ولك بعثة محمد كانت إلى الأمم جميعا، ألم يقل عيسى فى عبارة واضحة كما جاء فى متىّ الإصحاح ١٥ فقرة ٢٤ «فأجاب وقال لهم لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة»، وقد اختار عيسى عليه السلام اثنى عشر حواريا ليذهب كل واحد إلى قبيلة من قبائل بنى إسرائيل الاثنى عشر، ألم يقل بوضوح فى متىّ الفقرة ٥، ٦ من الإصحاح العاشر «هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا لا تذهبوا إلى الوثنيين، ولا تدخلوا مدينة للسامريين، بل اذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة».

وعلى النقيض من ذلك نجد محمدًا ﷺ يتوجه فى رسالته إلى البشرية جميعًا، ألم يأت فى القرآن الكريم فى سورة الأنبياء آية ١٠٧: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.

وجاء فى سورة الأعراف آية ١٥٨ ﴿قل يـٰأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعًا الذى له مُلك السمٰوات والأرض لا إلـه إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾.

٢ - تعترف المسيحية بأن الإسرائيليين هم شعب الله المختار، وأن الله أرسل وحيه ورسله إلى اليهود وحدهم، ولا يعترف المسيحيون إلا برسل إسرائيل وأنبيائهم، أما من عداهم فهم مدعون كذابون، ولكن الإسلام يقول إن الدعوى بوجود أنبياء فى أمة واحدة دون غيرها إنما يحد من عالمية الملكوت وسلطان ذى الجلالة على شعوب الأرض طرا ويقول المعنى القرآنى إن الله سبحانه وتعالى هو رب العالمين، وخالق جميع الكائنات المرئية وغير المرئية فى الكون بأكمله، وإن الله سبحانه وتعالى لا يميز بين أمة وأخرى عندما يرسل وحيه ورسله، فقد أرسل رسلا وأنبياء إلى جميع الأمم فى أنحاء الأرض، وإن الإسلام قد أوحى به إلى جميع هؤلاء الرسل والأنبياء ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ سورة فاطر آية ٢٤.

﴿ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ سورة يونس آية ٤٧.

﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك، وما كان لرسول أن يأتى بآيةإلا بإذن الله، فإذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾ سورة غافر آية ٧٨.

﴿كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أُوتُوهُ من بعد ما جاءَتهُم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذى آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ سورة البقرة، آية ٢١٣.

﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله﴾ سورة النحل آية ٣٦.

ولقد أرسل الله سبحانه وتعالى محمدًا ليكمل الرسالات كلها لا ليلغى ما أرسله الله من قبله، وما أتاه رسله من أعمال، بل إن الله سبحانه وتعالى حث المؤمنين على أن يؤمنوا بمن أرسلهم من رسل إلى الأمم طرا.

﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ سورة البقرة آية ١٣٦.

وقد جاء الإسلام ختاما لجميع الأديان مؤكدا وحدة العالم وملكوت الله، وأن الدين الذى أراده الله لجميع البشر هو الإسلام ذلك لأنه اعترف بجميع الرسل وبجميع الرسالات السماوية التى أرسلها لمختلف الأمم، والاسلام من ناحيته يحاول أن يجمع بين شتات البشر على اختلاف أجناسهم، وعقائدهم وألوانهم وقومياتهم فى دين واحد وفى أخوة واحدة.

٣ - والإسلام هو الذى قدم مجموعة كاملة من الإرشادات لظروف الحياة المختلفة، سواء فى مجال الحياة الفردية أو الاجتماعية أو القومية، بل الدولية أيضا، فى حين لا نجد مثل هذا الشىء فى

المسيحية، لقد اعترف عيسى المسيح أنه لم يأت بالرسالة الإلهية النهائية، ولا بالرسالة الإلهية الكاملة الشاملة، لإرشاد الإنسانية إلى طريق الحق، لأن الوقت لم يكن قد حان ليبعث الله هذه الرسالة على يديه «لدى الكثير أحدثكم فيه، ولكنكم لن تطيقونه الآن، ولكن متى جاء روح الحق، فلسوف يرشدكم إلى طريق الحق، فهو لن يتكلم عن نفسه وكل ما سوف يسمعه سيتحدث به، وسوف يخبركم عن أمور آتية» يوحنا إصحاح ١٦ فقرة ١٢، ١٣.

وبالفعل وبعد مرور خمسة قرون ونصف ﴿وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد﴾ سورة الصف الآية ٦، جاء روح الحق وهو محمد عليه الصلاة والسلام، ليكشف عن الحقيقة الكاملة للإنسانية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام دينا، فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ سورة المائدة آية ٣.

وهكذا يكون محمد ﷺ خاتم الرسل والنبيين وتكون رسالته التى أتى بها من عند الله سبحانه وتعالى هى الرسالة الأخيرة، والرسالة الكلية الشاملة لنقارن الآن بعض نواحى المسيحية والإسلام لنرى لماذا نعتبر الإسلام وليست المسيحية الرسالة الكلية الشاملة:

١ - مركز المرأة فى الإسلام والمسيحية:

لا شك أن عيسى كان آخر نبى ظهر فى بنى إسرائيل، ولا شك أنه استحدث تعليمات وإصلاحات فيما أتى به على من سبقه من أنبياء بنى إسرائيل حيث كان لابد من إدخال هذه الإصلاحات بسبب الظروف المتغيرة لشعب بنى إسرائيل. والواقع أن عيسى عليه السلام قد كرر الكثير من التعليمات التى جاء بها موسى، مدخلا عليها بعض التعديلات بما يتفق مع ضرورة العصر الذى عاش فيه، وفى نفس الوقت ترك الكثير من الإرشادات كما هى، ومن ذلك أن ما يسمى بالعهد القديم، يدافع عن المذابح ويتسامح فى الزواج بأكثر من واحدة وبدون تحديد عدد، كما أنه يتقبل الرق كمؤسسة اجتماعية واقتصادية، ويأمر بحرق السحرة، ولاشك أن عيسى عليه السلام لم ير شيئًا غريبًا فى هذه المؤسسات أو العادات أو التقاليد، أو على أقل تقدير لم تسنح له الفرصة بتعديلها، ألم يقل إنى لم آت لأدمر الشريعة وألغى من سبقنى من أنبياء، ولكنى جئت لأكمل، والواقع أن عيسى لم يقل ولم يفعل شيئًا ليقلب شريعة موسى، خاصة بالنسبة لقوانين الحرب والقتال، وتعديل نظام الرق، أو الأخذ بيد المرأة ورفع منزلتها فى المجتمع، كما أنه لم يقل شيئا عن تعدد الزوجات، وكان هذا التعدد مباحًا إباحة مطلقة وبدون حدود فى أيامه، وفى عهد المسيحية الأولى، بل كان مباحًا بين المسيحية فى مصر العليا حتى مائة سنة مضت.

وكان بولس، الذى يعتبر بحق مؤسس المسيحية كما يفهمها الآن المسيحيون ويعتنقونها، يرى المرأة مجرد متعة وفتنة، بل أنزل بها اللوم كله لسقوط الإنسان وتدهور الخليقة، واقتراف المعصية، وإليكم ما نقرأه فى رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس إصحاح٢ فقرة١١-١٥ «لتتعلم المرأة وهى ساكتة

خاضعة، وإن لا آذن للمرأة أن تتعلم أو تتولى مركزًا ذا مسئولية تتسلط فيه على الرجل، بل يجب أن تكون مذعنة صامتة، فآدم خلق أولًا وبعده خلقت حواء ولم تدخل الغفلة على آدم، بل أدخلت على المرأة وأمكن غوايتها ولم تتخلص منها إلا بحملها الأطفال وولادتهم، إذا ما ثبتت المرأة فى إيمانها ومحبتها والتزامها بالعقل.

وجاء فى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح (١١) فقرة ٧ - ١٠ «لا ينبغى للرجل أن يغطى رأسه فهو صورة من الله ومن مجده، ولم يخلق الرجل من المرأة بل خلقت المرأة من الرجل، ولا خلق الرجل من أجل المرأة بل خلقت المرأة من أجل الرجل، ولهذا السبب لا يجب أن تحتل المرأة مركزًا ذا مسئولية» الترجمة عن الإنجليزية..

وإليكم ما يقوله من يعرفون فى المسيحية بالقديسين عن المرأة:

قال القديس يوحنا الدمشقى (المرأة هى نتاج الكذب والموبقات، وهى الحارسة على أبواب جهنم، عدوة السلام فبسببها فقد آدم الجنة).

وقال القديس سبريان فى المرأة (المرأة هى الوسيلة التى يستخدمها الشيطان ليتملك أرواحنا).

وقال القديس أنطونيوس (المرأة هى ذراع الشيطان، وصوتها فحيح الأفعى)

وقال القديس جريجورى العظيم (المرأة تنفث السم كالثعبان، والحقد كالتنين)

أما القرآن الكريم فقد برأ المرأة من سقطة آدم، وأعاد لها شرفها وكرامتها، بل رفعها لتصبح شريكة الرجل ومساوية له فى المنزلة ولأول مرة فى تاريخ الإنسانية تمتعت المرأة فى الإسلام بنفس حقوق الرجل، انظر سورة البقرة آية ٢٢٨، ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾.

والإنسان فى العصر الحديث يدرك كل الإدراك أنه لن تكون هناك حرية حقيقة ولا كرامة بدون الاعتراف بالحقوق الاقتصادية لجميع الأفراد وهكذا جاء الإسلام وأعطى المرأة منذ أربعة عشر قرنًا الحق فى أن ترث من والدها وزوجها والحق فى أن تمتلك وتتصرف فيما تمتلك كما تشاء، وبدون وصاية من أحد.. ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئًا مريئًا﴾ سورة النساء آية ٤.

﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما﴾ سورة النساء آية ٣٢.

﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبًا مفروضًا﴾ سورة النساء آية ٧.

وفى الزواج يعتبر الإسلام المرأة مساوية تمامًا للرجل ولها مطلق الحرية علمًا بأن الزواج فى الإسلام يمثل عقدًا له أهميته وقداسته بين المرأة والرجل، ويستوجب موافقة الطرفين الرجل والمرأة على الزواج قبل النكاح، ويصف لنا القرآن الكريم المرأة بأنها قرينة وزميلة لزوجها وأنها موضع حبه ومصدر طمأنينته وسلامته وسكينته.

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ سورة الروم آية ٢١.

ولقد أعلن محمد ﷺ مايلى تقديرًا لمركز المرأة ومشيدًا بدورها الحضارى وأهميتها «الجنة تحت أقدام الأمهات».

إن المرأة نصف المجتمع وقد خلق الله الرجل والمرأة من نفس النطفة ولا يفرق الإسلام بينهما فيما يختص بقدراتها الأخلاقية والروحية وإنابتها.

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ سورة التوبة آية ٧١.

﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرا أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيل وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثوابًا من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ سورة آل عمران آية ١٩٥.

﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾

سورة الأحزاب آية ٣٥.

٢ - إلغاء الرق:

يعتبر الإسلام أول دين عمل على ضرب الرقيق كمؤسسة، وفى نفس الوقت اتخذ ما يلزم من خطوات لإلغاء الرق والقضاء عليه. أمر سيدنا محمد ﷺ بمعاملة الرقيق بعطف وفى أخوة واعتبر المعاملة الحسنة لهم من واجب كل مسلم، كما أوصى أن يعامل الرقيق كأعضاء فى عائلة من يملكهم وليسوا عبيدًا وقد جاء فى كتاب العتق للبخارى (العبيد إخوان لكم فإذا كان لأحدكم عبدًا فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تقسوا عليهم فى العمل فتعطوهم أعمالاً لا يطيقونها وإذا ما حدث ذلك وجب عليكم مساعدتهم فى إنجاز أعمالهم، وجاء فى سورة البلد الآيات ١٢-١٦ ﴿وما أدراك ما العقبة، فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة، يتيمًا ذا مقربة، أو مسكينًا ذا متربة﴾ وجاء فى سورة البقرة ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ سورة البقرة آية ١٧٧.

﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ سورة المائدة آية ٨٩.

﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا﴾

سورة المجادلة آية ٣.

﴿ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم﴾ سورة البقرة آية ٢٢١.

ومن هذا نجد أن عادة استرقاق العبيد غريبة عن الدين الإسلامى وتعاليمه إذ هى تتعارض مع مبدأ المساواة بين الناس ومبدأ المحافظة على كرامة الإنسان ولقد حرم محمد ﷺ أخذ عبيد جدد فى عبارة قوية فقال:

ثلاثة خاصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حرًا وأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره. (البخارى).

ثم جاء أمر الله بإطلاق الرقاب وتحريرها وإعطائهم جزءاً من مال أسيادهم السابقين حتى يستطيعوا أن يعيشوا عيشة كريمة إذ جاء فى سورة النور الآية ٣٣ ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا، وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾.

أما عن معاملة المسيحية للرقيق فنجد أن عيسى عليه السلام لم يقل شيئًا ولم يعمل شيئًا لتحسين حالة هؤلاء البؤساء المنكوبين ولا حضّ على تحرير الرقاب أوإلغاء الرق ذلك لأنه لا الزمن ولا الفرصة سنحت له لإصلاح أحوال الرقيق.

٣ - المؤسسات السياسية:

لقد جاءت المسيحية ببعض إرشادات لما وصفه أرسطو بالقيم الشخصية، ولكنها لم تشر بشيء إطلاقًا إلى القيم السياسية، فسكت عنها وكان من نتيجة فصل الدين عن السياسة فى المسيحية أن ازدهر الدهاء والخداع فى الغرب أو ما نعرفه باسم الماكيافيلية.

أما الإسلام فقد أتى بقواعد أساسية لإرشادات شاملة جامعة يسترشد بها الإنسان فى جميع نشاطاته وعلاقاته، سواء أكانت هذه النشاطات والعلاقات فى نطاق المجال العام أو الخاص، وقد يكون سبب ذلك أن الله سبحانه وتعالى عندما رأى أن يكون الإسلام هو ختام الأديان وضع قواعد يسير عليها الإنسان فى تطوره ومعاملاته خاصة وأن الأديان السابقة قد تقاعست عن تقديم مثل هذه الإرشادات الشاملة، فمن ناحية نجد الإسلام يؤكد على العدالة الاجتماعية والسلام الدولى بأن أخضع العلاقات السياسية والاقتصادية والدولية وطرق التصرف فى هذه المجالات، أخضعها للدين والأخلاقيات الحميدة التى نص عليها، ثم عن طريق تحديد الواجبات الأساسية للفرد نحو الدولة وواجبات الدولة نحو الفرد وواجبات الدولة نحو الدول الأخرى، وقد وضع القرآن مبادئ أساسية أوصى بأن تتبعها المجتمعات السكانية مع منحها الحرية فى أن تطور نفسها طبقًا لحاجياتها وظروف عصرها وبشرط أن يقوم صرح تطورها على المبادئ الأساسية للإسلام وفى داخل نطاق هذه المبادئ.

وأول المبادئ التى نادى بها الإسلام فى النظام السياسى أن سيادة الدولة لله سبحانه وتعالى، ولا يجوز لأى مشرع أو لأى برلمان أن يصدر قانونًا يتنافى فى نصه وروحه مع ما أوصى به الله فى القرآن

العزيز، وما جاء فى سنة رسوله ﷺ. هكذا أكد الإسلام على المساواة فى العدالة وجنب الدولة والناس مغبة الاندفاع وراء النزوات والميول التى لا تتمشى مع المبادئ الإسلامية، أو اتخاذ قرارات دون دراسة، أو إصدار أوامر هوجائية، كذلك حمى الإسلام الأقليات من تعسف الأغلبية، وصان مصالح الناس جميعًا من تسلط الطبقة الاقتصادية الحاكمة، فيقول القرآن الكريم فى سورة آل عمران، الآية ٢٦ ﴿قل اللهم مالك الملك، تؤتى الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير﴾.

﴿ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾ سورة الزمر آية ٦.

﴿ولله ملك السموات والأرض والله على كل شىء قدير﴾ سورة آل عمران، آية ١٨٩.

﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن﴾ سورة المائدة آية ١٢٠.

﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ سورة غافر آية ١٦.

وثانى هذه المبادئ الأساسية، أن جميع الناس سواسية أمام القانون وأمام الله، لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات، وفى الدولة الإسلامية يخضع جميع الناس للقانون، حتى رئيس الدولة، وإذا ما احترم أحد قانونًا حتى الحاكم نفسه حق لخصمه أن يستدعيه إلى القضاء، وللقاضى الحق فى إنزال العقوبة به إذا ما ثبت أنه مذنب.

وثالث هذه المبادئ، أن جميع الوظائف العامة من رئاسة الجمهورية، أو ملك الدولة، حتى أصغر منصب فيها، هى أمانة فى عنق من يشغلها وأن الله يحاسبهم على تصرفاتهم فى هذه الأمانة وأنهم يستمدون سلطانهم فى تصرفاتهم مما جاء فى كتاب الله وديدنهم دائمًا مصلحة الشعب.

ورابع هذه المبادئ أن يتخذ القرار فى الشئون العامة، بعد استشارة نواب الشعب، وأخذ آرائهم بعين الاعتبار.

﴿وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ سورة آل عمران، آية ١٥٩.

﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ سورة الشورى آية ٣٨.

والواقع أن الإسلام هو الذى حقق أول ديمقراطية حقيقية يتمتع بها الإنسان، فلم يفرق بين عبد وحر، وبين مواطن وآخر ولا حاكم ولا محكوم، ولم يميز جنسًا على جنس، أو إنسانًا على إنسان، بسبب لونه أو عقيدته أو جنسه ذكرًا كان أم أنثى، فجميعهم سواسية، ويتمتعون بنفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات.

٤ - اقتصاديات الإسلام:

وإذا ما أتينا إلى المجال الاقتصادى، نجد الإسلام يعتبر كل دخل لا يحصل عليه الفرد نتيجة كدّه

وتعبه، دخلا غير مشروع، فالإسلام هو الذى رفع من شأن العمل، لقد قال رسول الله ﷺ حديثه: «ما أكل أحد طعامًا قط خير من أن يأكل من عمل يده» البخارى ٣٥ - ١٥.

﴿وأما من آمن وعمل صالحًا فله جزاء الحسنى﴾ سورة الكهف آية ٨٨.
﴿إلا من آمن وعمل صالحًا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا﴾ سورة سبأ آية ٣٧.
﴿من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ سورة فصلت آية ٤٦، وسورة الجاثية آية ١٥.
﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ سورة التوبة آية ١٠٥.

وفى المجال الاجتماعى حرم الله تعالى استغلال الإنسان للإنسان دون أن يحرم الملكية الخاصة أو المشروع الخاص، ولكنه حرم الاحتكار والاتجار فى السوق السوداء، والاكتناز والربا، ويقول القرآن الكريم: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا، وأحل الله البيع وحرم الربا، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ سورة البقرة آية ٢٧٥.

٥ - الزكاة:

وفرض الإسلام ضريبة على رأس مال الأغنياء من أجل الفقراء ذلك ليحد من الفروق الطبقية وليضمن أن كل فرد، مهما كان فقيرًا سوف يحصل على الضروريات الأساسية لمعيشته، وسوف يتمتع بفرص مساوية لغيره فى الحياة، وهذه الضريبة هى الزكاة، وهى تختلف عن التبرعات أو الخيرات التى يخرجها الناس طواعية، أضف إلى ذلك أن القرآن قد حض مرارًا وتكرارًا على إنفاق المال من أجل رفاهية الآخرين، بل ذهب إلى أن الإيمان الصادق يقضى أن يخرج الإنسان إحسانه، وأن من يمتنع عن إيتاء الفقراء حقهم، فإن الله لن يقبله، وأخيرًا نرى أن الإسلام قد فطن إلى عدم تركيز الثروة فاستحدث نظامًا للوراثة يقوم على تفتيت الثروة وعدم تجميعها فى أيد قليلة.

٦ - التقوى وعمل الخير:

ويرفض الإسلام بقوة الحكم على الناس عن طريق مركزهم الاجتماعى، أو ثروتهم وإن يكن فى نفس الوقت لا يتجاهل إطلاقًا أهمية النشاط الاقتصادى فى الحياة الإنسانية، وينادى بأن منزلة الإنسان تقدر بما يشارك به فى أعمال الإحسان والتخفيف عن الغير شظف العيش بثروته.. فالثروة ليست غاية فى حد ذاتها، ولكنها وسيلة لتخفيف ضراوة الحياة عن الفقير، وأن الثروة التى يحصل عليها الإنسان ليست ملكه تمامًا فهى هبة من الله، أو أمانة من الله للإنسان الثرى الذى حصل عليها عن طريق تشغيل مواهبه، وعن طريق المساعدات والمعونات التى يقدمها المجتمع الذى يعيش فيه، وبالتالى يجب أن يدفع حق الله الذى وهبه هذه الإمكانيات، التى مكنته من الثروة، كذلك يجب أن يدفع حق المجتمع الذى قدم له التسهيلات والمعاونات وبالتالى وجب على الرجل الثرى أن يقدم للفقراء

والمحتاجين ما يخفف عنهم شظف العيش، وفوق هذا وذاك يجب ألا يفقد الإنسان فى سعيه وراء الثروة، القيم الأخلاقية والوجدانية العليا.

٧ - الحرية الدينية والعلاقات الدولية:

لقد أخضع الإسلام الدولة لنفس المبادئ الأخلاقية والمعنوية التى أخضع لها الأفراد، كذلك أخضع العلاقات الدولية لنفس المبادى الأخلاقية والمعنويات، وبالتالى منع استغلال أو تحكم دولة فى دولة أخرى أو شعب فى شعب آخر، كما أنكر على الفرد استغلاله لأخيه الإنسان، ومن ناحية العدالة والمساواة والاحترام المتبادل فى الشئون الدينية المختلفة والعلاقات بين الطوائف والطبقات، نجد الإسلام يهتم بهذه السمات، ويبشر بها، فمثلا نرى أنه ينادى بالنسبة للمجتمع الإسلامى بحرية الأفراد والجماعات الدينية فى مزاولة طقوسها الدينية دون تدخل من أحد، فليس لأى جماعة دينية أن تفرض معتقداتها على جماعة أخرى أو تحد من مزاولتها لما تعتقده من معتقدات، ويقول الله سبحانه وتعالى فى قرآنه العزيز: ﴿لا إكراه فى الدين﴾ سورة البقرة آية ٢٥٦.

والواقع أن موقف الإسلام نحو العلاقات الدينية بين الطوائف ليس مجرد تسامح فهو ينص على أن يؤمن المسلم حتمًا بمن أتوا قبل محمد برسالاتهم إلى جانب الرسالة التى أتى بها محمد ﷺ من عند الله، ويعتبر الرسل متساوين ورسالاتهم التى حملوها واحدة فى أصلها، ولكن الزمن، والمنافع الشخصية، شوهتها وبدلتها، والإسلام يدعو المسلمين إلى تكوين رابطة للمؤمنين تنادى بوحدانية الخالق واتباع الطريق المستقيم والتمسك بالأركان الخمسة والإسلام دين تسامح، فقد منح الأقليات فى الدول الإسلامية كالمسيحيين واليهود والزورستريين والهندوكين، حرية مزاولة معتقداتهم، فى حين أن الدول المسيحية كانت حتى عهد قريب، تحارب كل من يخالف المسيحية أو يخرج عليها أو يعتقد دينًا آخر غير المسيحية. بل عمدت حتى سنوات قليلة إلى اضطهاد المسلمين فى مستعمراتها.

٨ - الأخوة فى الإسلام:

ينادى الإسلام بوحدة البشر، وهى وحدة مترتبة على وحدة الخالق، فالله سبحانه وتعالى الذى خلق الأبيض وأعطاه رزقًا وخلق الأسود والأصفر والأسمر وأعطى كلا رزقه، وأنه لا يفرق بين الأجناس أو الألوان أو الملل أو الثقافات، وبالتالى نستطيع أن نفهم من ذلك أن جميع البشر أمة واحدة ﴿كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ سورة البقرة آية ٢١٣.

ويرفض الإسلام كل الرفض تقييم الإنسان أو الأمة تقييمًا يقوم على الجنس أو القومية أو اللون أو اللغة، ويعتبر هذه المعايير غير صحيحة ويرى أن الاستقامة وصلاحية الفرد وتقواه المعيار الوحيد الذى يفضل به الله فردًا على آخر.

﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ سورة الحجرات آية ١٣.

«وقد فسر محمد ﷺ هذه الآية فى حجة الوداع فقال: ليس لعربى فضل على أعجمى، ولا لأعجمى فضل على عربى، ولا لأسود فضل على أبيض، ولا لأبيض فضل على أسود، إلا بالتقوى» فمعيار الشرف عند الله هو الاستقامة والحياة النظيفة والتقوى.

وقد وحد الله مخلوقاته من البشر وجعل منهم إخوة وجعلهم على محبة الله والناس والتعاطف فيما بينهم.

والأخوة الإسلامية لا تقف عند الحدود الجغرافية أو السياسية، كما أن الأركان الدينية والفروض التى جاء بها الإسلام مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والاعتراف بالإله الواحد الأحد، وبرسوله محمد ﷺ، قد وحدت شعور المؤمنين، وساوت بين جميع طوائف المجتمع.

﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم، وفأصبحتم بنعمته إخوانًا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ سورة آل عمران آية ١٠٣.

ومن هذا نرى أن الإسلام لم يقتصر على الإرشادات الدينية، بل تناول بالمثل الكثير من الموضوعات التى تمس العلاقات الإنسانية، فى حين أن المسيحية صمتت عن ذلك، وقد أكمل محمد ﷺ ما لم يسمح الزمن بأن يتمه عيسى، وبالتالى يكون الإسلام هو الدين الذى أتى به عيسى ورسالة محمد تتضمن رسالة عيسى عليه السلام، لأن الله بعث محمدًا بالحق كما بعث بعيسى ولا يمكن أن يغير تعاليمه فهو منزه عن كل تعديل أو تغيير، والإسلام أعاد إلى الحياة القيم والأخلاقيات التى نادى بها الرسل الأوائل كما أنه شمل جميع نواحى التصرفات الإنسانية، والعلاقات بين الأفراد بعضهم وبعض، وبين الأفراد والدولة والعكس وبين الدول بعضها وبعض.

والخلاصة أن الإسلام هو دين عالمى، ولم يأت لمجرد إنقاذ الخراف الشاردة وهو لا يتجاوب فقط مع متطلبات الحياة فى أوسع معانيها، بل مع المشاعر الوجدانية للفرد فى بحثها عن الذات الإلهية وهو لا يقدم لنا فحسب تصورًا منزهًا عن الآفاق فيما وراء الطبيعة، بل يقدم لنا أيضًا قواعد رفيعة وشاملة للعلاقات الفردية والاجتماعية، ونظامًا اقتصاديًا سليمًا ومذاهب سياسية عادلة وعملية، وغير ذلك كثير، والإسلام ليس بالنجم المفرد المنعزل، بل نظام كونى شامل متكامل، يضم بين جنباته قواعد كلية، ونورًا يهتدى به الكل فى طريقهم فى هذه الحياة.

انجيل برنابا

ترجمة

أحمد طـاهـر

الفصل الأول

إنجيل برنابا

ترجم الدكتور خليل سعادة، الإنجيل المعروف باسم (برنابا) إلى اللغة العربية فى عام ١٩٠٨، ولأول مرة، نقلاً عن نسخة بالإنجليزية، وقام بطبعه ونشره السيد/ محمد رشيد رضا صاحب مطبعة المنار وعلى نفقة هذه المطبعة، وفى نفس السنة، وقدم الدكتور خليل سعادة لترجمته بمقال حاول فيه الحط من هذا الإنجيل بكل وسيلة، لأنه أشار إلى أن عيسى لم يكن إلـها، بل كان إنسانًا، مثله فى ذلك مثل باقى البشر، أضف إلى ذلك أنه أعلن عن اسم (محمد) رسول الله ﷺ صراحة، قبل أن يولد كالرسول الأعظم أوكخاتم الأنبياء والرسل، ولاشك أن هذا الإنجيل الذى وجدت نسخة منه بالإيطالية، ثم ترجمت إلى الإنجليزية هو أعرق الأناجيل، فيه فلسفة وفيه تعميق وفهم للحياة، وكيف يجب أن تكون، ثم أنه نأى عن الألغاز والطلاسم التى نجدها فى باقى الأناجيل، ولا شك أن هذا الإنجيل المنسوب إلى برنابا، لو أخذت به الكنيسة، لأدى إلى اضطراب شديد فى المسيحية، ومن هذا المنطلق نجد الدكتور خليل سعادة يحاول أن يسند هذا الإنجيل مرة إلى العرب، ومرة إلى أناس يميلون للعرب، كمؤلفين له وان لم يكن قد أفصح عن أسمائهم، فكان كل غرضه أن يشكك القراء فى هذا الإنجيل الذى تكلم عن (محمدﷺ) قبل أن يولد بسنوات عديدة.

أفرد الدكتور خليل سعادة ١٣ صفحة للتشكيك فى وجود إنجيل برنابا، فنجده فى وصفه للغلاف الذى جلّد به هذا الإنجيل، يحاول أن يلقى فى روعنا أن الأشكال العربية أو الشرقية على الغلاف إنما تدل على أن مؤلفه عربى ونحن لا ندرى كيف يدخل الغلاف وزخرفته فى الحكم على مضمون الإنجيل نفسه، فالرجل الذى قام بتجليده إيطالى استخدم أشكالاً يصفها الدكتور خليل سعادة بأنها شرقية، وبالتالى يحاول أن يؤكد أن كاتب الإنجيل بالمثل عربى مسلم أو مسلم على الأقل، وفى تأكيده هذا الزعم يقول إن نفس الرسم تقريبًا قد وجد على اتفاقية، عقدت بين القسطنطينية والبندقية فى ذلك العهد، متخذًا من النقش «المتماثل» على حد قوله دليلاً يؤكد أن الإنجيل قد خطه عربى ونحن لن نتدنى إلى مثل هذه الترهات. فهى لا تحتاج إلى تفنيد لأنها تافهة ولا تستحق منا تعليقًا.

ولا ينكر الدكتور سعادة أن الورق الذى كتب عليه النص الإيطالى والمجلد والمحلى بنقش شرقى، هو ورق إيطالى بدليل العلامة المائية وكانت على هيئة مرساة سفينة وهى العلامة التى اختارتها البندقية، بل إيطاليا كلها لتضعها على الورق المصنوع بها، ثم مالنا والترجمة الإيطالية وكيف نحكم على جنسية المؤلف من طريقة رسم الغلاف أو الورق ولماذا لا نبحث عن الأصل السريانى أو العبرى الذى ترجمت عنه النسخة الإيطالية، ونحن كمسلمين لا نهتم بإنجيل من الأناجيل، لأننا نعلم أنها جميعًا،

سواء اتفقت مع تعاليم الإسلام وقواعده أم اختلفت، سير كتبها عدد من الأفراد لتبجيل السيد المسيح عليه السلام وتسجيل سيرته وليست كتبًا انزلت من السماء، والذى يهمنا أن نفند محاولة سقيمة تقوم على الزعم بأن التجليد الذى حدث فى إيطاليا والذى كان على هيئة نقوش شرقية، يدل على أن كاتب هذا الإنجيل كان عربيًا أو موالياً للعرب، أو مسلمًا أو موالياً للإسلام. كان إنجيل برنابا من الأناجيل المحرم تداولها طبقًا للأمر البابوى الذى أصدره جلاسيوس الأول عام ٤٩٢ م، فى حين أن رسالة الإسلام نزلت على (محمد) ﷺ عام ٦١١ م، أى بعد مولده بأربعين سنة أو بعد هذا التحريم بـ ١١٩ سنة وبالتالى لا يكون لأى عربى صلة بهذا الإنجيل الذى أشار إلى أن عيسى قد بشر (بمحمد) فارقليطًا أو أركونًا أو معزيًا أى قبل مولد (محمد) بـ ٧٩ سنة أضف إلى ذلك أن العرب فى ذلك الوقت كانوا أمة من الأميين، ثم يحاول الدكتور خليل سعادة أن يثير البلبلة والاضطراب فى نفوس القراء، فيشير إلى وجود ترجمة لهذا الإنجيل بالأسبانية عن نفس الأصل الذى ترجمت عنه النسخة الإيطالية ولكنه يتراجع، فيعلن أن النص الأسبانى قد طمست آثاره ودرست معالمه، ويقول إن الترجمة الأسبانية كانت متطابقة مع الترجمة الإيطالية على حسب أقوال بعض الأساتذة الإنجليز ويشير الدكتور سعادة هنا إلى أن المستشرق الإنجليزى المدعو سايل، قد اقترض النص الأسبانى من الدكتور هلم، من هدلى من أعمال هاميشاير، ثم أخذه الدكتور منك هاوس، من الدكتور سايل، وكان منك هاوس، أحد أساتذة Queens Colledge بأكسفورد، وقام بنقله إلى الإنجليزية، ثم رفع الترجمة مع الأصل سنة ١٧٨٤ إلى الدكتور هوايت، أحد الأساتذة البارزين، والواقع إننا لم نجد ما يؤيد إدعاء خليل سعادة فى جميع المعاجم التى وقعت تحت أيدينا هذا ويدعى الدكتور خليل سعادة، بأن ترجمة هذه الفقرات من الأسبانية إلى الإنجليزية، إنما يتطابق مع ترجمة مثيلاتها عن الإيطالية فيما عدا قصة يهوذا الخائن، الذى أتى مع القوات الرومانية ليقبض على المسيح كما أشارت النسختان الأسبانية والإيطالية إلى أن المسيح كان فى ذلك الوقت يصلى لله تعالى فى بستان بجانب الغرفة التى كان تلاميذه فيها نائمين فجرى إليهم، ولما رأى الخطر محدقًا به ابتهل الله تعالى أن ينقذه فدخل عدد من الملائكة واحتملوه من النافذة إلى السماء، فلما دخل يهوذا الخائن الغرفة غيّر الله صورته وصوته، فأصبح كالمسيح تمامًا، ولما استيقظ التلاميذ لم يشكوا فى أنه المسيح وكل الخلاف الذى وجده الدكتور هوايت، بين النص الإيطالى والنص الأسبانى، أن بطرس لم يكن من بين التلاميذ فى الغرفة، على حد الرواية الأسبانية التى ذكرت أيضًا أن من بين الملائكة الذين احتملوا عيسى إلى السماء عزرائيل، فى حين أشارت النسخة الإيطالية إلى أوريل أو إسرافيل، وفيما عدا هذا الخلاف يؤكد الدكتور هوايت، أن النسخة الإيطالية متفقة تمامًا مع الترجمة الأسبانية فيما عدا بعض تعبيرات طفيفة ويستنتج الدكتور سعادة أن النسخة الأسبانية قد ترجمت عن الإيطالية بقلم أحد المسلمين الاسبان اسمه مصطفى العرندى علما بأن المسلمين لم يكونوا قد وصلوا إلى أسبانيا أو إيطاليا وأن الإسلام لم يبدأ ظهوره إلا عام ٦١١ م، ويخلط ذلك بما قاله الراهب فرامينو، عن قصة عثوره على النسخة الإيطالية، وكيف أنه عثر على رسائل لإيريناوس، ومعها رسالة يندد فيها ببولص الرسول، وكيف أن إيريناوس، استند فى هذا التنديد إلى إنجيل برنابا الأمر الذى جعله يبحث عن هذا الإنجيل حتى كان فى يوم من الأيام فى مكتبة البابا اسكتس الخامس، حيث

عثر عليها وأخذها معه، وتأثر بها واعتنق الإسلام، ويدعى خليل سعادة أن هذه القصة رواها المستشرق سايل، فى مقدمة النسخة الأسبانية المفقودة وعنه رواها الأستاذ هوايت، ومن بعده اندثرت النسخة الأسبانية (أليس هذا غريبًا)، وينتقل الدكتور خليل سعادة، إلى البحث فيما إذا كانت النسخة التى أخذها فرامينو، من مكتبة البابا اسكتس، هى النسخة الموجودة الآن فى فيينا، ولكنه لا يستطيع أن يرجح رأيًا على رأى، وإن كان قد استنبط من نوع الورق الذى كتبت عليه إنه من إنتاج القرن السادس عشر، وقد أثار المترجم الدكتور سعادة، اللبنانى الجنسية، المسيحى المذهب، وجود بعض تعليقات على الهوامش، وينتهى إلى أن هذه التعليقات كتبها عدد من الناس يعرفون العربية بدرجة جيدة، أو بدرجة ضعيفة، حسب التعليق الموجود فى الهامش، ويستنبط من ذلك أن النسخة الموجودة فى فيينا، قد نقلت عن نسخة أخرى غير النسخة الأصلية وهو استنباط ضعيف، وأن النسخة الموجودة فى فيينا منسوخة عن نسخة إيطالية أخرى بها بعض اصطلاحات توسكانية وأن إنجيل برنابا، مأخوذ أصلًا من اللاتينية أى اليونانية القديمة، ويقارن الدكتور سعادة أعمال الشاعر دانتى بما جاء فى هذا الإنجيل خاصة وصفه الجنة والنار، وتقسيمه النار إلى سبع درجات، ثم تقسيم السموات إلى تسع سماوات وتأتى بعدها الجنة فى المستوى العاشر وينتقل من ذلك إلى أن كاتب هذا الإنجيل قد تأثر بدانتى ناسيا أن هذا الإنجيل وجد قبل دانتى بقرون وإن كان أحدُ قد تأثر بالآخر يكون دانتى هو الذى تأثر بهذا الإنجيل، علما بأن وصف الجنة والنار فى إنجيل برنابا، يختلف عما جاء به دانتى، على أن الوصف الذى جاء فى برنابا، أميل إلى ما كان معروفًا فى ذلك الحين عند الإغريق، ويدعى الدكتور سعادة، على لسان أحد المستشرقين، وهو الدكتور هوايت، أن المسلمين كان لديهم إنجيل عربى ينسبونه إلى القديس برنابا، وفيه يروى تاريخ المسيح على أسلوب يباين الأناجيل الأربعة الرسمية ثم يتراجع ويعترف بأن ما ذهب إليه د. هوايت فى هذا الشأن، كان عن طريق السماع، ولا توجد نسخة عربية للإنجيل المذكور قط، والغرض من هذه البلبلة التى يثيرها الدكتور سعادة، أن يلقى فى روعنا أن أنجيل برنابا مزور، إذ يقول إنه يميل إلى الاعتقاد بالاشاعة القائلة بوجو أصل عربى لإنجيل برنابا وقد نسى الدكتور سعادة، أن المسلمين فى جميع الأقطار لم يستشهدوا بشىء مما جاء فى هذا الإنجيل برغم أنه أميل ما يكون الى ما ورد فى القرآن من الأناجيل الأربعة الرسمية فضلًا على أنه لم يرد له ذكر إطلاقًا فى فهارس الكتب العربية القديمة ، سواء تلك التى جمعها العرب أو المعاجم أو المستشرقون والمستعربون، ثم يريد الدكتور سعادة، أن يفرض اعتقاده على القارئ فيقول أن لكاتب إنجيل برنابا إلمامًا، بالقرآن، حتى أن الكثير من فقراته تكاد أن تكون ترجمة حرفية أو معنوية لآيات القرآن وينسى أن هذا الإنجيل وجد قبل ولادة سيدنا محمد ﷺ ناهيك بتاريخ نزول الرسالة عليه بعد أربعين سنة من ولادته، هذا ويجب ألا ننظر جديًا إلى دعواه بأن الكثير مما جاء فى هذا الإنجيل يتفق مع الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية، وكان الأولى به أن يعترف بما اعترف به أساتذة اللاهوت فيما بعد بتحريف الأناجيل الأربعة، وأنها كتبت لأغراض ابتغى كاتبوها أن يحققوها.

والمسلمون لا يهتمون بما جاء فى هذا الإنجيل على الرغم من أنه يتفق فى الكثير من مادته مع

مفاهيم إسلامية ترتكز على القرآن والسنة، وهم يرون أن الأناجيل الرسمية وغير الرسمية بما فى ذلك إنجيل برنابا، قد شارك عدد كبير من الناس فى كتابتها، بل إنها لم تكتب أيام المسيح، إنما كتبها أناس فى الفترة مابين ٧٠ - ١١٥ سنة بعد مولده أى فى الفترة ما بين ٤٠ إلى ٨٥ سنة بعد نزول الرسالة عليه أو بعد ٣٧ إلى ٨٢ سنة من رحيله، وما هذه الأناجيل إلاّ سير للسيد المسيح عليه السلام.

ويتخبط الدكتور سعادة، فى الادعاء بأن كاتب هذا الإنجيل عربى الأصل إذ يعود ويعلن أنه يهودى الأصل اعتنق الإسلام بعد تنصره ودراسته الأناجيل، وكل ما يهدف إليه الدكتور سعادة، هو الحط من إنجيل برنابا، إلى درجة الإسفاف، حتى أنه أشار إلى أن إنجيل برنابا، قد تحدث عن وجوب الختان، وأن المسلمين فى الأندلس وإن كانوا فى أول الأمر لم يتعرضوا للعقائد المحلية ومنها النصرانية فإنهم أجبروا الناس فيما بعد على الختان، ولم نجد ما يؤيد هذه الدعوى فى أى كتاب تاريخى، وعلى ذكر الختان نشير هنا إلى أن ما يدعيه الدكتور سعادة من أن المسيحيين قد نبذوا الختان، أن عيسى نفسه كان قد ختن مؤكداً العادات الأصيلة فى التوراة، إذ أن الختان ركن أساسى فى اليهودية التى جاء عيسى عليه السلام لبعثها وتأكيدها، ولم يتحلل منه المسيحيون إلا على يد بولس الذى حاول التوفيق بين الوثنيين الذين يتختنون وبين المسيحية، حتى يقبلوا على الدخول فى دين عيسى عليه السلام، على الرغم من أن الختان كان هو العهد بين إبراهيم وربه سبحانه وتعالى.

ويعود الدكتور سعادة، بعد ذلك فيقول، إن فلسفة هذا الإنجيل ضرب من فلسفة أرسطاطاليس التى كانت شائعة فى أوربا فى أوائل القرون الوسطى، ثم يستدل من دعواه على أن كاتب هذا الإنجيل رجل من نوابغ الغرب فى القرون الوسطى، ويسقط أصله العربى أو الإسلامى كذا أصله اليهودى، ولا شك أن الدكتور خليل سعادة بذل كل جهده لنشر البلبلة والتشكك فى أصل إنجيل برنابا، محاولا ألا يرجعه إلى أيام المسيح، وأن يقصر ظهوره لأول مرة على القرون الوسطى ليثبت أن هذا الإنجيل كتب حديثاً، وليس الإنجيل الذى حرمه البابا جلاسيوس عام ٤٩٢ ميلادية، ولو كان ذلك صحيحًا أى أن كاتب الإنجيل من مواليد القرون الوسطى لما وقع فى أخطاء إسناد بعض الأمور إلى العهد القديم، أو أن يعزو قصة هوشع وحجى، إلى كتاب دانيال.

ويأخذ الدكتور خليل سعادة على إنجيل برنابا، أنه ذكر اسم (محمد) ﷺ فى أكثر من موضع، واستنتج أن كاتبه كان قد وجد بعد ظهور الإسلام، وكان من معتنقيه، ويتجاهل أن إنجيل برنابا وجد قبل ولادة محمد وإنه كان من الأناجيل التى تقرر حرقها ويتناسى ما جاء فى القرآن من أن الله قد بشر (بأحمد) قبل مولده وعلى لسان عيسى عليه السلام ﴿ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد..﴾ سورة الصف آية ٦. وذلك عندما قام عيسى يخطب فى بنى إسرائيل، معلنًا أنه جاء ليؤكد التوراة، ويبشر بآخر رسل الله سبحانه وتعالى، وفى سورة الأعراف الآية ١٥٧ نجد أن وصف الرسول النبى الأمى قد جاء فى التوراة والإنجيل، وأشرنا إلى هذه الأوصاف عندما بحثنا الفقرة ١٨ من الإصحاح ١٨ من سفر التثنية وغيرها من فقرات أخرى من التوارة والإنجيل، انظر باب (محمد) فى التوراة والإنجيل، لقد جاء هذا النبى الأمى ليأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات

التى كانت قد حرمت عليهم بسبب عنادهم وقسوتهم، ويحرم عليهم الخبائث التى أحلوها لأنفسهم ميلا مع أهوائهم، ﴿الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبًا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾ سورة الأعراف آية ١٥٧. والواقع أن البشارة (بمحمد) ﷺ لا تقف عند حد الكنايات والإشارات بل وصلت إلى حد الإعلان، ولا استبعد إطلاقًا أن يكون مترجم برنابا إلى الإيطالية قد وجد اسم (محمد) ﷺ فعلا فى الأصل الذى ترجم عنه خاصة وإن الترجمة تمت قبل ولادة محمد وقبل ظهور الإسلام بنحو قرن ونصف أو قرنين على الأقل، وتدلنا السيرة على أن العرب أو غيرهم لم يستخدموا اسم (محمد) ﷺ قبل ولادة نبينا عليه الصلاة والسلام، فلم يكن اسمه شائعًا حتى يشير إليه مترجم من المترجمين.

وأخيرًا نشير إلى الحقائق التالية:

١ - ولد (محمد) ﷺ سنة ٥٧١م.

٢ - نزل الوحى على (محمد) ﷺ بالقرآن الكريم سنة ٦١١م.

٣ - أن البابا جلاسيوس جلس على العرش البابوى عام ٤٩٢م ثم اعدم الأناجيل فى بحر ٥ سنوات.

٤ - أن البابا جلاسيوس أمر باعدام ٢٧٠ انجيلا منها انجيل برنابا.

٥ - أن كنيسة القسطنطينية شهدت رسم المطران أريوس الذى اغتيل حوالى ٣٣٥ لأنه كان ينادى بالوحدانية.

٦ - أن البابا هنورياس الأول الذى تولى البابوية من سنة ٦٢٥ إلى سنة ٦٧٨ كان يوحد بالله وأنه أعدم سنة ٦٨٢ لمناداته بالتوحيد.

ولشرح هذه الحقائق تقول:

«أشرنا من قبل إلى أن القسيس أريوس الليبى المولد، كان ينادى بأن المسيح ليس إلها ولكنه مخلوق من مخلوقات الله، وكان هذا القسيس قد تتلمذ على أرشيدوق انطاكيا الاسقف لوشيا، وكان بطرس بطريرق الإسكندرية قد رسم أريوس مطرانًا على كنيسة الإسكندرية فى عام ٣٠٠ - ٣١١، ثم حاول أن يطعن فى سلامة عقيدتهفاستعان أريوس بأسقف نيكوميديا الذى كان على صلة وثيقة بالأميرة قنسطنطينة شقيقة الإمبراطور قنسطنطين الأول وزوج لسونياس.

وفى سبتمبر عام ٣٢٢ قامت طائفة من قساوسة البابا الإسكندر الأول بابا قنسطنطينة باستنكار تعاليم أريوس، وفى نفس الوقت اتفق أساقفة فلسطين مع أتباع أريوس على عقد هدنة فيما بينهم وقبل بابا القسطنطينية هذه الهدنة ولكنها لم تستمر طويلا، فقد ألغاها البابا الإسكندر فى سبتمبر من السنة التالية.

وفى نوفمبر عام ٣٢٥ اضطر الإمبراطور للتدخل ولكن قوة البابا فى القسطنطينية - كانت كبيرة، فقد حدث فى عام ٣٢٥ أن أمر مجلس القساوسة فى أنطاكيا بحرمان أريوس من الكنيسة، واضطر الإمبراطور إلى استدعاء مجلس القساوسة للاجتماع فى ٢٠ مايو ٣٢٦ بمدينة نيقيا، واستنكر تعاليم أريوس القائمة على الوحدانية، وبالتالى نفى أريوس إلى IUGRUIM، ولكنه استمر فى نشر تعاليمه القائمة على الوحدانية، وتمكن من تحويل سادتها إلى الوحدانية وحدث فى عام ٣٣٢ أن أدرك الإمبراطور قنسطنطين مناورات الكنيسة ومؤامراتها، فأرسل إلى أريوس طالبًا إياه، ولكن الأخير خشى أن يستجيب لطلب الإمبراطور فيقتلوه، وفى عام ٣٣٥ كرر الإمبراطور طلبه، فذهب أريوس إلى نيكوميديا طالبًا إعادة التحقيق، وبالفعل قام المجلس البابوى يرد اعتباره، ولما أتى أريوس إلى القسطنطينية ليتولى منصبه فى الكنيسة البابوية قتله القساوسة غيله.

وما أشرت إليه عن أريوس تجدونه فى الصفحة ٤٠١ من المجلد الثانى بالموسوعة البريطانية، الأمر الذى يدل على أن التوحيد كان منتشرًا قبل أن يجلس جلاسيوس الأول بمائة سنة على الأقل، وبالتالى نستطيع أن نستنتج وجود أناجيل تؤكد الوحدانية، ومنها طبعًا إنجيل برنابا. ثم إذا أضفنا إلى ذلك أن البابا هنورياس الأول الذى مات فى عام ٦٨٢ والذى تولى البابوية من ٦٢٥ إلى ٦٣٨ كان من الموحدين، كما جاء فى دائرة المعارف البريطانية ص٦٦٣ المجلد الحادى عشر، نستطيع أن نجزم بأن الوحدانية استمرت فى كنيسة القسطنطينة حتى هذا التاريخ، أى بعد جلاسيوس الأول، وأن اعتناق هؤلاء الناس مبدأ التوحيد وهم يشغلون أرفع منزلة فى الكنيسة، دليل على وجود نصوص لاهوتية مقنعة بأن التوحيد هو رسالة عيسى عليه السلام، والواقع أن إعدام هنورياس الأول عام ٦٨٢ بقرار من مجلس الكنيسة فى القسطنطينية كان سلاحًا لإرهاب الموحدين فى ذلك الوقت، وبالتالى تكون جميع حجج الدكتور خليل سعادة، بشأن إنجيل برنابا برغم ضعفها لا أساس لها، فقد كان التوحيد معترفا به قبل وبعد البابا جلاسيوس ولا داعى للمكابرة.

الخلاف بين برنابا والأناجيل الأربعة

باين إنجيل برنابا الأناجيل الرسمية المنسوبة إلى متىّ، ولوقا، ويوحنا، ومرقص، فى أهم أساسيات النصرانية:

١ - أنكر برنابا ألوهية عيسى عليه السلام.

٢ - أنكر برنابا بنوة عيسى لله سبحانه وتعالى.

٣ - يقرر برنابا أن الفدية كانت لإسماعيل وليس لإسحاق، أى أن الابن الذى كان إبراهيم قد عزم على تقديمه ذبيحة لله إنما هو إسماعيل لا إسحاق، وأن الموعد كان بإسماعيل وليس بإسحاق.

٤ - يقرر برنابا أن المسيح المنتظر ليس (عيسى).

٥ - يكرر إنجيل برنابا الذى حرمته الكنيسة فى عام ٤٩٢ اسم (محمد) عليه الصلاة والسلام مرارًا فى إصحاحات متكررة، وقال إنه رسول الله، وإن اسمه قد سطر فوق باب الجنة بأحرف من نور (لا إلـه إلا الله محمد رسول الله).

٦ - أكد إنجيل برنابا أن الذى صلب إنما هو يهوذا الخائن بعد أن غير الله صوته وشكله. ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه، وما صلبوه، ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا﴾ سورة النساء آية ١٥٧.

٧ - يقرر إنجيل برنابا أن ميكائيل (ميخائيل)، وإسراقيل (أوريل) وعزرائيل هم الملائكة الذين رفعوا عيسى إلى السماء.

أسباب كتابة إنجيل برنابا:

قام برنابا بكتابة إنجيله لأسباب وردت فى مقدمة هذا الإنجيل وهى:

١ - أن الله سبحانه وتعالى قد رفع إليه (عيسى) عليه السلام، وبالتالى افتقده الناس، وافتقدوا تعاليمه الدينية، ورجاحة عقله، وحلو موعظته، حتى لا ينسى الناس تعاليمه سجلها أقرب الناس إلى (عيسى) عليه السلام من ذاكرته لتكون مرجعًا له وللشعب اليهودى.

٢ - ارتداد عدد من اليهود عن تعاليم المسيح، وإمعان أتباعه فى تبجيله إلى درجة تستوى مع فساد اليهود الذين كانوا يعيشون فى ذلك الوقت، أو رفع مستوى التبجيل ليصل إلى الأشراك بالله.

٣ - الخروج عن عادة الختان، وهى العهد الذى قطعه إبراهيم لله سبحانه وتعالى.

٤ - إباحة اللحم النجس بشكل يهدد تعاليم المسيح.

٥ - تصحيح ما نشره بولس من أخطاء وتجديف فى الدين المسيحى، ومن تجاوزات وامتيازات أراد من ورائها إرضاء الوثنيين خاصة أنه كان قد نجح فى إقناع جماعة من القساوسة بالقدس بالتجاوز عن تعاليم المسيح، حتى ينشر المسيحية بين الوثنيين فى حين عارضه برنابا، ورفض أن يطوع العقيدة لجذب هؤلاء الوثنيين.

٦ - المحافظة على إيمان المؤمنين بوضع إنجيله بين أيديهم ليعينهم فى إيمانهم ويستمدون منه الحجة ضد معارضيهم.

٧ - نفى ما كان قد شاع فى أيام المسيح، عندما راح الناس يقولون إنه شبه إله، أمام ما أتاه من إحياء للموتى، وإبراء للأكمه والأبرص، ونجد تأكيد برنابا من أن عيسى عليه السلام لم يكن إلٰها فى إصحاحات ٤٧، ٤٨، ٧٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٣٩، ١٤١، من إنجيله، ثم تأكيده أن المسيح إنسان كسائر الناس وما هو إلّا خادم لله، وكيف يكون لله جسد يحده بحدود.

٨ - تفسير مشكلة صلب المسيح وتفسيرها التفسير الصحيح، كما جاء فى إصحاحه ١١٢ وأن التلميذ الذى باعه بثلاثين قطعة من النقود، سوف يقتل باسمه، لأن الله سوف يغير من هيئته وصوته حتى يظن الجميع أن هذا الخائن هو المسيح نفسه.

لقد كتب برنابا إنجيله ليحفظ للناس مواعظ عيسى ورسالته خاصة وأن عيسى عليه السلام لم يكتب إنجيلا قط، وفى ذلك تسلم الكنيسة ولكنها تدعى بأن الوحى. نزل على عدد من تلاميذه، فكتبوا عددا من أناجيل، وبأن ما كتبوه ليس من لدنهم، بل بأمر الوحى، وكانت عادة كتابة الأناجيل شائعة، ومثلنا على ذلك أن لوقا قد بين سبب كتابته الانجيل المنسوب إليه، عندما وجه كلامه لثاوفيلس، إذا قال إن السبب فى وضع إنجيله أن كثيرين قد تولوا كتابة تقارير أو قصص تتناول أمور العقيدة، وأنه وجد من الأصلح أن يكتب هو أيضًا ما خبره من أشياء منذ البداية، حتى يعرف ثاوفيلس حقيقة العقيدة، وبالتالى نجد لوقا يستبعد وحى الإلهام وأنه كتب ما كتب من وحى ذاكرته، والواقع أن ما ذهبت إليه الكنيسة من أن الوحى هو كاتب الأناجيل أمر لا يصدقه عقل فهو أقرب إلى الوثنية إذ أن الوحى لاينزل إلا على نبى، وكل من يعترف بنزول الوحى على كتّاب الأناجيل يضعهم فى مرتبة الأنبياء، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا أحرقوا أكثر من ١٧٠ إنجيلا إذا كان الوحى هو الذى أملى على كتابها ما كتبوه؟

وقد اهتم برنابا كل الإهتمام بتكذيب ألوهية المسيح وبنوته، وإنزال مائدة من السماء انظر الإصحاحات ٥٢، ٧٥، ٩٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٣٩، ١٤١، ثم يفند برنابا دعوى صلب المسيح بحجج وردت فى الإصحاح ١١٢ من إنجيله والتى أكدت على أن من باع المسيح سوف يقتل باسم المسيح كما ذكرنا.

والآن ننتقل إلى إنجيل برنابا نفسه، وحتى يطمئن القارئ نحن على إستعداد لارسال النص الانجليزى لمن يشاء مع الايجاز فى التعليق بالهوامش حتى لا يساء الغرض من نشر هذا الإنجيل مرة أخرى باللغة العربية.

الفصل الثانى

برنابا فى العهد الجديد من الكتاب المقدس

يضم ما يسمى بالكتاب المقدس فى عهده الجديد أناجيل أربعة (وكل إنجيل عبارة عن سيرة لعيسى عليه السلام)، كما يضم أعمال الرسل (وهى تاريخ المسيحيين الأوائل كذلك يضم رسائل بولس وغيرها.

ونجد فى رسالة بولس إلى أهل كولوسى (الإصحاح الرابع الفقرة ١٠) - (يسلم عليكم ارسترخس المأسور معي، ومرقص ابن اخت برنابا الذى أخذتم لأجله وصايا إن آتى إليكم فأقبلوه) وهذه الفقرة هى ترجمة الآباء اليسوعيين، ولكن ترجمتها من النسخة الإنجليزية كما يلى، (يحييكم أخى فى السجن ارسترخيس ومرقص ابن اخت برنابا والذى تلقيتم على يديه الوصايا، فإذا جاءكم فاستقبلوه)، وهكذا أشارت رسائل بولس إلى برنابا، فمثلا نجد فى رسالته إلى غلاطيه (الإصحاح الثانى فقرة ٩) (فإذا علم بالنعمة المعطاة إلى يعقوب، وصفا، ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة، أعطونى وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم، وأما هم فللختان)، ومعناها مترجمة عن الإنجليزية، (وعندما أدرك يعقوب، وصفا، ويوحنا (وهم كما يبدو من أئمة القوم) ما حاط بى من فضلك، ضمونا إليهم واعتبرونا أيديهم اليمنى، وعهدوا إلينا بأن نذهب إلى الوثنيين أما هم فيذهبون إلى اليهود، يعنى الوثنيين الكفرة، والختان يشير إلى اليهود لأنهم يتختنون).

وفى أعمال الرسل نجد اسم برنابا يتكرر، فمثلا فى الإصحاح الرابع الفقرة ٣٦، (ويوسف الذى دعى من الرسل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ، وهو لاوى قبرص الجنس إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل) ومعناها مترجمة عن الإنجليزية ما يلى (ويوسف الذى أطلق عليه الرسل لقب برنابا ومعناه ابن المعزى وهو قبرص لاوى).

أما بولس هذا فكان يهوديا يضطهد المسيحيين، وقد قيل أنه شاهد المسيح فى منامه، ثم تحول إلى النصرانية، وكان برنابا من بين تلاميذ المسيح وكان نشيطا كل النشاط فى التبشير بالمسيحية، كذلك تحول بولس إلى التبشير على أنه بالغ فى مدح المسيح إلى درجة الألوهية، انظر أعمال الرسل الإصحاح ٩ الفقرة ٢٠ - (وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله)، وترجمتها عن الإنجليزية ما يلى: (وفى الحال أخذ يبشر بالمسيح فى الكنائس ويصفه بأنه ابن الله)، وفى نفس الإصحاح نجد من الفقرة ٢٦ إلى ٢٧ ما يلى، (ولما جاء شاول (بولس) إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، وكان الجميع يتباعدون عنه، غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع، وترجمة ذلك عن الإنجليزية، (ولما جاء شاول (بولس) إلى أورشليم (القدس) حاول أن ينضم إلى التلاميذ ولكنهم كانوا يشيحون عنه معتقدين أنه ليس منهم، ولكن برنابا أخذه وأحضره إليهم وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق وأنه كلمه، وانه كان يبشر بكل شجاعة فى دمشق باسم المسيح، وإنى عندما أسوق

فقرات من الإنجيل أقدمها من الآن فصاعدا مترجمة عن الإنجليزية نظرا لسوء ترجمة الآباء اليسوعيين. وجاء فى أعمال الرسل إصحاح ١١ من ٢٢ - ٣٠ (وبلغت الأخبار أسماع الكنيسة فى القدس فأرسلوا برنابا فى الحال إلى أنطاكية، وعندما وصل ورأى آية الله ونعمته، فرح ووعظهم جميعا أن يثبتوا فى إيمانهم بالرب بقلوب صافية، فقد كان رجلا طيبا، تملؤه روح القدس والإيمان، وآمن عدد كبير من الناس بالرب، وبعد ذلك ذهب برنابا إلى طرطوس فى طلب شاول (بولس)، ولما وجده أحضره معه إلى أنطاكية، وأخذا فى تعليم الناس لمدة سنة داخل الكنيسة، وسمى التلاميذ بالمسيحيين لأول مرة فى أنطاكية، وفى تلك الأيام جاء أنبياء من القدس إلى أنطاكية، ووقف أحدهم ويدعى أغابوس، معلنا أنه قد أوحى إليه أن العالم سيمنى بمجاعة فظيعة، وحدث ذلك فى أيام القيصر كلوديوس، وقرر التلاميذ عندئذ أن يرسل كل رجل وفق إمكاناته المعونة إلى الآخرين فى يهودا، وبالفعل فعلوا ذلك وقام بحملها إلى الشيوخ برنابا وشاول (بولس).

وجاء فى أعمال الرسل إصحاح ١٢ فقرة ٢٥ ما يلى:

(وعاد برنابا وشاول من القدس بعد أن أنهيا مهمتهما، واصطحبا معهما يوحنا الملقب برقص).

وجاء فى الإصحاح ١٣ فقرة ١، ٢ من أعمال الرسل ما يلى:

(وكان هناك بعض الأنبياء والمعلمين فى الكنيسة التى كانت تسمى بأنطاكية قبل برنابا، وسمعان الذى كان يسمى بالنيجر، ولوثياس القيرواني، ومناين الذى تربى مع هيرودس رئيس الربع، وشاول، وعندما كانوا يدعون للرب وهم صائمون، قال روح القدس أفرزوا لىّ برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه).

وجاء فى أعمال الرسل ١٤ فقرة ١١ - ١٥:

(ولما رأى الجمع ما فعله بولس رفعوا أصواتهم قائلين بلسان ليكاونية، لقد هبطت الآلهة علينا على هيئة رجال، ودعوا برنابا بجوبيتر (إله الآلهة)، وبولس بمركزى (إله الفصاحة والبلاغة)، لأنه أفضل الخطباء المتحدثين، وأتى كاهن جوبيتر، وكان عند أرباض المدينة بالثيران، وضفائر الزهور إلى باب المدينة، وكانوا قد أوشكوا أن يقدموا القربان وعندما سمع التلميذان برنابا، وبولس، شقا ثيابهما وجريا بين الناس صائحين: (ياسادة لم تفعلون هذا فنحن رجال مثلكم نحس بأحاسيسكم، ونبشركم أن تنبذوا هذا الغرور وتعودوا إلى الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحار وكل ما فيها).

ومن هذا نرى أن اسم برنابا، قد ورد فى أعمال الرسل باعتباره من أهم التلاميذ، كما أن بولص أو شاول، كان يعمل معه وليس العكس، وإن يكن الأخير قد أصاب حظا كبيرا من البلاغة والفصاحة وقوة الإقناع.

الفصل الثالث

من هو برنابا وما هى رسالته؟

كان برنابا يهوديا من أبناء قبرص، وكان اسمه الأصلى يوسف، وكان مخلصا وفيـا لعيسى عليه السلام، ولإخلاصه وتفانيه، اطلق عليه الحواريون لقب برنابا، ومعناه ابن الرسول أى ابن عيسى، وكان مبشرا ناجحا مرموقا، له شخصية جذابة تستميل الغير إليها، وكان يذهب إليه هؤلاء الذين فى قلوبهم مرض أو شك أو تتنازعهم العقائد، فيجدون عنده السلوى والسكينة والأمان، وقد برز بسبب التصاقه بعيسى عليه السلام، فجعل منه عضوا بارزا فى مجموعة حوارييه بالقدس، وازدادت شخصيته ظهورا عندما اجتمع الحواريون بعد رحيل عيسى، وكانوا يؤمنون برسالة موسى التى جاء المسيح لتثبيتها، (لا تظنوننى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل). متّى إصحاح ٥ فقرة ١٧ واستمر هؤلاء الحواريون يعيشون كما يعيش اليهود، ولكنهم كانوا يمارسون ما علمهم عيسى ولم يكن أحدهم ليظن بأن المسيحية، ستصبح عقيدة جديدة، وتنسلخ عن اليهودية، لقد كانوا جماعة مخلصة تزاول ما يزاوله اليهود فى معيشتهم ولم يميزهم شىء عن اليهودية سوى إيمانهم برسالة عيسى عليه السلام، وفى مستهل عهدهم لم ينظموا أنفسهم كفئة أو طريقة جديدة، وبالتالى لم يتخذوا لأنفسهم كنيسة فلم يكن هناك فى رسالة عيسى عليه السلام كما فهموا ما يدعوهم إلى الانشقاق على اليهودية، ومع ذلك فقد تعرضوا لعداوة الفئة الغنية من اليهود، لأنهم كانوا يهددون مصالحها بما يبشرون به، فقد بدأ الصراع بين اليهود الأغنياء واتباع عيسى عليه السلام، عندما شعر اليهود بأن المسيحيين بما يبشرون به سوف يحطون من سلطانهم وسيادتهم.

ولقد أخذت الهوة فى الاتساع، فمثلا عندما كانت القدس محاصرة فى عام ٧٠ بعد الميلاد نزح المسيحيون عنها، كذلك حدث أن رفض المسيحيون الاشتراك فى ثورة ١٣٢ بعد الميلاد المعروفة بثورة (باركو شابة)، وكان من نتيجة هذين التصرفين أن ازداد الخلاف عمقا بين المسيحيين واليهود.

ولم تكن مسألة المسيح، وأصله وطبيعته وعلاقته بالخالق سبحانه وتعالى، محط أخذ ورد، فى السنوات الأولى للمسيحيين الأوائل، فكان الجميع يعتقدون بأن المسيح كان رجلا ككل الرجال، وأن الله أنعم عليه بمواهب خارقة للعادة، ولم يجد هؤلاء الحواريون فى كلمات المسيح أو الأحداث التى وقعت فى حياته ما يجعلهم يغيرون رأيهم، ويقـول أريستيدس، وهـو من أوائل المـدافعين عن الـدين المسيحى، إن المسيحيين الأوائل كانوا يعبدون الإله الواحد، بل كانوا يعتقدون أكثر من اليهود بالوحدانية.

ولكن عندما اعتنق بولص المسيحية، بدأ عصر جديد فى المسيحية فقد كانت عقيدته مبنية على تجاربه الشخصية، فى ضوء الفكر الإغريقى المعاصر وقتئذ، إذ ابتكر (نظرية الخلاص)، وهى نظرية

غريبة لم يعرفها الحواريون، كما ابتكر مذهب تأليه المسيح حتى يصبح دينه مستساغًا عن اليونانيين.

وفى العصر البولينى من تاريخ الكنيسة المسيحية ظهرت تغيرات فى مبادئ المسيحية، كما تغيرت مسارح الأحداث، فمثلا نجد بدلا من الحواريين الذين كانوا يجلسون عند قدمى المسيح، شخصا جديدا لم يعرفه المسيح، يحتل مكان الصدارة، كذلك نجد أن الإمبراطورية الرومانية قد حلت محل فلسطين مسرحا للنشاط المسيحى، كذلك تحولت المسيحية من مجرد طائفة من اليهودية، إلى عقيدة مستقلة حتى عن المسيح نفسه.

وكان بولص يهوديا من أهالى طرسوس، وكان قد أمضى وقتا طويلا فى روما، إذ كان مواطنا رومانيا، وكان يدرك مدى تعلق الناس بالديانة الرومانية فى حين كانت الصفوة من المتعلمين تعتقد فى فلسفة أرسطاطاليس وأفلاطون ويبدو أن بولص كان يشعر شعورا قويا بأن من الصعب جدا تحويل الرومان فى الإمبراطورية الرومانية إلى المسيحية دون إدخال بعض التعديلات على المسيحية، وكان من الطبيعى ألا يتجاوب معه هؤلاء الذين عاشوا مع المسيح ورأوه واستمعوا إليه ، وعلى الرغم من خلافهم معه، نجدهم يعملون معا من أجل قضية مشتركة هى نشر المسيحية.

ولقد سجلت لنا أعمال الرسل، أن برنابا كان يمثل الحواريين فى رحلته مع بولص، ولقد تعاون بولص مع الحواريين بعض الوقت، ولكنهم فى النهاية أبعدوه عنهم، إذ كان بولص يسعى من أجل إسقاط بعض الوصايا التى نزلت على موسى، خاصة ما يتعلق بتحريم بعض الأطعمة، كذلك رأى بولص حذف الوصية التى جاءت عن طريق سيدنا (إبراهيم)، والخاصة بالختان، وكان برنابا وغيره من الحواريين يختلفون مع بولص، ويكفى أن نسوق بعض فقرات من أعمال الرسل التى تشير إلى هذا الانشقاق بينهم. تقول الفقرات ١ و٢ من الإصحاح ١٤ من أعمال الرسل ما يلى:

(وعندما استفحل النزاع بين بولص وبرنابا فيما بينهما وبين اليهود من جهة أخرى، صمموا على أن يذهبوا إلى القدس ويستشيروا الحواريين والمشايخ فى هذه المسألة «الترجمة عن الإنجيل المكتوب بالإنجليزية».

وبعد هذا الانشقاق اتجه كل فى طريقه وتحدثنا أعمال الرسل بأن برنابا اختفى بعد هذا الانشقاق، والسبب هو أن أتباع بولص هم الذين كتبوا أعمال الرسل فاسقطوا اسم برنابا كلية.

وكان لعملية التوفيق بين تعاليم بولص، ومعتقدات الرومان وأساطيرهم، إن زاد عدد المسيحيين اتباع بولص، كما زادت قوتهم وفى مرحلة لاحقة، كانت الكنيسة تلعب بالملوك كبيادق الشطرنج لتعزيز أهدافها، ولم يحاول أتباع برنابا أن يكونوا فيما بينهم هيئة مركزية، على أنهم ازدادوا عددًا بفضل إخلاصهم لزعمائهم، وكانوا محط غضب الكنيسة، حتى ذهبت إلى وضع خطة منظمة للقضاء عليهم، ومحو كل أثر لهم بما فى ذلك الكتب والكنائس، ولكن التاريخ علمنا أن من المستحيل أن تقضى قضاء مبرمًا على عقيدة ما باستخدام القوة، ولقد كان فى تمسكهم بعضهم ببعض قوة، لم يستطع أتباع بولص أن يتعرفوا عليهم واحداً واحداً، ثم يقضون عليهم، والبحوث الحديثة أظهرت حقائق غريبة حول هؤلاء المسيحيين الأوائل الذين هم أشبه ما يكونون بالقمم.

ونحن نعلم أنه كانت هناك طائفة تسمى بالـ Hyipis - Tarians، حتى القرن الرابع بعد الميلاد، وكانوا يرفضون عبادة الله كأب أى أنهم كانوا يرفضون اعتبار الخالق أبًا عضويًّا لعيسى عليه السلام، وكانوا يعبدونه سبحانه وتعالى باعتباره الإله العظيم الذى يحكم العالم وأنه الواحد الأحد ولا يدانيه أحد.

ولم ينحرف بولص حتى ذلك الوقت كقس بمدينة أنطاكية، مناديًا بأن المسيح ليس بالإله وماهو إلا إنسان ونبى ورسول، وإن يكن يختلف قليلًا عن الأنبياء الذين جاءوا من قبله من ناحية مولده وكان ينادى أيضًا بأن الله لم يتقمص جسد عيسى عليه السلام.

ونأتى بعد ذلك لقسيس آخر فى أنطاكية وهو لوسى، وبصفته قسيسًا كان معروفًا بصلاحه وتبحره فى الدين، ولقد هاجم بقوة، عقيدة التثليث، وشطب كل إشارة إلى التثليث من الإنجيل، فقد كان يرى أنها بدعة لا أصل لها فى الأناجيل السابقة، وقد استشهد فى عام ٣١٢ بعد الميلاد.

ثم نأتى بعد ذلك إلى أحد تلاميذ لوسى وهو أريوس Arius، الذى عاش من عام ٢٥٠ إلى عام ٣٣٦ بعد الميلاد، وقد ولد هذا القسيس فى ليبيا ورسمه قسيسًا بطريق الإسكندرية إلا أنه طرد من الكنيسة بعد ذلك، ولكن أشيل، خليفة بطرس، رسمه مرة أخرى قسيسًا ثم عاد البطريق إسكندر ثانى بطارقة الإسكندرية فحرمه من رحمة الكنيسة، إلا أن أريوس كان قد ربى لنفسه أتباعًا عديدين حتى أحرج الكنيسة ذاتها، ورأت الكنيسة أنه سيكون خطرًا عليها إذا ما استمر خارجها محرومًا منها، ولكنه فى نفس الوقت لا يمكن أن تقبله الكنيسة، وكانت فلسفته المناداة بوحدانية الخالق، وأنه حى قيوم، وكان يعتقد أن المسيح قد تجاوز البشر فى كثير من الأعمال، ومع ذلك فهو مخلوق من مخلوقات الله، وإنه ليس من مادته، بل هو إنسان كأى إنسان آخر، وانتشرت تعاليم أريوس انتشارًا كبيرًا حتى أنها هزت كيان الكنيسة البولينية، واستمر النقاش والجدال ثلاثة قرون، والنقطة الهامة أن الكنيسة فى ذلك الوقت كانت قوة، ومع ذلك لم يتنازل أريوس عن وجهة نظره، سواء عندما كان قساً داخل الكنيسة، أو شخصًا عاديًّا بعد أن عوقب بالحرمان، وفى هذه الفترة وقع حدثان هامان.

تمكن الإمبراطور قسطنطين من إخضاع الشطر الأكبر من أوربا لحكمه، وبدأ فى احتضان المسيحيين دون أن يعتنق ديانتهم، وكان لا يفهم لماذا يختلف المسيحيون فيما بينهم، ولماذا هم طوائف وملل، وحتى فى القصر كان لكل طائفة ممثل، وكان النقاش والجدل محتدمًا بينهم جميعًا، ويبدو أن الملكة الأم كانت تميل إلى مسيحية بولص فى حين كانت أخته الأميرة قسطنطينة من أتباع أريوس، وكان الإمبراطور نفسه متقلبًا على توحيد المسيحيين فى كنيسة واحدة، وكان الصراع قد بلغ أشده فى ذلك الوقت بين أريوس والبطريق إسكندر، مما هدد الأمن والنظام فى البلاد، ورأى الإمبراطور أن عليه أن يتدخل لحفظ السلام، والمحافظة على وحدة الدولة الرومانية تحت إمرته، وفى عام ٣٢٥ بعد الميلاد دعا إلى مؤتمر يضم جميع المذاهب المسيحية فى قرية نيقيا Nicea المعروفة الآن باسم إسنيك Isnik ولم يتمكن البطريق إسكندر من حضور المؤتمر، وأناب عنه مساعده أثناسيوس، وهو الذى خلفه فيما بعد على كنيسة الإسكندرية.

وعقد المؤتمر جلسات عديدة وطويلة ولم يفهم الإمبراطور قسطنطين المعنى الحقيقى لهذه المواجهة الدينية، وكل ما كان يريده هو المحافظة على السلام فى إمبراطوريته الواسعة المترامية الأطراف عن طريق اكتساب تأييد الكنيسة له، وتعاونها معه، وبالتالى اختار المذهب الذى دعا إليه أثناسيوس، وحرم مذهب أريوس، وهكذا أدخل التثليث رسميًا إلى الدين الرسمى، وبالتالى جرت مذابح رهيبة راح ضحيتها هؤلاء الذين لم يعتقدوا فى التثليث، ثم أصدر الإمبراطور أمرا بمعاقبة من يحوز إنجيلاً لم تعتمده الكنيسة، وترى بعض المصادر أن عدد الأناجيل فى ذلك الوقت قد بلغ ٢٧٠ إنجيلاً، كل واحد منها يختلف عن الآخر، وانها أحرقت فيما عدا الأناجيل التى وافقت الكنيسة عليها، وتلك التى خبأها أصحابها، ولم تكن الأميرة قسطنطينة سعيدة بتطور الأحداث، فأثرت على الإمبراطور حتى تمكنت من جعله يتقبل مذهب هؤلاء الذين قتلهم، وبالتالى أرسلوا فى استدعاء آريوس عام ٣٢٥ - ٣٢٦ وفى اليوم الذى كان من المفروض أن يزور كنيسة القسطنطينية فى موكب عظيم كموكب الفاتحين، توفى فجأة فأعلنت الكنيسة أن معجزة قد وقعت، أما الإمبراطور فكان يعلم أن جريمة قد وقعت، فأمر بطرد أثناسيوس واثنين من البطارقة معه ، ثم أعلن مسيحيته وقام بتعميده أحد البطارقة التابعين لآريوس، وبالتالى انتصر مذهب التوحيد وغدا الدين الرسمى للدولة، ومات الإمبراطور قسطنطين وخلفه إمبراطور آخر اعتنق نفس ديانة آريوس.

وفى عام ٣٤١ عقد مؤتمر فى أنطاكية وأعلن وحدانية الإله باعتبارها التفسير الصحيح للديانة المسيحية، وأكد هذا القرار اجتماع آخر عقد فى سيرميم Sirmium فى عام ٣٥١، وكان من نتيجة ذلك أن شاع مذهب التوحيد الذى نادى به آريوس وأصبح دين الأغلبية المطلقة من المسيحيين، وكتب القديس جيروم St. Jeroome فى عام ٣٥٩ (أن العالم كله قد ابتهج باعتناقه مذهب آريوس).

وفى هذا المقام يجب أن نشير إلى البابا هونوريوس Honorius باعتباره الشخصية الهامة، خاصة وأنه عاصر رسالة سيدنا (محمد) ﷺ، وكان يرى فى رسالة الإسلام تشابهًا كبيرًا مع ما ينادى به آريوس، ورأى وجوب إيجاد صلة أو جسر بين الإسلام والمسيحية، وأشار فى خطاباته إلى أنه يؤيد مذهب الإرادة الواحدة أو الفكر الواحد، وقال : إن الله إذا ما كانت له إرادات ثلاثة أو أفكار ثلاثة فإن النتيجة هى الفوضى، وإن النتيجة الطبيعية تؤكد وجود إله واحد فقط، ولم يجرؤ أحد على التصدى رسميًا لهذا الرأى لمدة ثلاثة قرون من الزمان، وبعد ذلك عقد مجلس للبطارقة فى القسطنطينية حيث طردوا البابا هنورياس Honorius من رحمة الله، وهذا حدث عجيب وفريد فى تاريخ البابوية، إذ اتهم أحد البطارقة بإعداد انقلاب ض؛ البابا، ويجب ألا ننسى أيضًا شخصيتين هامتين هما ل.ف.م. سوزينى L.F.M. Sozzini الذى عاش من (١٥٢٥ - ١٥٦٥)، المولود فى سيينا Siena والذى لجأ إلى التصوف بتأثير كاميللو Camillo، وقد ذاع صيته فى سويسرا، وراح يتحدى كلفن Calvin فى التثليث، وأخذ يشرح مبدأ أريوس مستنكرًا ألوهية المسيح، رافضًا نظرية الخطيئة والكفارة، كان ينادى بأن الغرض من العبادة هو التوجه إلى الواحد الأحد، والإله الصمد، بالسمع والطاعة، وتبعه فى هذا المذهب ابن أخيه ف.ب سوزينى F.B.Sozzini، وعاش من ١٥٣٩ - ١٦٠٤ وفى عام ١٥٦٢ ونشر كتابًا تناول فيه إنجيل

يوحنا مستنكرًا ألوهية المسيح، وفى عام ١٥٧٨ ذهب إلى كلوزن بورج فى ترانسلفانيا التى كان يحكمها John Sigisumud، والذى كان ينكر ألوهية المسيح، ويرفض التثليث، كذلك البطريارك فرانسيس دافيد Francis David، الذى عاش من ١٥١٠ - ١٥٧٩، على غراره يرفض التثليث كل الرفض، وأدى ذلك إلى قيامٍ طائفة Racovian Catechism، والتى استعادت اسمها من مدينة راكاو فى بولندا والتى أصبحت حصنًا لمذهب آريوس، وكذلك نجد من بين المسيحيين فى وقتنا الحاضر عددًا كبيرًا من الرجال والنساء يعتقدون فى إلٰه واحد، ولكنهم لا يفصحون عن عقيدتهم جهرًا، وعلانية، بسبب قوة الكنيسة، ولعدم وجود اتصالات فيما بينهم.

وفى النهاية أرى من الشيق أن نقتبس بعض ما قاله أثناسيوس من أصحاب التثليث إذ يقول فى أواخر أيامه (إنه كلما ضغط على نفسه ليقتنع بألوهية عيسى ترتد جهوده إليه، وإنه كلما أكثر من الكتابة، كلما وجد نفسه أقل قدرة على التعبير عن أفكاره، بل أعلن فى مكان آخر (أنهم ليسوا ثلاثة بل إله واحد).

الفصل الرابع

كيف ظهر إنجيل برنابا

كانت كنيسة الإسكندرية تعترف حتي عام ٣٢٥ بعد الميلاد بإنجيل برنابا باعتباره إنجيلا موثقًا كنائسيا.

لقد كتب أرانيوس IRANAEUS (١٣٠ - ٢٠٠) يؤيد الوحدانية الصافية ويعارض بولس لإدخاله بعض التعاليم الرومانية الوثنية، والفلسفة الأفلاطونية إلى المسيحية وكان يستشهد فى كتابته بالكثير مما جاء فى إنجيل برنابا، مما يدل على أن هذا الإنجيل كان متداولا فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد.

وفى عام ٣٢٥ ميلادية عقد مجمع نقيا الكهنوتى وقرر إبادة جميع الأناجيل المكتوبة بالعبرية وأصدر فرمانًا دينيًّا بمعاقبة كل من يحوز إنجيلا مكتوبًا بالعبرية بالموت.

وفى عام ٣٨٣ حصل البابا على نسخة من إنجيل برنابا واحتفظ بها فى مكتبته الخاصة.

وفى العام الرابع من حكم الإمبراطور زينو أى فى عام ٤٧٨ اكتشفت مقبرة برنابا ولما فتحت وجدوا على صدره إنجيلا كتبه بخط يده[1]، ويبدو أن إنجيل VULGATE الشهير قد اتخذه برنابا أساسًا له، وكان للبابا سيكستس SIXTUS (١٥٨٥-١٥٩٠) صديق اسمه فراما رينو FRAMARINO وقد وجد هذا الصديق إنجيل برنابا أو نسخة منه فى مكتبة البابا، وكان هذا الصديق يهتم شخصيًّا بالإنجيل إذ كان قد قرأ أرانيوس الذى يعتمد على برنابا، والذى استشهد بما جاء فيه، وانتقلت النسخة الإيطالية من الصديق إلى أيدى عديدة أخرى حتى وصلت إلى رجل معروف يشغل منصبًا هامًّا جدًّا فى امستردام وكان هذا الشخص فى حياته ينادى بأهمية هذا الكتاب، ولما مات انتقل الإنجيل إلى السيد كريمر J.E. CRAMER أحد حكام احدى مقاطعات ألمانيا، وفى عام ١٧١٣ قدم كريمر Cramer النسخة إلى كبير خزنة مكتبة الأمير أوجين أمير سافوى، وفى عام ١٧٣٨ انتقلت المكتبة بما فيها نسخة برنابا إلى المكتبة العامة لفيينا حيث توجد حتى الآن، وقد كتب عنه تولاند TOLAND فى (مؤلفات متنوعة)، التى نشرت بعد مماته سنة ١٧٤٧، وجاء فى المجلد الأول صفحة ٣٨٠ أن إنجيل برنابا مازال موجودًا هناك، وفى الباب الخامس عشر نراه يشير إلى الأمر الأمبراطورى رقم ٤٩٦، والذى ضم إنجيل برنابا إلى قائمة الكتب المحرمة، وكان هذا الإنجيل قد حرمه قبل ذلك البابا أنوسنت عام ٤٦٥، كما حرمه قرار مجلس الكنائس الغربية عام ٣٨٢.

---

(١) انظر acia Sanctorum Boland Junii Tom II من ص ٤٢٢ إلى ٤٥٠ طبعة أنفرس ١٦٩٧.

ونرى برنابا قد ذكر أيضًا فى كتب SIXTY المحرمة كما يلى:

١ - المسلسل رقم ١٧ رحلات وتعاليم الرسل.

٢ - مسلسل رقم ١٨ رسالة برنابا.

٣ - مسلسل رقم ٢٤ إنجيل برنابا.

وقد وجدت نسخة مكتوبة باليونانية لإنجيل برنابا ولكنها كانت ممزقة وبعض أوراقها محـروقًا وتوجد صورة فتوغرافية لقصاصة من هذا الإنجيل وها هى.

Bopvábas óánóoroyos Eon ev áuiyyais novnpais obyiwrepos ó viknoas, o«nepxerat nyéop ens rns óuaprlas»

أما النص اللاتينى فقد ترجمه إلى الإنجليزية المستر راج، بمعاونة زوجه، وطبعته مكتبة كلارندون CLARENDON فى أكسفورد، وقامت بنشره مكتبة جـامعة أكسفـورد عام ١٩٠٧، ولكن اختفت الترجمة من السوق بشكل غريب، ولكن هناك نسختان من هذه الترجمة إحداهما فى مكتبة المتحف البريطانى، والأخرى فى مكتبة الكونجرس فى واشنطن، والطبعة الأولى لإنجيل برنابـا أخذت من ميكرو فيلم للكتاب الموجود فى مكتبة الكونجرس فى واشنطن.

الفصل الخامس

الخلاف بين برنابا والأناجيل الأربعة

باين إنجيل برنابا الأناجيل الرسمية المنسوبة إلى متىّ، ولوقا، ويوحنا، ومرقص، فى أهم أساسيات النصرانية:

١ - أنكر برنابا ألوهية (عيسى) عليه السلام.

٢ - أنكر برنابا بنوة عيسى/لله سبحانه وتعالى.

٣ - يقرر برنابا أن الفدية كانت لإسماعيل وليست لإسحاق أى أن الابن الذى كان إبراهيم قد عزم على تقديمه ذبيحة لله إنما هو إسماعيل، وليس إسحاق، وأن الموعد كان بإسماعيل وليس بإسحاق.

٤ - يقرر برنابا أن المسيح المنتظر ليس عيسى.

٥ - يكرر إنجيل برنابا الذى حرمته الكنيسة اسم (محمد) عليه الصلاة والسلام مرارًا فى إصحاحات عديدة، وقال إنه رسول الله، وإن اسمه قد سطر فوق باب الجنة بأحرف من نور (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

٦ - أكد إنجيل برنابا أن الذى صلب إنما كان يهوذا الخائن بعد أن غير الله صوته وشكله، وقولهم ﴿إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا﴾ سورة النساء آية ١٥٧.

٧ - يقرر إنجيل برنابا أن ميكائيل (ميخائيل) وإسرافيل (أوريل)، وعزرائيل، هم الملائكة الذين رفعوا (عيسى)/إلى السماء.

الفصل السادس

الوحدانية فى التوراة والإنجيل

أسوق هنا فقرات أشارت إلى الوحدانية فى التوراة والإنجيل.

١ - «هو ذا الرب يقف عليها وقال أنا إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق إن الأرض التى تضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك»، الترجمة عن النسخة الإنجليزية من سفر التكوين الإصحاح ٢٨ الفقرة ١٣.

٢ - «اسمع يا شعب إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» الترجمة عن الإنجليزية، سفر التثنية إصحاح ٦ فقرة ٤.

٣ - «فلتعلم اليوم ولتحفظها فى قلبك أن الرب هو الإله فى السماء من فوقك وفى الأرض من تحتك وليس من إله غيره» الترجمة عن الإنجليزية للفقرة ٣٩ من سفر التثنية إصحاح ٤.

٤ - «ليس من مثيل لله يا شورون، فهو يعتلى الجوزاء لمعونتك وعرشه فى السماء» الترجمة عن الإنجليزية للفقرة ٢٦ إصحاح ٣٣ من سفر التثنية.

٥ - «ولتعرفوا أنى - أنى هو وليس لى شريك آخر، أميت وأحيى، أشفى وأمرض، ولن ينجو أحد من يدى» التثنية ٣٢ فقرة ٣٩.

٦ - «ووقف (سليمان) أمام مذبح الرب فى حضور المصلين بإسرائيل وبسط يديه إلى السماء وقال ليس من إله مثلك فى السماء من أعلى ولا على الأرض فى أسفل يحفظ العهد، ويكلأ عباده برحمته، عباده الذين يسيرون فى الأرض وقلوبهم معه» الترجمة عن الإنجليزية (الملوك الأول إصحاح ٨ الفقرتين ٢٢، ٢٣.

٧ - «يا إلهى لا مثيل لك أنت الواحد الأحد، لا شريك لك حسبما سمعنا بآذاننا نحن» الترجمة عن الإنجليزية أخبار الأيام الأول الإصحاح ١٧ الفقرة ٢٠، ونفس الكلام ورد فى صمويل الثانى فى الإصحاح ٧ فقرة ٢٢.

٨ - «فليعلم بنى الإنسان أنه هو وحده الذى اسمه يهوه وهو العلى وهو فوق الأرض» الترجمة عن الإنجليزية للفقرة ١٨ إصحاح ٨٣ - المزامير.

٩ - «إنك أنت العظيم خالق كل عجيب، إنك الواحد الأحد، الإله الصمد» الترجمة عن الإنجليزية للمزمور ٨٦ الفقرة ١٠.

١٠ - «وعليه يقول الرب إله إسرائيل ومخلصه، وإله الجميع، أنا الأول، وأنا الآخر لا شريك لى» أشعياء الإصحاح ٤٤ الفقرة ٦، مترجمة عن الإنجليزية.

١١ - «وهكذا يقول الرب الذى بدع السموات الله سبحانه وتعالى بارئ الأرض وخالقها، لقد أبدعها وخلقها ليس عبثًا، بل لتكون للسكنى، أنا الإله ولا إله غيرى» أشعياء ٤٥ - ١٨.

١٢ - «ومن ذا الذى يقارن بالرب ومن هو من بين خلقه يمكن أن يشبهه» المزمور، ٨٩ فقرة ٦ الترجمة عن الإنجليزية. ونفس الكلام فى أشعياء ٤٦ : ٩.

١٣ - «ومن هو ذا الذى فى السموات الذى تقارنون به الرب وما هو وجه الشبه بينهما» أشعياء ٤٠-١٨ الترجمة عن النسخة الإنجليزية.

١٤ - «إنى أنا الرب إلهك الإله الواحد المقدس لإسرائيل، مخلصك ومنقذك، لقد أعطيتك مصر فدية، وأثيوبيا وسبأ ملكا لك» أشعياء ٤٣-٣ الترجمة عن الإنجليزية.

١٥ - «قال الرب إنكم شهودى وعبيدى الذين اخترتهم حتى يعرفوننى ويعتقدوا بى، ويدركوا أنى أنا هو، فليس من قبلى إله ولن يكون من بعدى إله» أشعياء ٤٣-١١ الترجمة عن الإنجليزية.

«إنى أنا الرب ولا رب إلا أنا. أنا الإله ولا إله غيرى، لقد منحتك القوة وإن كنت لا تعرفنى، حتى يعرف الجميع من مشرق الشمس ومن مغربها أننى أنا الإله ولا إله غيرى». الترجمة عن الإنجليزية - لأشعياء إصحاح ٤٥ فقرة ٤، ٥ و٤٣:٣.

١٦ - «من الذى حققها وأبدعها، من الذى دعا الأجيال من بدء الخليقة؟ أنا الله الأول والآخر، أنا هو» أشعياء ٤١-٤ الترجمة عن الإنجليزية.

١٧ - «إنى أنا الرب إلهك أخرجتك من أرض مصر، ولن تعرف إلها غيرى، فأنا المخلص الوحيد ولا مخلص غيرى»، الترجمة عن الإنجليزية - هوشع إصحاح ١٣ فقرة ٤.

١٨ - «وفى هذا اليوم يعتلى الإله عرش الأرض جميعًا، فلا يكون هناك غيره، ولا اسم غير اسمه» الترجمة عن الإنجليزية لزكريا ١٤-٩.

١٩ - «ألم ننحدر من أب واحد، ألم يخلقنا إله واحد؟ الترجمة عن الإنجليزية ملاخى ٢-١٠.

٢٠ - «قرر عيسى عليه السلام أن أولى الوصايا هى اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد،اوأن تحبوا الرب إلهكم بكل قلوبكم وبكل أرواحكم وبكل فكركم وبكل قواكم هذه هى الوصية الأولى فرد عليه الكاتب أيها السيد لقد تكلمت بالحق فالرب واحد وليس هناك من إله غيره» الترجمة عن الإنجليزية - مرقص ١٢-٢٩-٣٠-٣٢.

٢١ - «إنى لا أتكلم من نفسى، ولكن الأب الذى أرسلنى قد أعطانى وصية هى ما يجب أن أقوله وهكذا قلته» يوحنا ١٤-٢٤، الترجمة عن الإنجليزية.

٢٢ - «الذى لا يحبنى لن يحفظ كلامىّ والكلام الذى تسمعونه ليس منى بل كلام الأب الذى أرسلنى» يوحنا ١٤-٢٤ - الترجمة عن الإنجليزية.

٢٣ - «فمن جهة أكل ما ذبح للأوثان. نعلم أن الأوثان لا شىء إطلاقًا فى العالم وأن ليس هناك من إله غير واحد فقط» الترجمة عن الإنجليزية - رسالة بولس إلى أهل كورنثوس - إصحاح ٨ فقرة ٤.

٢٤ - «إله واحد هو أبو الجميع، وهو فوق الجميع وبالجميع، وفى كل واحد منكم» الترجمة عن الإنجليزية - إصحاح ٤ فقرة ٥و٦ رسالة بولس إلى أهل أفسيوس.

٢٥ - «فهناك إله واحد ورسول واحد، بين الله والناس هو الرجل عيسى المسيح» الترجمة عن الإنجليزية للفقرة ٥ إصحاح ٢ رسالة بولس إلى تيموثاوس.

٢٦ - «اذكروا ما سبق من أشياء أولية. لأنى أنا الإله ولا إله غيرى، أنا الإله ولا أحد مثلى» الترجمة عن الإنجليزية - أشعياء ٤٦ فقرة ٩.

٢٧ - «والله مالك الكون وفى هذا اليوم يكون الرب واحد لا شريك له واسمه له وحده» الترجمة عن الإنجليزية - زكريا إصحاح ١٤ فقرة ٩.

٢٨ - «الله واحد وهو أب الجميع وهو فوق كل شىء وفيكم جميعا» الترجمة عن الإنجليزية رسالة بولس إلى أهل افسوس إصحاح ٤ فقرة ٦.

يسوع فى الإنجيل:

١ - لم تظهر فكرة التثليث إلاّ فى أيام بولص، الذى بدعها، ثم أتى أثناسيوس فألبسها ثوبها النهائى فى حوالى ٣٢٥ بعد الميلاد، ولم يشر الإنجيل إطلاقًا إلى التثليث.

٢ - تشير دائرة المعارف الكاثوليكية إلى التثليث فتقول التثليث تعبير لإبراز النظرية الرئيسية فى الدين المسيحى، بمعنى أن الإله الواحد يتكون من ثلاثة أشخاص الأب، والابن، والروح القدس، وكل شخص من هذه الأشخاص، كائن قائم بذاته، منفصل عن غيره، وعلى ذلك يذهب أصحاب مذهب أثناسيوس، إلى أن الأب إله، والابن إله، والروح القدس إله، وأنهم ليسوا ثلاثة، بل إله واحد، وهذا المذهب لم يفهمه أحد حتى أصحابه، بل حتى أثناسيوس نفسه، فقد قال فى مكان آخر إنه عندما يمعن الفكر فى ألوهية عيسى يشعر بإجهاد كبير، وأن جهده الذى يبذله لا يأتى بنتيجة معقولة، بل يرتد إليه، وكلما كتب فى هذا الموضوع شعر بأن أفكاره لا تطاوعه، وهذا الغموض والاضطراب فسره البعض بأنه معجزة على الرغم من أن الإنجيل فى رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى يقول فى إصحاح ١٤، فقرة ٣٣ «إن الله ليس إله تشويش، بل إله سلام».

٣ - ابن الله المولود:

(أ) جاء فى إنجيل يوحنا الإصحاح الثالث فقرة ٢٦ الذى يؤمن به لا يدان، والذى لا يؤمن به قد أدين فعلًا، لأنه لم يؤمن الابن الوحيد المولود لله» الترجمة عن الإنجليزية.

(ب) وتقول التوراة عن داود فى المزمار ٢ فقرة ٧ «لقد قال الرب لى سأعلن الأمر أنك وإن كنت ابنى فإننى ولدتك اليوم فقط»، الترجمة عن النسخة الإنجليزية.

٤ - ابن الله:.. لقد ادعوا أن عيسى أحد أركان الثالوث، لأنه الابن الوحيد له سبحانه وتعالى، ولكن الكتاب المقدس يذكر لله أولادًا غيره.

(أ) فى سفر الخروج إصحاح ٤ فقرة ٢٢ «ولتقل لفرعون إن الله يقول إسرائيل ابنى، بل هو ابنى البكر، وأنا أقول لك دع ابنى يذهب ليخدمنى، وإذا رفضت سوف أقتل ابنك حتى لو كان البكر» الترجمة عن الإنجليزية.

(ب) جاء فى إنجيل يوحنا، الإصحاح الأول فقرة ١٢ «وكان فى استقباله عدد كبير، فوهبهم القوة لأن يكونوا أبناء الله وأن يؤمنوا باسمه» الترجمة عن الإنجليزية.

٥ - الإله كزوج: (أشعياء ٥٤ - فقرة ٥ و ٦).

«إن الذى خلقك هو زوجك رب الشعوب هذا اسمه، ومنقذك إله إسرائيل الواحد الأحد واسمه رب العالم جميعًا، فقد دعاك الرب كما تدعى امرأة منسية حزينة الروح، كانت زوجة فى شبابها ثم نبذت هكذا قال الرب.

تعرف الكنيسة بأنها عروس المسيح».

٦ - بعض أقرباء الله:

جاء فى إنجيل متّى، الإصحاح ١٢ الفقرة ٤٩ و ٥٠:

«وعندئذ ناداه أحدهم قائلًا يا سيد أمك وأختاك بالخارج يردن أن يتحدثن إليك فمد يده إلى الأمام نحو تلاميذه وقال من هى أمى، ومن هم أخوتى، ان كل من يحقق إرادة أبى الذى فى السموٰات هو أخى وأختى وأمى.

٧ - ورثة مع المسيح:

جاء فى رسالة بولس ، إلى الرومان ٨ - الفقرة ١٦ و ١٧ ما يلى:

«إن الروح نفسه، يشهد بأننا أولاد الله، وإذا ما كنا كذلك، فنحن ورثته، ورثة الله نحن شركاء المسيح، ومادام الأمر كذلك، فإننا نتعذب معه حتى نتمجد معه.

معتقدات عامة

٨ - المسيح رسول الله:

(أ) (يوحنا، ١٤ - ٢٨) «لأن الأب أعظم منى».

(ب) متّى، ٢١ - ١١ «ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا؟ فقالت الجموع هذا يسوع النبى، الذى من ناصرة الجليل».

(جـ) لوقا، ٧ - ١٦ و ٩ - ٨ و ٩ - ١٩.

وحل بالمدينة خوف كبير، وراحوا يبتهلون إلى الله ويقولون «لقد قام من بيننا نبى عظيم ورضى الله عن شعبه».

(د) لوقا، ٢٤ - ١٩:

وقال لهما ما الأخبار فردا عليه أنها بشأن يسوع الناصرى الذى كان قويًا حقًا وفعلًا، أمام الله وأمام الشعب»، الترجمة عن الإنجليزية.

(هـ) جاء فى يوحنا ٣ - ٢:

«وأتوا أنفسهم إلى يسوع بالليل وقالوا له أيها الحاخام، إننا نعلم أنك معلم أتيت من عند الله، فليس هناك من إنسان يستطيع أن يأتى هذه المعجزات التى أتيتها، إلا إذا كان الله معه»، الترجمة عن الإنجليزية.

٩ - يسوع يؤنب الشياطين:

لوقا، ٤ - ٤١.

وخرجت الشياطين أيضًا من أناس عديدين وهى تصيح قائلة إنك المسيح ابن الله، فنهرها وأمرها ألا تتحدث، لأنها تعلم أنه المسيح»، الترجمة عن الإنجليزية.

إنجيل عيسى المسمى بالمسيح:

(عيسى) عليه السلام، رسول أرسله الله تعالى إلى الأمم، هكذا يقول برنابا تلميذه.

برنابا تلميذ (عيسى) الناصرى المسمى بالمسيح، والمرسل للناس جميعًا الذين يسكنون الأرض والذين يسعون للسلام والمحبة قال:

«أيها الأعزاء لقد زارنا فى هذه الأيام الأخيرة عيسى المسيح رسول الله سبحانه وتعالى، مبعوث الإله العظيم الجليل وأتى لنا برحمته الواسعة ممثلة فى تعاليمه ومعجزاته وآياته حيث كان هناك عدد غير قليل قد غره الشيطان، وراح يبشر بمذاهب فاسدة ما بعدها فساد، مدعين بأن عيسى هو ابن الله، ومتخذين من الورع والتقوى قناعًا يتخفون وراءه، وراحوا يستنكرون الختان (الطهارة) الذى أمر به

سبحانه وتعالى إلى الأبد، ويحلون اللحوم القذرة المحرمة (لحم الخنزير والميتة)، وكان من بين هؤلاء بولص المخدوع، أما أنا فأتحدث إليكم فى أسى وحزن، ومن أجل الحق أكتب الحقيقة كما سمعتها أذناى، ورأتها عيناى خلال الاتصالات التى جرت بينى وبين عيسى حتى ينجيكم الله ويحفظكم من وسوسة الشيطان، فتهلكون يوم الحساب، واحترسوا من هؤلاء الذين يبشرون بأى مذهب جديد، يتعارض مع ما أنا كاتبه لكم وليحفظكم الله إلى الأبد، وليكلأكم بعنايته، ويحرسكم من الشيطان ومن كل شر آمين.

الإصحاح الأول
بشرى جبريل للعذراء مريم بولادة المسيح

فى هذه السنين الأخيرة كانت هناك سيدة عذراء تدعى مريم من نسل سيدنا داود من سبط يهوذا، وفى يوم من الأيام زارها سيدنا جبريل موفدا من الله سبحانه وتعالى، وكانت مريم العذراء تعيش وحيدة فى عفة وطهارة كاملة، وكانت تتمتع بسمعة طيبة جدا، وكانت تصلى وتصوم، ودخل عليها فى محرابها، فقطع عليها وحدتها وحياها وقال «الله معك يامريم».

ارتاعت مريم البتول عندما ظهر لها جبريل عليه السلام، ولكنه هدأ من روعها ثم قال: «لا تخافى يا مريم لقد اصطفاك الرب لتكونى اما لرسول يرسله إلى بنى إسرائيل حتى يسلكوا شريعته وكلهم إيمان وإخلاص».

فأجابت مريم البتول «كيف أحمل ولم يمسسنى رجل»؟ فرد عليها جبريل عليه السلام «يا مريم الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان من لا شىء وهو قادر على أن يخلق فيك رجلا دون أن يمسسك بشر، والله على كل شىء قدير».

فأجابت مريم: «إنى أعلم أن الله على كل شىء قدير، فليكن ما يريد». فقال جبريل عليه السلام «فلتحملى يا مريم برسول تسمينه عيسى ولتمنعيه عن الخمر والمسكرات، وعن اللحم النجس، فهو طفل طاهر من خلق الله»، فطأطأت مريم رأسها وقالت: «ولتكن مشيئة الله وليأت كما أمر الله».

ثم تركها جبريل عليه السلام، أما هى فراحت تبتهل إليه سبحانه وتعالى قائلة «أيها العلى العظيم، أيها الإله، إن روحى ونفسى لك يا ربى، فأنت حامينى ومخلصى، لقد حنا الله على فى وحدتى التى أرادها لى لتباركنى كل شعوب العالم، فالله سبحانه وتعالى قد جعل منى خلقا عظيما، تبارك اسمه المقدس، ولتمتد رحمته من جيل إلى جيل، لتكلأ هؤلاء الذين يتقونه إنه العلى القدير صاحب اليد الطولى، هو الذى نشر العزة فى قلوب الناس، إنه القادر الذى يرفع من يشاء، ويذل من يشاء، ويحمى الضعفاء، ويشبع الفقراء بأطيب الطعام، ويصرف الأغنياء صفر اليدين، هو الذى يحفظ وعده لإبراهيم ولابنه إلى أبد الآبدين.

الإصحاح الثانى
الملاك جبريل ينبئ بحمل العذراء مريم

لقد اختارت مريم رفيقا لها من أقاربها اسمه يوسف، عرف بصلاحه وطيبته وكان رجلا تقيا يخاف الله ويعبده، ويصلى له ويصوم، ويعمل بيديه، فقد كان نجارا، ذلك لأنها كانت تعلم بمشيئة الله، وتخاف أن يرميها الناس بسوء وقد حملت أو يتهمونها بالزنى فيرجمونها، لقد اختارت هذا الرجل رفيقا لها وأطلعته على الأمر الإلهى.

وكان يوسف صالحا تقيا، وأدرك أن مريم قد أكرمها الله بهذا الطفل، فأراد أن يبعدها عن الناس ويخفيها، لأنه كان يخاف الله، ولكن جاءه ملاك الرب فى منامه وأنبه قائلا: «يا يوسف، لماذا تفكر فى إخفاء مريم امرأتك؟ فلتعلم أن كل ما كتب عليها هو بأمر الله ومشيئته، ولسوف تلد مريم العذراء ولدا تسميه أنت باسم عيسى وأن تمنعه عن النبيذ والخمر والمسكرات، واللحم النجس، لأنه طاهر بأمر الله ابتداء من تركه رحم أمه، إنه رسول الله إلى شعب إسرائيل، لينزل الهدى على قلب يهودا. ولتسلك إسرائيل فى شريعة الرب طريقا، كما هو مكتوب فى صحف موسى، وسيأتى بآيات عظيمة من الله، وبمعجزات ينجى بها الكثيرين.

وقام يوسف من نومه وشكر الله، وكفل مريم طوال حياته مخلصا للرب فى عبادته.

الإصحاح الثالث
مولد عيسى عليه السلام
وظهور الملائكة يسبحون لله تعالى

كان هيرودس فى ذلك الوقت يحكم يهودا واليا من قبل القيصر أغسطس، وكان بيلاطس، حاكما على إبراشيتى أتاس وسيفاس، وكان القيصر أغسطس قد أصدر أمرا بأن يلزم كل شخص بلده، وأن تقوم كل قبيلة بتقديم أبنائها للجندية، وبالتالى اضطر يوسف إلى مغادرة الناصرة مدينة الجليل، وفى صحبته مريم زوجه وهى حبلى إلى بيت لحم، التى كانت مسقط رأسه، فقد كان يوسف من نسل داود ذلك تنفيذا لأمر قيصر القاضى بتجنيد كل شخص فى موطنه الأصلى ولما وصل يوسف إلى بيت لحم، لم يجد مكانا يأوى إليه. كانت المدينة صغيرة مكتظة بالناس واضطر أن يسكن أرباضها فى مكان كان يلجأ إليه الرعاة، ومرت الأيام ويوسف يسكن هناك، ثم جاء الوقت الذى تضع فيه مريم وليدها، فأحاطت بها هالة من نور، ثم وضعته بلا ألم، وحملته على يديها وقد لفته فى قماط، ثم وضعته فى مزود الغنم فلم يكن فى النزل مكان خال، وظهرت الملائكة مبتهجة فى جماعات كبيرة تسبح باسم الله وتعلن السلام

على الأرض لمن يخاف الله، وراح يوسف ومريم يشكران الله ويصليان له شكرا على أن رزقهما بعيسى، وأخذا يرعيانه فى فرح وسعادة.

الإصحاح الرابع

الملائكة تبشر الرعاة بمولد المسيح
فيخفون للبحث عنه، ولما وجدوه أعلنوا البشرى

فى ذلك الوقت كان الرعاة يحرسون قطعان الماشية كعادتهم، وإذا بدائرة من نور تحيط بهم يتوسطها ملاك الرب، فخاف الرعاة بسبب هذا النور الذى ظهر فجأة، وبسبب ظهور الملاك الذى راح يهدئ من روعهم، منزلا السكينة فى قلوبهم قائلا:

«أسمعوا إنى أعلن نبأ عظيما فى مدينة داود»، ولد طفل سيكون رسول الرب، ويأتى بالخلاص الأكبر لبيت إسرائيل، ولسوف تجدون الطفل فى مزود الغنم، وبجانبه أمه التى باركها الرب»، وعندما زف إليهم البشرى أتت جماعات عظيمة من الملائكة تسبح بحمد الله معلنة السلام لمن صفيت نفوسهم ثم رحلت، وعندئذ راح الرعاة يناقشون الأمر فيما بينهم حتى استقروا على «فلنذهب إلى بيت لحم لنرى كلمة الله التى أعلنها الملائكة»، وبالفعل أتى عدد كبير من الرعاة إلى بيت لحم، وبحثوا عن الطفل الوليد، ووجدوه خارج المدينة كما قال الملاك راقدا فى مزود الغنم، فبايعوه على الطاعة، وأعطوا والدته ما كانوا يحملون، وأسروا إليها بما سمعوه وشاهدوه على أن مريم احتفظت بذلك كله فى قلبها، كما احتفظ به يوسف شاكرين الرب، ثم عاد الرعاة إلى قطعانهم معلنين أمام الناس أن ما شاهدوه كان عجبا، وسرعان ما انتشر الخبر وحل الخوف بجميع المنطقة الجبلية فى يهودا، وراح كل فرد يحدث نفسه «ما نحن وما مصير هذا الطفل».

الإصحاح الخامس

ختان عيسى

عندما انقضت ثمانية أيام على ولادة عيسى، أخذوه وحملوه إلى المعبد، ليختنوه، كما أمر الرب، وكما جاء فى كتاب (موسى)، وبالفعل ختنوه وأسموه عيسى، كما نبه إلى ذلك رسول الرب قبل أن تحمله أمه، وأدركت مريم كما أدرك يوسف أن الطفل سيكون على يديه خلاص العالم وموت الكثيرين، فشعرا بخشية الله ورَبياه على مخافة الله.

الإصحاح السادس

النجم يهدى المجوس فى الشرق إلى يهودا
حيث وجدوا عيسى عليه السلام
فقدموا له الطاعة والبيعة والهدايا

- فى عهد هيرودس ملك يهودا عندما ولد المسيح، حدث أن ثلاثة من المجوس من عبدة النار فى المناطق الشرقية، كانوا يتطلعون إلى النجوم فى السماء فظهر لهم نجم له بريق خاطف، فتشاوروا فيما بينهم، وراحوا يسيرون وراء النجم، والنجم يهديهم حتى وصلوا إلى مملكة يهودا، وعندما حطوا بالقدس سألوا عن ملك اليهود الذى ولد حديثا، ولما سمع هيرودس بالخبر تملكه الخوف، واضطرب الناس فى المدينة، فأمر هيرودس بجمع الكهنة والكتبة، فلما اجتمعوا قال لهم (فى أى مكان من المفروض أن يولد المسيح)، فردوا عليه بأنه يولد فى بيت لحم كما هو مكتوب، (وأنت يا بيت لحم يا صاحبة المقام الملحوظ بين أمراء يهودا، فلسوف يخرج منك زعيم يقوداشعبى إسرائيل).

ولما سمع هيرودس ذلك، أمر بإحضار المجوس وسألهم لماذا أتيتم؟ فردوا عليه بأنهم رأوا نجما فى الشرق يسير فساروا وراءه فقادهم إلى بيت لحم، وانهم أتوا بهدايا إلى الملك الجديد الذى أشار إليه النجم، فقال هيرودوس اذهبوا إلى بيت لحم وابحثوا بجد ونشاط عن الطفل، فإذا ما وجدتموه عودوا إلى لأنى أريد أن أذهب لأعبده، وكان فى كلامه مخادعا مخاتلا.

الإصحاح السابع

المجوس يزورون عيسى ثم يعودون إلى وطنهم
بعد أن تراءى لهم عيسى فى منامهم وحذرهم

غادر المجوس القدس، ووجدوا النجم الذى ظهر لهم فى الشرق يسير أمامهم، ولما رأى المجوس النجم، فرحوا فرحًا شديدًا، وعندما وصلوا إلى بيت لحم، وجدوا النجم قد توقف عند مدخلها فوق الحظيرة التى ولد فيها عيسى فدخلوها ووجدوا الطفل مع أمه، فانحنوا وركعوا أمامه وأقسموا على طاعته، وقدموا له التوابل والذهب والفضة، وراحوا يذكرون لمريم العذراء ما شاهدوه، وعندما ناموا ظهر لهم السيد المسيح، وقال لهم «لا تعودوا إلى هيرودس» ولما استيقظوا سافروا إلى موطنهم عن طريق آخر، وأعلنوا ما شاهدوه فى يهودا.

الإصحاح الثامن
المسيح عيسى بن مريم تحمله أمه إلى مصر لاجئة
وهيرودس يذبح الأطفال الأبرياء

انتظر هيرودس عودة المجوس، ولما رأى أنهم لم يرجعوا أيقن أنهم استهزءوا به وبالتالى صمم على أن يقتل كل طفل ولد فى ذلك الوقت.

وكان يوسف نائمًا، فتراءى له ملاك الرب وقال له استيقظ بسرعة وخذ الطفل وأمه واذهبوا إلى مصر، واعلم أن هيرودس ينوى أن يذبحه، فقام يوسف من نومه مذعورًا وأخذ مريم والطفل وذهبوا إلى مصر، حيث مكثوا بها حتى مات هيرودس الذى اعتقد أن - المجوس سخروا به، فارسل جنده ليقتلوا كل طفل ولد فى بيت لحم، وبالفعل جاء الجند وقتلوا جميع الأطفال كما أمرهم هيرودس، وصدقت كلمات الرسول عندما قال فى الرامة «كان هناك حزن وبكاء كثير، فكانت راحيل تندب أبناءها ولم تنزل عليها السلوى لأنهم غير موجودين».

الإصحاح التاسع
عيسى يعود إلى يهودا ويجادل الحكماء
وقد بلغ الثانية عشرة

عندما مات هيرودس، ظهر ملاك الرب فى رؤية ليوسف وقال له «عد إلى يهودا فقد مات هؤلاء الذين كانوا يريدون موت الطفل». وبالفعل أخذ يوسف الطفل وأمه مريم وكان قد بلغ السابعة من عُمره إلى يهودا، ولما سمعوا بأن أرخيلوس بن هيرودس قد تولى الحكم فى يهودا، أكمل يوسف سفره إلى الجليل وهو يخشى إن بقى فى يهودا أن ينالهم سوء وبالتالى سكنوا الناصرة فى الجليل، وشب الطفل واكتسب حكمة وعلمًا بفضل الله وبفضل الناس.

ولما بلغ عيسى عليه السلام الثانية عشرة، ذهب مع مريم ويوسف إلى القدس ليعبدوا الله هناك، كما جاء فى التوراة (كتاب موسى) وبعد أن انتهيا من صلواتهما عاد يوسف ومريم وقد افتقدا عيسى معتقدين بانه عاد مع أترابه وأقربائه، أما هما فقد رجعا إلى القدس باحثين عن عيسى بين أترابه وزملائه، وفى اليوم الثالث وجدا الطفل فى المعبد وسط الأحبار يناقشهم فى الناموس، وكان كل واحد منهم يعجب للأسئلة التى يسألها الطفل وأجوبته على أسئلتهم، قائلين كيف يتأتى أن يجمع هذا الطفل مثل هذه العلوم الكثيرة وهو صغير السن ولما يتعلم القراءة».

فنهرته أمه قائلة يا بنى ماذا فعلت بنا لقد بحثت وأبوك عنك مُدة ثلاثة أيام وكنا فى حزن شديد»؟

فرد عليها عيسى قائلًا: «ألا تعلمين أن خدمة الرب تأتى قبل الأب والأم». ثم ذهب عيسى مع والديه إلى الناصرة، وكله طاعة واحترام وتواضع.

عيسى ابن الثلاثين يتلقى الإنجيل على جبل الزيتون

كان عيسى قد ذهب إلى الجبل بصحبة والدته ليجمع الزيتون، كما قال لى أنه كان يصلى ظهر أحد الأيام وعندما بلغ «يارب ياذا الرحمة»، أحاطت به طاقة من نور شديدة البريق للغاية، كما أحاط به عدد لا حصر له من الملائكة تسبح باسم الله «تبارك الله، تبارك الله»، ثم قدم إليه جبريل عليه السلام كتابًا ليقرأه، وكأنه مرآة مصقولة لامعة فتلقاه عيسى بقلبه، وكان فى الكتاب علم بكل ما أمر به سبحانه وتعالى، وكل ما قاله، وكل ما أراده، بل كل شىء كتب فيه كان أوضح ما يكون، ثم قال لى المسيح «اعلم يا برنابا أنى أعرف كل رسول، وأعرف كل رسالة، وكل ما أقوله هو من هذا الكتاب»، وبعد أن تلقى المسيح هذه الرؤية، وعلم أنه رسول أرسله الله إلى بيت إسرائيل أطلع أمه مريم على كل شىء قائلا إنه سوف يعذب عذابًا شديدًا فى سبيل الله، وأنه لا يستطيع بعد الآن ملازمتها وما أن سمعت منه مريم ذلك حتى قالت «اعلم يابنى أنى قد أنبئت بكل هذا قبل أن تولد تبارك الله وتبارك اسمه المقدس».

ومن ذلك الوقت رحل عيسى تاركًا والدته مبلغًا رسالته الإلٰهية.

الإصحاح الحادى عشر
عيسى يشفى الأبرص بإذن الله ويذهب إلى القدس

هبط عيسى عليه السلام من جبل الزيتون ذاهبًا إلى القدس وفى طريقه، قابل أبرصا كان قد أوحى إليه بأن عيسى هو رسول الله فراح الأبرص يتوسل إلى عيسى وعيناه تدمعان ويقول «يا عيسى يا ابن داود ارحمنى» فرد عليه عيسى «يا أخى ماذا تريدنى أن أفعل بك؟ فرد عليه الأبرص «أعطنى الصحة»، فعنفه عيسى «إنك لأحمق صل لربك الذى خلقك يهبك الصحة وما أنا إلا بشر مثلك»، فرد الأبرص إنى أعلم أيها السيد أنك بشر، ولكن الرب طهرك فصل لله سبحانه وتعالى من أجلى، حتى ينعم علىّ بالصحة فتنهد عيسى وقال «سبحانك ربى العظيم، أنعم على هذا الرجل المريض بالصحة من أجل رسلك المطهرين»، وما أن قال ذلك حتى أخذ يتحسس الرجل المريض بيمينه ذاكرًا اسم الله سبحانه وتعالى «يا أخى أنت معاف»، وما أن قال ذلك حتى تلاشى البرص ونظف جلده، حتى أصبح وكأنه بشرة طفل صغير، فصرخ الأبرص بصوت عال عندما رأى أنه قد شفى، قائلًا يا أهل إسرائيل هلموا هلموا إلى استقبال الرسول الذى أرسله الله إليكم فرجاه عيسى عليه السلام قائلًا «يا أخى حافظ على السلام ولا تقل شيئًا» وكلما توسل إليه عيسى أن يكف عن صياحه علا صياحه قائلًا:

«هذا هو الرسول، هذا هو الطاهر الذى أرسله الرب». وكان فى ذلك الوقت عدد غير قليل من الناس يغادرون القدس فعادوا إليها جريًا ودخلوها حيث عيسى، وراحوا ينشرون فى أنحائصا ما فعله الله سبحانه وتعالى على يد عيسى من إبراء الأبرص.

الإصحاح الثانى عشر
أول موعظة للمسيح يعظ بها الناس، العقيدة الدينية وما يتصل بالله

تحركت مدينة القدس بأجمعها عندما سمعت هذه الكلمات، وأخذ الناس يهرولون إلى المعبد ليروا عيسى الذى دخله ليعبد الله، فضاق بهم المكان حتى أخذ الكهنة يتوسلون إلى عيسى قائلين: «هؤلاء الناس يرغبون فى رؤيتك والاستماع إليك فإن ارتقيت الأريكة أفضل، وإذا أوحى إليك ربك بكلام فتحدث به باسم الخالق».

فارتقى عيسى إلى حيث كان يجلس الكتبة، وحيث لا يتكلمون، ثم أشار إلى الجموع المكتظة أن اسكتوا، فلما سكتوا قال: «تبارك اسم الله سبحانه وتعالى، الذى خلق برحمته ونعمائه عبيده ليعبدوه، تبارك اسمه سبحانه وتعالى، الذى خلق القديسين فى سنائهم، والرسل فى بهائهم، قبل كل شىء وأرسلهم لإنقاذ العالم، والذى تحدث إلى خادمه داود قائلا: «لقد خلقتك فى بهاء القديسين ، وقبل نجمة الصباح، تبارك اسم الله الذى خلق الملائكة ليعبدوه، وتبارك اسم الله الذى أنزل عقابه بإبليس وأتباعه، وحرم عليهم الجنة، لأنه أبى أن يسجد لمن أراد الله له السجود، وتبارك الله الذى خلق الإنسان من طين معجون بتراب الأرض ثم بوأه منزلة فوق مخلوقاته، تبارك الله تعالى الذى أخرج الإنسان من الجنة، لأنه عصى أوامره المقدسة، تبارك الله تعالى الذى رحم آدم وحواء فى بكائهما وفى دموعهما وهما أصل الجنس البشرى تبارك الله تعالى الذى عاقب قابيل قاتل أخيه، تبارك الله الذى أرسل الطوفان على الأرض، والذى أحرق المدن العاصية الثلاثة، الذى أرسل نقمته على مصر، وتغلب على فرعون عند البحر الأحمر ومزق شمل أعداء شعبه وعذب الكفرة وعاقب أصحاب القلوب القاسية، تبارك الله سبحانه وتعالى الذى غمر برحمته عباده، فأرسل إليهم رسله حتى يسلكوا سبيل الحق والصدق فأنقذوا عباده من الشرور والآثام، والذين أعطاهم الله هذه الأرض التى كان قد وعد بها أبانا إبراهيم وابنه من بعده وإلى أبد الآبدين، تبارك الله الذى أرسل إلينا عبده موسى، وأعطانا ناموسه الطاهر فلا يخدعنا الشيطان، سبحان الله الذى اصطفانا على جميع الشعوب.

أيها الإخوة ماذا نحن اليوم، ماذا نحن حتى لا نعاقب على خطايانا؟ ثم راح عيسى عليه السلام فى حمية وقادة يؤنب الشعب لأنه نسى اسم الله سبحانه وتعالى وامتلأ غرورًا، كما راح يزجر الكهنة لأنهم أهملوا عبادة الله، ولأنهم تكالبوا على الدنيا، وأنب الكتبة لأنهم بشروا بمذاهب فاسدة، ونسوا ناموس

الله، ووبخ الحكماء لأنهم حولوا - شريعة الله إلى لا شىء بتثبيت تقاليدهم وعاداتهم، وهكذا راح المسيح يعظ الناس حتى سالت دموعهم من أصغرهم إلى أكبرهم، وأخذوا يصيحون الرحمة الرحمة، متوسلين إليه أن يصلى من أجلهم، أما الكهنة والحكماء فابتعدوا عنه وقلوبهم تتقد كراهية له، فقد تحدث ضد الكهنة والكتبة والحكماء وراحوا يتداولون فى القضاء عليه، ولكنهم خافوا الشعب الذى استقبله كرسول من عند الله، فلم يتكلموا ولم ينطقوا بحرف.

ورفع عيسى يديه للإله الرب وصلى، والناس تبكى قائلين «فلتكن مشيئتك أيها الرب فتكن مشيئتك»، وما أن انتهى عيسى من صلاته، حتى غادر المعبد، ثم سافر فى نفس اليوم من القدس يتبعه عدد غفير، أما الكهنة فراحوا يتحدثون سوءًا فيما بينهم عن المسيح.

الإصحاح الثالث عشر
خوف عيسى وصلاته
جبريل ينزل عليه السكينة

وبعد مرور بضعة أيام أدرك عيسى أن الكهنة يرغبون فى أن ينزل من جبل الزيتون ويصلى، وبعد أن قضى عيسى الليل بطوله يصلى لله العلى العظيم قال: «فى الصباح أيها الرب إنى أعرف أن الكتبة يكرهوننى، وأن الكهنة قد اتفقت كلمتهم على قتلى، أنا خادمك أيها الرب العظيم الرحيم، أبتهل إليك أن تستجيب لدعائى، أنا عبدك أنقذنى من حبائل هؤلاء الناس، فأنت منقذى، إنى عبدك لا أعبد إلا أنت وحدك ولا أبتهل إلا إياك وحدك، أنت تعلم ذلك، فلتكن مشيئتك، ولتكن كلمتك، فكلمتك هى الحق - الحق الأبدى، وعندما تكلم عيسى بهذه الكلمات هبط عليه جبريل، وقال له لا تخف يا عيسى فهناك فى الملأ الأعلى ألف ألف يحرسونك، ولن تقضى حتى تنتهى من رسالتك، وعندئذ يكون العالم قد أشرف على نهايته فسجد عيسى على الأرض، وقال: ياإلهى العظيم ما أعظم رحمتك بى ما الذى أستطيع أن أقدمه أيها الإله أمام ما غمرتنى به.

فرد عليه جبريل قم يا عيسى وتذكر ابراهيم الذى أراد أن يضحى بابنه الوحيد إسماعيل إحقاقًا لكلمة الله، ولكن السكين لم تكن لتقتل ابنه، وبكلمة حل الكبش محله ضحية الفداء، وعليك يا عيسى يا عبدالله أن تفعل كما فعل.

فرد عيسى «على الرحب والسعة افعل، ولكن أين لى بالكبش، ولا مال لدى، ولا أستطيع أن أسرقه فهذا عمل غير شرعى؟».

وفى الحال أتى له جبريل بكبش، فضحى به عيسى وهو يثنى على الله ويباركه: «له المجد أبد الآبدين».

الإصحاح الرابع عشر

عيسى يختار حوارييه بعد صيام أربعين يومًا

هبط عيسى عليه السلام من الجبل، واستمر فى سيره وحيدًا فى الليل حتى بلغ الجانب الآخر من الأردن، فصام أربعين يوما وأربعين ليلة، لا يأكل شيئًا ليلا ونهارا مبتهلا إلى الله دائمًا أن يرحم شعبه الذى أرسله إليه، ولما انتهى اليوم الأربعون، كان جائعًا فظهر له الشيطان وحاول إغراءه بمعسول الكلام، ولكن عيسى عليه السلام طرده بقوة ذكر الله والاستعاذة به، وما أن رحل الشيطان حتى ظهرت الملائكة وراحت تعطى عيسى ما هو فى حاجة إليه.

وعاد عيسى عليه السلام إلى منطقة القدس فتقابل مع شعبها فى جو من الفرح العظيم، وأخذوا يرجونه أن يستقر معهم، فكلماته تختلف عن كليمات الكتبة، فيها حمية وقوة وتمس شغاف القلب.

وعندما رأى عيسى عليه السلام ضخامة الجموع التى عادت إلى إيمانها، وراحت تسير على ناموس الرب، ذهب إلى الجبل وراح يصلى طيلة الليل، ولما أتى الصباح هبط مرة أخرى من الجبل، واختار اثنى عشر شخصًا أسماهم بالحواريين، منهم يهوذا الذى مات على الصليب، وهم: اندراوس وأخوه بطرس الصيادان وبرنابا الذى كتب هذا الإنجيل، ومعهم متّى جابى الضرائب الذى كان يجلس ليتلقى العطايا، ويوحنا، وجيمس، ابنا زيبدى، وتاديوس ويهودا، وبارتليميو، وفيليب، وجيمس، ويهوذا الإسخريوطى الخائن، وكان عيسى عليه السلام يطلعهم دائمًا على الأسرار الإلهية، أما يهوذا الإسخريوطى، فكان يقوم بتوزيع الصدقات مما كان يجمع من تبرعات وهدايا وزكاة بعد أن يستقطع لنفسه العشر.

الإصحاح الخامس عشر

آية عيسى فى تحويل المياه إلى نبيذ فى أثناء العرس

كان هناك رجل غنى دعا عيسى عليه السلام وحوارييه ووالدته إلى حفل زواج، عندما أوشك صيام الهيكل أن ينتهى، قلبّى عيسى عليه السلام الدعوة وراح الجميع يحتفلون بشرب النبيذ إلى أن أوشك على أن يفرغ، فلما رأت أمه ذلك أسرت إليه قائلة لقد نضب النبيذ، فرد عليها قائلا: ومالى وهذا يا أمى. أما والدته فقد أمرت الخدم والسقاة أن يلبوا كل ما يأمر به عيسى، وكانت هناك ست قنانى للمياه كان يستخدمها الإسرائيليون للوضوء قبل الصلاة، فقال عيسى املئوا هذه القنانى ماء.. وبالفعل ملأ الخدم القنانى ماءً فقال عيسى معزمًا عليها باسم الرب فلتتحولى إلى مشروب لهؤلاء المحتفلين، ثم ملأ السقاة منها وداروا على المحتفلين، وأعطوا شيخ المراسم من المشروب، فلما شربه نادى على السقاة وأنبهم قائلا: أيها الفاسدون لماذا تحتفظون بأجود النبيذ حتى الآن، ولم يكن يعرف شيئًا عما فعله عيسى.

فرد الخدم قائلين يا سيدنا هنا رجل طاهر من أولياء الله الصالحين، لقد حول الماء إلى نبيذ، ولكن الرجل ظن أن الخدم قد أسرفوا فى الشراب حتى سكروا، ولكن الذين كانوا يجلسون بجوار عيسى ورأوا كل شىء قاموا عن المائدة وكرموه قائلين والحق إنك لطاهر ومن أولياء الله الصالحين، وإنك لرسول حقيقى أرسله الله لنا.

وبعد ذلك آمن الحواريون به، وكثيرون آمنوا بقلوبهم به، وقالوا الحمد لله الذى رحم إسرائيل بمن كلأ بيت يهودا تبارك اسمه المقدس.

الإصحاح السادس عشر
عيسى وتعاليمه العظيمة لحوارييه

حدث فى يوم من الأيام أن جمع عيسى عليه السلام حوارييه وطلع بهم إلى الجبل، ولما جلس أقبل عليه الحواريون وجلسوا بجواره، ثم أخذ يتكلم ويعظهم قائلاً: «إن الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا بنعم عظيمة، وعليه يجب أن نخدمه ونعبده من قلوبنا بحق وبإيمان، وكما أن النبيذ الجديد يوضع فى قنانى جديدة، يجب أن تصبحوا أنتم رجالاً جددًا إذا ما أدركتم وعملتم بالعقيدة الجديدة التى سأصارحكم بها والحق أقول لكم إن الإنسان لا يستطيع أن يرى بعينيه السماء والأرض فى آن واحد، وبالتالى يستحيل أن تحب الرب والعالم.

«لا يستطيع إنسان به بعض الحكمة أن يخدم سيدين فى آن واحد، وكل منهما يعادى الآخر ويكرهه، وحتى هذا أقول لكم بالحق لن تستطيعوا أن تجمعوا بين خدمة الرب وعبادته ومصالح الدنيا، فالعالم يلتحف بالنفاق والكذب والشهوة والخبث، وعلى ذلك لن تستطيعوا أن تجدوا راحة فى العالم، بل تجدون اضطهادًا وخسرانًا، والأجدى بكم أن تخدموا الرب وتعبدوه، وتحتقروا العالم وتزدروه، فمتى تجدون السلوى لنفوسكم اسمعوا كلماتى وأطيعونى لأنى أتكلم بالحق...».

«الحق يبارك هؤلاء الذين يزدرون الحياة الدنيا فلسوف يكلؤهم بالسكينة والراحة. «وليبارك الله الفقراء الذين يكرهون بحق مباهج الدنيا، فلسوف يجدون مباهج كثيرة فى ملكوت الله (الآخرة)».

«طوبى لهؤلاء الذين يأكلون على مائدة الله فالملائكة تخدم عليهم».

«إنكم فى هذه الحياة على سفر كأنكم حجاج، فهل يشغل الحاج نفسه بالقصور والضياع والأشياء الدنيوية وهو فى طريقه للحج؟ بكل تأكيد لا، فالحاج يخفف من أحماله ولا يفكر فى المنافع والمصالح الدنيوية وهو فى طريق الحج. وليكن هذا مثلاً لكم. «وإذا أردتم مثلاً آخر سأضرب به لكم حتى تقتنعوا وتفعلوا كل ما أقوله لكم».

لا تثقلوا قلوبكم بالرغبات الدنيوية قائلين: «من الذى يكسونا ثيابًا ويطعمنا طعامًا، ولكن انظروا إلى الورود والأشجار والطيور، فالله سبحانه وتعالى يلبسها ويغذيها بمجد يفوق مجد سليمان، إنه لقادر

على أن يطعمكم فالله الذى قد أمركم أن تعبدوه، إنه أمرَ المَنّ أن يسقط من السماء على شعب إسرائيل فى البرارى أربعين سنة، ولم يؤده كسوتهم، وكانوا ستمائة وأربعين ألف رجل، إلى جانب النساء والأطفال، والحق أقول لكم إن السماء والأرض تضنان، ولكن لن يخذل الله أحدًا طمع فى رحمته وعطفه، هناك أغنياء فى هذه الدنيا، وبرغم أنهم فى بسطة من العيش فإنهم ما زالوا عند طمعهم حتى يهلكوا، لقد كان هناك رجل غنى وكان دخله يزداد يومًا بعد يوم وقال لنفسه ما الذى سأفعله يا نفسى نعم سوف أهدم مخازن الغلال فهى صغيرة، وأبنى بدلًا منها مخازن كبيرة وجديدة، لتظفرى يا نفسى بما تريدين، يا له من رجل مسكين، لقد فارق الحياة فى نفس الليلة، أما كان الأجدى به أن يعنى بالفقراء، وأن يجعل من نفسه صديقًا لهم، ويحمل لهم العطايا والزكاة وخيرات هذه الأرض، ولكن هؤلاء الفقراء سيحصلون على كنوز الله فى الآخرة.

قولوا لى من فضلكم ألا تضعون أموالكم فى مصرف أحد الجباة، وإذاكان هذا الجابى يعطيكم عشرة أمثال أو عشرين مثل ما تودعون لديه، ألا تودعون لديه كل ما تملكون.

والحق أقول لكم إن كل ما تعطونه فى محبة الله يعود إليكم مضاعفًا فى الحياة دائمًا مائة مرة أو أكثر، هلا نظرتم إلى مدى الشعور بالغبطة فى عبادتكم الله وخدمته.

الإصحاح السابع عشر
المؤمنين بمحمد (ﷺ) فهموا نفس الرسالة على حقيقتها

وعندما قال عيسى عليه السلام ذلك، رد عليه فيليب بقوله، نحن مطمئنون إلى أننا نخدم الله ونعبده، ولكننا نرغب فى أن نتعرف عليه سبحانه وتعالى، فقد قال النبى أشعياء: «والحق إنك إله مستور»، كما قال الله لموسى عبده: «إنى أنا الذى هو أنا».

فرد عيسى قائلًا «اسمع يافيليب، الله خير وبدونه لا خير، والله كائن وبدونه لا كينونة، الله هو الحياة وبدونه لا حياة، الله يملأ كل شىء وهو موجود دائمًا فى كل شىء، الله لا مثيل له على الإطلاق، الله هو البداية هو النهاية هو الأول هو الآخر، ولكنه قد أعطى لكل شىء بداية، وأعطى لكل شىء نهاية. لا أب له، ولا أم له، ولا ولد له، ولا إخوة له، ولا رفقاء أو شركاء له، الله لا جسد له، لا يأكل ولاينام ولا يموت، ولا يمشى ولا يتحرك، ولكنه حى أزلى، لا شبيه له من بنى البشر، فهو روحانى معنوى مجرد مطلق، إنه خير ويحب الخير، كله عدل، فهو عندما يعاقب أو يعفو فلا خلاف ولا نقض. وصفوة القول أقول لك يا فيليب إنك فى هذه الدنيا وعلى هذه الأرض لن تراه، ولن تعرفه كل المعرفة، ولكنك سوف تراه دائمًا فى ملكوته عندما تكتمل سعادتنا ويكتمل مجدنا.

فأجاب فيليب: «ياسيد ماذا تقول؟ إنه مكتوب فى رسالة أشعياء أن الله أبونا، فكيف إذن تقول ألّا ولد له؟»

فقال عيسى، إنك لتجد فى أقوال الرسل الكثير من الأمثال والكنايات والاستعارات، وبالتالى يجب ألا تتمسك بحرفية الكلمة بل بمعناها وروحها، لقد تحدث الأنبياء والرسل وهم ١٤٤ ألف رسول أرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى هذا العالم، وكانوا يتكلمون فى تعميات، ولكن بعدى سيأتى رسول وولى من أولياء الله الطاهرين، يغطى سناه جميع من سبقه من الرسل، ويشتت نوره جميع المعميات التى قالها الرسل من قبله، لأنه هو رسول الله. وبعد أن قال عيسى ذلك تنهد وقال: «يا إلهى ارحم إسرائيل، وارحم إبراهيم وآل إبراهيم وذرية إبراهيم حتى يعبدوك مخلصين لك العبادة».

فرد الحواريون: «وليكن ذلك يارب العالمين».

قال عيسى إنى أقول لكم إن الكتبة والحكماء، قد أبطلوا ناموس الله بما أشاعوه من تنبؤات كاذبة، تتعارض مع تنبؤات رسله الحقيقيين سبحانه وتعالى، فغضب على بيت إسرائيل، وهذا الجيل الذى لا إيمان له فبكى الحواريون عند سماع هذه الكلمات وقالوا ارحمنا يارب العالمين، واكلأ بعنايتك الهيكل والمدينة المقدسة، ولا تجعلها محط ازدراء الأمم، التى هى محط احتقارهم، والتى لا تراعى عهدك المقدس فأمّن عيسى على كلامهم قائلاً: «وليكن ذلك يا رب العالمين يا رب آبائنا».

الإصحاح الثامن عشر

يظهر فى هذا الإصحاح كيف عذب العالم عبدة الله واضطهدهم وكيف حمى الله عبيده ونجاهم «أول موعظة (لعيسى)»

ولما قال عيسى ذلك أردف قائلاً: «إنكم لم تختارونى، ولكننى أنا الذى اخترتكم لتكونوا رسلاً لى، وإذا ما كرِهكم العالم فعندئذٍ تصبحون حقيقة وفعلاً رسلى، فالعالم كان دائماً أبدًا عدوًّا لعبيد الله واذكروا دائماً رسل الله الذين قتلوا فى سبيله، بل حتى فى وقت إيليا قتلت إيزابيل عشرة آلاف رسول، وبمعجزة نجا إيليا المسكين، كما نجا سبعة آلاف من أبناء الرسل، كان قد أواهم أحاب وإن عالمنا الفاسد لا يعرف الله، ولكنكم لن تخافوا، فعدد شعركم قد أحصى ولن يمسكم أحد بضرر، ولن تفقدوا شعرة من شعركم، كذلك العصافير والطيور لن تفقد ريشة إلا بأمر الله، فهل تظنون أن الله سيكلأ الطيور بعنايته أكثر من الإنسان الذى خلق كل شىء من أجله، هل هناك إنسان جاء مجرد مصادفة، هل هناك من يعتنى بحذائه أكثر من عنايته بابنه؟ طبعًا لا ، وعليكم الآن ألا تظنوا أن الله تارككم أو أنه سيعتنى بالطيور أكثر من عنايته بكم، مالى أتحدث عن الطيور فما من ورقة من أوراق الشجر تسقط إلا بأمر من الله وإذنه.

صدقونى لأننى أقول لكم الحق، إن العالم سوف يخافكم إذا ماتمسكتم بتعاليمى، فالعالم إذا ما خاف ألا ينكشف فساده وفجوره، فإنه لن يكرهكم، أما إذا خاف أن ينكشف فساده وفجوره، فلسوف يكرهكم ويضطهدكم، وإذا ما رأيتم أن العالم قد استخف بكلماتكم فلا تغضبوا من قلوبكم، بل فكروا فى عظمة الله وكيف أنه أكبر منكم وأعظم، فهو يقابل هذا الاستخفاف وهذا الازدراء بالحكمة والتعقل،

ويسمّي المفسدون ذلك جنونًا، وإذا ما صبر الله على العالم، فلماذا تغضبون وأنتم من تراب أو من طين الأرض، إنكم بصبركم تحتفظون بأرواحكم عالية، وإذا ضربكم أحد على جانب من وجهكم، فأديروا له الجانب الآخر حتى يضربه، لا تقابل الشر بالشر، فالحيوانات الدنيا هى التى تفعل ذلك، بل قابل الشر بالخير، وادع الله من أجل هؤلاء الذين يكرهونكم فالنار لا تنطفئ بالنار، بل بالمياه وإنى أقول لكم إنكم لن تتغلبوا على الشر بالشر، بل بالخير. سبحان الله الذى يأمر الشمس أن تسطع على الخير والشر معًا، والمطر أن يهطل على الخير والشر معًا، لقد جاء فى الناموس «إنكم أطهار يا أولياء الله فآنا طاهر، لأنى ربكم كونوا أتقياء لأنى تقى، وكونوا كملا لأنى كامل».

والحق أقول لكم إن العبد يدرس العلم مرضاة لسيده، ويختار جلبابه الذى يرضى سيده، إن ثيابكم هى إرادتكم هى حبكم فاحذروا أن تطلبوا أو أن تحبوا شيئًا يكرهه الله خالقكم وتأكدوا أن الله يكره التفاخر والجشع والتكالب على الدنيا.. فلا تتكالبوا أنتم عليها».

الإصحاح التاسع عشر
عيسى يتحدث عن خيانة أحد تلاميذه

عندما قال عيسى ذلك أجابه بطرس، أيها المعلم اعلم أننا تركنا كل شىء لنتبعك فما مصيرنا نحن؟

أجاب عيسى الحق أنكم فى يوم القيامة ستجلسون بجوارى وتشهدون ضد أسباط إسرائيل الاثنى عشر..

ولما قال عيسى ذلك تنهد وقال: ياإلٰهى ماهذا؟ لقد اخترت اثنى عشر تلميذاً، فكان أحدهم شيطانًا وعندما سمع التلاميذ هذه الكلمة حزنوا حزنًا شديدًا، وقال أحدهم وهو يسأل المسيح، وكان يدون مايقوله سرًّا: ياسيدى هل يخدعنى الشيطان فأصبح منبوذًا غير جدير بتلمذتك؟ رد المسيح قائلًا لا تحزن كثيرًا يابرنابا، فإن الله قد اختار أناسًا كثيرين قبل أن يخلق العالم ولن يهلكوا، أبشر يا برنابا فاسمك مكتوب فى كتاب الحياة.

وراح عيسى يطيب خاطر تلاميذه قائلا: «لا تخافوا فمن يكرهنى لن يحزن لقولى ، فالله لم يجعل فيه شعورًا إلٰهيا».

ولما سمع تلاميذه حديثه شعروا براحة وطمأنينة ثم صلى عيسى عليه السلام وقال تلاميذه آمين... فلتكن مشيئة الله العزيز الرحيم.

وبعد أن انتهى عيسى من صلاته هبط الجبل ومعه تلاميذه وقابل فى طريقه عشرة مرضى بالبرص، فما أن رأوه حتى صاحوا عيسى يا ابن داود ارحمنا..

فناداهم عيسى أن اقتربوا، وقال لهم ماذا تريدون منى أيها الإخوة فصاحوا جميعا قائلين: «اشفنا».

فرد عيسى: أيها التعساء هلا فقدتم عقولكم عندما قلتم اشفنا؟ ألم تروا أنى بشر مثلكم ابتهلوا إلى الله الذى خلقكم فهو القوى العزيز القادر أن يشفيكم.

فسالت الدموع من أعين المرضى وقالوا له: نحن نعلم أنك بشر مثلنا، ولكنك ولىّ من أولياء الله الصالحين، ورسول من عنده سبحانه وتعالى، ونرجوك أن تصلى وتدعو الله لنا أن يشفينا.

ولما سمع تلاميذه ذلك توسلوا إليه قائلين أيها السيد ارحمهم، ثم أخذ عيسى يتمتم ويدعو الله قائلا: أيها العزيز القدير الرحمن الرحيم ارحم واستمع إلى كلمات عبدك، ومن أجل حبك لإبراهيم أبينا، ومن أجل العهد المقدس، ارحم هؤلاء الناس واسبغ عليهم الصحة، وما أن قال عيسى ذلك حتى تحول إلى المرضى وقال لهم: اذهبوا واعرضوا أنفسكم على الكهنة كما جاء فى ناموس الله.

فذهب المرض عنهم، وبينما هم فى الطريق، رأى أحدهم أنه قد شفى وعاد باحثًا عن عيسى، وكان من نسل إسماعيل، ولما وجده انحنى امامه مبجلا إياه وقال له:

«الحق أنك ولى صالح من أولياء الله، ثم أخذ يتوسل إليه أن يقبله خادمًا له، فرد عليه عيسى لقد برئ العشرة أين التسعة الآخرون، فقال له: لقد برئوا، وقال عيسى أعلم أنى أتيت لأخدم لا لأخدم، فاذهب إلى ديارك وقل للناس كيف شفاك الله حتى يتعظوا ويعرفوا أن وعود الله لإبراهيم وابنه بأن يعطيهم ملكوت الله ليست وعودًا فارغة، وبالتالى رحل الرجل ولما وصل إلى حيه أخذ يروى نعم الله عليه على يد عيسى.

الإصحاح العشرون

آية عيسى فى البحر والشعب يطلب آية

ذهب عيسى إلى بحر الجليل حيث استقل مركبا قاصدا مدينته الناصرة، ثم هبت ريح عاتية فى البحر أوشكت أن تغرق السفينة وتصبح لا شىء وكان عيسى عليه السلام نائما عند مقدمة السفينة فهرع تلاميذه إليه وأيقظوه قائلين «أيها السيد انقذ نفسك فنحن هالكون واحتواهم خوف كبير فكانت الريح عاصفة عاتية تهب بعكس سير السفينة وكانت الأمواج هائجة متلاطمة فنهض عيسى وتوجه بوجهه نحو السماء:

اللهم يا إلـه السماوات.. يارب الشعوب.. ارحم عبيدك..».

وفى الحال هدأت الريح وسكنت الأمواج واستوت صفحة البحر ولما لاحظ البحارة ذلك سألوه من هو ذا الذى تطيعه الريح ويطيعه البحر..

وبعد أن وصل إلى مدينة الناصرة راح البحارة يشيعون فى المدينة ما فعله عيسى فاجتمع جمهور كبير احاط بالمنزل الذى نزل به وكان يقدر عددهم بنحو سكان المدينة ثم جاء الكتبة والحكماء وقدموا أنفسهم له وقالوا له لقد سمعنا بعظيم ما فعلته فى البحر وفى يهودا فهل لـك أن تظهـر لنا بعض العلامات هنا فى بلدكم.

فرد عيسى قائلا «هذا الجيل الكافر يريد علامة ولكنه لن يظفر بها فما من رسول أكرمته أمته وفى

أيام ايليا كان فى يهودا عدد كبير من الأرامل ولكنه لم يكن ليشعر بالسعادة إلا عند امرأة صيدا وكان هناك عدد كبير من مرضى البرص فى عهد اليشع بيهودا ولكنه لم يشف منهم غير نعمان السورى.

ولقد هاج الشعب وماج وامسكوا به وحملوه إلى أعلا قمة للهاوية ليقذفوا به إلى أسفل على أن عيسى سار من بينهم وفى وسطهم وخلفهم وانصرف عنهم.

الإصحاح الحادى والعشرون
عيسى يشفى شخصًا تقمصه الشيطان والخنزير يغرق فى البحر، ثم يشفى ابنة الكنعانيين

ذهب عيسى إلى كفر ناحوم، وعندما اقترب من الكفر خرج من القبور شخص سكنه الشيطان، وكان هائجًا مائجًا لا تستطيع السلاسل أن تحتفظ به، وكان يعتدى على الرجال.

ولما رأى الشيطان عيسى صاح من فم الرجل قائلا: يا ولى الله لماذا جئت قبل موعدك لتسبب لنا المتاعب، ثم أخذ الشياطين يتوسلون ألا يطردهم، وسألهم عيسى كم أنتم فردوا قائلين: ستة آلاف وستمائة وستة وستون، ولما سمع التلاميذ هذا الجواب شعروا بالخوف والتمسوا من عيسى أن يرتحل، ثم قال عيسى: «أين إيمانكم يجب أن يرحل الشيطان لا أنا». فصاح الشيطان قائلا: إننا سوف نخرج، ولكن اسمح لنا أن نلبس بدن هذه الخنازير، وكانت الخنازير ترعى بالقرب من البحر، وكان عددها حوالى ألف خنزير يمتلكها الكنعانيون. وقال عيسى اخرجوا وادخلوا أجسام الخنازير، فحدث اضطراب كبير وصراخ هائل عندما تقمصت الشياطين أجساد الخنازير واندفعت إلى الماء، وهنا هرع رعاة الخنازير، إلى المدينة، وأخذوا يقصون ما أتاه عيسى عليه السلام.

وخرج أهل المدينة ووجدوا عيسى والرجل الذى أبرأه فامتلئوا خوفًا وتوسلوا إلى عيسى أن يترك المدينة، فارتحل وذهب إلى صور وصيدا.

وكانت هناك امرأة كنعانية ومعها ولداها قد خرجت من بلدها باحثة عن عيسى ولما رأته ومعه التلاميذ صاحت قائلة: يا عيسى يا ابن داود. ارحم ابنتى التى يعذبها الشيطان..

وتركها عيسى دون أن يكلمها بكلمة، فقد كانت تنتمى إلى جماعة لا تتختن، وقد حز فى قلوب التلاميذ توسل المرأة لعيسى فقالوا له يا سيد ارحمها انظر كيف تبكى وتولول وابناها.

فأجابهم عيسى: لم أرسل إلاَّ لبنى إسرائيل، ثم تقدمت المرأة وولداها نحو عيسى، وهى تبكى وتقول: يا بن داود أشفق علىّ فقال لها: «ليس عملا طيبًا أن تأخذى العيش من أيدى الأطفال وتعطينه للكلاب. قال عيسى ذلك لأنهم غير طاهرين إذ لم يتختنوا.

فأجابت المرأة: يا سيدى الكلاب تأكل فتات الخبز الذى يتساقط من مائدة أصحابها، فأعجب عيسى بحديثها وقال: أيتها المرأة إن إيمانك عظيم».

ثم رفع يديه نحو السماء مبتهلا إلى الله تعالى ثم قال:

«أيتها المرأة، لقد خلصت ابنتك، فاذهبى فى طريقك بسلام».

وبالفعل ارتحلت المرأة، ولما عادت إلى منزلها وجدت ابنتها تشكر الله. وقالت لها أمها.

«الحق أنه لا إله إلاّ إلٰه إسرائيل».

وبالتالى اعتنقت وأقاربها ناموس الرب وفق كتاب موسى.

الإصحاح الثانى والعشرون

شقاء من لم يتختن

الكلاب - أفضل منهم

وفى هذا اليوم سأل التلاميذ المسيح قائلين يا سيدنا، لماذا أجبت المرأة بمثل هذا الجواب قائلا إنهم كلاب؟

فرد عيسى قائلا: «الحق أقول لكم إن الكلب أفضل من الرجل الذى لم يتختن»، فشعر التلاميذ بالأسى والحزن وقالوا: إنها لكلمات كبيرة ومن الذى يتقبلها».

فرد عيسى: «إذا ما تدبرتم أيها الحمقى فيما يفعله الكلب الذى لا يعى ويخدم سيده، تجدون كلامى صحيحًا. قولوا لى هل يحرس الكلب منزل سيده ويعرض حياته للخطر عندما يسطو اللص؟ نعم بكل تأكيد ولكن ما جزاؤه.. الضرب الكثير والجروح، وقطعة خبز صغيرة.. ومع ذلك يظهر لسيده كل فرح عند رؤيته، أليس هذا صحيحًا؟» فرد عليه تلاميذه قائلين: «أيها السيد إنه لصحيح».

وعند ئذٍ قال عيسى تأملوا الآن آلاء الله على الإنسان، ولسوف تجدون مدى خطأ الإنسان عندما لا يحفظ عهد إبراهيم الذى قطعه لله سبحانه وتعالى، اذكروا ما قاله (داود) لشارل ملك إسرائيل ضد جوليات الفلسطينى، «قال داود يا سيدى بينما كان عبدك يرعى قطيعه جاء ذئب ودب وأسد، وانقضت على قطيع عبدك فخاف عبدك، فقتلهم وأنقذ الغنم، وما هذا الذى لم يختن إلا كواحد منها، وعلى ذلك هل يذهب عبدك باسم إلٰه إسرائيل، ويذبح هؤلاء، غير المتطهرين الذين يجدفون على شعب الله المطيع.

ثم قال التلاميذ: أخبرنا يا معلم ما داعى الختان للرجل.

فرد عيسى قائلا: يكفى أن تعرفوا أن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم أن يتختن وأهله، قائلا يا إبراهيم ختن أقرباءك وأهل بيتك، فهذا عهد بينى وبينك إلى يوم الدين.

الإصحاح الثالث والعشرون
أصل الختان
عهد إبراهيم مع الله
اللعنة على من لا يتختن

ولما قال عيسى هذا جلس على سفح الجبل الذى كانوا يشرفون عليه وجاءه تلاميذه ليستمعوا إلى كلماته وعندئذ قال عيسى: «عندما أكل آدم وهو أول إنسان خلقه الله، ما حرم الله فى الجنة، وقد خدعه الشيطان فظهرت سوءاته، فأقسم قائلا بالله لأقطعنك»، ثم قطع شظية من الصخر وأمسك بجلده الذى انتفض ليقطعه بحد الصخر، فهبط عليه جبريل وأنبه، ولكنه رد عليه قائلا: لقد أقسمت بالله أن أقطعه ولن أحنث أبدًا.

وبعد ذلك أراه جبريل لحم غرلته فقطعها، وعلى ذلك أخذ الرجال يحاكونه بقطع بعض الجلد من لحم الغرلة وبالتالى التزم الإنسان بما التزم به آدم عندما أقسم قسمه، ولقد حافظ آدم وبنوه على هذا القسم الذى حفظته الأجيال جيلا بعد جيل وأصبح التختين إجباريًّا، وفى وقت إبراهيم، كان عدد المتختنين قليلا لأن عبادة الأوثان كانت منتشرة، وعندما أخبر الله تعالى إبراهيم بموضوع التختين وأخذ عليه العهد قائلا إن الإنسان الذى لا يختن سوف أجعله تائهًا فى الأرض، وأبعده عن شعبى إلى الأبد وعندما استمع التلاميذ إلى كلمات عيسى أخذوا يرتجفون خوفًا ، فكان يتكلم بحرقة وبروح عالية، ثم قال عيسى:

اتركوا الخوف لمن لا يتختن، فهو محروم من الجنة.

وعندما قال ذلك أردف يقول: «إن روح الإنسان على استعداد لعبادة الله لكن الجلد ضعيف، ومن ثم وجب على الإنسان الذى يخاف الله أن يدرك كنه الجلد وأين أصله، وأين يقطع لقد خلق الله الجلد من طين الأرض، ثم نفخ فيه من روحه فدبت فيه الحياة، وعندما يعوق الجلد عبادة الله، يجب أن يفصل الجلد كما يفصل الطين ويداس عليه، وكل من يكره نفسه فى هذا العالم، يحتفظ بالجلد إلى الأبد. فالجلد يساعد على ظهور الرغبة، ومن ثم فهو عدو كل خير لأنه يساعد على الخطيئة.

هل يجب على الإنسان إرضاء لعدو من أعدائه أن يترك مرضاة الله خالقه، تدبروا فى هذا، لقد كان جميع القديسين والرسل أعداء لجسدهم حتى يخدموا الله مفضلين أن يذهبوا طواعية وبسرور إلى حتفهم حتى لا يأتوا خطيئة ضد الناموس الإلهى الذى أعطاه الله لعبده موسى، ويقومون على خدمة الآلهة الكاذبة.

تذكروا إيليا الذى فر عن طريق الصحراء والجبال، فلم يكن يأكل غير الحشائش، ولم يرتد غير

جلد الماعز، ونام على الطوى أيامًا عديدة، وتحمل البرد كما تحمل مطر السماء مرات عديدة، كما تحمل سبع سنوات اضطهاد إيزابيل التى لم تتخثن وكان اضطهادًا وحشيًّا.

واذكروا أليشع الذى كان يأكل رغيف الشعير، ويلبس أخشن الملابس، والحق أقول لكم إن هؤلاء الذين خافهم الملوك والأمراء قد ازدردوا جسدهم ولفظوا جلد غرلتهم، وهذا يكفى مثالا أن نقطع جلد غرلتنا، أيها الناس تمعنوا ما يحدث فى القبور، فلسوف تعلمون ما يجرى للجسد».

الإصحاح الرابع والعشرون

مثال بارز على تجنب المآدب والحفلات

أخذ عيسى عليه السلام فى البكاء بعد ما قاله، ثم قال: «يا حسرة على هؤلاء الـذين يعبدون (حشفتهم ويعيشون من أجلها)، فلن ينالوا خيرًا فى العَالم الآخر، بل يعذبون من أجل خطاياهم، وإنى أقول لكم إنه كان هناك رجل غنى جشع بطين لا يهتم إلا بطعامه وكان يقيم فى كل يوم مأدبة فاخرة وكان يقف على بابه رجل فقير اسمه لعاذر تغطى القروح جسده، وكان يسعد بفتات الخبز التى تسقط من مائدة البدين الجشع ولم يكن أحد يعطف عليه فيعطيه إحسانًا، بل العكس كان الجميع يسخرون منه، ولم يعطف عليه غير الكلاب التى كانت تلعق جروحه، وحدث بعد ذلك أن مات الرجل الفقير، فحملته الملائكة إلى أحضان أبيه إبراهيم، ثم توفى الغنى فحملته الشياطين إلى أحضان الشيطان، حيث عذب عذابًا عظيمًا، فرفع عينيه ورأى عن بعد لعاذر، بين ذراعى إبراهيم، فصرخ. يا أبانا إبراهيم الرحمة أرسل إلى لعاذر لعله يحمل على أصابعه قطرة ماء أبلل بها لسانى الذى يحترق فى هذا اللهيب.

فأجاب إبراهيم «يابنى. تذكر إنك تمتعت بأطيب الطيبات فى العالم الأول، أما لعاذر فكان نصيبه المكاره، وعلى ذلك فأنت فى عذاب، ولعاذر فى نعيم.

فصرخ الرجل الغنى مرة أخرى قائلا: «يا أبتى إبراهيم. لقد تركت فى بيتى ثلاثة من الإخوة فأرسل لهم لعاذر حتى يطلعهم على ما أنا فيه من عذاب، فقد ينتهون عما هم فيه ويندمون، فلا يأتون إلى هنا».

فأجاب إبراهيم «إن معهم موسى والأنبياء فليعملوا بما يقولون».

أجاب الرجل الغنى «لا يا أبتى إبراهيم إنهم سوف يصدقون من يقوم من بين الأموات».

أجاب إبراهيم «إن الذين لا يصدقون موسى والأنبياء لن يصدقوا الموتى إذا بعثوا مرة أخرى».

قال عيسى: «فانظروا إذا كيف يبارك الله الفقراء والصابرين إذا صبروا، والذين لا يرغبون إلا فى ما يسد حاجتهم الضرورية، والذين يكرهون الحشفة، أيها البؤساء يا من تحملون غيركم إلى المدافن ليقدموا أجسادهم طعامًا للديدان أيها البؤساء يا من لا تريدون معرفة الحقيقة، إنكم تعيشهنا وكأنكم خالدون فيها أبدًا، إنكم تبنون المنازل الكبيرة، وتستحوزون على الدخول العظيمـة، وتعيشون فى كبرياء وتعاظم إنكم أبعد ما تكونون عن الحقيقة».

الإصحاح الخامس والعشرون
كيف يكره الإنسان الحشفة
وكيف يجب أن يعيش فى العالم

قال كاتب هذا الإنجيل: «يامعلم، لقد نطقت بالحق ولهذا تركنا كل شيء لنتبعك ولكن قل لنا كيف نكره جسدنا، فإذا قتل الإنسان نفسه أتى عملا إدا، وإذا ما عشنا يجب علينا أن نغذيه».

فأجاب عيسى: «احتفظ بجسدك كما تحتفظ بالحصان، ولسوف يعيش فى أمان فالحصان يطعم بمقدار، ولكنه يشتغل بدون حدود، ويوضع اللجام فى فمه، ويترك صاحبه السرع على ظهره، حتى يستطيع أن يصعد الجبل، أو يقيده حتى لا يسيء إلى أحد، كما يعيش فى مكان قذر ويضرب إذا عصى، وأنتم تفعلون هكذا. اسمع يا برنابا، إنكم سوف تعيشون مع الله».

لا تنزعجوا لما أقول، فقد فعل النبى داود نفس الشيء عندما قال إنى كالحصان أمامكم ومعكم.

«اخبرنى من هو الأفقر، أهذا الذى يرضى بالقليل، أم ذاك الذى لا يرضى إلا بالكثير، الحق أقول لكم إن العالم إذا ما كان متزنًا عاقلا، فلن تجد فيه من يكتنز الأشياء من أجل نفسه ولكن كل شيء شركة، ولكن العالم يشعر بالجنون، فالشخص كلما اكتنز كلما زاد رغبة فى الاكتناز، وإذا اكتنز من أجل راحة الآخرين الجسدية فهل هو يكتنز هذه الراحة؟. فلتكتف إذن برداء واحد لنفسك ووزع ما فى حافظتك، ولا تحمل محفظة ولا تضع خفًا فى رجلك ولا تفكر فيما سيقع لك فتقول ما الذى سيقع لى، إنما فكر فى تنفيذ إرادة الله، واتكل عليه فتحصل على حاجياتك ولن تحتاج شيئًا أبدًا.

والحق أقول لكم، إن الاكتناز فى الحياة سبب أكيد فى أنك لن تثاب بمعروف فى الحياة الآخرة، وبالمثل فإن ابن القدس لا يبنى بيوتًا فى صحراء، فبين المدينتين كراهية وحقد.. فهل تفهمون؟» فرد تلاميذه قائلين: نعم.

الإصحاح السادس والعشرون
كيف يحب الإنسان خالقه؟
المجادلة العجيبة بين إبراهيم وأبيه

قال عيسى كان هناك رجل مسافر فى رحلة سيرا على الأقدام، فوجد كنزا فى حقل أراد صاحبه أن يبيعه بخمس قطع من النقود، ولكن المسافر عندما علم بذلك باع جلبابه فى الحال ليشترى الحقل، هل يصدق أحد ذلك؟ أجاب التلاميذ: «إن من لا يصدق فهو مجنون».

فقال عيسى إنكم لمجانين إذا لم تتجهوا بكل مشاعركم وأحاسيسكم إلى الله لتشتروا أنفسكم حيث

تجدون كنزا كبيرا من المحبة، فالمحبة كنز عظيم لا يدانيه شيء... فالذى يحب الخالق هو إنسان أحبه الخالق وأعطاه كل شيء».

رد بطرس قائلا يا معلم، كيف نحب الله حبا حقيقيا؟ أخبرنا..»

قال عيسى: الحق أقول لكم، إن من لا يكره أباه أو أمه أو نفسه أو أولاده، أو زوجه من أجل الله، لا يستحق محبة الله، فأجاب بطرس: ولكن يا معلم لقد جاء فى كتاب موسى عند ذكر الناموس، أكرم أباك حتى يطول عمرك فى الحياة، ثم جاء فيه أيضا اللعنة على من لا يطيع والديه، ولقد أبان سبحانه وتعالى أن من يخرج على طاعة والديه استحق غضب الله، ويجب أن يرجم أمام بوابة المدينة، فكيف الآن تأمرنا أن نبغض أبانا وأمنا.

فقال عيسى إن كل كلمة نطقت بها حقيقة، فهى ليست من عندى، بل من عند الله الذى أرسلنى إلى بيت إسرائيل، وعلى ذلك فإنى أقول لكم إن كل ما تمتلكون قد أنعم الله به عليكم، والآن أيهما أثمن العطية أم صاحب العطية، وعليه إذا ما كان أبوك أو أمك عقبة فى سبيل طاعة ربك، فاتركهما وانبذهما كعدو، ألم يقل الله لإبراهيم «اذهب فى التو من بيت أبيك وأقاربك واسكن الأرض التى أعطيها لك ولذريتك»، وقد قال سبحانه وتعالى هذا لإبراهيم، لأن والده كان صانع تماثيل، ومصور، وكان يصنع الآلهة الكاذبة ويعبدها، وعلى ذلك كانت الكراهية بين الأب وابنه مستحكمة حتى أراد الأب أن يحرق ابنه».

أجاب بطرس، إن كلماتك حق وإنى أرجو أن تخبرنا كيف استخف إبراهيم بأبيه؟

فأجاب عيسى: كان إبراهيم قد أبلغ السابعة من عمره عندما أخذ يبحث عن الله وفى يوم من الأيام قال لأبيه «يا أبتى من صنع الإنسان».

فرد الأب الأحمق «يارجل، لقد صنعتك وصنعنى أبى».

فأجاب إبراهيم «ياأبتى قد لا يكون هذا صحيحًا فقد سمعت شيخا مسنا يبكى ويقول: يا إلٰهى، لماذا ترزقنى بأولاد».

فأجاب والده: «إنه الحق يابنى، فالله سبحانه يساعد الإنسان على صنع الإنسان، ولكنه لا يتدخل، ويكفى أن يأتى الإنسان إلى ربه ويقدم له الماشية والله يساعده».

فرد ابراهيم: ولكن ما هو عدد الآلهة ياأبتى»؟

فقال الرجل العجوز: «ليس للآلهة عدد يابنى». فأجاب إبراهيم: «ياأبتى ما الذى أفعله إذا ما عبدت ربا من الأرباب، ورآنى رب آخر، وتمنى لى الشر، لأنى أعبد غيره، والحق إذا ما كان هناك آلهة عديدة فلابد أن يختلفوا فيما بينهم، فتقوم الحرب بينهم، وإذا حدث مصادفة أن الإلٰه الذى يتمنى لى الشر قتل الإلٰه الذى يتمنى لى الخير فماذا أفعل، إنى متأكد أنه سوف يقتلنى».

فضحك الرجل العجوز وقال يابنى لا تخف فالآلهة لا تحارب بعضها بعضا فهناك فى المعبد الأكبر

آلاف من الآلهة وعلى رأسهم بعل الإله العظيم، لقد بلغت الآن السبعين من عمرى، ومع ذلك لم أر إلها لطخ إلها آخر أو ضربه وبكل تأكيد لا يعبد كل الناس إلها واحدا، ولكن لكل رجل إله.

فأجاب إبراهيم: «ياأبتى: على ذلك، هناك سلام بين الآلهة».

قال أبوه: نعم.

فسأل إبراهيم: «ياأبتى: وما هى هيئة الآلهة..؟».

فأجاب الرجل المسن «ياأحمق إنى أصنع إلها كل يوم ثم أبيعه للغير، لأشترى خبزا، ثم تأتى لتسألنى عن هيئة الآلهة، ألا تعرف حتى الآن شكلهم؟ وفى هذه اللحظة كان أبوإبراهيم يصنع وثنا، فقال «هذا الإله من خشب النخيل، وهذا من خشب الزيتون، وهذا الصغير من العاج، انظر كم هو دقيق الصنع انظر كيف يبدو وكأن الحياة قد دبت فيه بكل تأكيد أن لا شىء ينقصه غير التنفس».

فرد إبراهيم: «ياأبتى إن الآلهة إذن لا تتنفس، وإذا كانت لا تتنفس، فكيف تجعل الغير يتنفس، وإذا كانت تفتقر إلى الحياة، فكيف لها أن تعطى الحياة، يا أبتى إن هذه ليست آلهة.

شعر الأب أنه قد أسقط فى يده، فقال «لو كنت كبيرا تفهم وتعى ما تقول لكسرت رأسك بهذه البلطة لتصمت لأنك لا تفهم».

فرد إبراهيم: «ياأبتى، إذا ما كانت الآلهة هى التى تصنع الإنسان... فكيف تأتى للإنسان أن يصنع الآلهة؟! وإذا ما كانت الآلهة مصنوعة من الخشب فالخطيئة الكبيرة أن نحرق نحن الخشب، ولكن قل لى يا أبتى، كيف وأنت تصنع هذه الآلهة العديدة، لم تساعدك الآلهة فى أن يكون لك أولاد عديدون. لتصبح أقوى رجل فى العالم؟».

وكان الأب إلى جانب ابنه وهو يتكلم، فاسترسل هذا الأخير وقال: «ياأبتى، هل كان العالم خاليا فى وقت من الأوقات من الإنسان؟

فأجاب أبوه: «نعم ولكن لماذا؟».

فرد إبراهيم: «لأنى أريد أن أعرف من الذى صنع أول إله؟».

استشاط الرجل العجوز غضبا وقال: «اخرج للتو والساعة، واتركنى أصنع هذا الإله بسرعة، ولا تكلمنى، فأنت عندما تجوع تحتاج إلى لقمة الخبز لا إلى كلام».

وقال إبراهيم «إنه ليس بإله عظيم، ذلك الذى تقطعه وفق مشيئتك، ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه».

قال الرجل العجوز وكان غاضبا إن العالم كله قد أجمع على أن هذا إله، وأنت يا مجنون تقول إنه ليس بإله، وبحق الإله لو كنت رجلا لقتلتك»، وما أن قال ذلك حتى أخذ يلكم إبراهيم ويركله بقدمه، ثم طرده من منزله.

الإصحاح السابع والعشرون
الضحك غير اللائق
حصافة إبراهيم وقوة بصيرته

ضحك التلاميذ من حماقة الرجل العجوز وأعجبوا بحصافة إبراهيم وعقله، ولكن عيسى زجرهم قائلا «لقد نسيتم كلمات الرسول الذى قال: الضحك العاجل نذير ببكاء قادم ثم «إنك لا تذهب إلى حيث يكون الضحك، ولكن تذهب وتجلس حيث يكون البكاء لأن هذه الحياة ستمر وكلها بؤس وأسى، ثم قال عيسى ألا تعلم أن الله فى أيام موسى، قد حول من ضحك أو سخر من الآخرين إلى وحوش بعد أن كانوا رجالا، وكان ذلك فى مصر، فلتحذر إذا ما ضحكت. ولا تسخر من أحد فلسوف تبكى جزاء هذه السخرية».

فرد التلاميذ قائلين: «لقد ضحكنا بسبب حماقة الرجل العجوز».

فقال عيسى: «الحق أقول لكم، كل يحب من كان على غراره، ويجد سعادة فى ذلك، وعليه لو لم تكونوا حمقى لما ضحكتم على الحمق».

فردوا جميعا: فليرحمنا الله.

قال عيسى أى نعم.

ثم قال فيليب: «يا معلم كيف حدث أن والد إبراهيم أراد أن يحرق ابنه!». فأجاب عيسى «فى يوم من الأيام قال والد إبراهيم لابنه إبراهيم وكان يبلغ الثانية عشرة، غدا يوم جميع الآلهة، وعلى ذلك سنذهب إلى المعبد الأكبر ومعنا هدية لإلهى بعل العظيم، أما أنت فعليك أن تختار لنفسك إلها، فقد بلغت السن الذى تختار فيه».

فرد إبراهيم قائلا فى مكر: بطبيعة الحال يا أبتى».

ولما حان الوقت فى الصباح ذهب إلى المعبد قبل أى شخص آخر، وكان إبراهيم يحمل بلطة أخفاها تحت قميصه، وما أن دخل المعبد قبل أى شخص آخر حتى أخفى نفسه وراء أحد الأصنام فى مكان مظلم من المعبد، وبدأ الناس يتكاثرون، وبعد ذلك غادر والده المعبد وهو يعتقد أن إبراهيم قد ذهب إلى المنزل قبله، وبالتالى لم يمكث فى العبد ليبحث عنه.

الإصحاح الثامن والعشرون
(تابع) حصافة إبراهيم

وعندما غادر الجميع المعبد، أغلق القساوسة بابه وذهب كل إلى حاله، وهنا أخرج إبراهيم البلطة

وأخذ يقطع أرجل الأصنام فيما عدا بعل الكبير، ووضع البلطة عند قدميه وحوله بقايا الأصنام، فقد كانت قديمة هشة فعندما قطع إبراهيم أرجلها، سقطت فتكسرت، وخرج إبراهيم من المعبد ورآه أحد الرجال، وظن أنه كان فى المعبد بغرض السرقة فقبضوا عليه وأتوا به إلى المعبد، وفوجئوا بآلهتهم وقد تهشمت إلى قطع صغيرة فصاحوا فى أسى وحزن «أيها الناس، أقبلوا، أقبلوا ولنذبح هذا الذى ذبح آلهتنا» وجاء حوالى عشرة آلاف شخص ومعهم الرهبان والكهنة، وراحوا يستجوبون إبراهيم عن سبب تدميره الآلهة، فرد إبراهيم «إنكم لحمقى، كيف يتأتى للإنسان أن يحطم آلهته، إن الإله العظيم هو وحده القادر على تحطيمها، فنظروا إلى البلطة التى عند قدميه، لا شك أنه يكره أن يكون له أنداد».

ثم جاء والد إبراهيم الذى تذكر الأحاديث العديدة التى أفصح عنها إبراهيم، ومعارضته للآلهة، ثم تعرف على البلطة التى استخدمها إبراهيم فى تكسير الأصنام، إلى قطع صغيرة، وصاح قائلا: «إن الخائن هو ولدى الذى هشم آلهتنا، فهذه البلطة بلطتى، ثم راح يقص عليهم ما دار بينه وبين إبراهيم ابنه».

ثم قام الرجال وجمعوا الكثير من الحطب، وجاءوا بإبراهيم وقيدوه من يديه ورجليه، ووضعوه فوق الحطب، ثم أشعلوا النار من تحته.

ولكنه تبارك وتعالى، أمر الملاك بأن تكون النار بردا وسلاما على إبراهيم عبده. فاشتعلت النيران وتأججت، وكأنها الأتون، فأحرقت حوالى ألفى رجل من هؤلاء الذين أدلوا بإبراهيم إليها وحكموا بموته، أما إبراهيم، فقد وجد نفسه مطلق اليدين والقدمين، وحمله ملاك الرب إلى مكان قرب منزل والده دون أن يدرى من حمله، وهكذا نجا إبراهيم من النار.

الإصحاح التاسع والعشرون

ثم قال فيليب: «إن رحمة ربى واسعة ينزل رحمته على من يحبه، قل لى يا معلم كيف عرف إبراهيم الله».

أجاب عيسى بعد أن وصل إبراهيم إلى منزل والده، خاف أن يدخل فانتقل إلى ناحية قريبة من المنزل، وانتحى لنفسه ناحية بها شجرة نخيل جلس تحتها، وأخذ يقول: لابد من وجود إله، له من الحياة والقوة أكثر ما للإنسان، فهو الذى يخلق الإنسان فى حين أن الإنسان لا يستطيع أن يخلق إنسانًا آخر بدون إرادة الله، وأخذ يقلب نظره فى السماء بين النجوم والكواكب والقمر والشمس، وكان يفكر فى كل منها باعتبارها إلها، ولكن بعد أن يتدبر فى اختلاف حركتها، قال لنفسه إن الإله لا تختلف حركته فلا تخفيه السحب وإلا فنى الناس، ثم عاد يتدبر ويفكر فسمع مناديًا ينادى: يا إبراهيم، وأخذ يتجه هنا وهناك دون أن يرى أحدًا، فقال «إنى متأكد أنى سمعت من ينادينى بإبراهيم»، وبعد ذلك سمع النداء مرتين وبنفس الطريقة.

فأجاب «من المنادى عندئذ سمع من يقول: «إنى ملاك ربك جبريل» فخاف إبراهيم فطمأنه

الملاك قائلا: «لا تخف يا إبراهيم فأنت خليل الله، واعلم أنك عندما حطمت الآلهة التى صنعها الإنسان، كان الله رب الملائكة والرسل، قد اختارك لهذه المهمة، فقد كتب فى سجل الحياة أن تقوم بذلك».

فقال إبراهيم «وما الذى يجب أن أفعله لأخدم رب الملائكة والرسل الصالحين؟» فرد الملاك قائلا «اذهب إلى الينبوع واغتسل فالله يريد أن يكلمك».

فأجاب إبراهيم: «الآن وكيف أغتسل؟»

وعندئذ تجسد له الملاك جبريل شابًّا جميلا وأخذ يغتسل من الينبوع قائلا: «يا إبراهيم: افعل كما أفعل»، وعندما انتهى إبراهيم من الاغتسال قال له الملاك: «تسلق هذا الجبل فالرب يريد أن يكلمك».

وصعد إبراهيم الجبل كما قال له الملاك، وجثا على ركبتيه راكعًا، قال لنفسه «متى يحدثنى إله الملائكة؟»

وعندئذ سمع صوتًا يناديه بلطف: يا إبراهيم.

فأجاب إبراهيم قائلا: «من ينادينى»؟

فأجاب الصوت: «إنى إلٰهك يا إبراهيم».

فخاف إبراهيم وركع على الأرض وجعل وجهه إلى الأرض وقال: «كيف لخادمك أن يسمعك وهو من تراب ورماد؟»».

فقال له الله: «لا تخف وقف، فقد اخترتك عبدًا لى، وبمشيئتى أباركك وأكثر من نسلك، واجعله شعبًا عظيمًا، وعلى ذلك اترك منزل أبيك ومنازل أقربائك، واذهب إلى الأرض التى أعطيك إياها ولذريتك، فاسكنها».

فأجاب إبراهيم: «سأفعل كل ذلك ياربى، ولكن احرسنى، فقد يضرنى إله آخر».

فتحدث الرب إليه قائلا: «أنا الإله الأوحد، وليس هناك إلٰه غيرى إنى أصرع وأشفى، إنى أميت وأحيى، إنى أرسل إلى الجحيم من أشاء، وأجنب من أشاء، ولن يستطيع أحد أن ينجو من يدى، وبعد ذلك عقد الله معه عهد الختان، ومن ثم عرف إبراهيم الله».

وبعد أن قال عيسى هذا القول، رفع يديه قائلا:

«لك المجد يا إلهى ولك الشرف ولتكن إرادتك».

الإصحاح الثلاثون

ذهب عيسى عليه السلام إلى القدس وقد اقترب سينو فيجيا «تابرناجلزا» Senafegia (Tabernacles) عيد الظلمة وهو عيد لأمتنا ولما علم الكتبة والفريسيون بالأمر، تآمروا أن يوقعوا به فى الحديث.

وعليه أتى إليه شيخ من شيوخهم قائلا يا معلم قل لى ما أفعله حتى أنال الحياة الأبدية.

فرد عليه عيسى: وما هو مكتوب فى الناموس.

فرد الشيخ قائلا: «حب الله ربك، وحب جارك، على أن يكون حبك لله فوق كل شىء، وبكل قلبك وبكل عقلك، وحب جارك حبك لنفسك».

فأجاب عيسى: «لقد أجبت أحسن جواب على سؤالك، فاذهب وافعل ذلك، وإنى أقول لك إنك ستبلغ الحياة الأبدية»، فرد عليه الشيخ قائلا: ولكن من هو جارى؟

فرفع عيسى نظره وأجاب «كان هناك رجل مسافر من القدس إلى أريحا المدينة التى بُنِيَتْ وعليها اللعنة، وحدث فى الطريق أن أمسك اللصوص بالرجل وضربوه وأثخنوه جراحًا وانتزعوا ثيابه، ثم تركوه بين الحياة والموت، فاتفق أن مر قسيس بنفس المكان، فرأى الرجل الجريح، فاستمر فى سبيله دون أن يحييه، وبنفس الطريقة مر أحد اللاويين دون أن يقول كلمة، ثم حدث أن مر أيضًا أحد أهالى سامراء، وما أن رأى الرجل الجريح حتى اتجه إليه وأخذ فى مساعدته فنزل من على حصانه، وحمل الرجل الجريح، وغسل جروحه بالنبيذ، ثم وضع عليه المراهم وضمدها وأخذ فى مواساته، ثم أركبه حصانه ومشى به حتى وصل إلى النزل عند غروب الشمس، فأوصى به صاحبه، وفى اليوم التالى عندما قام من نومه فى الصباح قال له اهتم بالرجل، ولسوف أدفع لك ما تريد، ثم قدم أربع قطع ذهبية للمريض ليقدمها إلى صاحب النزل، وقال له أبشر وما عليك من حرج، ولسوف أعود سريعًا وآخذك إلى منزلى.

وقال عيسى «أخبرنى من هو الجار من هؤلاء: فأجابه الشيخ: هذا الذى أشفق عليه. فقال عيسى: لقد أجبت حقًا، اذهب وافعل على نمطه». فرحل الشيخ وهو مضطرب.

الإصحاح الحادى والثلاثون

واقترب القساوسة من عيسى وقالوا له: يا معلم هل من الشرع أن نعطى قيصرا جزية؟ فاتجه عيسى نحو يهوذا وقال له: «هل معك نقود؟» فوضع يهوذا فى يديه بنسا فأخذه عيسى واتجه نحو القساوسة وقال: «يحمل هذا البنس صورة لمن؟» فأجابوا: إنها لقيصر.

فقال عيسى: «إذن أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

فذهب القساوسة وهم مضطربون.

وأقبل على عيسى قائد المائة وصاح قائلًا: يا معلم ابنى مريض ارحم عجزى وشيخوختى.. فأجاب عيسى: «إن الله إلٰه إسرائيل يرحمك».

وعندما أخذ الرجل فى مغادرة المكان قال له عيسى: «انتظرنى فسوف أحضر إلى منزلك وأصلى من أجل ولدك».

فرد قائد المائة: «يا معلم لا أستحق أن يأتى رسول الله إلى منزلى، ويكفينى كلمتك بأنك قد تضرعت من أجل شفاء ولدى فالله الذى أرسلك قد وهبك نعمة شفاء جميع الأمراض كما قال لى الملاك عندما تراءى لى فى الحلم.

فابتهج عيسى ابتهاجًا كبيرًا واتجه نحو الجموع وقال: فليبارك الله هذا الغريب فإيمانه أكثر مما وجدته فى إسرائيل.

واتجه نحو قائد المائة وقال له: اذهب يا رجل فى سلام لأن الله قد من على ولدك بالشفاء، بفضل إيمانك العظيم الذى وهبك إياه.. وعليه ذهب قائد المائة فى طريقه وقابل خدامه فى الطريق، فأخبروه أن ولده قد شفى.

فسألهم قائلًا: فى أى ساعة ذهبت عنه الحمى؟

قالوا: بالأمس فى الساعة السادسة ذهبت عنه الحمى.

لقد عرف الرجل أن عيسى عندما قال: إن رب إسرائيل يرحمك.. أن ولده قد شفى، ولما وصل الرجل إلى منزله، وكان قد آمن بالله تعالى، أخذ فى تحطيم آلهته قائلًا: ليس هناك إلٰه غير إلٰه إسرائيل، هو الإلٰه الحق الباقى وعليه قال لن يأكل خبزى إلا من يعبد إلٰه إسرائيل.

الإصحاح الثانى والثلاثون

حدث أن أحد الفقهاء فى الشريعة والناموس، دعا عيسى إلى عشاء ليستميله إليه، فذهب عيسى ومعه تلاميذه، وكان فى انتظاره بالمنزل الكثيرون من الكتبة الذين جاءوا لاستهوائه، ثم جلس التلاميذ إلى المائدة دون أن يغسلوا أيديهم فقال الكتبة لعيسى: لماذا لا يتبع تلاميذك تقاليد آبائنا، فهم لم يغسلوا أيديهم قبل أن يأكلوا الخبز.

فأجاب عيسى: «وإنى أسألكم لأى سبب ألغيتم وصية الناموس حفاظًا على تقاليدكم، فأنتم تقولون لأبناء الفقراء قدموا القرابين والنذور أمام المعبد... وهم يقدمون النذور من النزر القليل الذى كان يجب أن ينفقوه على آبائهم، وعندما يرغب آباؤهم فى أخذ بعض النقود القليلة يصيح فيهم أبناؤهم: هذه النقود قد نذرت لله، فى حين يتعذب آباؤهم أيها الكتبة.. المنافقون، هل الله فى حاجة إلى هذه النقود، وهل هو يستخدمها؟ بكل تأكيد لا، فالله لا يأكل كما أخبرنا خادمه داود الرسول،

إذ قال: وهل أنا آكل لحم الثيران أو أشرب دماء الغنم، قدموا لى الضحية شكرًا وامتنانا ونذورًا، فإن جُعت لن أسألكم شيئًا، فكل شىء فى يدى، والجنة معى، بما فيها من خير عميم، أيها المنافقون: إنكم تفعلون ذلك لتمتلئ محافظكم، وتفرضون العشور كمورد لا ينضب لإثرائكم، أيها البؤساء: إنكم تدلون الغير على الطريق الصريح الواضح، ولكنكم لا تسيرون فيه.

أيها الكتبة والشيوخ: إنكم تضعون على أكتاف الغير أثقالاً لا يمكن أن تحملها، وأنتم أنفسكم لا تريدون تحريكها بأصبع من أصابعكم.

والحق أقول لكم إن كل شر أصاب العالم فى هذه الحياة، كان على أيدى الكهنة، قولوا لى من الذى أدخل عبادة الأصنام إلى هذا العالم، أليسوا هم الكهنة؟

كان هناك ملك يحب والده حبًّا جمًّا، وكان اسمه بعل، وفى يوم من الأيام مات الأب، ومن فرط حب الملك لأبيه وتعزية لشخصه أمر بعمل تمثال لأبيه ثم أقامه فى ميدان السوق بالمدينة، وأصدر أمرًا ملكيًّا بأن من يقترب إلى التمثال مسافة خمسة عشر ذراعًا فهو آمن، ولا يجوز لأى شخص ولأى سبب من الأسباب أن يضيره بشىء، على أن مجرمًا أثيمًا اقترب من التمثال بسبب الأمان الذى يضفيه على كل من يقترب منه وأخذ يقدم إليه الزهور والورود، ولم يمض طويل وقت حتى استبدل الناس الزهور بالورود بالنقود والطعام.

وتدريجيًّا أخذ الناس يؤلهون التمثال، لقد بدأ الأمر كتحية، ثم تحول إلى شريعة، وبالمثل بدأت عبادة بعل الصنم، ثم انتشرت فى العالم، ولقد أشار الرسول أشعياء إلى أن الله استنكر هذا الأمر، فقال إن هؤلاء الناس يعبدوننى دون جدوى قد أهدروا الناموس الذى أعطيتهم إياه عن طريق عبدى موسى، ثم راحوا يتبعون عادات كهنتهم، والحق أقول لكم إن من يأكل عيشًا بيد قذرة، لا يدنس نفسه فالذى يدخل جوف الإنسان لا يدنس الإنسان، ولكن الذى يخرج من الإنسان هو الذى يدنس الإنسان، ولما سمع أحد الكتاب ذلك قال وإذا ما أكلتم لحم خنزير أو لحمًا نجسًا آخر فهلا يتدنس الضمير؟

فأجاب عيسى: إن العصيان لا يدخل جوف الإنسان، ولكنه يخرج من الإنسان ومن قلبه، وعلى ذلك هل يتدنس الإنسان عندما يأكل طعامًا محرمًا، فأجاب أحد الشيوخ: يا سيد لقد تحدثت كثيرًا ضد الوثنية، وكأن شعب إسرائيل يعبد الأوثان، وبالتالى لقد أخطأت فى حقنا.

فأجاب عيسى: «إنى أعلم علم اليقين أنه لا توجد أوثان خشبية اليوم فى إسرائيل، ولكن هناك أوثان من لحم ودم»، فرد جميع الكتاب قائلين: أنحن وثنيون؟

فأجاب عيسى: «الحق أقول لكم العقيدة تقول لا إنكم سوف تعبدون بل سوف تحبون الله ربكم بكل روحكم، وبكل قلبكم، وبكل فكركم أليس هذا حقيقى؟؟».

فرد الجميع: إنه لحقيقة.

الإصحاح الثالث والثلاثون

قال عيسى: الحق إن ما يحبه الإنسان حقًا، ويترك من أجله كل شيء هو الله إن الفاسق يضع أمامه صورة عاهرته، والسكير رسمه، أما البخيل فيضع أمامه الذهب والفضة كصورته المفضلة، وهكذا كل شخص يضع خطيئته كصورته المحببة أمام نفسه.

ثم سأل الرجل الذى دعاه: يا معلم ما هى أعظم الخطايا؟

فأجاب عيسى: «وما هو الخراب الأكبر للبيت».

وسكت كل فرد ثم أشار عيسى بأصبعه إلى الأساس وقال: «إذا تداعى الأساس، فإن المنزل يسقط فى الحال ويصبح أنقاضًا، وفى هذه الحالة هل من الحكمة أن نصمم على بنائه من جديد؟، ولكن ما تداعى جزء من المنزل فإننا نستطيع أن نصلحه، وإنى أقول لكم إن الوثنية هى أكبر الخطايا، فهى تحرم الإنسان من العقيدة، وبالتالى من عبادة الله، وعليه يحرم الإنسان من الحب الروحى، أما الخطايا الأخرى فإن الله يغفرها، ولكنه لا يغفر من يشرك به، وعلى ذلك أقول لكم إن الشرك بالله أو الوثنية، هى أكبر الخطايا، وقد ذهل الجميع من أقوال عيسى وأدركوا أنه لا مأخذ إطلاقًا فى أقواله.

ثم استطرد عيسى قائلا: اذكروا ما قاله الله سبحانه وتعالى، وما كتبه موسى، ويوشع فى الناموع، ولسوف ترون مدى فداحة الإشراك بالله. لقد قال الله تعالى فى حديثه إلى إسرائيل «وإنك لن تصنع لنفسك صنمًا على غرار هذه الأشياء، لا فى السماء ولا تحتها، ولا فوق الأرض ولا تحتها، ولا فوق الماء ولا تحته، لأنى أنا ربك القوى العزيز، الغيور المنتقم الجبار، الذى لا يرحم من يشرك به، وينزل نقمته على المشركين وآبائهم وأبنائهم لأجيال أربعة»، هل تذكرون عندما صنع آباؤنا العجل وعندما أخذوا يعبدونه عندئذ أمر الله (يوشع) سبط لاوى أن يمتشقوا السيف ويقتلوهم، فقتلوا ١٢٠ ألف من هؤلاء الذين لم يلتمسوا رحمة الله.. إن عقاب الله لشديد على المشركين.

الإصحاح الرابع والثلاثون

كان يقف على الباب شخص شلت يده اليمنى، حتى أصبحت عديمة الجدوى، ولما رآه عيسى ابتهل إلى الله تعالى وصلى، ثم قال: إنى أقول باسم الله أيها الرجل مد يدك المشلولة، ذلك حتى تعلموا كلكم أن ما أقوله هو الحقيقة، وبالفعل مد الرجل يده بأكملها وكأنها لم تصب بأى مرض.

ثم بدءوا يأكلون، وهم يخشون الله، وبعد أن أكلوا بعض الشىء، قال لهم عيسى: الحق أقول لكم، الأفضل أن نحرق مدينة على أن نترك بها عادة شريرة، فالله تعالت حكمته، قد خول أمراء هذه الأرض وملوكها القضاء على كل تفرقة وكل ظلم، حتى باستخدام السلاح، وبعد ذلك قال عيسى:

«إذا ما دعيتم فلا تجلسوا فى أعلى مكان، حتى إذا ما جاء صديق حميم للمضيف فقد يقول لك قم

واجلس فى مكان أدنى، مما يجعلك تشعر بالخجل من نفسك، ولكن اذهب واجلس فى أكثر الأمكنة تواضعًا حتى يأتى الذى دعاك ويقول لك قم يا صديقى وتعال اجلس هنا فى هذا المقعد الأعلى. وبالتالى ستشعر بإكرام كبير، واعلموا أن كل من يتعالى سوف يذل، وكل من يتواضع سيعلو مقداره.

والحق أقول لكم إن الشيطان لم ينبذ ويستهجن إلا بسبب تعاليه وتكبره، بل لقد قال الرسول أشعياء وهو يعاتبه:

كيف نزلت من السماء أيها الشيطان حيث كنت جميلا جمال الملائكة، وكنت مضيئًا كالفجر، الحق، إن سقوطك إلى الأرض قد أسقط كبرياءك وغلياءك.

«الحق أقول لكم إن الإنسان لو عرف تعاسته وشقوته فى هذه الأرض، لبكى على الدوام، وأدرك مدى ضعته، بل هو أشد المخلوقات ضعة، ولهذا السبب أخذ أول إنسان يبكى هو وزوجته لمدة مائة سنة دون توقف، مبتهلا إلى الله أن يرحمه، فقد عرفا أنهما سقطا بسبب تعاليهما وتكبرهما، ولما قال ذلك أخذ يشكر الله، وفى نفس اليوم نشروا فى القدس هذه الأقوال العظيمة التى قالها عيسى مع المعجزة التى أظهرها حتى إن الناس أخذوا يشكرون الله ويباركون اسمه المقدس على أن الكتاب والكهنة ازدادت كراهيتهم وحقدهم عليه وقد أدركوا أنه تحدث ضد كبارهم، وقست قلوبهم كما قسا قلب فرعون، وراحوا يتربصون به ليقتلوه، ولكنهم لم يجدوا سببًا ولا فرصة لذلك.

الإصحاح الخامس والثلاثون

وغادر عيسى القدس متجهًا إلى البرية وراء نهر الأردن وقال له تلاميذه وكانوا يجلسون حوله: أيها المعلم قص علينا كيف سقط الشيطان بتكبره.. فقد فهمنا أنه سقط بسبب عصيانه أمر الله، ولأنه كان يغرى الإنسان دائمًا على اقتراف الشر.

فأجاب عيسى: لقد خلق الله الأرض ثم تركها ٢٥ ألف سنة، وكان الشيطان تقيًّا ورعًا قسيسًا، وكان يرأس الملائكة، وكان يعلم بفكره العظيم الذى أنعم به عليه الله، أنه سبحانه وتعالى خالق هذه الأرض سوف يأخذ ١٤٤ ألفا وقد طبعهم بطابع النبوة ثم يأخذ رسول الله الذى خلق روحه قبل كل شىء بستين ألف سنة وعلى ذلك كان غاضبًا ساخطًا فأثار الملائكة قائلا انظروا إن الله سوف يريد فى يوم من الأيام أن نبجل هذه الأرض، ولما كنا أرواحًا فلا يصح لنا أن نفعل ذلك.

ولقد نسى كثيرون منهم ربهم، وفى يوم من الأيام جمع سبحانه وتعالى جميع الملائكة وقال لهم «على كل من يقدسنى ويعتقد بألوهيتى أن يبجل هذه الأرض».

ولقد سجد جميع الملائكة الذين يحبون الله إلا إبليس وبعض هؤلاء الذين هم على شاكلته وقالوا سبحانك نحن أرواح، وعليه لا يصح لنا أن نبجل الطين.

ولما قال إبليس قولته، أصبح شكله مخيفًا ومنفرًا، أما من كان على شاكلته فأصبحوا فى أبشع صورة وأقبحها لأنهم عصوا الله، فأزال عنهم مسحة الجمال التى كان قد أنعم عليهم بها عندما خلقهم، وعندما

رفع الملائكة الأبرار رءوسهم رأوا إبليس فى أبشع وأقبح صورة، أما أتباعه فطأطئوا رءوسهم خشية وخزيًا.

وقال إبليس: يارب: لقد حولتنى إلى مخلوق بشع قبيح بدون حق وإنى راض بذلك، لأنى سأعمل على إبطال كل ما تفعله، ورد الشياطين الآخرون: يا إبليس لا تناده «يارب» فأنت أيضًا رب.

ثم قال الله لأتباع إبليس: «توبوا إلىّ وأعلنوا أنى ربكم خالقكم».

فأجابوا: نحن نأسف لسجودنا لك وعبادتنا إياك، فأنت لست بعادل، أما إبليس فهو عادل وبرىء وأنه لسيدنا.

فقال الله سبحانه وتعالى: «اذهبوا عنى، عليكم اللعنة ولن أغفر لكم أو أرحمكم».

وعندما تحرك إبليس مغادرًا الجنة، بصق على الأرض، فقام جبريل برفع بصقته مع بعض التراب، فكان للإنسان علامة سرة فى بطنه.

الإصحاح السادس والثلاثون

ووقف التلاميذ مدهوشين كل الدهشة لثورة الملائكة.

ثم قال عيسى: «الحق أقول لكم إن من يبتعد عن الصلاة أشد كفرًا من إبليس ولسوف يتلقى عقابه وعذابه، لأن إبليس لم يجد قبل أن يسقط سقطته مثلا يخيفه، كما أن الله سبحانه وتعالى لم يرسل إليه رسولا يدعوه إلى الاستغفار، أما الإنسان فقد أرسل إليه الله الأنبياء، ولم يعد غير رسول الله الذى سيأتى بعدى كما أراد الله، والذى أرسلنى لأعبد الطريق أمامه، وأنى أقول إن الإنسان وقد رأى أمثلة لا حصر لها على عدالته سبحانه وتعالى، يعيش وكأنه غير عابئ أو خائف، وكأن الله لا وجود له، أو كما قال الرسول، داود لقد قال الحمقى فى قلوبهم لا يوجد خالق، ومن ثم أصبحوا فاسدين مبغوضين، ولا أحد منهم يفعل الخير.

يا تلاميذى صلوا لله دائمًا حتى يتقبل منكم، فمن جد وجد، ومن طرق الباب انفتح له، ومن سأل أجيب، وفى صلاتكم لا تهتموا كثيرًا بما تتفوهون به، فالله يعلم بالنية التى فى القلب، أو كما قال سليمان: (يا عبدى أعطنى قلبك)، والحق أقول لكم بالله الحى القيوم، إن المنافقين فى كل حى من المدينة يمعنون فى الصلاة حتى يراهم الناس ويضعوهم موضع القديسين، ولكن قلوبهم مفعمة بالشر، وعليه فهم إذا ما تحدثوا لا يقصدون ما يسألون، والواجب أن تعنى بصلاتك وتكون صادقًا فى دعائك إذا أردت الله أن يقبلها، والآن قولوا لى من الذى تجاسر على التحدث إلى الحاكم الرومانى، أو إلى هيرودس، سوى هؤلاء الذين نووا الذهاب إليه، وعزموا على مطالبته بما يريدون؟ وبكل تأكيد إنه لن يفعل شيئًا، وإذا كان الإنسان يسلك هذا السبيل للتحدث إلى إنسان مثله، فما باله إذا ما أراد أن يبتهل إليه سبحانه وتعالى، راجيا رحمته وغفرانه شاكرًا له نعماءه عليه؟

والحق أقول لكم، إن القليلين هم الذين يصلون صلاة صحيحة صادقة، وبالتالى ما كان للشيطان سلطان عليهم، إذ إن الله لا يحب هؤلاء الذين يعبدونه بلسانهم فقط، من ذا الذى يقف فى المعبد دون أن تتحرك شفتاه طالبًا الرحمة وقلبه يطلب العدل؟

أو كما قال أشعيا الرسول (أبعد هؤلاء الناس فهم يضايقوننى لأنهم يعبدوننى بشفاههم، وقلوبهم بعيدة عنى، الحق أقول لكم إن الذى يعبد الله بلا إيمان، إنما يستهزئ بالله.

والآن. من ذا الذى يستطيع الذهاب إلى هيرودس موليًا ظهره له، ثم يتكلم مثنيًا على بيلاطس الحاكم الذى يكرهه حتى الموت؟

بكل تأكيد لا أحد، ومع ذلك فإن الإنسان كثيرًا ما يذهب لأداء الصلاة دون أن يستعد لها، وهو فى هذه الحالة يولى ظهره لله، ووجهه إلى إبليس متحدثًا بأطيب الكلمات عنه، فهو من قلبه يحب التميز والتحزب، وبالتالى لن يغفر له.

إذا ما أصابك أحد بجرح فهل يقول لك شفاهة سامحنى وبيديه يصفعك أو يضربك؟ كيف تسامحه وتغفر له؟. ولكن اعلموا أن الله سبحانه وتعالى واسع الرحمة، حتى بالنسبة لهؤلاء الذين يقولون بشفاههم وليس بقلوبهم (يا رب ارحمنى)، ومن قلوبهم يكرهون العدل ويفكرون فى خطايا جديدة».

الإصحاح السابع والثلاثون

بكى التلاميذ مما سمعوه من كلمات عيسى، وراحوا يسألونه:

يا معلم علمنا كيف نصلى:

قال عيسى: «تصوروا أن الحاكم الرومانى قد ألقى القبض عليكم ليعدمكم، فماذا تفعلون وماذا تقولون فى صلاتكم؟ ولتكن كلماتكم:

(سبحانك يارب الأرباب تقدس اسمك، لقد أتى ملكوتك، ونفذ أمرك، وكما هو نافذ فى السماء نافذ فى الأرض، أعطنا خبز يومنا، واغفر لنا سيئاتنا كما تغفر لمن يسىء إلينا، ولا تجعلنا ضحية إغراء، وأنقذنا من الشر، فأنت إلهنا الوحيد، لك الملك والمجد دائما).

الإصحاح الثامن والثلاثون

فقال: يوحنا، «أيها المعلم فلنغتسل كما أمر الله موسى أن يغتسل..»، قال عيسى: «هل تظنون أننى جئت لأهدم الشريعة والأنبياء؟ الحق أقول لكم باسم الله الحى القيوم أنى لم آت لأدمر، بل لأثبت ما درجنا عليه، فكل نبى قد أتى ليؤكد ويثبت شريعة الله، وكل ما أمر به الله رسله، وبحق الحى القيوم الذى تقف روحى فى حضرته، إن كل من يخالف شريعة الله لا يرضى الله عنه، وإن كل من يدخل الجنة ويبقى فى مملكة الله، هو من لم يخالف الشريعة، وفوق ذلك أقول لكم إنه لا يمكن مخالفة حرف من

الشريعة إلا ارتكب المخالف أعظم الخطايا، ولكنى أحب أن تكونوا حصيفين، وأن تحافظوا – كما يجب – على كل ما قاله الله إلى أشعياء الرسول: (توضأ وكن نظيفًا ولا تفكر فيما تراه عيناك).

والحق أقول لكم، إن جميع مياه البحر لا تكفى لتغسل قلب من لا يحب العدل أضف إلى ذلك أنى أقول لكم، إن الله لا يرضى على من يصلى دون أن يتوضأ، ولن يتقبل الله صلاته، بل سوف تتحمل روحه ثقل خطيئته فهو مثل عبدة الأصنام.

صدقونى إن الإنسان إذا ما صلى لله تعالى كما يجب أن تكون الصلاة، فإن الله يستجيب لكل دعواته، واذكروا موسى عبدالله الذى أساء إلى مصر وحرق أرضها بدعائه، كما شق البحر الأحمر، حيث غرق فرعون وجيشه، واذكروا يوشع، الذى أوقف الشمس فى مكانها، وصمويل، الذى أنزل الرعب بشعب فلسطين وإيليا، الذى جعل النار تسقط كالمطر من السماء واليشع، الذى أحيا الموتى، وغيرهم من الرسل والأنبياء الذين حصلوا على ما يريدون بالصلاة، ولكن هؤلاء الرجال لم يطلبوا نفعًا لأنفسهم، وكل ما طلبوه كان لوجه الله العلى العظيم».

الإصحاح التاسع والثلاثون

ثم قال يوحنا: «حسنًا تحدثت يا معلم، ولكننا نرغب فى أن نعرف كيف كانت خطيئة الإنسان فى كبريائه؟».

فأجاب عيسى: «عندما طرد الله سبحانه وتعالى إبليس من الجنة، وعندما طهر الملاك جبريل بقعة الأرض التى بصق عليها إبليس خلق الله تعالى كل حى من الحيوانات والطيور ومما يسبح فى الماء، ثم أتى الأرض زخرفها بكل ما هى عليه الآن، وفى يوم من الأيام اقترب إبليس من أبواب الجنة ورأى الجياد تأكل العشب، وأشار إليها أن الأرض التى بصق عليها إذا ما أنبتت شيئًا حيًّا، فلسوف يكون ذلك بالنسبة لهم عملا شاقًا، وبالتالى فمن منفعتها وصالحها، أن تدوس عليها وتطأها بشكل لا تصلح معه لشىء فصدقته الجياد، وأخذت تدوس، على هذه القطعة من الأرض التى كانت تقع بين الورد والزنبق، أما الله فقد نفخ فى هذه القطعة من الأرض من روحه وهى القطعة التى بصق عليها إبليس والتى أتى بها جبريل ثم خلق الكلب الذى أخذ يعوى حتى خافت الجياد وهربت، وبعد ذلك نفخ الله من روحه فى الإنسان وكانت الملائكة ترتل قائلة: تبارك اسمك المقدس يا ذا الإجلال والإكرام.

وقفز آدم على قدميه ورأى فى الفضاء كتابة فى سطوع الشمس تقول:

(لا إله إلا الله محمد رسول الله).

ثم فتح آدم فمه وقال: شكرًا لك يارب لأنك خلقتنى، ولكن قل لى سبحانك ما معنى عبارة الرسالة التى تحمل هذه الكلمات (محمد رسول الله) هل كان من قبلى رجال؟.

أجابه الله سبحانه وتعالى: أهلا بك يا عبدى آدم، واعلم أنك أنت أول رجل أخلقه وأن الاسم الذى رأيته هو ولدٌ لك سيأتى إلى العالم بعد سنين عديدة، وسيكون رسولى، ومن أجله خلقت كل شىء

ولسوف يكون نورًا للعالم الذى سأرسله إليه، ولقد كانت روحه فى سناء علوى منذ ستين ألف سنة قبل أن أخلق أى شىء آخر.

واستسمح آدم ربه قائلا: (يا إلٰهى هب لى هذه الكتابة على أظافر أصابع يدى، وعليه منح الله أول رجل هذه الكتابة على الإبهام الأيمن (لا إله إلا الله)، وعلى ظفر الإبهام الأيسر (محمد رسول الله)، فقبل الرجل الأول بحب أبوى هذه الكلمات، ثم دعك عينيه وقال بارك الله اليوم الذى تأتى فيه يا محمد إلى العالم.

وقال الله سبحانه وتعالى بعد أن شاهد الرجل وحيدًا (ليس طيبًا أن يبقى وحيدًا)، فجعله ينام وأخذ ضلعًا قريبًا من قلبه وملأه لحمًا، ومن هذا الضلع خلق حواء، وقدمها لآدم كزوجة له، ونصب كليهما سيدين على الجنة وقال لهما:

إنى أعطيكما كل نوع من الفواكه لتأكلاه فيما عدا التفاح والحنطة، ولتعلما أنكما إذا أكلتما تفاحًا أو حنطة، فلسوف تصبحان غير طاهرين، وبالتالى لن أتحملكما فى الجنة، ولسوف أطردكما فى التو واللحظة، ولسوف تتعذبان عذابًا كبيرًا.

الإصحاح الأربعون

وعندما علم إبليس بذلك استشاط غضبًا واقترب من باب الجنة، وكانت تقف على حراسته حيّة مخيفة لها أرجل جمل وأظافر حادة كالموس فى كل جانب فقال لها إبليس اسمحى لى أن أدخل الجنة.

فأجابت الحية: وكيف أسمح لك بذلك وقد أمرنى الله تعالى بأن أطردك منها فأجاب أبليس: إنك لترين قدر حب الله لك، ألم يضعك خارج الجنة لتحرسى كومة من الطين هى الإنسان؟، فإذا سمحت لى بدخول الجنة، فإنى سوف أجعلك رهيبة مخيفة يهرب كل فرد منك، وبالتالى سوف تذهبين حيثما شئت وتبقين قدر ما شئت.

فأجابت الحية وكيف أدعك تدخل؟

فقال إبليس: إنك لعظيمة افتحى فمك، ولسوف أدخل إلى جوفك فإذا ما دخلت إلى الجنة فضعينى إلى جانب الكومتين من الطين اللتين تسيران منذ قريب على الأرض، وبالفعل فتحت الحية فمها فدخل إبليس فوضعته بالقرب من حواء، فقد كان آدم زوجها نائمًا وقدم إبليس نفسه إلى حواء المرأة وكأنه ملاك جميل، وقال لها: لماذا لا تأكلين من هذا التفاح وذاك القمح؟.

فأجابت حواء إن الله سبحانه وتعالى أمرنا ألا نأكل من التفاح والقمح حتى لا نصبح أنجاسًا، وبالتالى يطردنا من الجنة.

فأجاب إبليس: إنه لم يصدقك القول واعلمى أن الله غيور، وأنه لا يتحمل شركاء له، ويحتفظ بالجميع أرقاء وعبيدًا، وهكذا قال لكما حتى لا تصبحا متساويين معه وإذا ما فعلت وزميلك كما أشرت

عليكما بأن تأكلا من هذه الفاكهة كما يأكل الآخرون ولن تكونى عبدة لأحد، بل تكونين على علم بما هو طيب، وما هو شرف ولسوف تفعلين ما تشائين فأنت والله متعادلان.

وبعد ذلك ذهبت حواء وأكلت من الفاكهة، وعندما استيقظ زوجها سردت له ما قاله إبليس وأخذ من الفاكهة ما قدمته زوجه له وأكله، على أنه تذكر وهو يبتلعه كلمات الله سبحانه وتعالى، فأراد أن يتوقف عن أكله التفاح والحنطة، فوضع يده فى بلعومه فترك أثرا نراه فى كل رجل (تفاحة آدم).

الإصحاح الحادى والأربعون

عرف الاثنان أنهما قد تعريا، فحط عليهما الخزى والعار، وأخذا ورق التين وجعلا يخسفان على عورتيهما، وفى صنع ملابس لتغطية أجزاء جسمهما الخاصة جدا، وبعد ظهر ذلك اليوم ظهر لهما الله سبحانه وتعالى ونادى آدم قائلا: يا آدم أين أنت؟

فأجاب: «يارب إنى أخفى نفسى عنك، فأنا وامرأتى عريانان ونحن فى غاية الخزى أن نتقدم إليك».

فقال الله تعالى: «ومن الذى سرق منكما الطهر والبراءة، لابد أنكما قد أكلتما الفاكهة، وبالتالى أصبحتما غير طاهرين، ولن تمكثا فى الجنة بعد الآن».

فأجاب آدم: «يا سيدى إن المرأة التى أعطيتها لى حملتنى على أن آكلها، وبالتالى أكلت».

فقال الله تعالى للمرأة: «ولأى سبب حملت زوجك على أكل هذا الطعام؟».

فأجابت حواء: «لقد خدعنى إبليس فأكلت منه».

فقال الله: «وكيف تمكن هذا الفاسد الشرير المنبوذ من الدخول إلى الجنة».

فأجابت حواء: «الحية التى كانت تقف على الباب الشمالى أحضرته بالقرب منى».

فقال الله لآدم: «ملعونة الأرض التى نشأت منها، لأنك أصغيت السمع لصوت زوجتك وأكلت الفاكهة، ولسوف تأتى إليك من الآن فصاعدًا بالعوسج الشائك والشوك» وفى تلك البقعة الجميلة من فمك سوف تأكل الخبز، ولكن اذكر أنك من التراب وإلى التراب تعود».

ثم قال لحواء: «وأنت يا من أصغيت لإبليس وأطعمت زوجك سوف تبقين فى مملكة الإنسان الذى يحتفظ بك كعبد، ولسوف تحملين وتعملين وأنت حبلى».

وبعد أن نادى على الحية أمر الله سبحانه وتعالى الملاك ميخائيل حامل السيف وقال له «أولا اطرد هذه الحية اللعينة من الجنة، ثم اقطع أرجلها بمجرد أن تخرج منها، فإذا أرادت أن تسير فعليها أن تجر جسمها على الأرض جرًّا».

وبعد ذلك أمر الله إبليس أن يمثل أمامه فأتى ضاحكًا وقال له الله: «لقد خدعت هؤلاء وجعلتهم أنجاسًا، لأنك منبوذ مطرود، لقد شاءت إرادتى أن من لم يتطهر منهم، ومن لا يتوب ويستغفر من

أولادهم، أن أجعل ما يفرزونه من قذارة وكل جلده نجسة تقطع من أجسامهم تدخل إلى فمك حتى تصبح مفعمًا بالقذارة والنجاسة».

فصاح إبليس صيحة مرعبة وقال: «أردت أن تزيد حالتى سوءًا على أننى سوف أحاول أن أصلح من نفسى ما استطعت».

فقال الله سبحانه وتعالى «اخرج من حضرتى وعليك اللعنة».

ولما ذهب إبليس قال الله لآدم، وحواء وكانا يبكيان: «اهبطا من الجنة واستغفرا، ولكن لا تيأسا من رحمتى، لأنى سأرسل ابنكما فى طريق الحكمة، حتى يرفع سلطان إبليس وسيطرته عن الجنس البشرى، ومن أرسله سيكون رسولى ولسوف أزوده بكل شىء».

ثم اختفى الله وقام الملاك ميخائيل بطردهم من الجنة، وعندما استدار آدم خارجًا وجد على باب الجنة العبارة التالية: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فأخذ يبكى وقال: «يارب إنى أرجو مشيئتك، إنى أطمع أن يأتى ولدى سريعًا فينقذنا من هذا البئوس والعذاب».

وقال عيسى وهكذا كانت خطيئتا إبليس وآدم بسبب تكبرهما فكان الأول يحتقر الإنسان، والثانى يريد أن يجعل من نفسه إلها على قدم المساواة مع الله سبحانه وتعالى.

الإصحاح الثانى والأربعون

وبكى التلاميذ بعد هذه المحاضرة، كذلك بكى عيسى عندما رأى هؤلاء الذين أتوا بحثًا عنه، فقد تشاور رؤساء القساوسة فيما بينهم، كيف يقبضون عليه وهو يخطب، وكانوا قد أرسلوا اللاويين وبعض الكتاب ليسألوه من أنت؟

فأجاب عيسى بصوت عال معترفا «لست المسيح»؟

فقالوا له هل أنت أليشع أو أرميا أو رسولا مثل السابقين..؟

فأجاب عيسى: لا.

ثم قالوا له من أنت؟ قل لنا حتى نقدم شهادتنا لمن أرسلنا.

فقال عيسى: «ما أنا إلا صوت أصيح فوق بطاح يهودا، وممهدًا الطريق لرسول الله كما هو مكتوب فى أشعياء.

فقالوا إذا لم تكن المسيح أو إيليا أو أى رسول، فلماذا تبشر بدين جديد، ولماذا تجعل لنفسك أهمية أكثر من المسيح؟

فأجاب عيسى: إن المعجزات التى يأتيها الله على يدىّ تدل على أننى أتكلم ما أتكلمه بمشيئة الله، والواقع أننى لا أجعل من نفسى على قدر ذلك الذى تتكلمون عنه، فأنا لا أستحق أن أحل أربطة جواربه، أو أربطة حذاء رسول الله الذى تنادونه بالمسيح والذى صنعه الله قبلى، والذى سيأتى بعدى،

ولسوف يأتى بكلمات الحق ولن تكون لدينه نهاية» وعندئذ غادر اللاديون والكتبة الاجتماع، وهم فى اضطراب شديد، وأخذوا يقصون على رؤسائهم من الكهنة ما حدث، فقال القساوسة إن الشيطان فى ظهره يملى عليه كل شىء.

وقال عيسى لتلاميذه:

«الحق أقول لكم، إن رؤساء كهنة القوم يتربصون بى، علهم يجدون فرصة ضدى للإيقاع بى».

فقال له بطرس: «لا تذهب بعد الآن إلى القدس».

فرد عليه عيسى قائلا: «إنك أحمق ولا تعرف ما تقول، فقد كتب علىّ أن ألقى العذاب والاضطهاد، فجميع رسل الله وأوليائه تحملوا العذاب، ولكن لا تخف فلسوف يكون هناك من يقف إلى جانبنا كما يقف آخرون ضدنا».

ولما قال عيسى ذلك، ترك المكان متجهًا إلى جبل طابور، حيث صعد معه الجبل بطرس، وجيمس وأخوه يوحنا وكاتب هذه السطور برنابا ووجدوا دائرة من النور فوقه وتحول الجلباب الذى كان يلبسه إلى البياض وكأنه البردَ، وأخذ وجهه يلمع، وعندئذ أتى موسى، وإيليا وتحدثا إلى عيسى بكل ما سيقع على جنسنا وشعبنا والمدينة المقدسة.

وتحدث (بطرس) قائلا: «يا معلم إن من حسن الطالع أننا هنا، وإذا أردت سوف نبنى هنا ثلاث مظلات، واحدة لك، والثانية لموسى والثالثة لإيليا»، وعندما تحدثوا غطتهم سحابة بيضاء، وسمعوا صوتا يقول: «طوبى لخادمى ولعبدى الذى سررت له فاستمعوا إليه».

وقد نزلت الخشية على التلاميذ فسقطوا على وجههم إلى الأرض، ثم تقدم عيسى ورفعهم واحدًا واحدا، قائلا «لا تخافوا إن الله يحبكم ولقد فعل ذلك حتى تؤمنوا بكلامى».

الإصحاح الثالث والأربعون

نزل عيسى إلى تلاميذه الثمانية الذين كانوا فى انتظاره أسفل الجبل، وراح الأربعة الذين كانوا معه على الجبل يسردون عليهم ما رأوه، وهكذا انصرف ذلك اليوم وليس فى قلوبهم شك فيما عدا يهوذا الأسخريوطى، الذى لم يعتقد فى عيسى. أما عيسى نفسه فقد جلس أسفل الجبل وراح يأكل مع تلاميذه الفاكهة البرية، فلم يكن معهم يومئذ خبز.

ثم قال أندراوس «لقد قصصت علينا الكثير من أمر المسيح، ونحن نستميحك أن تسرد علينا كل شىء»، وبنفس التضرع طلب التلاميذ الآخرون نفس الشىء وعليه قال عيسى «كل من يعمل لغرض فيه راحته ومنفعته، ولكنى أقول لكم إن الله وهو الكامل الحق لا يحتاج إلى منفعة، ولا راحة، فهو يملك هذا الشعور بالرضا والراحة والمنفعة، وهكذا رغب فى أن يعمل، فخلق قبل كل شىء روح رسوله الذى من أجله أراد أن يخلق كل شىء، حتى تجد هذه المخلوقات البشرى والبركة، وأن تشكر

الله، وبالتالى يفرح رسوله بهذه المخلوقات، لأنها تشكر الله الذى جعلها عبيدا له وبالفعل حدث ذلك وكانت إرادة الله هى العليا.

والحق أقول لكم، إن كل نبى يأتى، إنما يأتى لأمة من الأمم رحمة من الله ولا تنصرف كلماته إلا للشعب الذى أرسل إليه، ولكن عندما يأتى رسول الله فإنه يأتى، وقد تلقى منه سبحانه وتعالى خاتم يده - يأتى رسولا ومخلصا ورحمة لشعوب العالم أجمع التى تتلقى رسالته، ولسوف يكون له سلطة وسلطان على كل من يكفر ويضل، ولسوف يدمر الأوثان، والأصنام حتى يجعل إبليس يلزم حدوده، كما وعد الله سبحانه وتعالى إبراهيم عندما قال: (ولتعلم أننى من ذريتك أبارك جميع قبائل الأرض وكما تحطم الأوثان إلى قطع صغيرة، ستفعل ذريتك نفس الشىء يا إبراهيم».

فقال جيمس: «يامعلم ولمن أعطى الله هذا الوعد، فاليهود يقولون إنه أعطاه لإسحاق والإسماعيليون يقولون إنه أعطاه لإسماعيل؟».

فرد عيسى: «من هو أبو داوود وما قرابته؟».

فأجاب جيمس JAMES: كان إسحاق أبا يعقوب، ويعقوب أبا يهوذا الذى ينتمى إليه داوود».

ثم قال عيسى: وعندما يأتى رسول الله فإلى من ينتمى؟

فرد التلاميذ قائلين: إلى داوود.

قال عيسى: «هكذا خانتكم الذاكرة، إذ أن داوود يقول له من الناحية الروحية يا معلم، ألم يقل (لقد قال الله لسيدى أجلس أنت على يمينى، حتى اجعل من أعدائك مداسا تضع عليهم قدميك، ثم يرسل الله مباشرة صولجانك، فتكون لك الامامة فى وسط أعدائك، فإذا كان رسول الله الذى تلقبونه بالمسيح ابنا لداوود فكيف يتأتى لداوود أن يناديه بسيدى، وصدقونى إذ أقول لكم الحق، إن وعد الله كان لإسماعيل وليس لإسحاق.

الإصحاح الرابع والأربعون

حينئذ قال التلاميذ «يامعلم إنه مكتوب بوضوح فى أسفار موسى أن الوعد كان لإسحاق».

فرد عيسى متأوها: «نعم إنه مكتوب هكذا، ولكن موسى لم يكتبه ولا يسوع، ولكن الذى كتبه هم أحبارنا الذين لا يخافون الله، والحق أقول لكم، إنكم إذا ما تذكرتم كلمات الملاك جبريل، سوف تكتشفون حقد كتابنا وشيوخنا، إذا قال الملاك جبريل، يا إبراهيم سيعرف العالم طرا قدر حب الله لك، ولكن كيف يعلم العالم قدر حبك لله تعالى؟ بكل تأكيد يجب أن تفعل شيئًا لتبرهن على محبتك لله.

فأجاب إبراهيم: (إنى عبد الله على استعداد لأن افعل أى شىء يريده الله تعالى)، ثم تحدث الله قائلا لإبراهيم: خذ ولدك البكر إسماعيل واصعد به الجبل لتضحى به من أجلى «هل كان إسحاق ولده البكر، وألم يكن إسماعيل عندما ولد (إسحاق) قد بلغ سبع سنوات؟)».

وقال التلاميذ: «إن المغالطة التى أتاها حكماؤنا واضحة قل لنا الحقيقة لأننا نعلم أن الله أرسلك».

أجاب عيسى قائلا: «الحق أقول لكم، إن إبليس يحاول أن يلغى حكم الله، وهو وأتباعه منافقون يأتون الشر ويقترفون الخطيئة، مدعين أنهم عند حد شرع الله وإن شرعهم كاذب مزيف، وأما عن اقترافهم الخطيئة فهم فاسدون ظالمون، لقد لوثوا كل شىء تقريبا، وحرفوا الكلم، وويل لهم ثم ويل للمنافقين، فلسوف تنقلب عبارات المديح والشكر عليهم نقمة، ولسوف يعذبون فى النار.

وعلى ذلك أقول لكم أن رسول الله هو النور الذى يضفى سناه على كل ما خلق الله فقد أنعم الله عليه بالفهم والمشورة الحسنة وبالحكمة والقوة. بالخوف والحب، وبالفطنة والعفة، وبالاعتدال وضبط النفس أنعم عليه الله بالرغبة فى الاحسان والرحمة، وبالعدل والشفقة والرأفة، والصبر والاحتمال، لقد أنعم الله عليه بكل ذلك ثلاثة أضعاف ما أنعم به على كل مخلوقاته، وبارك الله ذلك الزمن الذى يأتى فيه إلى هذا العالم، وصدقونى عندما أقول لكم إنى رأيته وقدمت له كل احترام وإجلال، كما رآه كل نبى، وقد أنعم عليه بالنبوة لمكارم أخلاقه، وعندما رأيته امتلأت روحى بالرضا والارتياح، وقلت يا محمد الله معك، ويا ليت الله يجعلنى أستأهل فك رباط نعلك، وهو شرف إذا حصلت عليه أكون نبيا عظيما، وأكون وليا من أولياء الله، ولما قال ذلك أخذ عيسى يشكر ربه».

الإصحاح الخامس والأربعون

ثم نزل جبريل على عيسى وتحدث إليه بصوت مسموع، حتى إننا سمعناه وهو يقول: «انهض واذهب إلى القدس».

وبالفعل نهض عيسى واتجه إلى القدس، وفى يوم السبت دخل المعبد وبدأ يعلم، وراح الناس يهرعون جماعات إلى المعبد ومعهم كبار الكهنة، والكهنة، ولما اقتربوا منه قالوا: «يا معلم، لقد قيل لنا أنك تحدثت عنا شرا فاحترس حتى لا ينزل بك الشر».

فأجاب عيسى: الحق أقول لكم، إننى تحدثت شرا عن المنافقين، فهل أنتم منافقون، فإذا كنتم فإنى أكون قد تحدثت عنكم».

فأجابوا: «ومن هو المنافق؟ اشرح لنا بوضوح».

قال عيسى: الحق أقول لكم، المنافق هو الذى يفعل خيرا ليراه الناس وليس من قلبه، فعمله لا يدخل القلب الذى لا يراه الناس، وبالتالى يترك فيهم كل فكر سيىء، وكل شهوة سيئة، هل عرفتم المنافق. هو الذى يدعو لله بلسانه ويعالئ الناس من قلبه، أيها الرجل الشقى المسكين تنبه، فبالموت تفقد حسناتك وثوابك، وقد قال النبى داوود، (لا تضعوا ثقتكم فى الأمراء، أو فى أولاد الرجال الذين لا خلاق لهم، فإذا ماتوا هلكت أفكارهم، وهم قبل موتهم يحرمون من الثواب)، أو كما قال أيوب نبى الله، (الإنسان متقلب وهو لا يستمر فى حال واحدة، وإذا ما أثنى عليك اليوم، ذمك فى غده وإذا كافأك اليوم، عمل على الإساءة إليك غدا، ويل للمنافقين، فأعمالهم هباء، وإنى أقسم بالله الحى القيوم

الذى أقف فى حضرته أن المنافق سارق ينتهك حرمة المعابد ويدنسها، بقدر ما يستخدم الشريعة ليظهر بمظهر الخير فهو يسرق الشرف والكرم الذى رسمه الله، وله وحده الحمد والمجد أبد الآبدين).

وإنى أزيد على ذلك فأقول لكم إن المنافق لا دين له فهو يعتقد بأن الله إن كان يرى كل شىء ويعاقب المخطئين الآثمين عقابا شديدا، لطهر قلبه ولكنه لا يفعل ذلك لأنه غير مؤمن به، كما أنه لا يعتقد فى العدالة، والحق أقول لكم، إن المنافق كالقبر الأبيض من الخارج، ولكنه من الداخل ملىء بالفساد والديدان وعليه اخدموا الله أيها القساوسة، لأن الله خلقكم وطلب إليكم عبادته، وإنى لا أتحدث ضدكم لأنكم تعبدون الله، ولكنكم إذا عبدتموه من أجل منفعة بأن تبيعوا وتشتروا فى المعبد كما لو كنتم فى السوق، وبدون أى احترام أو اعتبار لمعبد الله وهو بيت العبادة والصلاة، وليس مخزن بضائع، وقد حولتموه إلى كهف يمرح فيه اللصوص، فإذا فعلتم ذلك مرضاة للبشر، ونسيتم الله، فإنى أصيح فى وجوهكم إنكم أبناء الشيطان ولستم أبناء إبراهيم الذى ترك منزل أبيه حبا فى الله، والذى أوشك أن يذبح ابنه ضحية وتقربا لله، اللعنة عليكم يا قساوسة ويا حكماء، إذا ما كنتم هكذا، فالله سوف يحرمكم من فردوسه».

الإصحاح السادس والأربعون

وتحدث عيسى قائلا: «سأضرب لكم مثلا، كان هناك رب عائلة قد غرس حديقة من الأعناب، وجعل حولها سورًا لا تدوسها الحيوانات، ثم بنى فى وسطها معصرة للعنب (للنبيذ)، ثم أعلن أمرها للكرامين، وعندما حان الوقت لجمع النبيذ أرسل خدمه ليأتوا بهم، ولكن عندما رأى الكّرامون خدمه، رجموا بعضهم واعتدوا على البعض الآخر بالمدى، وفعلوا ذلك عدة مرات ثم تساءل قائلا: «اذكروا لى ما الذى يجب على صاحب بستان النبيذ أن يفعله مع الكرامين؟.

فرد عليه الجميع قائلين: (يجب أن يقابل شرورهم بمثلها فيحطمهم ويعطى البستان لغيرهم من الكرّامين (العصّارين).

فقال (عيسى): «وإذا كان البستان هو بيت إسرائيل والعصارون شعب يهودا، والكرمة هى القدس، ويل لكم إن الله مغيظ منكم، حانق عليكم، فقد قتلتم الكثير من رسله، حتى لم يوجد أيام أحاب أحد ليدفن أولياء الله».

وعندما قال عيسى ذلك أراد الكهنة أن يقبضوا عليه، ولكنهم خافوا الشعب الذى أخذ يعظمه.

وفى هذه اللحظة وقع بصر (عيسى) على امرأة تدلى برأسها إلى الأرض منذ ولادتها فقال: ارفعى رأسك أيتها السيدة باسم الله خالقنا ولتكن هذه الآية علامة على أنى أتحدث صدقًا وأن ما أعلنه هو من عند الله».

فرفعت المرأة رأسها وأخذت تعظم الله وتحمده.

وصاح كبير الكهنة قائلا: «إن الله لم يرسل هذا الرجل، فهو لا يحترم السبت إذ أبرأ اليوم شخصًا ذا عاهة».

فرد عيسى قائلا: قولوا لى أليس من الشرع أن نتحدث فى يوم السبت، وأن نصلى لخلاص الآخرين، ومن منكم إذا وقع حماره أو ثوره فى حفرة يوم السبت فهل يترك حيوانه لأن اليوم يوم سبت؟ بطبيعة الحال لن يترك أحد حيوانه، وهل أكون قد ثلمت السبت إن أبرأت بنتا من بنات إسرائيل؟ بكل تأكيد يظهر هنا نفاقكم، وكم منكم فى هذا اليوم يخاف أن تدخل قشة فى عين غيره، بينما يوجد عرق من الخشب يوشك أن يشج رأسه، ما أكثراالذين يخافون نملة ولا يبالون بالفيل؟»

وما أن قال ذلك حتى خرج من المعبد، وأخذ الكهنة يحتدمون غيظًا فيما بينهم لأنهم لم يستطيعوا القبض عليه، وينالوا منه، ويفرضوا إرادتهم عليه، كما فرض آباؤهم إرادتهم على أولياء الله.

الإصحاح السابع والأربعون

وفى السنة الثانية من رسالته ذهب عيسى إلى نايين، وعندما اقترب من باب المدينة ، وجد أهلها يحملون إلى مدافنها ولدًا كان وحيد أمه الأرملة، وكان الجميع يبكون عليه، وعندما هل عيسى، أدرك الناس أن رسول الجليل قد أتى، واستعدوا لملاقاته من أجل الميت، فقد يستطيع إحياءه فهو رسول الله، كذلك فكر تلاميذه وقال: «خذنى يارب من هذا العالم المجنون، فلسوف يطلقون علىّ اسم الرب» وأخذ يبكى.

ثم أتى جبريل وقال له «ياعيسى لا تخف إن الله قد أعطاك سلطة وسلطانًا على كل ذى عاهة، وكل ما تفعله سيكون بإذن الله تعالى، وسوف يتم بأمره وتنهد عيسى وقال: «ولتكن إرادتك أيها العزيز الجبار الرحمن الرحيم».

وبعد أن قال ذلك اقترب من أم المتوفى وقال لها فى حنان وشفقة:

«أيتها المرأة لا تبك، وأمسك بيد الميت وقال: «إنى أقول لك أيها الفتى انهض بريئًا من كل علة باسمه تعالى».

وبالفعل نهض الشاب وقد غمر الخوف قلوب الناس وقال: «إن الله قد خلق فيما بيننا رسولا عظيمًا جاء يزور شعبه».

الإصحاح الثامن والأربعون

وفى ذلك الوقت كانت يهودا محتلة بجيوش الرومان، وكانت بلادنا خاضعة لهم بسبب خطايا آبائنا، وكان من عادات الرومان أن يطلقوا على كل من يفعل شيئًا فيه فائدة للشعب إلها ويعبدونه.

وبالتالى لما وجد بعض الجنود أنفسهم فى نايين راحوا ينادون فى الناس واحدًا تلو الآخر قائلين لقد

زاركم أحد آلهتكم، ثم لا تكترثون فنحن إذا زارتنا آلهتنا أعطيناها كل شيء نملكه، وهكذا ترون كم نحترم آلهتنا حتى إننا نتنازل عن أحسن ما لدينا من أجل صورتها أو تماثيلها، وراح الشيطان يوسوس لأهل المدينة بمثل هذا القول، حتى أثار الكثير من الغواية والفتنة فى نابين، على أن عيسى لم يتمهل فى نابين، فتركها إلى كفر ناحوم، وقد حلت أمارات الشقاق بها حتى أن بعضهم راح يقول إن إلهنا هو الذى زارنا، وراح غيرهم يقول إننا لم نر الله ولم يستطع أحد رؤيته حتى موسى عبده وخادمه، ومن ثم فهو ليس الله، ولكنه ابنه، وقال آخرون، إنه لم يكن الله. ولا ابن الله، فليس لله جسم حتى يكون له ولد، ولكنه رسول عظيم أرسله الله.. وهكذا راح الشيطان يوسوس لهم حتى السنة الثالثة من رسالة عيسى بأن عيسى سيجلب عليهم خرابًا كبيرًا.

وذهب عيسى إلى كفر ناحوم، حيث اجتمع الشعب بمجرد أن عرفوه وجمعوا له المرضى، ووضعوهم فى رواق المنزل، حيث كان ينزل عيسى وتلاميذه ثم نادوا علَى عيسى وحاصروه من كل ناحية راجين منه أن يشفى المرضى، فما كان من عيسى إلّا إن وضع يديه على كل مريض وقال «يا إله إسرائيل باسمك القدسى امنح هذا الرجل المريض الشفاء» وهكذا برئ كل مريض.

وفى يوم السبت دخل عيسى الكنيسة وهرع الناس ليستمعوا إليه.

الإصحاح التاسع والأربعون

وفى هذا اليوم قام الكتبة بقراءة مزمور داوود حيث قال داوود: «وعندما أجد الوقت أقضى بالعدل» وقام عيسى بعد قراءة المزمور وأشار للجموع بيديه أن تسكت ثم بدأ يتكلم قائلا: «أيها الاخوة، لقد استمعتم إلى الكلمات التى تكلم بها داوود الرسول أبونا، إذا وجد الوقت سيحكم بالعدل. وإنى أقول لكم الحق، إن كثيرًا من القضاة يخطئون فى أحكامهم لا لشىء إلّا لأن العدل ليس من شيمتهم، فالعدل إذا كان من طبيعتهم، فإنهم يحكمون قبل فوات الوقت، ويهيب بنا الله إله آبائنا عن طريق النبى (داوود) «أيها القضاة اقضوا بالعدل، ياأبناء الإنسان» ويا لبؤس هؤلاء الذين ينصبون أنفسهم على نواصىّ الشوارع، ثم يحكمون على هؤلاء الذين يمرون بهم فيقولون، هذا رجل لا بأس به، وذلك قبيح، وهذا طيب، وذلك خبيث. اللعنة عليهم لأنهم يرفعون صولجان العدالة من يد الله الذى قال «إنى أرى وأحكم، ولن أتنازل عن شرف القضاء». والحق أقول لكم، إن هؤلاء يشهدون بما لم يروه، وبما لم يسمعوه، ويحكمون على الناس وهم ليسوا قضاة معترفًا بهم، ومن ثم هل هم فى نظره سبحانه وتعالى أصحاب خطيئة فيحكم عليهم حكمًا قاسيًا فى اليوم الآخر، ويل لكم ويل لهؤلاء الذين يتحدثون بالحسنى عن الشر، ويغيرون الأشياء فيسمون الشر خيرًا فلسوف يلعنون أمام الله ذى الإحسان صاحب الخير، فهم الذين يضفون على الشيطان الخير، وهو أصل كل بلاء، تفكروا فى العقوبة التى ستنزل بكم، وتفكروا فى يوم الحساب ولسوف يكون عسيرًا، خاصة هؤلاء الذين يبررون الخطيئة ويجيزونها فى مقابل بعض المال.. لا تحكموا على قضايا اليتامى والأرامل. الحق أقول لكم، إن الشياطين لترتعد إذا ما كان لها أن تحكم، فالقضاء أمر جلل، والإنسان الذى يتولى القضاء لن يتأثر

بأى شىء، لا بالغواية، ولا بالصداقة، لا بالشرف، ولا بالربح، إنما عليه أن ينظر فقط وفى خوف شديد نحو الله، بحثًا عن الحقيقة التى يسعى إليها فى كثير من الإجهاد والكد، والمثابرة، فالحقيقة هى التى تؤمنكم يوم الحساب ولكنى أحذركم أن القضاء دون رحمة يجعل صاحبه عرضة للحكم عليه دون رحمة».

الإصحاح الخمسون

قل لى أيها الإنسان يا من تحكم على غيرك من البشر، ألا تعلم أن جميع البشر أصلهم من نفس الطينة، ألا تعلم أنه لا يوجد أحد صالح إلا سبحانه وتعالى وحده. وما من رجل إلا كذب وأتى الخطيئة صدقونى أيها الرجال، إنكم إذا ما حكمتم على الآخرين لخطيئة أتوها، فسوف يحكم الله على ضمائركم وما فيها من خطايا، إنها لمخاطرة أن تحكم، فكم من رجل قد هلك لحكم غير عادل أصدره. لقد حكم الشيطان على الإنسان بأنه خسيس ووغد ومفسد فى الأرض، وبالتالى ثار على ربه خالقه، لقد كان عجولا. وقد عرفت ذلك عندما تحدثت إليه، لقد ظن أبوانا الأولان حديث الشيطان حسنًا فكانت النتيجة أنهما أخرجا من الجنة وحلت اللعنة بذريتهم. والحق أقول لكم وبالله الحى القيوم الذى أقف فى حضرته، إن الحكم الجائر هو أصل كل خطيئة، فالإنسان يخطئ بإرادته وإرادته تقوم على أشياء يعرفها، ويل للمخطئين الذين يحكمون على الخطيئة بأنها عمل صالح، وعلى العمل الطيب بأنه باطل وفاسد، وعلى هذا الأساس يرفضون الخير ويختارون الخطيئة، إن هذا الإنسان سيناله عقاب صارم يوم الحساب، وكم من شخص هلك لأنه أصدر حكمًا كاذبًا أو ملفقًا، لقد حكم فرعون على موسى وأهل إسرائيل بأنهم ملحدون كفرة، وحكم شاول علَى داوود بأنه يستحق الموت، كذلك حكم آهاب علَى إيليا ونبختنصر على الأطفال الثلاثة الذين رفضوا أن يعبدوا آلهته الزائفة، لقد حكم الشيخان على SUEAMNA وحكم الرؤساء من عبدة الأصنام على الأنبياء ما أجل قضاء الله يقوم بالحق ويقضى على القاضى ويبرأ المحكموم عليه. أيها الإنسان أين هذا كله ولماذا التسرع من جانب القضاة؟ فهو يؤدى إلى إصدار حكم خاطئ على الأبرياء، لقد أوشك الصالحون أن يهلكوا لأنهم حكموا باطلا، وهذا يتضح من قصة يوسف وإخوته الذين باعوه إلى المصريين. أو من قصة هارون ، ومريم شقيقة موسى، اللذين حكما علَى أخيهما، أو قصة أصدقاء أيوب الثلاثة الذين حكموا ظلمًا علَى أيوب البرىء وهو حبيب الله. لقد حكم داوود علَى مغيبو شت، وأوريا، وحكم كورش على دانيال، بأن يكون طعامًا للأسود وكثيرون أوشكوا على الهلاك ظلمًا بسبب قضاء ظالم، أقول لكم لا تحكموا على أحد حتى لا يحكم عليكم أحد. وما إن انتهى عيسى من خطابه حتّى تحول الكثيرون طالبين العفو والمغفرة يبكون على خطاياهم، وهم مشتاقون للذهاب معه تاركين كل شىء. ولكن عيسى قال لهم ابقوا فى بيوتكم واغفروا خطايا غيركم، واعبدوا الله من قلوبكم، خاشعين ، وهكذا سوف يخلصكم الله، فأنا لم آت لأخدم بل لأخدم.

وما أن قال عيسى هذا حتى ترك الكنيسة والمدينة وذهب إلى الصحراء ليصلى، فقد كان يحب العزلة.

الإصحاح الحادى والخمسون

وبعد أن فرغ عيسى من الصلاة لله، أتى إليه تلاميذه، وقالوا له: «يا معلم، هناك أمران نود معرفتهما، الأول: كيف تحدثت إلى إبليس والذى تقول عنه إنه غليظ القلب لا يتوب. والأمر الثانى: على أية صورة سيكون عليها الله فى يوم الحساب».

فقال عيسى: «الحق أقول لكم، إننى أرأف بحال إبليس وقد عرفت سقطته، كما أرأف بالبشر الذين يحاول استدراجهم إلى الخطيئة، وعلى ذلك صليت لله تعالى وصُمت له، وقد حدثنى عن طريق الملاك جبريل:

«ما الذى تسعى إليه يا عيسى وماذا تسأل؟».

فأجبت: إنك أعلم يا ربى بما سببه إبليس من شر، وكم أهلك من بشر، نتيجة غوايته، ولكنه مخلوق من مخلوقاتك التى صنعتها، وإنى أسألك الرحمة به.

فأجاب الله سبحانه وتعالى: «يا عيسى من أجلك سأعفو عنه على أن يقول (ربى إلهى لقد أخطأت اغفر لى)، ولسوف أعفو عنه وأنزله منزلته الأولى».

وقال عيسى: ولقد فرحت لذلك فرحًا شديدًا معتقدًا أننى قد سعيت من أجل السلام فناديت إبليس، ولما أتى قال لى يا عيسى ماذا تريد فأجبته: إن ما سوف تفعله فلنفسك يا إبليس، أما أنا فلست من طالبى خدماتك، ولكن دعوتك لمنفعتك.

فرد إبليس: إذا كنت راغبًا عن خدماتى، فإنى راغب عن خدماتك، لأنى أنبل منك، وعليه فإنك لا تستحق أن تكون خادمًا لى، فأنت من طين وأنا روح».

قلت له لندع هذا الأمر، ولكن أخبرنى أليس من الأفضل أن تعود إلى جمالك الأصلى ومنزلتك الأولى، ولابد أنك تعلم أن الملاك ميخائيل سوف يضربك فى يوم الحساب بسيف الله ١٠٠ ألف ضربة، وكل ضربة تنزل بك ألمًا يعادل ألم جهنم عشر مرات، فأجاب إبليس: أنظرنى إلى ذلك اليوم، فلسوف ترى من يفعل أكثر، ولسوف يكون إلى جانبى عدد كبير من الملائكة، والكثيرون من الملحدين أصحاب القوى، ولسوف يثيرون المشاكل لله، وعندئذ سوف يعرف خطأه الكبير عند طردنى من أجل قطعة من الطين خسيسة، فقلت: يا إبليس إنك عاجز التفكير ولا تدرك ما تقول. وعندئذ هز إبليس رأسه فى ضيق وقال: تعالى ولنتصالح أنا والله، وعليك أن تقول يا عيسى ما يجب على أن أفعله فتفكيرك سليم.

فأجبت: الأمر يحتاج إلى كلمتين فقط تنطق بهما، فأجاب إبليس: وما هما فأجبته: هما «لقد أخطأت والعفو أطلبه منك يارب».

فقال إبليس: أعلم، إننى على استعداد للمصالحة إذا ماقال الله هذه الكلمات، فقلت: انصرف عنى أيها اللعين، فأنت أصل الظلم والخطيئة والله هو العادل المنزه عن الخطأ.

وانصرف إبليس وهو يصرخ ويقول: الأمر ليس كذلك يا (عيسى)، إنك تكذب لكى ترضى الله.
وقال عيسى لتلاميذه: والآن تفكروا كيف ستنزل الرحمة على إبليس.
فأجابه التلاميذ: أبدًا يا معلم لأنه مخطئ ولا توبة له ونرجو أن تحدثنا الآن عن يوم الحساب.

الإصحاح الثانى والخمسون

يوم الحساب هو يوم مخيف والحق أقول لكم، إنه أخف على المذنبين أن يدخلوا عشرة أمثال جهنم، على أن يسمعوا الله وهو يتكلم ضدهم غاضبًا، ولسوف تشهد عليهم كل مخلوقات الله، والحق أقول لكم إن الأشرار ليسوا وحدهم من يخافون هذا اليوم، بل سيخافه أيضًا القديسون، بل كل من اختارهم الله واصطفاهم، حتى إبراهيم سوف يشك فى عدالته والتزامه الطريق الصحيح، كذلك أيوب سوف يفقد ثقته فى براءته، وإنى أقول لكم حتى رسول الله سيتملكه الخوف، فالله فى هذا اليوم يحرم رسوله من ذاكرته فيفقدها، كما يفقد كل ما أنعم الله به عليه، وهكذا تظهر عظمته وجلاله، والحق أقول لكم، إنى أرتجف، وإنى أقول لكم ذلك من قلبى، لأنه سوف يتعين علىّ أن أقدم تقريرًا عن من وصفنى بالألوهية، واعلموا أننى بشر سأفنى فى يوم من الأيام كما يفنى البشر، رغم أن الله قد وضعنى فى مرتبة الرسل على بيت إسرائيل، حتى أشفى المرضى وأمنح القوة للضعفاء، وأصحح طريق الخاطئين، إننى خادم الله وعبده، واشهدوا علىّ بذلك، وإنى أتحدث عن هؤلاء الأشرار من الرجال الذين يطمسون الحق حق إنجيلى نتيجة وسوسة إبليس بعد انتقالى من هذه الدنيا، ولكنى سأعود مرة أخرى وقد أوشكت النهاية، وسيأتى معى أخنوخ، وإيليا، ولسوف نشهد ضد المخطئين المذنبين الذين ختم على آخرتهم باللعنة، وما إن تحدث عيسى حديثه حتى انهمرت دموعه، وأخذ تلاميذه يبكون بصوت مرتفع، ويقولون العفو يارب وارحم خادمك البرئ فأمن عيسى على كلامهم.

الإصحاح الثالث والخمسون

قال عيسى: «وقبل أن يأتى ذلك اليوم سيشهد العالم خرابًا عظيمًا، فلسوف تقوم حرب لا تبقى ولا تذر، يقتل الآباء أبناءهم دون رحمة أو شفقة، ويقتل الأبناء آباءهم بسبب التعصب، ولسوف تهدم المدن وتصبح البلاد بلقعًا، وهذا الخراب والدمار عندما يأتى لن يكون هناك من البشر من يحمل الموتى إلى مقابرهم، فتترك جثثهم فى العراء غذاءً للوحوش، ولسوف يكون كل شىء نادرًا، ويعلو ثمن الخبز على الذهب بالنسبة لهؤلاء الذين سيبقون على الأرض، وسوف يأكلون كل ماهو بخس إنه لعصر بائس، فيه كل شئ نادر يا لشقاء الناس الذين لا يقول واحد منهم لقد أخطأت ارحمنى يا إلـهى وبأصوات محشرجة مخيفة يعلنون تجديفهم بمن له المجد الذى تبارك اسمه إلى الأبد، وبعد هذا وعند انتهاء هذا اليوم، ولمدة خمسة عشر يومًا، تظهر علامة مخيفة فوق رءوس ساكنى هذه الأرض، ففى اليوم الأول، ستشرق الشمس وتسير دورتها فى السماء ولكن بلا ضوء وفى ظلمـات كأنها ظلمـات ثوب

مصبوغ، تسمع تنهدات وأنين كتنهدات وأنين أب يرى ابنه فى سكرات الموت، وفى اليوم الثانى، يتحول القمر إلى دماء، فتسقط على الأرض سقوط الطل أو الندى وفى اليوم الثالث، ترى النجوم وكأنها تتصارع بعضها مع بعض كجيوش الأعداء، وفى اليوم الرابع، تتصادم الأحجار بعضها ببعض وكأنها الجيوش المتقاتلة، وفى اليوم الخامس، تبكى الأشجار والحشائش دمًا، وفى اليوم السادس، ترتفع مياه البحر دون أن تفقد مكانها ١٥٠ ذراعًا، وتبقى على هذا الحال طول اليوم كحائط مسدود، وفى اليوم السابع، تنخفض المياه وتغيض حتى تصعب رؤيتها، وفى اليوم الثامن، تجتمع الطيور وحيوانات الأرض والسماء معًا، ولها خوار وصراخ، وفى اليوم التاسع، تهب عاصفة من البرد فتقضى على الحيـاة حتى لا ينجو ممن على الأرض غير العُشر، وفى اليوم العاشر، يأتى برق مخيف ورعد فيهوى ثلث الجبال وقد انشطرت، وفى اليوم الحادى عشر، تسير المياه فى الأنهار عكس مجراها، ويحل الدم محل المياه، وفى اليوم الثانى عشر تئن المخلوقات وتصرخ وفى اليوم الثالث عشر، تنفتح السماء كالكتاب ويخرج منها اللهب والنار وكأنها الأمطار، فلا يبقى هناك أى كائن حى، وفى اليوم الرابع عشر، يقوم زلزال مفزع مخيف تتطاير معه رءوس الجبال وكأنها الطير فى الهواء وتصبح الأرض كلها سهلاً منبطحًا، وفى اليوم الخامس عشر، تموت الملائكة ولا يبقى غير ربك ذى الجلال والإكرام».

وبعد أن قال عيسى ذلك راح يلطم على وجهه بيديه ويضرب الأرض، ثم يرفع قامته ويقول: «ملعون ذلك الذى يضع من بين أقوالى أننى ابن الله»

وعندئذ انكفأ التلاميذ وكأنهم موتى، وراح عيسى يرفعهم واحداً واحدًا قائلاً: «فلتخف الله الآن إذا منَّ علينا ألّا نخاف فى ذلك اليوم».

الإصحاح الرابع والخمسون

فمتى مرت هذه العلامات تغشى العالم كله ظلمة لمدة أربعين سنة، ويموت كل شىء فيما عدا الله له الجلال والمجد، ومتى مرت السنة الأربعون، تدب الحياة بأمر ربها فى رسوله، فيقوم مرة أخرى وكأنه الشمس، ولكنه أسطع من ألف شمس، ويجلس دون أن يتكلم وكأنه فى ذهول، وإلى جانبه يبعث الله الحياة فى الملائكة الأربعة الذين يعتز بهم، ويأخذ كل ملاك مكانه فى الجهات الأربعة ويتخذ كل ملاك مكانه فى جهة من الجهات الأربعة حوله يحرسونه، وبعد ذلك يبعث الله الحياة فى جميع الملائكة فتأتى سراعًا وتطوف حول رسول الله، ثم تدب الحياة فى جميع الرسل الذين اتبعوا آدم ويتقدمون لتقبيل يد الرسول ويحلفون أن يحرسوه، وبعد ذلك تدب الحياة فى الصفوة المختارة، فيصيحون: يا محمد اذكرنا، وما إن يسمع الرسول صياحهم حتى تمتلكه الرأفة ويقرر ما يفعل من أجل خلاصهم، وبعد ذلك تدب الحياة فى جميع الأشرار، وما إن يبعثوا حتى ينزل الخوف على مخلوقات الله، لما يتميز به هؤلاء الأشرار من قبح وبشاعة صورة، ويقولون فلتدركنا رحمتك أيها الرب، أيها الإله).

وبعد ذلك يجىء الله بإبليس وقد لبس أبشع صورة، حتى إن جميع مخلوقات الله تبدو وكأنها ترى الموت من بشاعته، ويقول المسيح: أرجو الله ألا أرى هذا الهول فى هذا اليوم إذ ليس هناك غير رسول

الله وحده لا يهاب بشاعته فهو لا يخاف شيئًا غير الله سبحانه وتعالى.

وبعد ذلك ينفخ الملاك فى النفير، فتبعث جميع المخلوقات ويقول لهم:

«أقبلوا أيها المخلوقات لحسابكم، اعلموا أن خالقكم يريد أن يحاكمكم، وبعد ذلك يظهر فى وسط السماء فوق وادى يهوا شافاط عرش تسطع فوقه سحابة من نور أبيض، ومن حوله الملائكة تصيح بوركت يا إلهنا يا من خلقتنا، ويا من أنقذتنا من الوقوع فى شرك إبليس، أما رسول الله فيدرك أنه أحب الله حبًّا لم يحبه أحد غيره، فمن يستبدل من الصراف قطعة من الذهب، يجب أن يعطيه ستين فلسًا، أما إذاكان لديه فلس واحد، فلا يستطيع استبداله وإذا كان رسول الله يخشى الله وهو يحبه هذا الحب، فما بال الفجار والملوثين شرًّا.

الإصحاح الخامس والخمسون

ويذهب رسول الله ويجمع الرسل ويدعوهم إلى الذهاب جميعًا معه ليعبدوا الله وليصلوا له من أجل المؤمنين، فيحاول كل منهم أن يعتذر خوفًا، ويقول لا ولن أذهب بحياة الله سبحانه فأنا أعلم ما أعلمه، وعندما يرى الله سبحانه وتعالى هذا كله، يذكر رسوله بأنه خلق كل الأشياء محبة فيه، فيتلاشى خوفه ويتقدم نحو العرش وكله محبة وإجلال والملائكة تترنم فى أنشودة جميلة:

«تبارك اسمك المقدس يا ألله يا إلهنا».

وعندما يقترب الرسول من العرش، يفتح الله على رسوله كما يفتح الصديق على صديقه الذى لم يره مدة طويلة، ويبادر الرسول بالحديث قائلا: «إنى أعبـدك وأحبك يـاإلهى وبكل قلبى وروحى أشكرك، لأنك تنازلت وخلقتنى لأكون عبدك، وخلقت الأشياء محبة لى حتى أحبك فى كل شىء، ومن أجل كل شىء، وفوق كل شىء، فلتعبدك المخلوقات وتصلى لك ياربى، وهنا تقول جميع الكائنات والأشياء التى خلقها الله، إننا نشكرك أيها الإله العظيم تبارك اسمك المقدس».. والحق أقول لكم، إن الشياطين والأشرار ومعهم إبليس ينخرطون عندئذ فى البكاء فتتدفق دموعهم كالمياه تدفقًا أعظم من تدفق مياه نهر الأردن، ومع ذلك لا يرون الله.

ويتحدث الله إلى رسوله قائلا: «أهلا بك ومرحبًا يا خادمى الأمين، اسأل ما تشاء فسوف أنعم عليك بما تشاء»، فيرد رسول الله قائلا: «ياربى إنى أذكر أنك عندما خلقتنى قلت إنك أردت من أجل حبى لك أن تخلق العالم والجنة والملائكة والبشر، حتى يعبدونك عن طريق خادمك، فاسمح لى أن ابتهل إليك يا رحمن يا رحيم أيها العادل أن تذكر وعدك لخادمك».

ويرد الله سبحانه وتعالى وكأنه يرد على صديق يحاوره ضاحكا: ألديك شهود على هذا يا صديقى (محمد)؟.. وبكل إجلال يقول الرسول: نعم ياربى. فيجيب الله: اذهب يا جبريل ونادهم، فيذهب جبريل إلى محمد ويقول من هم شهودك؟ فيرد رسول الله: إنهم آدم وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وداوود، وعيسى بن مريم.

وبعد ذلك ينصرف الملاك جبريل، وينادى على الشهود، فيذهبون فى خشية وخضوع، وعندما يصلون إلى الذات الإلهية يقول لهم: «أتذكرون ما يؤكده رسولى»، فيقولون: ما هو الشىء الذى تذكره سبحانك وتعالى؟ فيرد الله: إننى خلقت الأشياء محبة له، حتى تذكرنى، وتثنى علىّ عن طريقه، وبعد ذلك يقول كل منهم إن معنا شهود أفضل منا يا إلهنا، فيجيب الله: «وما هى»؟، فيرد موسى أولا: «الكتاب الذى أنزلته علىّ هو شاهدنا الأول»، ويقول داوود ثانيا: «المزامير التى أنزلتها علىّ هى شاهدنا الثانى»، ويقول الذى يكلمكم «يارب العالمين: لقد خدع إبليس العالم بأسره فادعى أنى ولدك وشريكك ولكن الكتاب الذى أعطيتنى يقول بحق إنى خادمك وعبدك، ويعترف هذا الكتاب بما يؤكده رسولك» وبعد ذلك يتحدث رسول الله: «هكذا يقول الكتاب الذى أنزلته علىّ ياربى» فيقول الله «إن كل ما فعلته الآن فعلته حتى يعلم كل منكم أنى أحبه»، وعندما يقول الله تعالى هذا القول يعطى رسوله كتابًا فيه أسماء الله الحسنى، وبعد ذلك يبجل كل مخلوق من مخلوقاته سبحانه، ويقول المجد ولشرف لك وحدك ياربى لأنك وهبتنا لرسولك»..

الإصحاح السادس والخمسون

ويفتح الله الكتاب الذى أعطاه لرسوله، فيقرؤه وينادى جميع الملائكة والرسل والمختارين، فيأتون وعلى جبهة كل منهم علامة رسول الله، وفى الكتاب قد دون مجد الجنة.

ويمر كل إلى يمين الله سبحانه وتعالى، ويجلس رسول الله بالقرب منه والرسل بقرب الرسول والقديسين والذين باركهم الله، ثم ينفخ الملائكة فى الصور فيحضر إبليس للمحاكمة.

الإصحاح السابع والخمسون

وحينئذ يأتى الشقى، ويتقدم كل مخلوق من مخلوقات الله ممن عصوا الله بتوجيه اللوم إلى إبليس، فينادى الله على الملاك ميخائيل، فيضرب إبليس بسيف الله مائة ألف ضربة، وكل ضربة كأنها عشرة أمثال جهنم ويكون إبليس أول من يدخلْ النار، وينادى الملاك بعد ذلك على أتباع إبليس فيتلقون بالمثل حسابهم ويقوم الملاك ميخائيل بأمر من الله يضرب بعضهم مائة ضربة، والبعض الآخر خمسين ضربة، والبعض الآخر عشرين ضربةً، وجماعة عشر ضربات، وأخرى خمس ضربات، ثم يهبطون إليها لأن الله يقول لهم «إن الجحيم مثواكم أيها الملاعين».

وينادى بعد ذلك على الأشرار ممن لم يؤمنوا بالله تعالى فيحاسبون حسابا عسيرا فتقف المخلوقات التى هى أحط من الإنسان وتشهد أمام الله كيف خدمت الإنسان وكيف أثارت الله ومخلوقاته وأجرمت فى حقه، ويقف كل رسول ويشهد ضدهم، ثم يصدر عليهم حكم الله بالهبوط إلى جهنم وبئس القرار. والحق أقول لكم، إن ما من كلمة نابية أو فكرة طوفت بخيال فرد، تمر دون عقاب صاحبها فى هذا اليوم العظيم، والحق أقول لكم، إن القميص الصوف سوف يضىء كما تضىء الشمس، وأن كل قملة

حملها الإنسان محبة فى الله تتحول إلى لؤلؤة، ويبارك الله الفقراء ثلاثة أمثال وأربعة أمثال، فرغم فقرهم الحقيقى عبدوا الله من قلوبهم وهم فى الدنيا محرومون من اهتمام العالم بهم، فيرفع الله الكثير من خطاياهم ويعفيهم من تقديم حساب عن تصرف الأغنياء معهم ويجازيهم الله على صبرهم وعلى فقرهم، والحق أقول لكم، سيعرف العالم فضل القميص الصوف على القميص الأرجوانى (كرسى السلطة)، والقملة على الذهب، والصيام على المآدب.

وبعد أن يقدم كل فرد حسابه يقول الله تعالى لرسوله: يا خليلى، يالهم من تعساء إنه لأمر عظيم، فأنا الذى خلقتهم وقد سخرت هذه المخلوقات فى خدمتهم فامتهنونى فى كل شىء، ومن العدل ألا أرحمهم، فيرد رسول الله قائلا: «إنه الحق المبين ياربى، يا إلٰهى العظيم فما من صديق أو خادم لك يسألك الرحمة بهم وأنا خادمك أسألك الرأفة بهم».

وبعد أن قال كل ذلك خف الملائكة والرسل ومعهم الأوفياء لله، ولماذا أقول أنا الأوفياء والحق أقول لكم، إن العناكب والذباب والحجارة والرمال ستشهد ضد المفسدين، وتطالب بإقامة العدالة ضدهم، وبعد ذلك سيأمر الله تعالى بعودة كل روح أقل من الإنسان إلى التراب، وبإرسال كل شرير عاص إلى النار، فيرون وهم فى طريقهم إلى الجحيم وقد عادت إليه الأرواح الدنيئة كالكلاب والخيل، ولسوف يقولون «سبحان الله قد أمر بعودتنا إلى التراب، ولكن العصاة لن يمنحهم الله ما سألوه».

الإصحاح الثامن والخمسون

وبينما كان عيسى يتحدث إلى تلاميذه، أخذ يبكى بحرقة، ويذرف الدمع الكثير وبعد أن بكى تحدث يوحنا إليه فقال: «يا معلم. هناك أمران نرغب فى معرفتها، الأول كيف يتأتى لرسول الله الذى يفيض شفقة ورحمة ألا تأخذه الرحمة بهؤلاء المفسدين فى هذا اليوم (الآخرة)، وقد علم أنهم من نفس طينته؟ والأمر الثانى: هو كيف كان سيف ميخائيل فى ثقل عشر أمثال جهنم، وبالمناسبة هل هناك جهنم واحدة أم عشرة جهنمات؟؟؟.

فأجاب عيسى: «ألم تسمع ما قاله داوود الرسول، كيف سيضحك العادل من هلاك الكافرين، وكيف يسخر بالخاطئ. وعندما قال: «لقد رأيت الرجل الذى اتكل على قوته وعلى ثروته ونسى الله»، الحق أقول لكم، إن إبراهيم سوف يسخر من والده، وآدم من الملحدين، هذا لأن الصفوة المختارة سوف تقوم مرة أخرى فى كامل صحتها وتنضم إليه سبحانه وتعالى، دون أن يشوب تفكيرهم أقل شائبة فى عدله سبحانه وتعالى، وبالتالى سيطالب كل واحد بإحقاق الحق والعدل، وفى مقدمتهم الرسول رسول الله وبحياته سبحانه وتعالى الذى أقف فى حضرته فإنى أبكى اليوم حسرة على البشرية سأطالب فى اليوم الآخر بإنزال العدل على هؤلاء الذين سخروا من كلماتى خاصة هؤلاء الذين لوثوا إنجيلى وحرفوه».

الإصحاح التاسع والخمسون

جهنم واحدة – اسمعوا يا تلاميذى – لسوف يلقى أصحاب الخطايا العذاب – الأبدى فيها، وفى جهنم سبع حجرات أوقاعات أو أحواش أو مناطق، وكل واحدة من هذه الحجرات أعمق من الحجرة التى قبلها، ومن ينزل إلى عمقها سيصيبه أكبر عذاب وأشده، إن كلماتى التى تحدثت بها عن الملاك ميخائيل، عندما قال إن من يقترف خطيئة واحدة يستحق جهنم واحدة، ومن يقترف خطيئتين يستأهل جهنمين، وعلى ذلك إذا نزل العصاة جهنم واحدة، فلسوف يشعرون بعذاب عشر أو مائة أو ألف جهنم ولسوف يجعل الله القوى الجبار بقوته وعدالته، إبليس يتلظى بنيران ألف ألف جهنم، ولسوف يكابد الباقون ما يوازى ذنوبهم.

وقد سأل بطرس قائلا: «يا معلم: إن رحمة الله واسعة وهذا الحديث الذى جرى بيننا اليوم، والذى شعرت معه بالأسى نرجوك ونتوسل إليك أن تستريح وغدا تقص لنا ما تعرفه عن جهنم».

فأجابه عيسى: «يا بطرس أنت تقول لى استرح، أنت يا بطرس لا تعرف ماذا تقول وإلا لما تحدثت بما تحدثت به، والحق أقول لك، إن الراحة فى هذه الحياة الدنيا، إنما هى سم التقوى أو النار التى تأتى على كل شىء، هل نسيت كيف ندد سليمان رسول الله والرسل الآخرون بالاسترخاء والكسل، إن الحق ما قاله: «إن البلداء لن يفلحوا الأرض خوفا من البرد، وإذا ما أتى الصيف راحوا يعتذرون ويتوسلون»، ثم قال: إن كل ما تفعله يدك افعله دون راحة»، ثم ألم تعلم ما قاله أيوب حبيب الله البرىء: «لقد ولد الإنسان ليشقى، كما ولدت الطيور لتطير»، والحق أقول لكم، إنى أكره الراحة أكثر من كراهيتى لأى شىء.

الإصحاح الستون

جهنم واحدة.. على عكس الجنة كما أن الشتاء عكس الصيف والبرد عكس القيظ، ومن يرد أن يصف شناعة جهنم، عليه أن يرى أولا ما فى جنة الله من مسرات.

إن جهنم هى المكان الذى لعنته العناية الإلـٰهية، وهو موضع السب، حتى من الملحدين الكافرين والذى قال عنه أيوب حبيب الله: «ليس من نظام هناك، بل خوف أبدى»، وقال أشعياء الرسول ضد المسدين الملحدين: «لن تخبو ألسنة اللهب التى تشوى الملحدين، ولن تهدأ حراراتها»، وقال أبونا داوود وهو يبكى: «ولسوف تمطر السماء عليهم البرق، والصواعق وكبريت العمود والعواصف الجبارة»، أيها الملحدون البؤساء، لسوف تعاف أنفسكم رؤية ما قد يبدو لكم كأنه لحم طيب، وثياب غالية، وعربات مطهمة، وأغان جميلة، إن المرض سوف يجعلكم تشعرون بوطأة الجوع، وباللهب المستعر، والجمرات الحارقة، والعذاب المخيف المصحوب بالبكاء المر».

ثم أخذ المسيح يهمهم فى أسى ويقول: «الحق إنه كان من الأفضل ألا يخلق الملحد أو المذنب، من أن يعذب مثل هذا العذاب الفظيع فتصوروا رجلا يعذب فى كل جارحة من جسده، ولا أحد يواسيه أو يرحمه، ولكن الكل يسخرون منه، قولوا لى أليس هذا أعظم الألم؟»، فأجابه التلاميذ إنه لأفظعه.

ثم قال عيسى: «إن هذا أرحم لو قارنتموه بعذاب جهنم، إنى أقول لكم الحق، إن الله إذا ما وضع فى كفة كل أنواع العذاب التى لحقت بالإنسان فى هذا العالم ووضع فى الأخرى عذاب ساعة واحدة فى جهنم لاختار الملحدون المشركون بكل تأكيد عذاب الأرض، فعذاب الإنسان هو محنة أرضية، أما عذاب جهنم فهو عذاب الجن التى تفتقر قلوبها إلى الشفقة، يا لها من نار سوف يتلظى بها المذنبون البؤساء، ما أشد البرد القارس الذى لا يخفف من لظى النار، ما أشد صرير الأسنان والبكاء والعويل، إن ماء نهر الأردن أقل من دموع الذين يذرفون كل لحظة من أعينهم، ولسوف تنطق ألسنتهم باللعنات على كل شىء بل سوف يلعنون آباءهم وأمهاتهم، بل خالقهم الذى تبارك سبحانه إلى أبد الآبدين».

الإصحاح الحادى والستون

وعندما فرغ عيسى من كلامه توضأ مع تلاميذه وفق ما أمر به الله فى كتاب موسى، ثم صلوا، ولما رأى تلاميذه حزنه عاهدوا أنفسهم ألا يتحدثوا إليه يومهم، وقد لبث كل منهم جزوعًا من حديثه.

وفى المساء - بعد صلاة العشاء - فتح عيسى فمه وقال: «ماذا يفعل رب العائلة إذا ما علم أن لصًا سيقتحم منزله، هل ينام؟ لا بكل تأكيد، إذ عليه أن يكون يقظًا ومستعدا ليقتل اللص، ألا تعلمون أن إبليس أشبه ما يكون بليث مفترس يسعى من أجل فريسة يفترسها، ويسعى إبليس فى إيقاع الإنسان - أى إنسان - فى الخطيئة، والحق أقول لكم، إن الإنسان لو تصرف تصرف التجار فلن يخاف شيئًا فى اليوم الآخر، لأنه سيكون مستعدا له. كان هناك رجل أخذ يعطى جيرانه نقودًا ليتاجروا فيها ويوزع الربح توزيعًا عادلا بينهم، ولقد نجح البعض فى تجارتهم وضاعفوا رأس المال، على حين استخدم الآخرون ما تلقوه من نقود فى خدمة عدوه. قولوا لى كيف يكون الحال عندما ينادى الجار على المدينين ليقدموا كشف الحساب. إنى أثق أنه سيكافئ هؤلاء الذين نجحوا فى تجارتهم، ويغضب من الآخرين، وإن غضبه سيهدأ بعد أن يوبخهم، أو يعاقبهم، كما يقضى القانون وباسمه تعالى والذى تقف روحى فى حضرته أن الجار هو الله الذى أقرض الإنسان كل ما يريد، فأعطاه الحياة نفسها، حتى يعيش عيشة طيبة فى هذا العالم، ولله الشكر والحمد، وللإنسان نعمة الجنة، أما هؤلاء الذين يعيشون عيشة طيبة فيضاعف أجرهم، أما الملحدون المذنبون وقد رأوا ما فعله الله مع أمثالهم، فيأخذون فى الاستغفار والتوبة، ولسوف يثيب الله هؤلاء الذين يعيشون فى أمان وفى رخاء إثابة عظمى فكانوا قدوة لغيرهم، أما المذنبون الملحدون الذين شطروا ما حباهم الله به من نعم إلى قسمين بأن عاشوا فى خدمة إبليس عدو الله، ثم كفروا بذات الجلالة وأساءوا إلى غيرهم، فكانوا مثلا سيئًا، ما عقاب هؤلاء؟».

رد التلاميذ إنه لعقاب فظيع.. بدون حساب.

الإصحاح الثانى والستون

قال عيسى إن من يريد أن يعيش عيشة طيبة، عليه أن يتعظ مثل التاجر الذى يرعى محله ويسهر عليه ليل نهار فى جد ومثابرة ويبيع ما يشتريه من أشياء، ويفرح بما يربح وإذا ما اعتقد أنه سيخسر لا يبيع شيئًا قط حتى لأخيه، وعلى ذلك ما الذى تفعلونه فأرواحكم هى كالتاجر، وجسدكم حانوته وكل حانوته ما يتلقاه من الخارج عن طريق الحواس إنما هو عملية بيع وشراء، والعملة المستعملة فى ذلك هى الحب فانظروا ألا تستطيعون أن تبيعوا فكرة ولو بسيطة دون أن تربحوا شيئًا ماديًّا على أن يكون بيعكم وشراؤكم بالمحبة، وليكن تبادل الأفكار والأحاديث والأعمال فى سبيل الله محبة، ولسوف تجدون الأمن والسلام فى يومكم، والحق أقول لكم، إن آخرة الكثيرين ممن يتوضئون للصلاة وممن يصومون ويتصدقون، وممن يعظون ويبشرون غيرهم، أمام الله بغيضة، فهم يهتمون فقط بتنظيف أجسادهم دون قلوبهم، ويتكلمون بألسنتهم لا من قلوبهم، ويأكلون اللحم ولكن ليملئوا بطونهم بالمعاصى والخطايا، ويعطون غيرهم ما ليس طيبًا حتى يقول الناس إنهم طيبون، ولا يدرسون إلا ما يريدون معرفته، ليتحدثوا فيه دون أن يعملوا عملا، ويعظون غيرهم وينسون أنفسهم، ولسوف تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم، وبحق الله الحى القيوم، إنهم لا يعرفون الله من قلوبهم، فإذا عرفوه أحبوه، وكل ما يمتلكه الإنسان إنما هو من عند الله، وإذا ما كان الأمر كذلك وجب أن ينفق الإنسان ما يملك حبًّا فى الله.

الإصحاح الثالث والستون

وبعد أيام قليلة مر المسيح بالقرب من مدينة يسكنها سامريون، وقد رفضوا السماح لهم بدخول مدينتهم، أو أن يبيعوا التلاميذ خبزًا، فقال يوحنا، ويعقوب للمسيح :

«يا معلم ألا تضرع إلى الله أن يرسل من السماء نارًا تحرق هؤلاء الناس ؟ ».

فأجاب عيسى «إنك لا تعرف أى روح دفعتك إلى هذا الكلام، تذكر أن الله كان قد عزم على دمار نينوى، إذ لم يكن بها شخص واحد يخاف الله، فقد كانوا جميعًا من الأشرار المفسدين، ونادى يونان «يونس» النبى ربه أن يرسله إلى هذه المدينة، وكان يتوق أن يعرف ما إذا كان أهلها قد فروا إلى طرسوس. وأمره الله أن يلقى بنفسه إلى البحر، فتلقفته سمكة كبيرة ثم لفظته عند ساحل نينوى، فقام يبشر هناك فارتد الناس عن غيهم طالبين العفو والمغفرة من الله، ورحمة من عنده.

يا ويل هؤلاء الذين يطلبون الانتقام، فلسوف تدور الدوائر عليهم، فما من رجل إلا وقد أتى شيئًا يستحق عليه انتقام الرب، قولوا لى هل أنتم الذين خلقتم هذه المدينة وهذا الشعب ؟ أيها المجانين - حقًّا مجانين - إنكم لم تخلقوها ولن تستطيع المخلوقات كلها حتى وإن اتحدث فيما بينها أن تخلق ذبابة

واحدة من لا شيء وإذا كان الله تبارك وتعالى، هو الذى خلق هذه المدينة ومدها بالمؤن، فلماذا ترغبون فى تدميرها، ولماذا لا تقولون «اسمح لنا يا معلم أن ندعو الله ربنا أن ينزل على أهل هذه المدينة التوبة»، إن مسلكًا كهذا أحق أن يتبعه تلميذ من تلاميذى أى أن يدعو الله أن يرشد المفسدين إلى الطريق الصحيح، وهكذا فعل هابيل لما هم أخوه بقتله وهو الذى لعنه الله، كذلك كان الحال بين إبراهيم وفرعون الذى أخذ منه زوجه، والذى أصابه ملاك الرب فحلت به عاهة، كذلك فعلوا بزكريا، بأمر من الملك العاق الكافر، فذبح فى المعبد، وهكذا كان الحال مع أرميا، وأشعياء، وعزقيال، ودانيال، وداوود، ومع جميع الرسل والأولياء احباب الله.

قولوا لى إذا أصاب الجنون أخًا لكم فهل تقتلونه لأنه تكلم شرًّا، أو لأنه ضرب من اقترب منه؟ بكل تأكيد أنكم لا تستطيعون أن تفعلوا ذلك، ولكنكم تفضلون أن تجهدوا أنفسكم أن تعيدوا إليه صحته بإعطائه العلاج الذى يتفق مع علته».

الإصحاح الرابع والستون

«وبحق الله الحى القيوم الذى تقف روحى فى حضرته، إن عقل الكافر مريض إذا ما اضطهد إنسانًا، قولوا لى بحق وبكل صراحة، هل هناك شخص يخاطر برقبته من أجل أن ينزع عباءة عدوه؟ فكيف إذا برجل يحاول أن ينفصل عن الله خالقه وصاحب روحه؟ هل لمثل هذا الشخص عقل متزن، وهو الذى يريد أن يصيب بالأذى عدوه؟

قل لى أيها الإنسان من هو عدوك؟ هو بكل تأكيد جسدك، وكل من يتملقك ويثنى عليك، وإنك أيها الإنسان لو كنت بكل قوتك العقلية لقبلت يد كل من ينقذك، وقدمت الهدايا لهؤلاء الذين يضطهدونك ويضربونك ضربًا شديدًا لأنك أيها الإنسان كلما إزداد النقد الموجه إليك فى هذه الدنيا، وازداد اضطهادك قل عذابك فى الآخرة، وأولى بك أن تقدم الهدايا لمن يضطهدونك، ويضربونك ولكن قل لى أيها الإنسان: لو نزل الاضطهاد والتشهير بأولياء الله ورسله حتى لو كانوا أبرياء، ما الذى سيحل بك أيها الخاطئ؟ وإذا تحملوا كل هذا فى صبر ثم صلوا أن يرحم الله معذبيهم، فما أنتم فاعلون أيها الناس، يا من تستأهلون حبهم قولوا لى؟ يا تلاميذى هل تعلمون أن شمعاى لعن داوود الرسول فرجموه بالحجارة، والآن ما الذى قاله داوود لهؤلاء الذين كانوا يشتاقون إلى قتل شمعاى؟ ما الذى تستفيدونه من قتل شمعاى، دعوه يلعننى فهذه إرادة الله الذى سيحول اللعنة إلى دعاء وبركة، وهكذا كان الأمر، فقد رأى الله سبحانه وتعالى صبر داوود وأنقذه من تعذيب ابنه ابشالوم له.

ومن المحقق ليس هناك ورقة شجر تهتز إلا بإرادة الله، وإذا كنتم فى محنة أو شدة فلا تفكروا فيما تحملتموه، أو فى ما ينزل بكم من عذاب، ولكن تذكروا سيئاتكم وما سوف تلقونه بحق على أيدى زبانية جهنم، إنكم تشعرون بالغضب نحو أهالى هذه المدينة لأنهم لم يريدوا استقبالنا، أو يبيعوا لنا الخبز، قولوا لى هل هؤلاء الناس عبيد لكم؟ هل أعطيتم هؤلاء الناس هذه المدينة، أم أعطيتموهم

القمح، أم هل ساعدتموهم فى جمعه أو درسه؟ لا بكل تأكيد فأنتم غرباء فى هذه الأرض، وأنتم الفقراء، وما هذا الذى تقولونه؟

فرد التلميذان قائلين: يا معلم لقد أخطأنا فليرحمنا الله»..

فأجاب عيسى: أمين.

الإصحاح الخامس والستون

اقترب عيد الفصح وذهب عيسى وتلاميذه إلى القدس حيث ذهب إلى العين المعروفة باسم Probatica وكان الطريق إليها بهذا الاسم، لأن ملائكة الله كانوا يحركون المياه كل يوم، وكان كل من يدخل المياه بعد تحريكها يشفى من كل عاهة، وكنت تجد عند هذه العين جماهير غفيرة من المرضى، وكان بها خمسة أروقة، وقد رأى عيسى هناك رجلًا ضعيفًا مكث فى مكانه ٣٨ سنة وهو مريض وبه عاهة خطيرة، وقد علم عيسى بذلك عن طريق الوحى الإلهى، فعطف على الرجل المريض وقال له: «هل تريد أن ترتد صحيحًا كاملًا؟»، فأجاب الرجل الضعيف: «يا معلم ليس معى إنسان يستطيع أن يضعنى فى الماء عندما يخوض فيه الملاك، وعندما أتقدم خطوة إلى الأمام من مكانى هذا يكون الجميع قد دخلوا العين».

ثم رفع عيسى عينيه إلى السماء وقال: «إله آبائنا، ارحم هذا الرجل الضعيف». وما أن قال عيسى ذلك حتى اتجه نحو الرجل وقال له باسمه: «تعالى أيها الأخ، قم فأنت معافى كامل، وخذ معك سريرك».

فقام الرجل الضعيف وهو يثنى على الله وحمل سريره على كتفه وذهب إلى بيته وهو يثنى عليه سبحانه وتعالى.

ولما رأوه صاح فيه الناس إنه ليوم السبت، ليس شرعًا أن تحمل سريرك. فرد الرجل، لقد قال لى من عافانى احمل سريرك وخذ طريقك إلى منزلك. فسأله الناس ومن هو؟

فأجاب: لا أعرف اسمه.

فأخذ الناس يتداولون قائلين لابد أنه المسيح الناصرى، وقال آخرون لا، وهو ولى من أولياء الله، أما الذى فعل ذلك فهو رجل لعين، إذ اخترم السبت.

وذهب عيسى إلى المعبد، والتفت حوله جموع غفيرة ليستمعوا إلى كلماته، فى حين شعر الكهنة بالغيرة والحقد عليه.

الإصحاح السادس والستون

وجاءه أحدهم وقال له: أيها المعلم الصالح، إنك تعظ بحق وصدق قل لى بربك، ما هى الإثابة التى يثيبنا بها الله فى الجنة؟

فرد عليه عيسى: «لقد وصفتنى بالصالح، وأنت تعلم أن الصالح الوحيد هو الله، أو كما قال أيوب حبيب الله: الطفل الذى لا يتجاوز عمره يومًا واحدًا، قد لا يكون نظيفًا طاهرًا، أى نعم، بل الملائكة لا يمكن أن تكون معصومة من الخطأ فى حضور الله. ثم أضاف إن لحم الإنسان يمتص الخطيئة كما يمتص الإسفنج الماء».

فسكت الكاهن فقد ألجم فاه، ثم قال عيسى: الحق أقول لك، إن الصمت أكثر خطرًا من الكلام ألم يقل سليمان: «الحياة والموت على طرف اللسان»، ثم التفت عيسى إلى تلاميذه وقال احترسوا من هؤلاء الذين يطنبون فيكم ويمعنون فى التبرك بكم فهم يخادعونكم، لقد استخدم إبليس لسانه فخدع به آدم وحواء، وكانت النتيجة شرًّا مستطيرًا. كذلك خاتل كبار القوم فرعون فى مصر، وخاتل جولياث الفلسطينيين، وهكذا بارك أربعمائة رسول كاذب آهاب، وكانت تباريكهم كاذبة، فهلك الذين باركوهم مع مباركيهم، وألم يقل الله سبحانه وتعالى عن لسان أشعياء الرسول: «يا شعبى من يخاتلك يخدعك».

الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون، والويل لكم أيها الكهنة واللاويون، لأنكم أفسدتم ضحية الله حتى غدا الذين يأتون للتضحية يعتقدون أن الله يأكل اللحم المطبوخ كالإنسان».

الإصحاح السابع والستون

أما بالنسبة لكم فقولوا لهم احضروا من ماشيتكم وثيرانكم وضأنكم إلى معبد الله، ولا تأكلوا منها، ولكن أعطوا قسطًا منها فى سبيل الله مقابل ما أعطاكم ولا تقولوا لمن تعطونه السبب فى التضحية إنها شاهد على الحياة التى وهبها الله لابن أبينا إبراهيم، حتى يعلو دين إبراهيم، وتسرى الطاعة له مع ما وعده الله، وتباريك الله له والتى يجب أن تكون دائمًا الذاكرة ولا تنسى أبدًا، ألم يقل حزقيال الرسول: ابعدوا عنى تضحياتكم فضحيتكم بغيضة عندى، وقد اقترب الوقت الذى فيه يتحدث الله إلى يوشع النبى قائلا: «سأسمى الصفوة من هم ليسوا من الصفوة، أو كما قال على لسان حزقيال الرسول سيقطع الله عهدًا جديدًا مع شعبه، ليس وفق العهد الذى قطعه لآبائنا والذين نسوه ولم يحترموه، ولسوف يأخذ الله ما فى قلوبهم من قسوة، ويعطيهم قلوبًا جديدة، وذلك لأننا لا نسير فى حدود الله وأنتم لديكم مفتاح الطريق الجديد وتستطيعون سلوكه، فهل أنتم معبدون الطريق أمام هؤلاء الذين يرغبون فى السعى فيه.

وقام القسيس ليذهب إلى القسيس الأكبر ويسرد عليه ما قال يسوع ولكن يسوع قال له: انتظر فلسوف أجيب على سؤالك».

الإصحاح الثامن والستون

لقد سألتنى ما جزاؤنا فى الجنة، والحق أقول لكم إن هؤلاء الذين يهتمون بالمال يكرههم السيد صاحب المال، والراعى الذى يرعى قطيعًا من الماشية، إذا ما رأى ذئبًا آت يستعد للدفاع عن ماشيته والعكس، إذا ما رأى الأجير الذئب فإنه يترك الماشية ويهرب وبحق الله الحى الذى أقف فى حضرته لو كان إله آبائنا هو إلهكم، لما فكرتم فى أن تسألوا وما الذى سيعطيه الله لنا، بل قلتم كما قال الرسول (داوود) «ما الذى أقدمه لله مقابل هذه النعم التى أسبغها على».

ولسوف أتحدث إليكم بالكناية أو الأمثلة حتى تفهمونى.

كان هناك ملك وجد على جانب الطريق رجلا جرده اللصوص من ثيابه وأثخنوه جراحًا، فرق قلبه له وأمر عبيده أن يحملوا الرجل إلى المدينة ويضمدوا جراحه، وبالفعل قام العبيد بنقله وتضميد جراحه، ووقعت محبة الرجل فى قلب الملك، فأعطاه ابنته زوجة وجعله وريثًا لعرشه، ومما لا شك فيه أن الملك كان طيبًا رحيمًا، ولكن الرجل كان يضرب العبيد، ويحتقر الطب والأطباء، والشيوخ والحكماء، وكان يسىء إلى زوجه، ويتحدث سواءا عن الملك، وأمر اتباعه بالثورة عليه، وإذا ما احتاج الملك إلى أمر كان الرجل يقول: «وما سيعطينى الملك فى مقابل ذلك؟» وعندما سمع الملك ذلك ماذا تظنون قد فعل بهذا الجحود؟

فردوا جميعًا: «الويل له.. فقد حرم الملك نفسه من كل شىء، ولكن الرجل يعاقبه على ذلك بقسوة».

فرد عيسى قائلا: أيتها الكنيسة أيها الكتبة أيها الفريسيون وأنت يا رئيس الكهنة، يا من تسمع صوتى، إنى أعلن لكم ما قاله الله على لسان أشعياء النبى: «لقد رعيت العبيد ورفعتهم إلى أعلى ولكنهم احتقرونى».

إن الملك ربنا. لقد أوجد إسرائيل فى هذا العالم، وقد غمره البؤس فأسلمه إلى عبيده يوسف، وموسى، وهارون، فأخذوا يرعونه وأحبه الله محبة شديدة، وابتلى مصر من أجل شعب إسرائيل، وأغرق فرعون، وكسر مائة وعشرين ملكًا من أبناء كنعان ومدين، ثم بعد ذلك أنزل عليه شرائعه وأورثه كل هذه الأرض التى يسكنها شعبنا.

ولكن كيف كان سلوك إسرائيل وكم من الرسل قتلوا، وكم من التنبوءات والرسالات استنكرتها؟

كيف احترم الناس حدود الله وشرائعه، وكيف انصرف الناس نتيجة ذلك عن عبادة الله إلى الأوثان بسبب تهجمكم أيها الكهنة؟

أيها القساوسة كيف تشينون الله بسوء تصرفكم فى الحياة؟

وها أنتم تسألوننى: ما الذى سيكافؤنا الله به فى الجنة؟ وكان الأجدى أن تسألوننى ما هو الجزاء

الذى سوف ينزله الله بكم فى النار، ثم ما الذى يجب أن تفعلوه لتكفروا عن سيئاتكم، حتى يرحمكم الله، وإنى أقول لكم إننى قد أرسلت إليكم لهذا السبب».

الإصحاح التاسع والستون

«وبحق الله الحى الذى أقف فى حضرته إنكم لن تجدوا منى تملقًا أو مداهنة، بل سأعطيكم الحقيقة. وإنى أقول لكم توبوا إلى الله تعالى كما تاب آباؤنا بعد أن أخطئوا ولا تقسو قلوبكم».

وقد تملك الكهنة الغيظ لما قاله عيسى ولكنهم لم ينبسوا بكلمة خوفًا من الشعب.

واستمر عيسى فى كلامه قائلا: «أيها الحكماء أيها الكتبة، أيها الفريسيون، أيها الكهنة، قولوا لى أنتم أترغبون فى اقتناء الجياد كما لو كنتم فرسانًا، ولكنكم تحجمون عن القتال، إنكم تشتهون الملابس الجميلة كالنساء، ولكنكم تحجمون عن غزل ملابس الأطفال أو إعالتهم، إنكم تشتهون ثمرات الزرع، ولكنكم تأبون فلاحة الأرض إنكم تشتهون أسماك البحر، ولكنكم ترفضون مشقة الصيد، إنكم تطالبون باحترام الناس لكم، ولكنكم تصدفون عن تحمل أثقال الشعب، إنكم ترغبون فى تلقى العشور والجنية الأولى للمزروعات بوصفكم قساوسة، ولكنكم تشيحون بوجهكم عن الله فلا تخدمونه حقًا، إذن ما الذى يفعله الله بكم وهو يرى ما ترغبونه من الطيبات دون أن تبعدوا شرًا أو تمنعوا إثمًا؟ الحق أقول لكم، إن الله سيضعكم فى مكان ينزل فيه الضر بكم، ولا تنزل فيه الطيبات عليكم».

وعندما قال عيسى ذلك جاءوا إليه برجل تملكه الشيطان، فلا يتكلم أو يرى أو يسمع وعندما رأى عيسى ما عليه هذا الرجل من إيمان رفع عينيه إلى السماء وقال: أيها الرب إلهنا وإله آبائنا، ارحم هذا الرجل المريض وأنعم عليه بالصحة حتى يدرك هؤلاء الناس أنك أنت الذى أرسلتنى.

وما أن قال عيسى قوله حتى أمر الأرواح الشريرة أن تنصرف عن الرجل قائلا: باسم الله ربنا انصرفى أيتها الروح الشريرة عن هذا الرجل».

وبالفعل انصرفت الروح الشريرة وأخذ الرجل يتكلم بعد أن فك لسانه، وأخذ يرى بعد أن انقشعت الغشاوة عن عينيه، أما الناس فقد تملكهم الخوف وقال الكتبة باسم يعلزبوب أمير الشياطين أنه يطرد الشياطين باسم يعلزيوب.

فقال عيسى إن كل مملكة منقسمة على نفسها مآلها الدمار، فتسقط المنازل بعضها فوق بعض، وفى مملكة الشياطين إذا كان فى قدرة إبليس أن يطرد أحد شياطينه، فكيف تقف مملكته على أرجلها، وإذا كان فى مقدور أبنائكم أن يطردوا إبليس بفعل الأسفار المنزلة على سليمان الرسول، فإنهم ولا بد يسلمون بأن فى وسعى أن أطرد إبليس بقوة الله سبحانه. وبحق الإله الحى أن الكفر بالروح القدس أمر لا تنفع فيه توبة، سواء فى هذا العالم ولا فى العالم الآخر لأن المذنب إذا ما تاب من تلقاء نفسه قبلت توبته».

وبعد أن قال عيسى قولته، خرج من المعبد وراح الناس يعظمونه وكانوا قد أتوا بجميع المرضى

الذين استطاعوا جمعهم، فدعا لهم عيسى بالشفاء وبعد أن صلى لله تعالى فشفاهم، أما إبليس فقد أخذ يوسوس لجنود الرومان فى القدس بعد أن أثار الشعب فسار فى مظاهرة هاتفًا بأن عيسى هو إله إسرائيل الذى جاء لزيارة شعبه.

الإصحاح السبعون

وبعد عيد الفصح غادر عيسى القدس وذهب إلى قيصرية فيلبس وأتاه جبريل الملاك وأخبره بالفتنة التى أخذت تضطرم نارها بين الشعب، فسأل عيسى تلاميذه قائلا: «ما الذى يقوله الناس عنى»؟.

فرد عليه بعضهم: إنك إيليا، ويقول آخرون إنك أرميا، ويقول غيرهم أنك رسول من أقدم الرسل. فأجاب عيسى «وماذا تقولون أنتم فىّ»؟

فأجاب (بطرس): إنك المسيح ابن الله.

فغضب (عيسى) غضبًا شديدًا وأخذ يؤنبه قائلًا: «اذهب وانصرف عنى فأنت الشيطان، وإنك تسعى لإنزال الخطيئة بى»، وراح يهدد التلاميذ الأحد عشر قائلا: «الويل لكم إذا ما اعتقدتم هذا الاعتقاد، فقد وعدنى ربى أن ينزل نقمة كبرى على من يعتقد هذا الاعتقاد».

وكان عيسى يرغب فى طرد بطرس ولكن الأحد عشر تلميذًا تشفعوا له ألا يطرده وأن يكتفى بتأنيبه فقال عيسى: «احرص ألا تقول قولتك مرة أخرى، لأن الله سوف يلعنك».

وراح بطرس يبكى ويقول: «يا معلم لقد تكلمت بغباء. اضرع إلى الله أن يسامحنى فقال عيسى عندئذ: «إذا ما كان الله قد أراد ألا يرى نفسه لعبده موسى أو لإيليا الذى كان يحبه، أو لأى رسول فهل تظنون أن الله سوف يرى نفسه لهذا الجيل الكافر، ألا تعلمون أن الله خلق الأشياء كلها من لا شىء بكلمة واحدة، وأن جميع الناس قد خلقهم من قطعة من طين، والآن كيف يكون الله شبيهًا بالإنسان ويحكم. ويح هؤلاء الذين يسمحون لأنفسهم أن يصدقوا خداع إبليس».

وما إن قال ذلك حتى راح عيسى يدعو ربه من أجل بطرس وراح بطرس والأحد عشر تلميذًا يبكون: فلتكن إرادتك، فلتكن إرادتك، أيها الإله المبارك».

وبعد ذلك رحل عيسى إلى الجليل حتى تخمد هذه الفكرة الخاطئة التى بدأ الناس يرددونها بشأنه.

الإصحاح الحادى والسبعون

وما إن بلغ عيسى بلده حتى انتشر خبر وصوله إلى الناصرة فى جميع أنحاء منطقة الجليل وخف الناس فى جد ومثابرة إلى تجميع المرضى وإحضارهم له ملتمسين منه أن يلمسهم بيده، ومن ثم احتشد الناس فى جموع غفيرة حتى أن رجلا ثريا مصابا بالشلل اضطر إلى أن يطلب من خدمه أن يرفعوه إلى

سطح المنزل الذى نزل فيه عيسى بعد أن فشل فى الدخول من الباب، ثم أدلوه من السقف إلى الأرض أمام عيسى، ولقد وقف عيسى برهة مترددا ثم قال: «يا أخى لا تخف شيئا لأن خطاياك قد غفرت لك».

ولما سمع الجموع ما قاله عيسى استاءوا استياء شديدا وقالوا ومن هو الذى يغفر الذنوب؟ فقال عيسى: «الله الحى الباقى لست أنا الذى أستطيع غفران الذنوب، ولا أى رجل يستطيع ذلك، إنما هو غفار الذنوب، هو الله ولكن لما كنت خادما مطيعا، وعبدا أمينا لله تعالى، أستطيع أن أستأذنه فى أن يغفر ذنوب الآخرين، وبالفعل استسمحته فى أن يغفر ذنوب هذا الرجل، وإنى على يقين من أن الله قد استمع لدعائى، وإذا أردتم أن تثبتوا من الحقيقة فإنى أقول لهذا الرجل المريض: باسمه تعالى رب آبائنا ورب إبراهيم وأولاده قف شفيت، ولما قال المسيح ذلك وقف المريض بكامل صحته يمجد الله تعالى.

وبعد ذلك أخذت الجموع تتوسل إلى عيسى أن يرجو الله عز وجل أن يبرئ المرضى الذين وقفوا خارج المنزل، وبالتالى ذهب إليهم عيسى ثم رفع يديه إلى السماء وقال: «ياإلهى يا إله هذه الجموع، أيها الإله الحى الباقى، الحق القدوس، يامن تعيش أبدا ولن تموت، أجمعهم»، فأجابت الجموع قائلة: آمين، وبعد ذلك وضع عيسى يده على المرضى فارتدت إليهم صحتهم، ثم راحوا يعظمون الله قائلين: «لقد زارنا الله عن طريق رسوله، وياله من رسول عظيم أرسله الله تعالى لنا».

الإصحاح الثانى والسبعون

ولما جن الليل راح عيسى يتحدث إلى تلاميذه قائلا: «الحق أقول لكم، إن إبليس ليرغب فى أن يضعكم فوق منخال وينخلكم، كما لو كان ينخل قمحا، ولكننى رجوت الله تعالى أن يحرسكم منه، ولن يهلك منكم أحد إلا من سخر منى وأوقعنى فى الشرك، وكان عيسى يعنى بذلك يهوذا لأن جبريل كان قد أخبره أن يهوذا يتآمر مع الكهنة، إنه ينقل إليهم كل ما يقول المسيح، وأخذ كاتب هذا الإنجيل يذرف الدمع على عيسى ويقول له: «يامعلم: قل لى من الذى سيخونك؟».

فأجاب عيسى قائلا يا برنابا لم تحن الساعة التى تعرف فيها الخائن، ولكن سوف يكشف عن نفسه قريبا جدا، فقد حان موعد رحيلى من هذا العالم».

فبكى التلاميذ قائلين: «يا معلم هل ستهجرنا؟ الأفضل لنا أن نموت على أن تهجرنا».

فأجاب المسيح: «لا داعى لأن تضطرب قلوبكم أو تخافوا لأنى لم أخلقكم، ولكن الله خالقنا هو الذى خلقكم ولسوف يحميكم، أما أنا فلقد أتيت إلى هذا العالم لأعد الطريق لرسول الله، فهو الذى يحمل خلاص العالم، واحترسوا من أن تُخدعوا فلسوف يأتيكم رسل عديدون كلهم كاذبون ويستعيرون كلماتى ويبشرون بإنجيلى».

فقال أندراوس: «يا معلم.. هل ذكرت لنا بعض العلامات حتى نعرفه إذا ما جاء؟

فأجاب عيسى: «لن يأتى فى وقتكم، بل سيأتى بعدكم بسنوات عديدة عندما يصبح إنجيلى وكأنه

لا شيء، وفى ذلك الوقت لن يكون هناك فى العالم إلا عدد قليل من المؤمنين قد لا يتجاوزون الثلاثين، ولسوف تنزل رحمة الله عندئذ على العالم، فيرسل رسوله الذى إذا ما سار أظلته غمامة بيضاء، ولسوف يعرف بأنه المصطفى، ولسوف يكون الله بجانبه، عندما يظهر للعالم سيأتى بسلطان عظيم ضد الكفرة، ولسوف يدمر الأوثان والوثنية من على سطح الأرض، وإنى لأفرح كل الفرح لأن الناس جميعا سيعرفون الله سبحانه وتعالى عن طريقه، وسوف يمجدونه ولسوف يدرك الناس أن الله حقيقة، وسوف ينتقم من هؤلاء الذين يصفوننى بأننى أعظم من الله، والحق أقول لكم، إن القمر سوف يسهر عليه فى طفولته ويرعاه حتى ينام، ولسوف يمسك به من يديه عندما يكبر، وأحرى بالعالم أن يستقبله لا أن يطرده لأنه سوف يقضى على عبدة الأوثان، وفى أعداد تربو على تلك التى قضى عليها موسى خادم الله، ويوشع الذى لم يبق على المدن التى حرقوها وأطفالها، إن الجرح القديم يحتاج إلى الكى بالنار.

سيأتى الرسول بحقائق أوضح مما أتى بها الرسل جميعا، ولسوف يؤنب هؤلاء الناس الذين يستفيدون من العالم بطريق الخطأ، ولسوف تحيى أبراج مدينة آبائنا الواحد منها الآخرين فرحة، وعندما تسقط الأصنام على الأرض معترفة بأنى إنسان كغيرى من بنى البشر، الحق أقول لكم، إن رسول الله سيأتى حتما.

الإصحاح الثالث والسبعون

الحق أقول لكم: «إن إبليس إذا حاول أن يعرف هل أنتم أحباء الله، ثم تمكن من بلوغ مأربه منكم، فلسوف يسمح لكم بالسير وفق أهوائكم، فلا أحد يعتدى على حرمة أملاكه ومدنه - ولكنه لما كان يعلم أنكم أعداؤه، فلسوف يستخدم كل عنف فى سبيل إهلاككم، ولكن لا تخافوا فلسوف يكون فى عدوانه لكم أشبه بالكلب المربوط بسلسلة لأن الله استمع إلى دعائى وأجاب توسلاتى».

وقال يوحنا: «يا معلم، الأمر لا يتعلق بنا وحدنا فعليهم أن يصدقوا بالإنجيل، قل لنا كيف يستطيع الوسواس الخناس القديم أن يقنع الإنسان ليفديه».

فأجاب عيسى: «يحدث ذلك بطرق أربعة... الأول: أنه يوسوس بنفسه على عقل الإنسان ويمزج تفكيره بأفكار من عنده، والأمر الثانى: أنه يوسوس مستخدما كلمات وأفعال يطلقها خدامه ومساعدوه، أما الطريقة الثالثة: فهو يوسوس للإنسان مقدما له مذاهب كاذبة، أما الرابع: فهو يوسوس مستخدما الرؤيا الكاذبة، وإذن يجب على الإنسان أن يكون حريصا كل الحرص، خاصة أن لحم الإنسان هو دائما فى غير صالحه، فهو يميل إلى الخطيئة، كما يميل المريض بالحمى إلى شرب الماء. والحق أقول لكم: إن الإنسان إذا ما خاف الله انتصر على كل شيء أو كما قال داوود النبى: إن الله سيكلف ملائكته أن تسهر عليكم، وأن تحافظ على طريقكم، فلا يسمحوا للشيطان أن يوقع بكم، ولسوف يوقعوا هم بألف عن يساركم وبعشرة عن يمينكم قبل أن يقترب الشيطان منكم، أضف إلى ذلك أن الله قد وعدنا عن طريق نبيه داوود، بأن يحافظ علينا، فقال: «إنى أعطيكم الفهم، هذا الفهم الذى سيعلمكم وبطرقكم سوف تسيرون ولسوف أرعاكم بعينى».

وقال أشعياء:

«ولكن ما الذى أقول: هل تستطيع المرأة أن تنسى وليدها الذى ولدته من أحشائها؟ إنى أقول لكم إنها حتى إذا ما نسيت فإننى لن أنساكم».

قولوا لى إذن: من الذى سيخيف إبليس لو حمته الملائكة وسهرت عليه عناية الله الحى، ومع ذلك فمن الضرورى كما يقول الملك سليمان: «بإنك وإن كنت ابنى، فإن عليك أن تستعد لمواجهة الغواية وعليك أن تخاف الله».

والحق أقول لكم: إنه يجب على الإنسان أن يفعل ما يفعله صاحب المصرف عندما يفحص النقود، فعليه أن يفحص أفكاره حتى لا تلبسه الخطيئة ضد الله سبحانه وتعالى خالقه».

الإصحاح الرابع والسبعون

لقد كان العالم، ولا يزال، يزخر بالرجال الذين لا يفكرون فى الخطيئة خوف الخطيئة، قولوا لى كيف أخطأ إبليس؟ بكل تأكيد أخطأ عندما فكر فى أنه أحق من الإنسان وأعلى منه، وأخطأ سليمان عندما فكر فى أن يدعو عباد الله جميعًا إلى مأدبة على أحد أنواع الأسماك، فصححت له تفكيره سمكة أكلت كل ما كان قد أعده للمأدبة وعلى ذلك فإن ما يقوله داوود أبونا له أساس، إذا ما استعلى الإنسان وتكبر، فإنه ينزل فى بحر من الدموع وعلى ذلك نادى الله عن طريق أشعياء الرسول قائلا: «ابعدوا أفكاركم الشريرة عن عيونى»، ثم لأى غرض قال سليمان: «احتفظ بقلبك مع كل ما تقتنيه، وبالله الحى القيوم الذى تقف روحى فى حضرته، قيل ذلك عن الأفكار الشريرة التى تنتهى بالخطيئة، فالخطيئة الأرض؟ نعم يتعمق وهكذا يفعل إبليس عندما يزرع الخطيئة، فهو لا يقف عند حد العين أو الأذن بل يمر سريعًا بالحواس نحو القلب حيث مستقر الله».

أو كما قال على لسان موسى:

«سوف أسكن فيهم حتى يسيروا وفق منهاجى وشريعتى».

«ولكن ما الذى أقول: هل تستطيع المرأة أن تنسى وليدها الذى ولدته من أحشائها؟ إنى أقول لكم إنها حتى إذا ما نسيت فإننى لن أنساكم».

قولوا لى إذن: من الذى سيخيف إبليس لو حمته الملائكة وسهرت عليه عناية الله الحى، ومع ذلك فمن الضرورى كما يقول الملك سليمان: «بإنك وإن كنت ابنى، فإن عليك أن تستعد لمواجهة الغواية وعليك أن تخاف الله».

والحق أقول لكم: إنه يجب على الإنسان أن يفعل ما يفعله صاحب المصرف عندما يفحص النقود، فعليه أن يفحص أفكاره حتى لا تلبسه الخطيئة ضد الله سبحانه وتعالى خالقه».

الإصحاح الخامس والسبعون

وبعد ذلك قال جيمس: «يا معلم كيف يكون اختبار فكرة كاختبار عملة من النقود؟.

قال عيسى: «الفضة الجيدة هى الفكرة التى تقوم على الورع والتقوى، وكل فكرة شريرة مصدرها الشيطان، والصورة الطيبة مثل الأولياء والرسل، وبالتالى يجب أن نقتنع بها ونعمل بها، وعمق الفكرة أشبه ما يكون بحب الله، وحب الله هو الأساس الذى يجب أن تبنى عليه الفكرة، وعلى ذلك نجد العدو يذيع الأفكار الشريرة ضد جيرانه كما يذيع الأفكار التى تتمشى مع الأحوال الدنيوية بمعنى أنها تفسد اللحم.. أى أن الحب الجنسى يفسد حب الفرد لله».

وأجاب بارثليميو: «يا معلم قل لنا ماذا يجب أن نفعل حتى نفكر قليلاً فلا نقع فى الغواية؟»

فأجاب عيسى: «هناك أمران حيويان بالنسبة لك، الأول: هو أن تكثر من التمرين، والثانى: أن تتحدث قليلاً، فالبلادة عبارة عن حوض كبير تجتمع فيه جميع الأفكار غير الطاهرة، والكلام الكثير أشبه ما يكون بالإسفنج يمتص الأفكار من هنا وهناك وبدون نظام، وعلى ذلك كان من الضرورى أن يلهيك العمل عن الشهوة البدنية والصلاة هى التى تصرف الروح عن التفكير غير الطاهر، وبالتالى كان من الضرورى ألا تكف عن الصلاة، فهى تنهى عن الفحشاء والمنكر.

ولأضرب لك مثلاً كان هناك رجل لا يدفع الحق، فامتنع كل من يعرفه عن حراثة أرضه، وفى وقت ماقال لنفسه كأى شخص شرير: سأذهب إلى السوق لأجد من لم يجد عملاً وآتى به لحراثة كرمى، ثم ترك الرجل بيته وذهب إلى السوق حيث وجد كثيرين من الغرباء يقفون فى بلادة ولا نقود معهم، فتحدث معهم ثم أخذهم إلى بستانه، ولكن لم يذهب معه شخص واحد ممن يعرفونه أو ممن عمل معه من قبل.

إن من لا يدفع الحقوق شيطان شرير، فمصيره النار الأبدية، لأنه لا يدفع أجر مايقدمه العامل من عمل، وتحرم عليه الجنة كلما ذهب ومهما أتى من أعمال، وهو مهما بحث عن عمال فلن يختار غير الكسالى، فكل من يعرفه يرفضه، وعليه ليس من الضرورى أن يعرف كل واحد ماهو الشر ليتجنبه، ولكن يجب أن يعمل عملاً طيباً.

الإصحاح السادس والسبعون

كان هناك رجل يمتلك ثلاث بساتين للكروم أجرها لثلاثة من المزارعين، أولهم، لا يدرى شيئًا عن زراعة الكروم، وبالتالى لم يعط البستان الذى استأجره أى محصول، أما الثانى فكان خبيرًا فى زراعة الكروم أما الثالث فتعلم كيف يزرع الكروم، وبالفعل اتبع نصائح الثانى حرفيًا، فزرع بستانه فأنتج محصولاً وافرًا، أما الثانى فلم يزرع بستانه، وراح يمضى الوقت فى الكلام وعندما حل موعد دفع الإيجار لصاحب الأرض جاء الأول، فقال له: يا سيدنا أنا لم أعرف كيف أزرع بستانك كرمًا، وبالتالى لم أجمع محصولاً هذه السنة.

فأجابه المالك يا لك من أحمق هل أنت تعيش وحيدًا فى العالم، لم لم تسأل الزارع الثانى فهو يعرف كل المعرفة كيف يزرع الكروم، ومهما يكن من أمر فلابد أن تدفع الإيجار.

ثم شكاه وصدر عليه حكم بالسجن حتى يدفع للمالك حقه، ولكن المالك شعر بـالعطف عليـه لبساطته، فتنازل عن حقه وأفرج عنه وقال له اذهب فأنا لا أتمسك بحقى، ويكفيك أن أعفيتك من ديْنك برغم أنك كنت تمضى وقتًا أطول فى العمل بالبستان.

وجاء الرجل الثانى، وقال له المالك مرحبًا بالخبير فى زراعة الكروم، أين الفاكهة التى أنت مدين بها لى؟ ولما كنت تعلم كيف تقلم الكروم، فإنى متأكد بأن البستان الذى أجرته لك أثمر ثمرًا كثيرًا..

فأجابه الرجل: ياسيدى إن بستانك فى حالة سيئة، لأنى لم أقلم الشجر، ولم أقلب الأرض وبالتالى لم تطرح الكروم، ولذلك لا أستطيع أن أدفع لك أجر البستان. فنادى صاحب الملك الثالث وقال له: لقد قلت لى إن هذا الرجل الذى أجرت له بستانى الثانى قد علمك كيف تزرع الكروم فى البستان الذى أجرته لك.. كيف إذن لم يطرح بستانه وأصبح قطعة من الأرض ليس بها زرع؟

فأجاب الثالث: ياسيدى لا يمكن أن نزرع الكرم بالكلام فقط، فكان من واجبه أن يجهد ويعرق قميصه كل يوم إذا أراد أن تطرح الكرمة، وكيف يمكن لبساتينك أن تحمل ثمرًا ياسيد إذا كان الزارع لا يبذل جهدًا، بل يمضى الوقت فى الكلام، وبكل تأكيد لو كان قد طبق الكلام على العمل، لكان قد أعطاك ثلاثة أمثال إيجار بستانك لمدة خمس سنوات، أما أنا الذى لا أعرف الثرثرة، فقد أعطيتك ثلاثة أمثال إيجارك لمدة سنتين.

الإصحاح السابع والسبعون

«الحق أقول لكم: إن الكثيرين فى يوم الحساب سيقولون لله تعالى: يا إلـهى لقد بشرنا بشريعتك، وعلمناها للناس، ولكن الحجارة سوف تشهد عليهم قائلة: عندما بشرتم الآخرين بأنفسكم ولسانكم، حكمتم على أنفسكم يا فاعلى الإثم يا ظلمة».

قال عيسى: «وبحق الإله الحى أن كـ من يعلم الحق ويعمل ضد الحق سوف يعاقب عقابًا شديدًا حتى أن الشيطان ستأخذه الرأفة به، قل لى الآن هل أعطانا الله شريعته لمجرد المعرفة والعلم بها، أم للعمل بها، الحق أقول لكم، إن المعرفة كلها لا تهدف فى النهاية إلا لحكمة واحدة، أن تعمل بما تعلم.

قولوا لى إذا كان واحد يجلس إلى المائدة ووقع نظره على طعام شهى ولكنه اختار بيديه لحمًا غير طيب فأكله، ألا يعتبر هذا الشخص مجنونًا؟».

فقال تلاميذه: نعم بكل تأكيد.

فقال عيسى: «إن جنونكم قد فاق جنون المجانين، عرف الإنسان بتفكيره السماء وأدرك بيديه الأرض فاختارها بعقله، فالإنسان عرف الله بإدراكه وتفكيره، ولكنه اشتهى العالم بهواه، لقد عرف الإنسان بإدراكه جمال الجنة، ولكنه بأقواله اختار عذاب النار أيها الجندى الشجاع يا من تترك السيف

وتحمل الغمد لتحارب به، ألا تعلم أن كل من يسير فى الظلام يحتاج إل نور، لا ليرى النور وحده، بل ليرى الطريق الجيد الصحيح حتى يصل بسلام إلى مقصده (النزل الذى ينزل به) أيها العالم البائس حق عليك الإحتقار والكراهية ألف مرة، ألم يرد الله ورسله الصالحون، أن يعرف الإنسان الطريق المستقيم إلى راحته وهدوئه، ولكنك أيها العالم البائس لا تريد أن تذهب فى الطريق المستقيم، وهذا أسوأ لأنك احتقرت النور وفضلت عليه الظلام، إنك مثل الجمل فهو لا يحب الماء الصافى ليشربه، لأنه إذا ما نظر إليه وجد شكله قبيحًا، وبالمثل يفعل المفسدون الذين يأتون الرذيلة، والذين يكرهون النور حتى لا تظهر أعمالهم الشريرة، ولكن من يؤتى الحكمة ولا يكتفى بألا يفعل حسنًا بل يأتى الشر فهو مثل الذى يستخدم العطايا كوسيلة لقتل المعطى المتصدق بها.

الإصحاح الثامن والسبعون

«الحق أقول لكم: إن الله لم تأخذه الرحمة عندما سقط إبليس سقطته، ولكن أخذته الرحمة عندما سقط آدم ويكفى هذا لتعلموا حال الرجل الحزين كيف يكون حزنه وهو عالم بما هو طيب وصالح ومع ذلك يأتى الشر والفساد».

ثم قال له أندراوس: «يا معلم، إنه شئ كبير أن تترك العلم جانبًا خوفًا من أن تقع فى مثل هذه المواقف».

فقال عيسى: «إذا ما كان العالم صالحًا بدون شمس، والرجل بدون أعين والروح بدون فهم، إذن فمن الأفضل أيضًا ألا نعلم أو ندرك، الحق أقول لكم: إن الخبز لا يفيد الحياة الزمنية كما تفيد المعرفة الحياة الأبدية.

ألا تعلمون أن ما يجب معرفته هو الإيمان بالله حتى نتعلم، فقد قال الله «اسألوا شيوخكم ليعلموكم»، وقال الله عن شريعته: «يجب أن تضعوا إحساسكم بى أمام أعينكم والهجوا بذكرى عندما تجلسون وعندما تسيرون وعندما تفكرون».

ثم كيف يكون الجهل عملاً صالحًا، يجب أن تتعلموا أيها الناس، يامن تحتقرون الحكمة، اعلموا أنكم سوف تخسرون الحياة الأبدية إن لم تتعلموا».

فأجاب يعقوب: «يامعلم، إننا نعلم أن أيوب لم يتعلم من سيده، ولا إبراهيم، ومع ذلك هما من الصالحين والأنبياء والمرسلين».

أجاب عيسى: «الحق أقول لكم: إن من يعيش فى منزل العروس لا يحتاج إلى دعوة عند الزفاف لأنه يسكن فى نفس المسكن أما هؤلاء الذين يسكنون بعيدًا عن المنزل فيدعون إلى العرس».

ألا تعلمون أن رسل الله إنما يسكنون فى بيت الله يكلؤهم بعنايته ورحمته، إنهم ينفذون شريعة الله وحدوده كما قال أبونا داوود.. قال: «إن شريعة الله فى قلبه، فهو ليس فى حاجة لأن يحفر طريقه إلى الله».

والحق أقول لكم: إن الله عندما خلق الإنسان غرس فيه الاستقامة ووضع فى قلبه نورًا يجعله يرى أن من الأصلح له أن يعبد الله، وعلى ذلك إذا ما خَفَتَ هذا النور بخطيئة من الخطايا، فإنه لا ينطفئ كلية، بل يخفت فقط، فكل أمة ترغب فى أن تعبد الله، حتى وإن فقدت الطريق إليه، وأخذت تعبد آلهة كاذبة، وعلى ذلك كان من الضرورى للإنسان أن يتعلم من رسل يرسلهم الله تعالى يمدهم بنوره مبشرين بطريق الجنة، وبلادنا إذا ما عبدت الله تعالى أحسن عباده، إنما هى أشبه بمن كان فى عينه رمد فهو يحتاج إلى من يرشده ويساعده فالإرشاد والمساعدة لهما أمران ضروريان.

الإصحاح التاسع والسبعون

أجاب يعقوب: «وكيف يعلمنا الرسل إذا كانوا قد قضوا نحبهم، أو كيف يعلّم الرسل هؤلاء الذين لا يعرفون عنهم شيئًا».

فأجاب عيسى: «إن مذاهب الرسل مكتوبة ويجب دراستها، فكتاب الرسل بالنسبة لك هو كالرسول. والحق أقول لكم: «إن من يحتقر الرسالة لا يحتقر الرسول وحده، بل يحتقر الله الذى بعث هذا الرسول. وإنى أقول لكم إذا ما عاش فى هذه المناطق رجل يهتدى بنور قلبه، ويسير على ضوء هذا النور، فهو لن يفعل بالآخرين شيئًا لا يريد أن يفعله الآخرون به، فهو يعطى لجيرانه بقدر مايود أن يأخذ بيده وينعم عليه بشريعته مصحوبة برحمته، وقد تظن أن الله أتاه شريعته حبًّا فى هذه الشريعة، غير أن الواقع غير ذلك تمامًا، فالله قد أتاه شريعته كى يخدم الله عن طريق حبه لله وإذا ما وجد سبحانه وتعالى رجلًا يخدم فى سبيله خدمة حسنة طيبة، فهل يحتقره وبدون سبب، لابل سيحبه أكثر من هؤلاء الذين أنعم عليهم بشريعته ولأضرب لكم مثلًا كان هناك رجل يمتلك أملاكًا كثيرة، وكان من بين أراضيه قطعة صحراوية لا ينبت فيها شجر يطرح فاكهة، وفى يوم من الأيام كان يجوس خلال هذه الصحراء فوجد نباتًا قد أخرج ثمرًا لينًا رقيقًا، فقال الرجل كيف ينبت هذا النبات هنا ويحمل هذه الثمار الشهية الرقيقة، سوف أعمل بكل تأكيد على المحافظة عليها فلن أقطعه وأضعه فى النار مع النباتات الأخرى، ثم نادى على غلمانه وأمرهم بأن يقتلعوا النبات من جذره، ويغرسوه مرة أخرى فى حديقته.

وإنى أقول لكم إن الله سيحفظ المؤمنين الذين يعملون عملهم فى جد وعناية من أن تلفحهم ألسنة جهنم أينما كانوا.

الإصحاح الثمانون

قل لى أين أسكن الله أيوب فى غير أرض أوز بين عبدة الأصنام؟ وكيف كتب موسى عن زمن الفيضان، ثم قولوا لى هل تمجد نوح من قبل الله؟ لقد كان أبو سيدنا إبراهيم لا دين له، وكان يعبد الأصنام الكاذبة كما كان يصنعها، أما لوط فكان قومه فى صحبة الأشرار من الرجال، بل فى صحبة

أشرهم على سطح الأرض. كذلك أسر بختنصر دانيال، وحفيثيا، وعزريا، وميخائيل، ولما يبلغ أحدهم الثانية من عمره، وقد نزلوا وشبوا مع الكفرة الوثنيين وبحق الله الحى، وبقدر ما تحرق النار الأشياء حتى تجف أولًا، ثم تتحول إلى نار ثانية، ليس فى ذلك فرق بين شجر الزيتون والسر والنخيل والله يرحم من يشاء، خاصة من يعمل صالحًا لا فرق فى ذلك بين يهودى وغير يهودى، أو بين إغريقى وإسماعيلى (ابن إسماعيل)، ولكن يا (يعقوب) اطمئن ولا تخف حتى لا يقف قلبك، واعلم أن الله أينما يرسل رسوله وجب عليك أن تتبع هذا الرسول ولا تصدر أحكامًا أو شروطًا، فلا تقل مثلًا ولماذا يقول هكذا ولماذا يمنع هذا ويبيح ذلك، ولكن يجب عليك أن تقول هذه إرادة الله، هذا أمر الله، هل تذكر ما قاله الله لموسى عندما احتقرت إسرائيل موسى، قال «إنهم لم يحتقروك بل احتقرونى».

والحق أقول لكم: إن الإنسان يجب ألا يصرف حياته فى كيف يتحدث أو كيف يقرأ ويتعلم، بل فى كيف يعمل، والآن قولوا لى هل يوجد لهيرودس خادم لا يقبل على خدمته بنشاط وجد، ويل لهذا العالم الذى يقبل على الدراسة مرضاة لشخص من الأشخاص أصله من طين وروث فلا هو يدرس، بل يتناسى خدمة الله، الذى خلق كل شيء والذى تبارك اسمه دائمًا».

الإصحاح الحادى والثمانون

قولوا لى: «هل تكون الخطيئة كبيرة إذا ما ترك الكهنة تابوت العهد يسقط إلى الأرض وهم يحملونه».

وأخذ التلاميذ عندما سمعوا ذلك يرتجفون لأنهم كانوا يعلمون أن الله قد ذبح الرجل أو زاح عندما لمس بدون حق تابوت العهد، وقالوا إنها لخطيئة كبرى، فرد عيسى قائلًا: «وبحق الله الحى أن الخطيئة الأكبر أن تنسى كلام الله وعهده فهو الذى خلق كل شيء، وهو الذى ينعم عليك بالحياة الأبدية».

وما إن قال عيسى قولته حتى أخذ يصلى وبعد أن انتهى من صلاته، قال: «غدًا سنضطر إلى أن نسير إلى سمراء، هكذا قال لى ملاك الرب».

وفى صبيحة أحد الأيام اقترب عيسى من البئر الذى حفره يعقوب، وأعطاه لابنه يوسف، وكان عيسى متعبًا من مشقة الرحلة فأرسل أحد تلاميذه إلى المدينة ليشترى طعامًا، وجلس هو على حافة البئر يستريح، ولكن جاءته امرأة لتسقى، فخاطب عيسى المرأة قائلًا: «اعطنى جرعة ماء»، فأجابت المرأة: «ألا تشعر بالخجل، فأنت على الرغم من أنك عبرى، تسألنى – وأنا السامرية – جرعة ماء»، فرد عيسى قائلًا: «يا امرأة لو علمت من هو سائلك لما قلت قولتك ولطلبت أنت جرعة ماء»، فأجابت المرأة: «ولكن كيف يتأتى لك أن تعطينى جرعة ماء وأنت لا تملك وعاءً لترفع به الماء ولا حبلًا، فالبئر عميق».

فأجاب عيسى: «إن من يشرب من هذه البئر يا امرأة يعاوده العطش فيأتى مرة أخرى ليشرب منها، أما من يشرب ماء أعطيه له فلا يعطش ثانية، والذين يشعرون بالعطش أعطيهم ليشربوا بقدر

ما يلزمهم للوصول إلى الحياة الأبدية».

فأجابت المرأة: «يا سيدى أعطنى من مائك».

فأجاب عيسى: «اذهبى وأحضرى زوجك ولسوف أعطيكما لتشربا».

فقالت المرأة: «لا زوج لى».

فقال عيسى: «نعم لقد صدقت على الرغم من أنك تزوجت خمس مرات، والرجل الذى تعيشين معه الآن ليس بزوجك».

وقد دهشت المرأة من سماعها هذاالكلام وقالت: يا سيدى إنى أعلم الآن أنت رسول، قل لى أرجوك فالعبرانيون يصلون على جبل صهيون فى المعبد الذى بناه سليمان فى القدس ويقولون إن الناس يشعرون هناك بالوجل والاحترام والرحمة ومغفرة الله وأهلنا يعبدون من فوق هذه الجبال ويقولون إنه لا يجوز العبادة إلا من فوق جبل سمراء، قل لى أيهم على حق ومن هم الصادقون فى عبادتهم».

الإصحاح الثانى والثمانون

تنهد عيسى وبكى وقال: «الويل لك يا يهودا، لأنك تمجدت وتفاخرت فى المعبد»، وعشت وكأن ليس هناك إله، ورحت تمرحين فى مسرات العالم ومكاسبه، وهذه المرأة سوف تدينك يوم القيامة وتذهبين إلى جهنم هذه المرأة تريد معرفة مجد الله ورحمته، ثم تحول إليها وقال: «يا امرأة أنتم يا أهل سمراء إنكم تسجدون لما لا تعرفون، ولكننا نحن العبرانيين نعبد الإله الذى نعرفه والحق أقول لك، إن الله روح وحق، وتجب الصلاة له، وأنه يعبد بالروح وبالحق، لأن وعد الله صدر فى القدس فى معبد سليمان وليس فى أى مكان آخر، ولكن صدقينى أن قلت إن الوقت قد حان لأن تنزل رحمة الله بمدينة أخرى، وإن الإنسان يستطيع أن يعبد اللهافى أى مكان شاء، فالله فى كل مكان يتقبل العبادة الصادقة».

فأجابت المرأة: «نحن ننتظر نزول المسيح، فهو عندما يأتى سيعلمنا». فأجاب عيسى: «هل تعرفين يا امرأة أن المسيح سيأتى؟»، فأجابت المرأة: «نعم يا سيدى».

إبتهج عيسى وقال: «بقدر ما أعلم يا امرأة أنك مؤمنة صالحة، واعلمى أن كل فرد فى شريعة المسيح سيخلصه الله مادام قد اختاره، وعلى ذلك كان من الضرورى أن تعلمى متى يأتى المسيح». قالت المرأة: «يا سيد.. ألست أنت المسيح؟».

أجاب عيسى: «لقد أرسلنى الله إلى بيت إسرائيل كرسول مخلص، ولكن سيأتى بعدى المسيح الذى يرسله الله إلى جميع أنحاء العالم، والذى من أجله خلق العالم، وعندئذ سوف يعبد العالم الله وتحل الرحمة، وتأتى سنة الفرح والحبور، وهى التى تأتى الآن مرة كل مائة سنة، أما فى أيامه فسوف تأتى مرة كل سنة، وفى كل مكان، وعندئذ رفعت المرأة جرتها وراحت تجرى نحو المدينة وتعلن ما سمعته من عيسى.

الإصحاح الثالث والثمانون

وعندما كانت المرأة تتحدث إلى عيسى حضر تلاميذه، واستعجبوا كيف يتحدث عيسى فى تبسط مع امرأة، ولكن لم يفاتحه فى ذلك أحد ولم يقل له تلميذ كيف تتحدث هكذا مع هذه المرأة.

وعندما رحلت المرأة قالوا: «يا معلم تعالى وكل»، فرد عيسى: «يجب أن آكل نوعًا آخر من الطعام». فأخذ تلاميذه يتحدثون مع بعضهم البعض قائلين:

«لاشك فى أن أحد المارة قد تحدث مع عيسى مصادفة وذهب ليأتى إليه بالطعام، ثم راحوا يسألون كاتب هذا الإنجيل: «هل أتى أحد هنا يا برنابا وأتى معه بالطعام للسيد المعلم».

وأجاب كاتب هذا الإنجيل: «لم يأت أحد هنا غير تلك المرأة التى رأيتموها وقد أتت بإنائها الفارغ لتملأه ماءً»، فعجب التلاميذ وانتظروا من عيسى القول الفصل، فقال عيسى: «أنتم لا تعلمون أن الطعام الحقيقى، هو أن تنفذوا إرادة الله فالخبز لا يشبع الإنسان ويعطيه الحياة، ولكن كلمة الله وإرادة الله، فيها الحياة، ولهذا السبب نجد الملائكة لا تأكل، وأن غذاءها من إرادة الله، وعليه نحن وموسى،وإيليا وآخرون، قد مكثنا أربعين يومًا، وأربعين ليلة بدون طعام»، ثم رفع عينيه إلى السماء وقال عيسى: «أبعيد الحصاد؟».

فأجاب التلاميذ: «ثلاثة أشهر».

فرد عيسى: «انظروا إلى الجبل إنه أبيض بما فيه من حنطة، والحق أقول لكم، إن اليوم سيكون فيه حصاد فهو يوم عظيم، ثم أشار إلى الجموع التى أتت لتراه، إذ أن المرأة كانت عندما دخلت المدينة قد أثارت أهلها قائلة: «أيها الرجال تعالوا وانظروا الرسول الجديد الذى أرسله الله لبيت إسرائيل»، ثم راحت تقص عليهم ما دار بينها وعيسى، وعندما وصلوا إليه أحاطوا به ليأتوا به إلى المدينة وينزل عليهم ضيفًا مدة يومين، يبرئ خلالها المرضى، ويعلمهم ملكوت السموات، ثم قالت الجموع للمرأة: «إننا نعتقد فى كلماته ومعجزاته أكثر مما قلتيه لنا، فهو أحد أولياء الله الصالحين، لقد أرسله الله ليخلص هؤلاء الذين يعتقدون فيه».

وبعد أن صلوا صلاة منتصف الليل، اقترب التلاميذ إلى عيسى فقال لهم هذه الليلة هى اليوبيل السنوى فى زمن المسيح، الذى سنفرح به كل ١٠٠ سنة، وعلى ذلك لن ننام، وننسى الله فلنركع مائة مرة احترامًا لله القوى العزيز الرحيم المبارك على الدوام وإلى الأبد، وعلى ذلك دعنا نقول فى كل مرة: «إننا نقر ونعترف أنك أنت الإله الواحد، أنت البداية، وأنت النهاية، وبرحمتك وضعت لكل شىء بداية، وبعدالتك تعطى لكل شىء نهاية، أنتِ الأوحد، لا شبيه لك بين الناس، لأنك بإحسانك الأبدى لا تخضع للهوى، ولا للأحداث، ارحمنا يارب العالمين، فنحن خلقك وأنت صانعنا بيديك».

الإصحاح الرابع والثمانون

وبعد أن انتهى عيسى من دعائه وصلاته قال: «فلنشكر الله سبحانه وتعالى لأنه أنعم علينا هذه الليلة برحمة عظمى، فقد أمر بأن نسترجع الوقت الذى كان يجب أن يمر فى هذه الليلة، والذى نصلى فيه مع رسول الله، لقد سمعت صوته وقد فرح التلاميذ عند سماعهم هذا وقالوا: «يا معلم علمنا بعض الوصايا هذه الليلة».

قال المسيح: «هل رأيتم فى مرة من المرات الروث وقد اختلط بالبلسم؟».

فأجابوا: «أبدًا يا معلم، فليس هناك من مخبول يفعل ذلك».

فقال عيسى: إنى أقول لكم إن فى عالمنا هذا أعظم المخبولين، فهم يخلطون بين عبوديتهم لله وعبوديتهم للمادة، حتى إن الشيطان قد استهوى كثيرين ممن لا لوم عليهم ولا خطيئة لهم، وبينما كانوا يتعبدون خلطوا العبادة بالأعمال اليومية الدنيا، ولكنهم فى ذلك الوقت أصبحوا مكروهين فى نظره، قولوا لى متى تتوضئون للصلاة..؟

وهل تحترسون من أن يمسكم شىء قذر نعم - بكل تأكيد - ولكن ماذا تفعلون وأنتم تصلون؟ هل تطهرون نفوسكم من الخطايا بالتوجه إلى الله ليرحمكم ويغفر لكم؟ وهل أنتم على استعداد عندئذ وأنتم تصلون أن تتحدثوا عن الأحوال الدنيوية؟ احترسوا أن تفعلوا ذلك فكل كلمة دنيوية تصبح وكأنها غائط الشيطان وعلى روحه تتكلمون».

وراح التلاميذ يرتجفون، فكان يتكلم فى حماسة وقالوا له: «يا معلم: ماذا نفعل إذا ما أتى صديق لنا، وتحدث إلينا ونحن نصلى لله؟».

فرد عيسى: «دعوه ينتظر إلى أن تنهوا صلاتكم».

وقال (بترثليميو): «ولكن إذا ما تضايق وذهب فى طريقه؟».

أجاب عيسى: «إذا ما تضايق - صدقونى أنه ليس بصديق لكم وليس بمؤمن، بل هو غير مؤمن وصديق للشيطان، قولوا لى إذا ما ذهبتم لمحادثة أحد غلمان اصطيل هيرودس ووجدتموه يتحدث مع هيرودس، فهل تتأففون إذا ما ترككم تنتظرون؟! لا بكل تأكيد، ولكنكم قد تشعرون بسعادة وأنتم ترون صديقكم مقربًا من الملك، وأنه يعزه، أليس هذا صحيحا؟».

أجاب التلاميذ: «إنه الحق بعينه».

ثم قال عيسى: «والحق أقول لكم، إن المصلى عندما يصلى يحادث الله، وعليه كان من الواجب أن يترك فى حديثه مع الله، حتى يستطيع بعد ذلك أن يحادث الإنسان، إنه من الحق ألا يتضايق صديقكم لهذا السبب، فأنتم تجلون الله أكثر، وصدقونى أنه إذا ما شعر بإهانة بسبب انتظاره، فإنه يكون فى هذه الحالة وليًا للشيطان، فهذا ما يريده، أن ينسى الإنسان ربه، وبحق الإله الحى أن أى عمل يأتيه الإنسان وهو يخاف الله إنما يأتيه وهو بعيد عن التفكير فى دنياه حتى لا يفسد عمله الطيب».

الإصحاح الخامس والثمانون

قال عيسى: «إذا كان هناك من يسىء العمل أو يسىء القول، وإذا كان هناك من يصحح له ويوقف القول السيىء أو العمل السيىء، فكيف يكون حال هذا الرجل الأخير؟».

فأجاب التلاميذ: «إنما يفعل طيبًا، فهو يخدم الله الذى يكره الشر ويحاربه، فهو كالشمس يسعى وراء الظلمة ليشتتها».

وقال عيسى: «إنما أقول لكم العكس، فإذا كان هناك من يعمل طيبًا، أو يتحدث طيبًا، فإن من يقف فى طريقه بحجة أنه يريد أن يصلح له عمله أو قوله يكون فعله غير طيب إنما يخدم الشيطان، بل هو شريك له، فالشيطان لا يهتم إلا بمحاربة كل ما هو طيب.

وكل ما أستطيع أن أقوله لكم الآن هو ما قاله سليمان الرسول حبيب الله ووليه عندما قال: «من بين الألف الذى تعرفهم واحد صديق لك».

فرد عليه قائلا: «وهل معنى ذلك ألا نحب أحدًا»؟

فأجاب عيسى: الحق أقول لكم، إنه ليس فى الشريعة أن تكره أحدًا أو شيئًا، إلا الخطيئة، وعليه ليس لكم أن تكرهوا الشيطان من ناحية كونه من مخلوقات الله ولكن كراهيته هى من حيث هو عدو الله، هل تعرفون السبب؟ سأقول لكم إنه مخلوق من مخلوقات الله، وكل ما يخلقه الله طيب وكامل، وعليه من يكره مخلوقا يكره الخالق، ولكن اتخاذ صديق أمر مختلف، فليس العثور على الصديق بالسهل وإن يكن ضياعه سهلا، فالصديق يحتمل من صديقه معارضته أمرًا أو شخصًا يحبه حبا جمًّا، ولا أحد يختار صديقًا يكرهه أو يكره من يحبه، هل تعرفون معنى الصديق؟ الصديق هو طبيب النفس، وعلى ذلك كان الأصدقاء نادرين، الأصدقاء الذين يعرفون الأخطاء وكيف يأخذون بيد صديقهم نحو الصلاح، أو هم كطبيب ماهر ليس من السهل معرفته فى كل حين، ماهر إلى درجة أنه يعرف دائمًا الدواء، ولكن ها هنا شر، فكثير من الناس يعقدون صداقات عديدة، ولكنها صداقات صورية، إذ لا يحاول الصديق أن يكشف أخطاء صديقه ويصارحه بها، أو يبتكر معاذير لصديقه، بل قد يذهب البعض إلى الدفاع عن أخطاء صديقهم بحجج دنيوية، والأدهى والأمر هناك أصدقاء يدعون أصدقاءهم ويساعدونهم على الخطيئة، ولسوف تكون نهاية هؤلاء فى مثل لؤمهم وخستهم، فاحترسوا أن تتخذوا من هؤلاء أصدقاء، فهم فى الحقيقة أعداء يقتلون النفس.

الإصحاح السادس والثمانون

وليكن صديقك صديقًا يقبل الإصلاح والإرشاد بقدر ما هو قابل لإصلاحك وإرشادك، وحتى إذا أراد منك أن تترك كل شىء حبًّا فى الله، تقبل ذلك بنفس كريمة، بل تقبل أن تتركه حبًّا فى الله إذا لزم الأمر.

ولكن قولوا لى إن لم يكن الإنسان عارفًا كيف يحب ربه فكيف يعرف كيف يحب نفسه؟ وكيف يعرف كيف يحب غيره؟ أما كيف يحب نفسه، فهذا مستحيل بكل تأكيد، وعلى ذلك إذا ما اخترت أحدًا ليكون صديقًا لك، فاعلم أن من لا صديق له على الإطلاق هو أشد الناس فقرًا. يجب ألا تأخذ بالمظاهر فلا تراعى حسبه أو نسبه أو عائلته الرفيعة، أو منزله الراقى، أو ملابسه الغالية، أو شخصيته الرقيقة، أو كلامه المعسول، لأنك إذا ما راعيت ذلك سوف تجد نفسك قد خدعت فيه، ولكن عليك أن تراعى أولا كيف يخاف ربه، وكيف يحتقر الأشياء الدنيوية، وكيف يحب الأعمال الطيبة ويسعى إليها، وفوق هذا وذاك كيف يكره لحمه (ملذاته)، عندئذ سوف تجده صديقًا حقيقيًّا فهو إذا كان قبل كل شيء - يخاف الله، ويحتقر الأبهة والفخفخة والتعالى فى هذا العالم، وإذا كان يشغل نفسه دائمًا بالعمل الطيب، ويكره الجسد كما يكره عدوًّا قاسيًا، فإنك للأسف لن تحب مثل هذا الصديق حبًّا يجعلك تعيش معه، ففى هذه الحالة تكون كعابد وثن، ولكن أحبه كما تحب هدية أعطاها لك الله، وعندئذ سيحبه الله ويعزه معزة كبيرة، والحق أقول لكم إن من يجد صديقًا حقيقيًّا فإنه يجد متعة من متع الحياة، بل يجد مفتاح الجنة».

فأجاب ثاداءوس «ولكن إذا كان هناك يا معلم رجل صادق دون أن تكون فيه كل هذه الصفات... هل نتركه؟».

فأجاب عيسى: «يجب أن تفعل ما يفعله النوتى بمركبه، فهو يقودها طالما كان بها نفع، فإذا وجد عملية تشغيلها تعود عليه بخسارة وجب عليه تركها كذلك تفعل مع صديقك الذى هو أسوأ منك، اتركه إذا كان حجر عثرة فى طريقك حتى لا تتركك رحمة الله».

الإصحاح السابع والثمانون

تبًّا لهذا العالم الملىء بالخطايا، وإذا كان لابد من الخطايا لأن العالم يعيش كله فى شرور وآثام، فويل للإنسان الذى يأتى الخطيئة، إن الأفضل له أن يجمع حجر الرحى ويعلقه فى رقبته ثم يقفز إلى أعماق البحر، فهذا أفضل له من أن يأتى الخطيئة مع جاره، وإذا ما عثرت عينك فاقلعها، فمن الأفضل أن تكون بعين واحدة فى الجنة من أن تكون بعينين فى النار، وإذا عثرت يدك أو قدمك فاقطعها فالأفضل أن تدخل مملكة الرحمن بيد واحدة، أو بقدم واحدة، من أن تدخل النار بيدين أو بقدمين.

ثم قال سمعان الذى يسمى ببطرس: «يا معلم كيف أفعل ذلك، إذ لن يمر وقت طويل حتى أكون قد قطعت جميع أطرافى».

فأجاب عيسى: «يا بطرس اخلع عنك هذه النزوات الجسمانية، فلسوف تجد الحقيقة فى الحال فالذى يعلمك ويعظك هما عيناك، والذى يساعدك إلى عملك هما قدماك، والذى يدبر الأمر لك هو يدك، وبالتالى إذا ما كان أحد هذه الأطراف، أو الأعضاء، قد ارتكب خطيئة فى مناسبة ما، فالأفضل لك أن تذهب إلى الجنة جاهلا وفقيرًا ولك بعض الأعمال الصالحة، فهذا أفضل لك من أن تذهب إلى

النار غنيًا حاملا أوزارًا كبيرة تعوقك عن خدمة الله، اطرح عنك ما يمنعك من خدمة الله كما تطرح ما يعيق بصرك.

وما إن قال عيسى قوله، حتى نادى بطرس وقربه إليه وقال له:

«إذا ما أخطأ أخوك فى حقك اذهب وصالحه، فإذا انصلح حاله افرح وابتهج، فقد كسبت أخاك، وإذا لم ينصلح حاله، اذهب إلى الكنيسة وأخبرهم، فإذا لم ينصلح حاله اتركه واعتبره غير مؤمن بالله، لا تسكن معه تحت سقف واحد، لا تأكل معه على مائدة واحدة ولا تكلمه، وإذا عرفت موضع قدمه فلا تضع قدمك فى نفس موضعها».

الإصحاح الثامن والثمانون

«ولكن احذر أن تظن أنك أفضل، بل يجب أن تقول لنفسك يا بطرس لولا أن ساعدك الله بفضله لكنت أسوأ منه حالا».

فأجاب بطرس: «وكيف أصلحه؟».

فأجاب عيسى بنفس الطريقة التى تصلح بها نفسك، أو بالحالة التى ترغب أن تكون قد ولدت بها، وبالتالى تتحمل كما يتحمل الغير، صدقنى يا بطرس فأنا أقول لك الحق، إن فى كل مرة تصلح أخاك فى مودة ورحمة، فإن الله يرحمك وينزل مودته عليك، وأنت إذا تكلمت معه فى مودة، فسوف تحصل على نتيجة، أما إذا حاولت إصلاحه فى قسوة وعنف، فأن عدالة الله ستعاملك بالمثل فى قسوة وعنف ولن تحصل على نتيجة، قل لى يا بطرس أتعرف الطواجن الفخارية التى يطبخ فيها الفقراء؟ هل هم يغسلونها وبالمناسبة هل هى تغسل بالحجارة أو المطارق الحديدية؟

لا بكل تأكيد، بل تغسل بالمياه الساخنة، فلو استخدمت المطرقة لا نفرط الطاجن إلى قطع صغيرة والأشياء المصنوعة من الخشب تحترق بالنار، والإنسان لا ينصلح حاله إلا بالمودة والرحمة، وعلى ذلك إذا ما أردت أن تصلح أخاك قل لنفسك إذا لم يساعدنى الله فلسوف يكون عملى غدا أسوأ من كل ما فعله هو اليوم».

فأجاب بطرس «وكم مرة أغفر فيها لأخى يا معلم؟».

فأجاب عيسى: «أكبر عدد من المرات، كما لو كنت أنت المذنب وتطلب المغفرة منه».

فقال بطرس: «هل تكفى سبع مرات فى اليوم؟».

فأجاب عيسى: «ليس فقط سبع مرات، بل سبعون مرة، أو سبعة آلاف مرة تسامحه فيها يوميا، فمن يسامح غيره يسامحه الله، ومن لا يسامح غيره لا يسامحه الله».

فقال صاحب هذا الإنجيل برنابا «ويل للأمراء، فلسوف يذهبون إلى النار» فنهره عيسى وقال: «يبدو أنك قد أصبحت أحمق يا برنابا لأنك تتكلم هكذا، والحق أقول لك، إن الحمام ليس ضروريا

لجسد الإنسان، كما أن اللجام ليس ضروريا للحصان أو ذراع الدفة ليس ضرورية للسفينة، فالأمير ضرورى للدولة، ومن أجل هذا السبب أعطى الله سبحانه وتعالى لموسى ويوشع، وصمويل، وداود، وسليمان ولكثيرين غيرهم حق الحكم، وهكذا أعطى الله تعالى السيف لمثل هؤلاء لاستئصال الظلم والإثم».

فقال صاحب هذا الإنجيل برنابا «وكيف يجب أن تدار العدالة أبالقصاص أم بالعفو؟».

فأجاب عيسى: «ليس كل شخص قاضيا، وللقاضى وحده تظهر الحقائق التى يدين بها آخرين يا برنابا، ويجب على القاضى أن يدين المذنب، كما يجب على الوالد أن يأمر بقطع العضو الفاسد من جسد ابنه، حتى لا تداعى سائر أعضاه.

الإصحاح التاسع والثمانون

قال بطرس «وكم يتعين على أن أنتظر حتى يثوب أخى؟».

فأجاب عيسى: «يتعين عليك أن تنتظر بقدر ما كنت تحب أن ينتظر أخوك عليك».

فأجاب بطرس: «لن يفهم كل فرد ذلك أرجو أن تتحدث إلينا فى بساطة وسهولة أكثر».

أجاب عيسى: «اصبر على أخيك بقدر ما يصبر الله عليك».

فأجاب بطرس: «لن يفهم هذا التعبير أحد».

فأجاب عيسى: «اصبر عليه طالما أمامه وقت يتدبر فيه ويثوب».

فظهر الحزن على بطرس وعلى غيره، لأنهم لم يفهموا المعنى، فقال لهم عيسى: إذا تدبرتم تدبرًا سليمًا، وفهمتم الفهم الصحيح عن الرحمة الصحيحة، وعرفتم أنكم ارتكبتم خطيئة، فهلا تظنون أنه يتعين عليكم أن تغلقوا قلوبكم عن الرحمة بالمخطئ، وإنى أقول لكم إنه يجب الانتظار على المخطئ فقد يتوب طالما فيه عرق ينبض ونفس يتردد، وإنى أقول لكم بصراحة، وهكذا يفعل الله الرحمن الرحيم، ألم يقل الله «إنى أغفر للمخطئ فى الساعة التى يصوم فيها، أو يتصدق فيها، أو يصلى فيها، أو ينوى الحج فيها»، وهذا ما قام به الكثيرون وهم ملعونون إلى الأبد، ولكنه قال فى «الساعة التى يبكى فيها المخطئ ندما على خطاياه،افإنى من ناحيتى أنسى إثمه.. هل تفهمون؟».

فرد التلاميذ: «نفهم جزءًا ولا نفهم جزءا آخر».

قال عيسى: ﷺوما هو الجزء الذى لا تفهمون؟»

فأجابوا: «هؤلاء الذين يصلون ويصومون، ثم بعد ذلك هم ملعونون؟».

فأجاب عيسى: «الحق أقول لكم، إن المنافقين والوثنيين الكافرين يكثرون من الصلاة ومن الصدقة ومن الصيام أكثر من أحباء الله، وبالتالى كانوا يفتقرون إلى الإيمان لا يستطيعون أن يتوبوا

توبة نصوحا من أجل الله، ومن ثم فهم ملعونون» فأجاب يوحنا: «علمنا يا معلم، ومن أجل محبة الله ما هى حقيقة الإيمان؟»

فقال عيسى: لقد حانت صلاة الفجر فقوموا وتوضئوا» ثم راحوا يصلون لله تبارك اسمه.

الإصحاح التسعون

وبعد أن فرغوا من الصلاة اقترب تلاميذه منه وقال عيسى: «اقترب يا يوحنا، اليوم سوف أتكلم إليكم فى كل ما سألتمونى فيه. الإيمان عبارة عن خاتم يختم به الله على قلوب الصفوة المقربة منه وهو نفس الخاتم الذى أعطاه لرسوله فختم به على كل من آمن بالله على يديه، ولما كان الله واحدا، فإن الإيمان واحد، واعلموا أن الله قد خلق رسوله قبل أن يخلق الأشياء كلها ثم أعطاه كل الأشياء وفى مقدمتها الإيمان الذى يقوم على محبة الله والاعتقاد فيه، وفى أوامره ومشيئته، وعليه فإن المؤمن يستطيع ببصيرته أن يرى الأشياء كلها أكثر مما يراها شخص آخر له عينان، فالعينان قد تخطئان، بل إنهما تخطئان كثيرا، ولكن المؤمن الصادق الإيمان لا يخطئ أبدا فهو يتخذ الله وكلمته أساسا لكل ما يفعل وكل ما يقول.

صدقونى إن الصفوة المختارة التى اختارها الله لا تخطئ بفضل إيمانها وإذا لم يتوفر الإيمان فمن المستحيل على الفرد الذى لا إيمان له أن يرضى به، فحيثما كان فالشيطان يستطيع بوسوسته أن يثلم الصيام والصلاة والزكاة والحج، إذ إنه يحض غير المؤمنين على المعصية، فهو يجد لذة كبيرة فى أن يرى الإنسان يعمل ويشقى دون أجر، ثم هو يجهد كل الجهد فى غواية المثابرين الصادقين فى إيمانهم فيحاول أن يثلم إيمانهم، حيث إن الإيمان يحتاج إلى مثابرة وجد وعمل لحراسته وصيانته وأفضل وسيلة هى ألا نستخدم كلمة «ولماذا»، إذ إن هذه الكلمة قد أخرجت الكثير من الناس من الجنة وغيرت «إبليس»، فبعد أن كان أجمل الملائكة أصبح أكثر الشياطين بشاعة وفظاعة».

ثم قال يوحنا: «والآن كيف يتأتى لنا أن نترك كلمة (ولماذا)، فهى أصل المعرفة وباب العلم».

فرد عيسى: «لا بل هى باب جهنم».

فسكت يوحنا، ولكن عيسى أضاف بعد قليل:

«إذا ما عرفت أن الله قد قال شيئا، فمن أنت يا إنسان، حتى تتقعر وتتفلسف وكيف لك أن تسائل ربك: «لماذا قلت يا ألله كذا وكذا»، لماذا فعلت يا ألله كذا وكذا، فهل تسأل الأوانى الفخارية صانعها لماذا صنعتى، أللاحتفاظ بالماء أو بالبلسم؟.

الحق أقول لكم، إن من الضرورى لمحاربة الشهوة أن تقوى نفسك بهذه العبارة الآتية: (لقد قال الله تعالى) كذا وكذا «أو وهكذا أراد الله» فأنت يا إنسان إن فعلت ذلك عشت فى أمان وسلام.

الإصحاح الحادى والتسعون

فى ذلك الوقت حدث اضطراب عصيب فى يهوذا بشأن عيسى، فأثارت عساكر الرومان والعبرانيون يساعدهم الشيطان، وراحت تنتشر بينهم أن عيسى إله جاء لزيارتهم، ومن ثم وقعت فتنة عظيمة، ولم يمض أربعون يومًا حتى كانت يهوذا قد امتشقت السلاح وانقسم الناس بعضهم على بعض، فخاصم الولد أباه، والأخ أخاه، وكان البعض ينادى بأن عيسى إله قد أتى إلى العالم فى حين راح البعض الآخر يقول إنه ابن الله، وراح آخرون ينادون بأن الله لا مثيل له بين الآدميين، وعليه فلا أولاد له وما عيسى الناصرى إلا رسول من عند الله.

ثارت كل هذه الآراء بسبب المعجزات التى أتاها عيسى، وكان من الضرورى لإخماد الفتنة وتهدئة الشعب أن يخرج الكهنة فى موكب وقد لبسوا مسوحاتهم التى كتب عليها اسم الله سبحانه من الأمام، وعلى نفس الوتيرة ركب الحاكم بيلاطس والملك هيرودس.

وفى قرية اجتمع ثلاثة جيوش قوام الواحد منها ٢٠٠ ألف رجل يحملون السيوف فتحدث إليهم هيرودس، ولكن لم ينصت إليه أحد.

ثم تحدث الحاكم بيلاطس وتلاه كبير الكهنة، فقال: أيها الأخوة، إن الشيطان هو الذى أثار هذه الفتنة، وما عليكم إلا أن تسألوا عيسى فهو حى ويستطيع بأن يشهد على نفسه، وصدقوا ما يقول.

فبدأت الجموع تهدأ، ووضعت السلاح وأخذ الواحد منهم يحتضن أخاه ويقول له: سامحنى يا أخى.

وفى نفس هذا اليوم أخذ كل فرد يعتقد فى عيسى من قلبه ويعتقد فيما سيقوله له، وقد أعلن الحاكم وكبير الكهنة أنهما يقدمان جوائز ثمينة لمن يأتى إليهم ويخبرهم بمكان عيسى.

الإصحاح الثانى والتسعون

وفى ذلك الوقت كنا قد ذهبنا مع عيسى بإيعاز من الملاك المقدس إلى جبل سيناء حيث أمضى عيسى وتلاميذه أربعين يومًا، وما إن انتهت الأيام الأربعون حتى كان عيسى قد وصل إلى نهر الأردن فى طريقه إلى القدس، وكان قد لمحه أحد الذين يعتقدون فى ألوهيته، وما إن رآه حتى أخذ يصيح جزلا وفرحًا لقد أتى ربنا، وعندما وصل المدينة راح يبشر أهلها ويقول: لقد جاء ربنا يا أهل القدس فاستعدوا للترحيب به واستقباله، ثم شهد بأنه رآه قرب نهر الأردن.

وفى الحال ترك المدينة كل فرد، صغيرًا كان أم كبيرًا، ليروا عيسى حتى أقفرت القدس، وحملت النسوة أطفالهن الرضع بين أذرعهن، وخرجن ناسيات أن يحملن معهن الطعام.

خرج الناس مدينتهم صغارًا وكبارًا وركب الكاهن مطيته بعد أن أرسل رسالة إلى هيرودس الذى ما إن وصلته الرسالة حتى فعل بالمثل وامتطى دابته ليقابل عيسى ليستعين به لإخماد الفتنة، وأخذوا يبحثون عنه مدة يومين فى القفار قرب الأردن، ثم وجدوه فى اليوم الثالث عند الظهيرة وكان يتوضأ

وتلاميذه استعدادًا للصلاة، وفق ما جاء فى كتاب موسى.

وعجب عيسى كل العجب عندما رأى الجموع التى غطت الأرض وقال لتلاميذه «لقد أثار الشيطان الفتنة فى يهوذا، وإنى أدعو الله أن يجرد الشيطان من سلطته على المخطئين».

وعندما قال ذلك اقتربت الجموع، وما إن عرفته حتى صاحت مرحبًا بك يا ربنا، وأخذوا يعبدونه كما لو كان إلها، فتنهد عيسى مزمجرًا زمجرة كبيرة، وقال: اذهبوا عنى أيها المجانين، فإنى أخاف أن تنشق الأرض فتبتلعنى وإياكم جزاء ما تفوهتم به من كلمات فظيعة وامتلأ الناس رعبًا وأخذوا يبكون.

الإصحاح الثالث والتسون

ورفع عيسى يده طالبًا السكوت وقال: «بالحق لقد أخطأتم خطأ كبيرًا يا أبناء إسرائيل، فقد دعوتمونى وأنا إنسان بربكم، وإنى لأخشى أن يرسل عليكم الله لهذا السبب وباءً خطيرا يحط على مدينتكم، أو أن يغزوكم الأجانب فيتخذونكم عبيدًا، فلتنزل اللعنات على الشيطان عليه اللعنة ألف مرة، فهو الذى أثاركم ودفعكم إلى هذا.

قال عيسى قولته، ثم لطم خديه بيديه، فارتفع البكاء ولم تسمع الجموع ما قاله عيسى فرفع يده مرة أخرى طالبًا السكوت، فكف الناس عن البكاء، وتكلم إليهم مرة أخرى قائلا: «إنى أعترف أمام السماوات، وإنى أستشهد بكل من يسكن الأرض، بأنى لست كما قلتم، فإنى إنسان ولدتنى امرأة فانية من البشر، وسوف أقدم يومًا حسابى إلى الله، وإنى كأى إنسان أكابد مشقة الأكل والنوم والبرد والحرارة، وفى يوم القيامة عندما يحاسب الله مخلوقاته، فلسوف تخترق كلماتى كالسيف كل فرد منكم يعتقد أنى أكثر من إنسان، وما إن قال ذلك حتى رأى عيسى كوكبة من الفرسان فأدرك أن الحاكم قد أتى مع هيرودس والكاهن الأكبر.

فقال عيسى: «وحتى هم أيضًا قد أصابتهم لوثة الجنون»..

وعندما وصل الحاكم مع هيرودس والكاهن الأكبر ترحل كل فرد منهم، ثم التفوا حول عيسى على أن الجنود لم يستطيعوا أن يبعدوا الناس الذين اقتربوا لسماع الحديث بين عيسى وكبير الكهنة.

واقترب عيسى نحو الكاهن الأكبر فى تجلة واحترام، أما هو فكان يود أن ينحنى ويعبد عيسى، فصاح فيه عيسى: «احذر ما أنت فاعل، فأنت كاهن الإله الحى، فلا تخطئ ضد إلهنا».

فأجاب الكاهن لقد تأثرت يهودا كل التأثير بما أتيته من معجزات، وبما قلته من مواعظ، وأخذت تعلن بصوت عال إنك الإله، وعلى ذلك أتيت هنا ومعى الحاكم الرومانى، والملك هيرودس بتكليف من الشعب، ونحن نرجوك من قلوبنا أن توقف الفتنة التى قامت بسببك، فبعضهم يقول إنك أنت الإله، بينما يقول آخرون إنك ابن الإله فى حين يقول البعض الآخر إنك رسول، فأجاب عيسى: «وأنت يا كبير كهنة الله، لماذا لم تخمد الفتنة؟ هل خرجت أنت بدورك عن عقلك، وهل رميتم بالتنبوءات التى وردت فى شريعة الله فى زاوية النسيان يا يهودا يا مسكينة يا من خدعك الشيطان».

الإصحاح الرابع والتسعون

وما إن قال عيسى قولته حتى أخذ يردد: «إنى أعترف أمام السماوات وأستشهد بكل من يسكن الأرض بأنى برىء مما يقوله هؤلاء الرجال جميعًا، فاشهدوا بأنى لا أفوق البشر فى شىء، فأنا إنسان ولدتنى امرأة فانية، سيحاسبها الله يوم القيامة، وإنى أعيش هنا كأى إنسان، أذوق ما يذوقه غيرى من بؤس، وبحق الله الحى الذى تقف روحى فى حضرته إنك قد أخطأت أيها الكاهن فى قولك الذى قلته، وإنى أضرع إلى الله تعالى ألا يرسل على هذه المدينة نقمته الكبرى لهذه الخطيئة».

ثم قال الكاهن: «فليعف الله عنا ولتصلى من أجلنا».

وقال الحاكم وهيرودس: «يا معلم من المستحيل أن يأتى إنسان بما تأتيه. كما أننا لا نفهم ما تقوله».

فأجاب عيسى: «إن ما تقولانه حق، فالله يفعل الطيبات فى الإنسان، رغم أن الشيطان يملؤه شرًا فالإنسان أشبه ما يكون بمحل كل من يدخله بإرادته يشترى ويبيع فيه، ولكن قل لى أيها الحاكم وأنت أيها الملك إنكما تقولان هذا لأنكمااغرباء عن شريعتنا، فنحن إذا ما قرأنا التوراة وعهد الله، لرأينا أن موسى بعصاه قد حول الماء دمًا، والغبار براغيث، والندى عاصفةز والنور ظلامًا، لقد أرسل الضفادع والجرذان على مصر، فغطت الأرض، وقتلت الأبقار، وشق البحر وأغرق فرعون، ومن هذه الأشياء لم أفعل شيئًا، وموسى فى نظر الكثيرين ميت، أما يشوع فقد أوقف الشمس فى مدارها وشق مجرى الأردن، وهذا لم أفعله، والجميع يعترفون أن يشوعارجل ميت، أما إيليا فقد أنزل من السماء عمودًا من نار، كما أنزل المطر، وهذا لم أفعله، والجميع يعترفون بأن إيليا بشر وأنه من الأموات، وبالمثل جاء عدد كبير جدًا من الرسل وأولياء الله وغيرهم ومن المطهرين وأتوا بأشياء خارقة، لم يستطع أن يستوعبها هؤلاء الذين لا يعبدون الله القوى العزيز الرحمن الرحيم المبارك إلى أبد الآبدين».

الإصحاح الخامس والتسعون

وعلى ذلك أخذ الحاكم وكبير الكهنة والملك، يرجون عيسى أن يصعد إلى مكان مرتفع ويخطب الناس حتى يهدءوا ويطمئنوا وبالفعل ذهب عيسى إلى أحد الأحجار الاثنى عشر التى ترمز إلى القبائل الاثنى عشر، والتى قطعها يشوع من أواسط الأردن، ولما مر الإسرائيليون عليها بنعالهم الجافة قال بصوت مرتفع: «فليصعد كبير كهنتنا إلى مكان مرتفع حتى يؤمن على كلامى»، وبالفعل صعد كبير الكهنة على حجر مرتفع وتوجه عيسى إليه بكلام واضح حتى يسمعه الجميع، قال: «إنه مكتوب فى العهد القديم، وفى عهد الله الحى، أن الله لا أول له ولا نهاية».

فرد الكاهن: «نعم هذا هو المكتوب فى الكتاب».

قال عيسى: «إنه مكتوب أيضًا أن الله قد خلق كل شىء بكلمة منه».

رد الكاهن: «نعم هو كذلك.

قال عيسى: «إنه مكتوب أيضًا منظر أصل ٣٩٢ فى الكتاب أن السماء الكبرى أم السماوات العُلَى لا تستطيع أن تحويه، فهو لا حد له ولا نهاية.

قال الكاهن: «هذا ما قاله (سليمان) الرسول يا عيسى».

قال عيسى: «إنه مكتوب أيضًا أن الله لا يحتاج لشىء، فهو لا يأكل ولا ينام ولا يتأذى من نقصان أى شىء».

قال الكاهن: «إنه كذلك».

قال عيسى: «إنه مكتوب أن الله موجود فى كل شىء، فى كل وقت، ولا إله إلاّ هو، هو الذى يحيى ويميت ويفعل ما شاء.

قال القسيس: «إنه مكتوب هكذا».

ثم رفع عيسى يديه وقال: «يارب يا إلهنا، هذا هو إيمانى الذى سآتى به يوم الحساب، وهذا هو إيمانى الذى يشهد لى ضد كل شخص يعتقد عكس ذلك»، ثم توجه عيسى إلى الشعب وقال: «توبوا إلى الله، فكل ما قاله الكاهن مكتوب فى كتاب موسى، وهو العهد الذى عاهدنا عليه الله دائمًا، إن فى استطاعتكم أن تدركوا خطاياكم، فأنا رجل وبشر ترونني، بل أنا قطعة من الطين أسير على الأرض، ولسوف يدركنى الموت كأى إنسان آخر، لقد كانت لى بداية، ولسوف تكون لى نهاية، وأنا ضعيف لا أستطيع أن أخلق ذبابة».

وعندما سمع الشعب ذلك أخذ يبكى وينوح وقال: «يارب يا إلهى، لقد أخطأنا فى حقك مرة أخرى الرحمة بنا».

وأخذوا يتوسلون إلى عيسى واحدًا واحدًا، أن يصلى من أجل سلام المدينة المقدسة وأمنها، وألا يسمح الله فى غضبه أن يجعلها مداسًا لشعوب الأرض، وعلى ذلك رفع عيسى يديه نحو السماء وأخذ يصلى من أجل المدينة، ومن أجل شعب الله، وأخذ الجميع ينتحبون قائلين آمين.

الإصحاح السادس والتسعون

وعندما انتهى الكاهن من صلاته قال بصوت جهورى: «انتظر يا عيسى إننا نريد أن نعرف من أنت حفاظًا على هدوء أمتنا وسلامتها».

فأجاب عيسى: «أنا عيسى بن مريم، من نسل داوود، أنا بشر كالبشر سيتوفانى الله، أخاف الله وأسعى فى سبيل مجده وجلاله».

قال الكاهن: «جاء فى كتاب موسى أن الله سيرسل إلينا المسيح، ولسوف يأتى إلينا ويعلمنا بإرادة الله، وسينزل رحمة الله على العالم، وعلى ذلك أرجو أن تخبرنا بالحقيقة هل أنت مسيح الله الذى ننتظره؟».

قال عيسى: «إنها لحقيقة أن الله وعد بذلك، ولكننى لست المسيح، فقد خلقه الله قبلى ولسوف يأتى بعدى».

أجاب الكاهن: «إننا نعتقد من كلماتك ومن أقوالك أنك ولى من أولياء الله، وعلى ذلك ألتمس إليك باسم جميع الساكنين فى يهودا وإسرائيل، ومن أجل الله ومحبته، أن تخبرنا على أى شكل سيأتى المسيح».

أجاب عيسى: «بالله الحى القيوم الذى تقف روحى فى حضرته، لست أنا المسيح الذى تنتظره جميع قبائل الأرض وكما وعد الله آبانا إبراهيم إذ قال: وفى ذريتك سأبارك الأرض ولكن عندما يأخذنى الله بعيدًا عن العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة، ويجعل الملحدين الكفرة يعتقدون أنى الله أو ابن الله، وبالتالى سوف تدنس كلماتى وتعاليمى حتى لا يبقى على وجه الأرض أكثر من ثلاثين شخصًا مؤمنًا، وعندئذ سينزل الله رحمته على العالم، ويرسل رسوله الذى صنع الأشياء من أجله وسيأتى الرسول من الجنوب مستندا إلى القوة، وسوف يدمر الأوثان والوثنيين، ولسوف ينـزع من أياديهم السلطة التى فرضوها على بنى البشر، وسيأتى الرسول معه برحمة من الله لإنقاذ بنى البشر وخلاصهم، بارك الله هؤلاء الذين سيعتقدون فيه ويؤمنون به وبكلماته».

الإصحاح السابع والتسعون

«وإنى لا أستأهل أن أحل رباط نعليه، فقد أولانى الله نعمته ورحمته، وجعلنى أراه».

وأجاب الكاهن ومعه الوالى والملك: «لا تحزن يا عيسى يا ولى الله، فهذه الفتنة لن تستمر طويلا، ولسوف نكتب إلى مجلس الشيوخ فى روما ليصدر فرمانًا إمبراطوريًا، يحرم أن يناديك أحد بإلـهنا أو ابن إلهنا».

ثم قال عيسى: «لقد أرحمتمونى بكلماتكم، فنحن عندما نأمل فى النور ينسدل ستار الظلام، وكل مايرضينى، ويعزينى هو مجىء الرسول، فهو الذى سيقوم بتقويم كل فكر خاطئ عنى، ولسوف ينتشر دينه حتى يعم أنحاء العالم، وهذا هو ما وعد الله إبراهيم أبانا به، وهذا ما يعزينى وهو أن دينه لن يحده زمن أو حدود وسوف يجعله الله دائمًا مصونًا طاهرًا».

وسأل الكاهن: «وهل بعد أن يأتى رسول الله سيأتى رسل آخرون؟».

فأجاب عيسى: «لن يأتى بعده رسل حقيقيون يبعثهم الله تعالى، ولكن سيأتى عدد كبير من الرسل الكاذبين، وإنى حزين لذلك ولسوف يخادنهم إبليس، ولسوف يخفون أنفسهم فى ظل إنجيلى مدعين عدالة الله».

وسأل هيرودس: «وكيف تسمح عدالة الله بإرسال مثل هؤلاء الكذبة الأشرار؟»

أجاب عيسى: «إن كل من لا يعتقد فى الإله الحق وفى خلاصه، يعتقد فى كذبة تودى به، وعلى ذلك

أقول لكم إن العالم دائمًا يحتقر الرسل الحقيقيين، ويقدر الكاذبين، كما حدث فى أيام اليشع، وأرميا، فالشبيه ينجذب إليه شبيهه».

ثم عاد الكاهن يسأل: «وماذا سيطلق على المسيح؟ وما هى علامة قدومه؟».

أجاب عيسى: «إن اسم المسيح هو محمد، فقد أسماه الله كذلك عندما خلق روحه ووضعها فى عليين، لقد قال الله تعالى انتـظر يا محمـد، فمن أجلك سأخلق الجنـة والعالم وحشـودًا كبيرة من المخلوقات، ولسوف أهديها إليك، وكل من يثنى عليك ويصلى سأباركه، وكل من يلعنك ألعنه، وعندما أرسلك إلى العالم إنما أرسلك كرسول لى، يعمل على خلاص العالم، ولسوف تكون كلمتك صدقًا وحقًا، فإذا وهنت الأرض ووهنت السماء فلن يهن إيمانك بى. اسمك المبارك محمدًا.

عندئذ رفعت الجموع أصواتها قائلة: «يارب أرسل إلينا رسولك، يا محمد أسرع إلينا لإنقاذ العالم وخلاصه».

الإصحاح الثامن والتسعون

وما إن انتهى من قوله، حتى أخذت الحشود تنصرف ومعها رئيس الكهنة والحاكم وهيرودس، وهم يتجادلون فى أمر عيسى وفى[1] عقيدته وأخذ كبير الكهنة يتوسل إلى الحاكم أن يكتب لروما حيث مجلس الشيوخ بالأمر كله وبالفعل، قام الحاكم وكتب لروما بذلك وكان مجلس الشيوخ يميل إلى إسرائيل، فأصدر قراره بإعدام كل من يلقب عيسى الناصرى برسول اليهود، أو بلفظ الجلالة، أو بابن الله، وعلق هذا الأمر محفورًا على لوحة من النحاس فى المعبد، ولما انصرف القسم الأكبر مع المحتشدين، بقى حوالى خمسة آلاف رجل إلى جانب النساء والأطفال، وكان قد أتعبتهم مشقة الطريق، كما أنهم لم يتناولوا طعامًا أو حتى خبزًا فى اليومين الأخيرين، من فرط رغبتهم فى رؤية عيسى، وقد نسوا أن يحضروا معهم زادًا وراحوا يأكلون العشب الأخضر، وهكذا لم يستطيعوا أن يرتحلوا مع المرتحلين.

ولما علم عيسى بذلك أشفق عليهم وقال لفيليب: «وأين سنعثر على خبـز لهم حتى لا يموتـوا جوعًا؟»

فأجاب فيليب: «يا معلم لا تكفى مائتا قطعة من الذهب لشراء خبز ليذوقوه، ناهيك بأن يشبعوا».

وقال أندراوس: «هنا يا معلم طفل معه خمسة أرغفة وسمكتان، إن عددهم لكبير ولن يكفيهم ذلك أبدًا».

فأجاب عيسى: «أجعل الجموع تجلس على الأرض»، فجلست على الحشائش فى مجموعات، كل مجموعة تتراوح بين الأربعين والخمسين، ثم قال عيسى: «بسم الله».

وأخذ بين يديه الخبز وأخذ يصلى لله وقطع الخبز وأعطاه لتلاميذه الذين راحوا يوزعونه على الجموع كذلك فعل بالسمكتين، فأكل كل فرد حتى شبع، ثم قال عيسى: «اجمعوا ما تبقى منهم».

١

وراح التلاميذ يجمعون كسرات الخبز حتى ملأت اثنتى عشرة قفة، ووضع كل منهم يده على عينيه وقال: «هل أنا فى يقظة أم فى حلم»، وبقوا جميعًا لمدة ساعة فى عجب لهذه المعجزة الكبرى، وبعد ذلك صلى عيسى شاكرًا لله تعالى فضله، وأمر الجميع بالانصراف، ولكن بقى اثنان وسبعون رفضوا أن يفارقوه، فتأكد عيسى من صدق إيمانهم واختارهم تلاميذ له.

الإصحاح التاسع والتسعون

انسحب عيسى إلى مكان قفر فى الصحراء عند تيرو قرب نهر الأردن، ونادى على الاثنين والسبعين والاثنى عشر تلميذًا، وجلس هو على صخرة وأمرهم بالجلوس أمامه، ثم تنهد وقال: «لقد شاهدنا فى هذا اليوم شرًّا كبيرًا فى يهودا وفى إسرائيل، وإنه شر بسببه لا يزال قلبى يخفق خشية الله تعالى، والحق أقول لكم، إن الله يحافظ على دينه وهو يحب إسرائيل كما يحب المحب حبيبه، وأنتم تعلمون عندما يحب القلب سيدة لا تحبه، بل تحب غيره، فإن الغضب يضطرم فى قلبه حتى أنه قد يقتل خصمه فى سبيلها، وإنى أقول لكم، إن إسرائيل تحب أشياء دنيوية تجعلها تنسى الله، وفى استطاعة الله أن يجعل هذه الأشياء عدمًا، وما كان شىء أعز عند الله هنا على الأرض مثل الكهنة والمعبد المقدس، ومع ذلك حدث فى أيام أرميا النبى، عندما نسى الإنسان ربه، وراح يتفاخر بالمعبد، ويتباهى بألا معبد يضارعه فى العالم، أن أنزل الله غضبه عليهم على يد نبختنصر ملك بابل الذى زوده بجيش وأمره أن يستولى على المدينة المقدسة ويحرقها بما فى ذلك المعبد وما به من مقدسات كان أنبياء الله يخافون أن يمسوها، فراح الكفرة يدوسونها بأقدامهم.

وقد أحب إبراهيم بنه إسماعيل أكثر مما يجب، وحتى يقتل الله هذا الحب الشرير فى قلب (إبراهيم) أمره أن يذبح ابنه، وكان على وشك أن يفعل ذلك ولكن السكين لم تطاوعه.

وأحب داوود أبشالوم حبًّا شديدًا فأمر الله أن يثور الولد على أبيه، وأن يعلقه أبوه من شعر رأسه، وإنه لحكم من الله مخيف، لقد كان أبشالوم يعجب بشعره فنزعوه وقتلوه وجعلوا منه حبلا يشنقونه به بعد قتله، أما أيوب فقد أوشك أن يحب أولاده الأربعة وبناته الثلاثة عندما أسلمه الله للشيطان، الذى حرمه من أولاده ومن ثروته فى يوم واحد، بل ابتلاه بمرض خطير دام معه سبع سنوات، وكانت الديدان تخرج من قروح جلده.

أما يعقوب أبونا، فقد أحب يوسف أكثر من إخوته، فأمر الله أن يباع وأن يخدع أولاد يعقوب أباهم، حتى اعتقد أن ذئبًا افترس ابنه، فمكث عشر سنين فى حداد عليه.

الإصحاح المائة

«وبحق الإله الحى، إنى أخاف يا إخوتى أن يكون ربى قد غضب علىّ، وبالتالى يجب عليكم أن تذهبوا عبر يهودا وإسرائيل، وتبشروا الأسباط الاثنى عشر لإسرائيل، وتقولوا لهم الحقيقة حتى

لا يخدعوا أو يغرر بهم».

فأجاب التلاميذ فى خشوع وهم يبكون: «ولسوف نفعل كل ما تقول لنا». ثم قال (عيسى) بعد ذلك: «فلنصل ثلاثة أيام ونصوم ونؤدى الصلاة ثلاث مرات ونسأله الصفح والمغفرة ثلاث مرات ابتداء من هذا المساء، وعندما يبزغ النجم، نبدأ فى الصلاة لله تعالى، فخطيئة إسرائيل تفوق كل الخطايا ثلاث مرات».

فأجاب التلاميذ: «وليكن ما تقول».

وعندما انتهى اليوم الثالث وجاء فجر اليوم الرابع، نادى عيسى تلاميذه وحوارييه وقال لهم: «يكفى أن تلازمانى أنتما يا برنابا، ويوحنا، أما أنتم فلتذهب بقيتكم إلى مناطق السامرة ويهودا وإسرائيل، وتبشرون الناس وتطلبون توبتهم وكفارتهم، فالبلطة قد وضعت قرب الشجرة توطئة لقطعها، ثم لا تنسوا أن تصلوّا من أجل المرضى، فالله جلت قدرته قد أعطانى السلطة على جميع الأمراض».

ثم قال كاتب هذا الإنجيل «يا معلم إذا ما سأل أحدهم تلاميذك عن التوبة وكيف تكون فكيف يجيبون؟».

قال عيسى: «إذا ما فقد رجل حافظة نقوده، فهل يلتفت إلى الوراء بعين ليراها، أم يستخدم يده ليلتقطها، ولسانه ليسأل عنها بالطبع، كلا فإنه يلتفت إلى الوراء بكل جسده ويستخدم كل روحه وما أوتى من قوة بحثًا عن حافظة نقوده، أليس هذا حقًا.

فأجاب كاتب هذا الإنجيل: «إنه الحق».

الإصحاح الواحد بعد المائة

ثم قال عيسى إن التوبة هى عكس الحياة الشريرة وتعارضها، فكل حاسة من حواس الإنسان تنقلب إلى عكس ما كانت عليه عندما يقترب الإنسان من الخطيئة، فبدلا من الفرح والحبور يجب أن يتأسى ويحزن، وبدلا من الضحك يجب أن يبكى وبدلا من المرح والطرب يجب أن يصوم، وبدلا من أن ينام يجب أن يصحو ويتيقظ، وبدلا من الراحة والاستكانة يجب أن ينشط ويعمل، وبدلا من الشهوة يجب أن يلزم العفة، وبدلا من الفضول يجب أن يصلى، وبدلا من البخل والجشع وجمع المال يجب أن يتصدق ويتزكى.

فأجاب كاتب هذا الإنجيل، «ولكن إذا ما سألوا كيف يتأتى لنا أن نحزن أو أن نبكى أو أن نصوم، أو أن ننشط ونجتهد، أو أن نلتزم العفة والطهارة، أو أن نصلى ونتصدق، فكيف يجيبون، وما التوبة إذا لم يكونوا يعرفون معناها».

فأجاب عيسى: أنعم بسؤالك يا برنابا وإنى لأود أن أجيب إجابات وافية، ففى ذلك مرضاة الله، ومن ثم فإنى أتحدث إليكم اليوم عن التوبة بشكل عام، وما أقوله لأحدكم إنما هو للجميع.

اعلموا أن التوبة هى عمل يأتيه الإنسان محبة خالصة لله، وإلا كانت توبته فى غير موضعها ولا أساس لها، وإنى سأحدثكم بالأمثلة والتشبيهات. أليس حقيقيًا أن لكل بناء أساسًا، وأننا إذا ما أزلنا هذا الأساس سقط البناء»؟.

فأجاب التلاميذ: «هذا حقيقى».

فقال عيسى: «إن أساس خلاصنا هو الله، فبدون الله لا خلاص لنا، والإنسان إذا ما أتى خطيئة فقد الأساس أو الإخلاص لله، وبالتالى يجب أن نبدأ من الأساس، قولوا لى إذا ما أساء إليكم عبيدكم، وأدركتم أنهم لم يحزنوا أو يتأثروا بسبب إساءتهم إليكم، إنما حزنوا لأنهم لم يتلقوا مكافأتهم كالعادة، فهل أنتم عافون عنهم؟.. بالطبع لا، وإنى أقول لكم إن الله يفعل نفس الشىء مع هؤلاء الذين يرتدون عن توبتهم، لأنهم يفقدون الجنة، أما الشيطان وهو العدو الأشر لكل ما هو طيب، فيحزن كل الحزن لأنه فقد الجنة وكسب النار، ولن يجد الرحمة، أتعرفون لماذا؟.

لأنه لا يحب الله تعالى، بل هو يكرهه وهو خالقه».

الإصحاح الثانى بعد المائة

«الحق أقول لكم، إن كل حى يسلك المسلك الذى تمليه عليه طبيعته، فإذا فقد ما يرغب فيه حزن على ما فقد، وعلى ذلك فالمخطئ الذى يتوب توبة نصوحًا، نجده يرغب رغبة أكيدة فى أن يعاقب نفسه، لأنه أخطأ أو أتى عملا يتعارض مع أوامر خالقه، فهو إذا ما صلى لا يجرؤ أن يلتمس من الله أن يدخله الجنة، أو أن يعفو عنه، أو ألّا يرسله إلى النار، وتجد عقله مشتتًا مضطربًا، فهو ينكفئ على وجهه وهو يصلى، فلترحم يارب العالم المذنب الذى يسىء إليك بدون سبب فى الوقت الذى يجب أن يعبدك ويخدمك إذ هو يطلب أن تقتص منه بيدك لا بيد الشيطان عدوك، حتى لا يشمت الشياطين فى مخلوقاتك، عاقبه وعذبه كما تشاء يارب العالمين، لأنك رحيم ولن تنزل به عذابًا شديدًا يعدل ما يستحقه على فعلته.

وصاحب الخطيئة الذى يطلب المغفرة والتوبة، يجد رحمة الله أوسع لا نسبة بينها وبين فعلته إذا توسل بعدالتكم والمخطئ إذا ما انتهك حرمة المعبد - وهى فعلة شنيعة - ناهيك إذا قابلها بالضحك وهذا أسوأ ما يأتيه المخطئ ولا غرو فقد سمى أبونا داوود هذا العالم بكل حق عالم الدموع.

لقد كان هناك ملك اتخذ من أحد عبيده ابنًا ونصبه سيدًا على كل ما يملك، وبالمصادفة صاحبه رجل شرير خدعه حتى كرهه الملك كرهًا شديدًا، حتى حط عليه البؤس، وراح الجميع يحتقرونه وحرمه الملك من كل ماكسبه من أجر يومى، فهل تظنون أن مثل هذا الرجل، سيأتى عليه وقت يفرح فيه؟»

أجاب التلاميذ: «بكل تأكيد لا ، فلو أن الملك عرف كل شىء لأمر بقتله، فقد كان يفرح بما يرزأ به الملك.

وأخذ عيسى يبكى ويقول تبًا لهذا العالم، فهو فى عذاب أبدى، يالبؤس الإنسان، لقد اختار الله

الإنسان ابنًا له وحباه بالجنة، ولكنك أيها الإنسان التعس البائس، قد وسوس لك الشيطان، فأغضبت الله فحرمك من الجنة، وكتب عليك أن تهبط إلى الأرض الدنسة حتى لا تجنى شيئًا، إلا بعد أن تشقى، وتحرم من كل خير بسبب ما اقترفته من خطايا، العالم من حولك يضحك والأنكى من ذلك أن من يضحك أكثر هو أكثر الناس خطايا، ولسوف تكون كما قلت سيحكم الله عليك بالموت الأبدى يامن أخطأت ثم ضحكت وفرحت لخطاياك.. ولم تحزن أو تبك لأفعالك الشريرة وخطاياك».

الإصحاح الثالث بعد المائة

من الواجب أن يبكى المخطئ كما يبكى الوالد على ابنه الذى أشرف على الموت، أيها الإنسان الأحمق إنك تبكى على جسد فارقته الروح، ولكنك لا تبكى على الروح التى حرمت من رحمة الله بسبب كونها عاصية خاطئة.

قولوا لى، هل يستطيع البحار الذى فقد سفينته فى عاصفة وتحطمت تحطيمًا، أن يسترد ما فقد بدموعه التى يزرفها؟.

بكل تأكيد إنه يذرف الدمع فى مرارة وحسرة، وإننى أقو لكم الحق إن الإنسان فى بكائه على شيء يقترف خطيئة إلا إذا بكى على معصية له، أو لشر أتاه، أو لبؤس حل به من عند الله، أو من أجل خلاصة، ويجب على الإنسان أن يفرح ويسلم أمره لله، أما المعصية فأصلها الشيطان ومن ورائها يهدف إلى لعنة الإنسان والإنسان مع ذلك لا يشعر بندم أو أسف وأنتم بكل تأكيد تستطيعون أن تدركوا أن الإنسان هو الخاسر، فلا يصيب ربحًا أو فائدة».

وقال بارثولوماوس: «أيها المعلم، وما الذى يستطيع أن يفعله رجل لا يملك القدرة على البكاء فقلبه يجفل من النواح، فرد عيسى قائلاً: «اعلم يا بارثولومارس، ليس كل من يذرف الدمع يبكى، وبحق الإله الحى هناك رجال لم تسقط من أعينهم دمعة واحدة، ومع ذلك هم يبكون أكثر من ألف شخص يذرفون دمعًا، إن بكاء العاصى يخفف من مشاعره الدنيوية بسبب شعوره بالأسى والأسف.

وكما أن أشعة الشمس تحفظ كل ما يوضع فى عل من أن يصيبه العفن، فإن التوبة تحفظ الروح من المعصية وإذا ما وهب الله تعالى التائب الحقيقى الدمع المدرار كعلامة على توبته، لسال المزيد من الدمع حتى تكفى دموعه لملء بحر من البحور، وبالتالى فإن خطيئته تفنى فى هذه الدمعة الصغيرة التى يرغب رغبة شديدة فى أن يذرفها، كما تفنى قطرة الماء فى الأتون الذى تتأجج فيه النار، على أن هؤلاء الذين هم على استعداد دائمًا للبكاء أشبه ما يكونون بالجواد الذى يسرع خطاه كلما قل حمله.

الإصحاح الرابع بعد المائة

«والحق إن هناك من الرجال من يملك الشعور الداخلى والدموع الفياضة ومن كان على هذه الشاكلة فهو مثل أرميا، إذا ما بكى أخذ الله تعالى بحزنه الذى هو أكثر من دموعه».

فقال يوحنا: «يا معلم: وكيف يتأتى للإنسان ألا يستفيد من البكاء على غير الخطيئة؟».

فأجاب عيسى: «إذا ما أعطاك هيرودس عباءة أو وشاحًا لتحتفظ به له ثم أخذها منك مرة أخرى، فهل ترى سببًا يدعوك إلى البكاء؟»

فأجاب يوحنا: «لا».

وقال عيسى: «والآن هل للإنسان أى حق ولو ضعيف فى أن يبكى إذا ما فقد شيئًا ليس له أوإذا لم يحصل على الشيء الذى يبغيه، علمًا بأن كل شيء يتلقاه إنسان فمن يد الله. وعلى ذلك أليس من حق الله تعالى أن يتصرف وفق مشيئته فيما يملك؟.

يا أيها الإنسان الأحمق: إن ما تقترفه من معصية هى من عندك، ومن أجل ذلك يحق لك أن تبكى ندمًا وليس لأى أمر آخر».

وقال الحوارى متى: يا معلم لقد اعترفت أمام يهودا بأن الله لايشبه البشر، وها أنت الآن تقول إن الإنسان يتلقى من يد الرب وعلى ذلك، فإذا كان للرب يدان، فهناك نوع من التشابه بينه والإنسان».

قال عيسى: «إنك فى ضلال يا متّى وكثيرون مثلك، لأنكم لا تعرفون معانى الكلمات، فعلى الإنسان ألا يأخذ المعنى السطحى للكلمات، بل يأخذ ما تحويه الكلمات من معان، فالكلمات وسيلة لترجمة المشاعر بين الله والإنسان، ألا تعلمون أن الله عندما تكلم مع موسى فوق جبل سيناء صاح آباؤنا أن تحدث إلينا أنت ياموسى، ولا تجعل ربك يتحدث إلينا حتى لا نخر صرعى، ثم قال الله على لسان أشعياء النبى، أليس هو نفس المعنى؟ قال وكما بعدت السماوات عن الأرض، بعدت سبل الله عن سبل الناس، وما يفكر فيه الله بعيد عما يفكر فيه الإنسان.

الإصحاح الخامس بعد المائة

«إنى أرتجف إذا ما فكرت أن أصف الله، إن الله لا حد له، ولكن قد يكون من الضرورى أن أتقدم إليكم باقتراح، إنى أقول لكم إن هناك تسع سماوات، وأن كل واحدة تبعد عن الأخرى مسافة شاسعة أكبر من المسافة بين السماء الأولى والأرض، وهى مسافة تقدر بنحو مسيرة خمسمائة سنة، وعلى ذلك فإن الأرض تبعد عن السماء العليا مسيرة أربعة آلاف وخمسمائة سنة، إنى أقول لكم أن الأرض بالنسبة للسماء الأولى ليست أكثر من سن إبرة، والسماء الأولى بالنسبة للسماء الثانية، لا تزيد عن رأس إبرة وعلى هذا النمط فكل سماء أصغر وأحقر حجمًا مما تليها، على أن حجم الأرض مضافًا إليه مافى السماوات يزيد على رأس إبرة أو حبة رمل صغيرة إذا قورن بالجنة، وهل يمكن قياس هذا الاتساع العظيم؟.

فرد تلاميذه قائلين: لا نعلم بكل تأكيد».

فقال عيسى: «بحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته أن الكون كله ما هو إلا حبة رمل بالنسبة للخالق العظيم، بل إن الله تعالى أعظم من كل ذلك، إن الله أعظم وأكبر من كل هذه الرمال

اللازمة لتملأ الكون بما فيه من سماوات وجنة، ولتتفكروا فى الله سبحانه وتعالى، فهل هناك شبه بينه والإنسان هذا المخلوق الذى أتى من قطعة صغيرة من الطين، وجعله الله يقف على هذه الأرض، وإنى أحذركم أن تفكروا فى كلماتى على علاتها، بل فكروا فى معانيها إذا ما أردتم الحياة الأبدية».

وأجاب التلاميذ: «الله وحده هو الذى يعلم، أو كما قال أشعياء النبى فى وصفه الله: «إن حواس الإنسان لا تحيط به».

فأجاب عيسى: «إنها لحقيقة أننا إذا ما كنا فى الجنة سندرك الله، كما ندرك البحر من نقطة الماء المالح».

وإذا عدت إلى الحديث معكم عن الخطيئة، فإنى أقول لكم إنه يجدر بالإنسان أن يبكى من أجل الخطيئة وحدها، لأن الإنسان العاصى ينسى ربه، ولكن كيف يبكى وهو الذى يتكالب على الأفراح والمآدب، وهو الذى يمرح ويطرب، نعم عليه أن يبكى حتى لو انبثقت النار من الثلج. وعليكم أن تحولوا الفرح والطرب إلى صيام إذا ما أردتم أن تكون لكم السلطة على حواسكم ومشاعركم، لأن الله هو ربنا وخالقنا».

وقال تاديوس «معنى ذلك أن لله مشاعر وأحاسيس تفوق أحاسيسنا».

فأجاب عيسى: «ها أنت تعود إلى القول أن الله له هذا أو ذاك الشيء قل لى هل للإنسان أحاسيس أو حواس؟».

فرد التلاميذ: «نعم».

قال عيسى: «هل هناك رجل ينبض بالحياة وليس به حواس؟».

فأجاب التلاميذ: «لا».

قال عيسى: «ها أنتم تخدعون أنفسكم وما بال الرجل الأعمى الأصم الأبكم الذى قطعت أوصاله، هل له حواس؟ ثم كيف يكون الإنسان فى إغمائه هل له أحاسيس؟».

اضطرب التلاميذ، وقال عيسى لهم: «اعلموا أن الإنسان يقوم على ثلاثة أشياء: الروح، والحواس، والجسد، وكل منها مستقل عن الآخر، لقد خلق الله الروح والجسد كما سمعتم، ولكنكم لا تعرفون كيف خلق الحواس، ولسوف أحكى لكم غدا بمشيئة الله كيف خلق الحواس».

وما إن قال عيسى قولته حتى أخذ يدعو الله ويشكره ويدعو إلى خلاص الناس، وكان كل فرد منا يثنى على ما يقول قائلا «آمين».

الإصحاح السادس بعد المائة

ولما فرغ عيسى من صلاة الفجر، جلس تحت نخلة واقترب تلاميذه منه ثم قال عيسى «وبحق الله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، هناك كثيرون قد خدعوا فى هذه الحياة، ولما كانت الروح ترتبط

بالحس، راح كثير من الناس يؤكدون أن الروح والحس شيء واحد، وأنهما قد ينفصلان شكلا ولكن جوهرهما واحد، ويسمون الروح بالروح الحساسة أو الروح الذكية أو الروح النامية المتطورة، والحق أقول لكم، إن الروح واحدة سواء تلك التى نفكر بها أو نعيش بها. ياللحمقى هل هناك روح ذكية لا حياة فيها؟ لا بكل تأكيد، ولكن قد توجد حياة بدون أحاسيس، خذ مثلا شخصا مغمى عليه، فهو لا يشعر ولا يحس ولكنه حى أى أن روحه موجودة».

أجاب ثاداوس: «أيها المعلم إذا ما فقد المرء شعوره وأحاسيسه بالحياة فهو ليس على قيد الحياة».

أجاب عيسى: «هذا ليس بصحيح فالإنسان يفقد الحياة إذا ما الروح فارقت الجسد، والروح لا تعود إلى الجسد أبدا إلا بمعجزة، أما الحس فقد يذهب عن المرء نتيجة خوف شديد، أو حزن أو أسى أو غم شديد حل بروحه، والله سبحانه وتعالى قد خلق المشاعر والأحاسيس لذة ومتعة للإنسان، وبها يعيش وكما يعيش الجسد على الطعام المادى من مأكل ومشرب، فإن الروح تعيش على الحب والمعرفة والعلم، وهكذا نجد الحس وقد حرم من نعمة الجنة بسبب الخطيئة لأنه يثور على الروح ويعاندها، وعلى ذلك كان من الضرورى أن نغذى الروح بالمتعة الروحية خاصة بالنسبة لهؤلاء الذين يريدون أن يعيشوا على اللذة الجسدية، هل تفهمون ما أعنى؟ الحق أقول لكم، إن الله الذى خلق الحس والشعور قد حكم بأن يكون مآله النار، وأن يتلظى فى جحيم من البرد والثلج، فقد قيل إن الله سبحانه وتعالى - عندما حرم الشعور والحس من غذائهما اعترفا أنهما عبدا الله وأنهما من صنع يده، والآن قولوا لى ما هى وظيفة الحس فى هؤلاء الذين لا يعرفون الله؟».

لا شك أن وظيفة الحس فيهم، هى نفس وظيفة الحس فى هؤلاء الذين يعرفونه، ولكن الذين يهتمون بأحاسيسهم الجسدية، يسيرون وراء متعتهم غير مبالين بالعقل أو شريعة الله، وهكذا يكرههم الله فلا يعملون صالحا.

الإصحاح السابع بعد المائة

«الصوم هو أول سلاح نستخدمه ضد الخطيئة، بمجرد أن نشعر بالندم على اقترافها، خذ مثلا المرء الذى يرى طعاما يعتقد أنه سيؤدى إلى مرضه أو حتفه، عليه أن ينسى هذا النوع من الطعام إذا ما أكله وإلا شعر بحزن وأسى بسبب تناوله إياه، أما إذا أعرض عنه فهو يدرأ المرض، وبالتالى إذا سألتم ما يجب على مقترف الخطيئة أن يفعله إذا ما فرضنا أن اللذة هى التى جعلته يعصى الله خالقه، فاتبع مشاعره وأحاسيسه فى هذا العالم الإجابة هى أن يشعر بالندم والأسى لأنه فعل ما فعل، واتباعه طريق المتعة يحرمه من الله خالقه ومن الحياة، ويؤهله لأن يحل على جهنم أبد الآبدين. ولما كان الإنسان بطبيعته يحتاج فى حياته إلى التمتع بطيبات العالم الذى يعيش فيه، وجب عليه الصيام حتى يخمد فى نفسه الرغبة والمتعة، ويعرف أن الله هو خالقه حقا وإذا ما رأى أن - الشهوة سوف تتغلب على إرادته فى الصوم، فعليه أن يزن بين ما فى جهنم من عذاب وشقاء وحرمان، وبين طيبات الجنة

ونعيمها، فحبة من نعيم الفردوس لأعظم بكثير من متع الحياة كلها، وهكذا يشعر الإنسان بالسكينة والطمأنينة، فمن الأفضل أن يرضىٰ بالقليل حتى ينال الكثير ومن أن يطلق العنان لنفسه فى القليل فيحرم من الكثير ويكون مآله العذاب والندم.

يجب عليكم أن تذكروا الغنى الذى يقيم الولائم حتى تصوموا صوما صحيحا، فهذا الغنى إنما يريد أن ينعم فى هذه الحياة بملذاتها يوما إثر يوم، فى حين هو محروم فى الآخرة من قطرة ماء تروى عطشه، وإذا كان اليعازر قد شعر بالرضا والقناعة بما كان يتناوله من فتات العيش فى هذه الدنيا، إلا أنه سيعيش فى الآخرة فى بحبوحة من نعم الرحمن فى الجنة.

ولكن يجب على التائب أن يحذر، فالشيطان يحاول أن يبطل كل عمل صالح خاصة بالنسبة للتائب عن غيه، فالتائب بالنسبة للشيطان ثائر ومتمرد عليه، فبدلا من أن يكون عبدا مطيعا تحول إلى عدو متمرد، وهنا سوف يحاول الشيطان أن يمنعه بكافة الطرق عن الصوم محتجا فى وسوسته له بالمرض، فإذا فشل فى ذلك سوف يحضه على أن يمعن فى الصوم إلى درجة المرض، فإذا نجح فى ذلك عاش فرحا، وإلا وسوس له مرة أخرى أن يصوم عن الطعام الجسدى حتى يكون مثله، فهو لا يأكل ولكنه يأتى الخطيئة على الدوام.

وبحق الإله الحى ليس من المستحب أن تحرم الجسد من الطعام وتملأ الروح بالكبرياء محتقرا هؤلاء الذين لا يصومون معتقدا أنك أفضل منهم، قل لى هل يتفاخر المريض بما يتناوله من طعام الحمية (الرجيم) الذى فرضه طبيبه عليه؟ وهل ينسب إلى الأصحاء الذين يعيشون على طعام خاص (رجيم) الجنون؟

لا بكل تأكيد، ولكنه سوف يشعر بالأسى نحو المرضى الذين اضطروا إلى اتباع نوع من التغذية وإنى أقول لكم أنه ليس من حق التائب أن يتفاخر بصومه، أو أن يحتقر من لا يصوم، ولكن من حقه أن يشعر بالأسى والحزن لأنه أتى خطيئة أوجبت عليه كفارة الصيام، ولا يجدر بالتائب عندما يصوم أن ينظر على ملذات الطعام، فليكتف بأبسط المأكولات، والآن. هل نتصور أن رجلا يقدم اشهى الأطعمة لكلب يكثر من العض، أو لفرس يكثر من الرفس؟

بكل تأكيد لا بل الأمر على العكس، ويكفى هذا فى شأن الصوم».

الإصحاح الثامن بعد المائة

«اسمعوا. اسمعوا لما أقول لكم بشأن السهر، هناك نوعان من النوم، نوم ينال من البدن، ونوم ينال من الروح، ومع ذلك يجب أن تحرص على أن يتابع البدن الروح فلا يجعلها تنام، فالروح إذا ما نامت وقع خطأ فظيع للغاية. قولوا لى رأيكم فى هذا المثل: (كان هناك رجل اصطدم وهو يسير بحجر، وحتى يتفادى ضربه برأسه، هل هذا الرجل فى حالة طبيعية؟).

أجاب التلاميذ: «إنه لبائس، بل هو مختل العقل معتوه».

قال عيسى: «هل أجبتم على سؤالى؟ الحق أقول لكم، إن من يسهر ببدنه وينام بروحه معتوه مجنون، فإن البلاهة الروحية لأكبر من البلاهة البدنية، بل هى أخطر منها وأعصى علاجًا، ورجل مثل هذا قد يتفاخر بأنه لا ينام بدنيًّا، والنوم غذاء للحياة، وفى نفس الوقت قد لا يدرك مدى بؤسه، لأنه بروحه ينام، فالروح هى قمة الحياة، فنوم الروح معناه أنك تنسى الله ولا تأبه بقضائه، فى حين يجب على الروح أن ترعى الله فى كل مكان وفى كل شىء وفى كل وقت، وأن تشكره سبحانه وتعالى، لأنها فى كل وقت وكل لحظة مليئة بخشية الرحمن سبحانه وتعالى، وتتردد فى مسامعها كلمات الملائكة «أيتها المخلوقات أقبلوا اليوم يوم الحساب، إن خالقكم يرغب فى محاسبتكم فالروح تلتزم دائمًا أبدًا بخدمة الله وعبادته.

قولوا لى إذا ما أردتم المزيد من الوضوح، هل ترون الأشياء فى ضوء النجوم أم فى ضوء الشمس؟».

أجاب أندراوس: «نراها فى ضوء الشمس، فنحن فى ضوء النجوم لا نرى الجبال المجاورة، فى حين نرى أصغر حبة من حبات الرمل فى ضوء الشمس، ونحن إذا ما عسسنا بالليل فى ضوء النجوم تملكنا الخوف، أما إذا سرنا فى ضوء الشمس نسير فى طمأنينة وسلام».

الإصحاح التاسع بعد المائة

أجاب عيسى: «إنى أقول لكم إن عليكم أن تسهروا بأرواحكم فى ضوء عدالة الله فلا تتباهوا أو تتفاخروا بأن أبدانكم هى الساهرة، إن من الحق تمامًا أن تتجنبوا نوم البدن بقدر الإمكان ولكنكم لا تستطيعون تجنبه تمامًا فهو مستحيل، فالمشاعر والبدن مثقلان بالطعام فى حين أن العقل مثقل بالتفكير وعلى ذلك إذا أراد شخص أن يرقد فلينم قليلا ليتجنب الجسد الكثير من المشاق، كما يتجنب التفكير الكثير فى المشاغل وكثرة الطعام فى الليل، ولكن ليس من الشرع أن تنسى خالقك ويوم الحساب ونوم الروح يجعلك فى غفلة من ذلك».

فرد كاتب هذا الإنجيل: يا معلم. كيف نستطيع أن نتذكر الله دائمًا بالطبع هذا يبدو لنا مستحيلاً.

تنهد عيسى ثم قال: «هذا هو البؤس الأكبر الذى يحل بالإنسان، اسمع يا برنابا إن الإنسان لا يستطيع فى هذا العالم أن يجعل الله خالقه، دائمًا فى ذاكرته، ولكن خلاص البشر أمر مقدس، ويجب أن يكون الله فى ذاكرة البشر، فهناك بصيص من نور الجلالة فى نفوس الناس، وبالتالى لن يستطيعوا أن ينسوا الله، ولكن قل لى هل رأيت هؤلاء الذين يعملون فى المحاجر، وكيف اعتادوا محادثة بعضهم بعضًا وهم يعملون، وكيف يضربون الحجر دون أن ينظروا إلى الحديد... ومع ذلك لا يصيبون أيديهم!! افعل مثل ما يفعلون، فلتكن رغبتك طاهرة إذا ما أردت أن تتجنب بؤس النسيان، كما أن المياه تستطيع أن تفتت أشد الحجارة صلابة لو نزلت عليها نقطة ولمدة طويلة..

هل تعلم لماذا لم تتغلب على هذا الشقاء؟

لأنكم لم تدركوا أن فى ذلك خطيئة، وإنى أقول لك إن الغفلة خطيئة، فمثلا إذا أهداك أمير من الأمراء هدية، فهل تستطيع يا رجل أن تغمض عينيك وتدير ظهرك له؟.

هكذا يخطئ الناس فى حق ربهم، فالإنسان يتلقى دائمًا وفى كل وقت الهدايا والرحمة من الله سبحانه وتعالى.

الإصحاح العاشر بعد المائة

«والآن قولوا لى، هل ينعم عليكم الله دائمًا أبدًا بنعمه وآلائه؟»

نعم، بكل تأكيد فهو الذى ينفخ فيكم فتتنفسون الهواء الذى تعيشون به. الحق أقول لكم إن كل مرة تتنفسون فيها يجب أن تشكروا الله من قلوبكم قائلين لك الشكر يارب.

وهنا قال يوحنا: «إن ما تقوله لعين الحق يا معلم، علمنا الطريق لننال هذه البركة».

فأجاب عيسى: «الحق أقول لكم، إن الإنسان لن يستطيع أن يصل إلى هذه الحالة إلا إذا شكر الله ربنا، وإنها لحقيقة أيضًا أن يتمنى الإنسان أن ينال كل ما هو طيب حتى يعطيه الله له، قولوا لى إذا جلستم إلى مائدة، هل تختارون من اللحم ما تشيحون عنه بنظركم؟ بالطبع لا، وإنى أقول لكم إنكم لن تنالوا ما لا ترغبون فيه، فأنتم إذا أردتم أن تكونوا صالحين فإن الله يستطيع فى برهة أو بين غمضة عين وانتباهتها أن يجعلكم صالحين، ولكن الله يريد أن تطلبوه وأن تسألوه، ما تريدون.

هل رأيتم هؤلاء الذين يتمرنون على الرماية؟ لا شك فى أنهم عندما يرمون تضيع كثير من سهامهم هباءً، علمًا بأنهم لا يرغبون فى أن تضيع سهامهم، ولكنهم يأملون أن يصيب سهم منها هدفه.

والآن افعلوا بالمثل يا من ترغبون فى أن يكون الله فى ذاكرتكم، وإذا نسيتموه تتأسفون. فالله بفضله يعطيكم ما تطلبون كما شرحت لكم.

اعلموا أن الصيام والشفافية الروحية أمر واحد، كل منهما متحد مع الآخر، فإذا ضاعت التقوى ضاع صيامك، وإذا ما أتى الإنسان خطيئة نسى ربه وضاع صومه وعليه فإن الصيام وذكر الله (الصلاة) ضروريان لنا، بل لجميع البشر، فليس من حق الإنسان وهو صائم، أن يأتى الخطيئة، والصوم مع الصلاة قد لا يتيسران فى كل وقت بالنسبة لكل شخص، فهناك المرضى، والمسنون والنساء والحوامل والناقهون والأطفال وغيرهم من الضعفاء، فكل فرد يرتدى ما يناسبه من ثياب وبالتالى يستطيع أن يصوم كما يشاء، وكما أن لباس الطفل لايصلح لرجل فى سن الثلاثين، فإن الصيام والصلاة ليسا بوجبين على كل شخص بنفس الكيفية».

الإصحاح الحادى عشر بعد المائة

قال عيسى: «ولكن يجب أن تحذروا الشيطان فسيبذل كل ما فى وسعه أن يجعلكم تسهرون أوائل الليل ثم تنامون، علمًا بأن وصية الله هى أن تقيموا الصلاة لذكره وتستمعوا إلى كلماته.

قولوا لى هل تشعرون بسعادة إذا ما قدم صديق لكم العظم وأكل هو اللحم دونكم؟».

أجاب بطرس: «لا يا سيدى، فالذى يأكل اللحم ويترك لنا العظم لا يعتبر صديقًا لنا، بل هو يسخر منا».

فتنهد عيسى وقال: «الحق إنك أجدت يا بطرس فصدقت، فكل فرد يمعن فى السهر أكثر من اللازم، ينام أو تثقل رأسه طلبًا للنوم، على حين كان من الواجب أن يصلى أو أن يستمع لكلماته سبحانه وتعالى، وشخص مثل هذا إنما يسخر بخالقه وبالتالى يصبح مذنبًا مقترفًا للخطيئة، وأكثر من ذلك يعتبر مضيعًا للوقت الذى يجب أن يقضيه فى عبادة الرب، فيصرفه فيما يسعده متى شاء وكيف شاء، ولنفرض أن شخصًا أتى بقدح به أفخر النبيذ وأعطاها لأعدائه ليشربوه علمًا بأن النبيذ لم يتغير واستمر محتفظًا بأحلى مذاق، ولكن إذا ما تبدل النبيذ وتحول إلى عكارة وإذا قدم هذا الرجل هذا النبيذ لسيده ليشربه، قولوا لى ماذا يظنون أن يفعل السيد حيال خادمه إذا علم كل ذلك وإذا ما كان الخادم أمامه؟ لا شك سيضربه ضربًا مبرحًا، وقد يقتله فى غضبه، وهو محق وفق شريعة العالم، فكروا الآن ماذا يفعل الله سبحانه وتعالى برجل يصرف أفضل الأوقات فى التجارة، وأردأها وأقلها فى الصلاة، ودراسة الشريعة.

تبًا لهذا العالم، فقد أثقل الإنسان قلبه بمثل هذا العمل، وبما يأتيه من خطايا أكبر وعليه فإنى عندما قلت لكم استبدلوا البكاء بالضحك، والصيام بالمآدب، والولائم والسهر لملذاته بالنوم فإنى وضعت فى ثلاث كلمات كل ما سمعتم، فالإنسان على الأرض يجب أن يبكى بكاءً مستمرًا، وأن يكون بكاؤه من القلب، لأن الله خالقنا قد أهين، وأنتم من ناحيتكم وجب عليكم الصيام حتى يسود الله على الحس، وأن تسهروا، فلا تقترفوا الخطايا، وأن تأخذوا بقسط من الصيام والسهر حسب قدرة كل منكم على التحمل».

الإصحاح الثانى عشر بعد المائة

وما إن فرغ عيسى من كلامه حتى قال: «إن ما تحتاجونه هو أن تبحثوا عن النتائج، تبحثوا عن الثمار التى تمدنا بالحياة، لقد مر علينا الآن ثمانية أيام دون أن نأكل الخبز، ولسوف أتوجه إلى الله بالصلاة، ولسوف أنتظركم ومعى برنابا».

انصرف التلاميذ والحواريون أربعا أربعا وستا ستا، وذهب كل فريق فى طريقه كما رسم عيسى وبقى مع عيسى كاتب هذا الإنجيل، فنظر إليه عيسى وقال يا برنابا، يجب على أن أكشف عن أسرار

خطيرة وبعدها سأترك هذا العالم، ثم تحكى لهم عما أقوله لك، فبكى كاتب هذا الإنجيل ورد قائلا: «يا معلم: تحملنى وأنا أبكى وغيرى من الناس، فنحن جميعًا مخطئون أما أنت فولى من أولياء الله الصالحين ورسول من عنده ولا يجوز لك أن تبكى بغزارة».

أجاب عيسى: «صدقنى يا برنابا فأنا لا أستطيع أن أبكى كما أريد، فالناس إذا لم يدعونى بربهم لكنت قد رأيت الله سبحانه وتعالى هنا، ولم أنتظر رؤيته فى الجنة، ولما خفت يوم الحساب، ويعلم الله أنى برىء فلم تدر بخلدى أبدًا أية فكرة أكثر من أنى عبد فقير لله تعالى، وللأسف إنى أقول لك لولا أن الناس دعونى بربهم لكنت حملت حملا إلى الجنة عندما أغادر هذا العالم، أما الآن فلن أذهب إليها إلا بعد يوم الحساب، ألا ترى أن لى الحق فى أن أبكى، أعلم يا برنابا، إنى سوف ألاقى المحن والاضطهاد ولسوف يبيعنى أحد تلاميذى فى مقابل ثلاثين قطعة من النقود، إنى على يقين من أن الذى سيبيعنى سوف يهلك حاملا اسمى وصورتى بدلا منى، ولسوف يرفعنى الله من هذه الأرض إلى السماء، ويغير من مظهر الخائن المخادع حتى يعتقد كل من يراه أنه أنا، وأنه سوف يموت موتة شنيعة. أما أنا فلسوف أعيش مدة طويلة فى هذه الوصمة التى وصمونى بها، ولكن عندما يأتى محمد رسول الله ستزول الوصمة عنى، ولسوف يفعل الله ذلك لأنى اعترفت بالحقيقة، فأنا نبى، ولسوف يعلم العالم بأنى حىّ أرزق، وبأنى لم أمت هذه الميتة الشنعاء».

فأجاب كاتب هذا الإنجيل: «يا معلم: من هو هذا اللئيم وإنى أتحرق أن أكتم أنفاسه إلى الموت؟».

فأجاب عيسى: «احتفظ بهدوئك، ولسوف يحتفظ الله بوعده، ولا راد لكلمته وعليك يا برنابا أن تخبر والدتى بالحقيقة إذا رأيتها حتى تهدأ ولسوف تحزن من أجلى...».

فأجاب كاتب هذا الإنجيل: «سأفعل كل ذلك يا معلم بمشيئة الله سبحانه وتعالى».

الإصحاح الثالث عشر بعد المائة

عندما عاد التلاميذ أتوا معهم بالصنبور، ووجدوا بمشيئة الله كمية كبيرة من البلح، وبعد أن انتهوا من صلاة الظهر أكلوا مع عيسى، على أن التلاميذ والحواريين لاحظوا الحزن على كاتب هذا الإنجيل فأدركوا أن عيسى سوف يترك هذا العالم قريبًا، وأعربوا عن خوفهم، ولكن عيسى أسكن روعهم وقال لهم لا تخافوا، فلم تدن ساعة مغادرتى لكم بعد، وسأكون معكم فترة أخرى من الوقت، وعلى ذلك يجب علىّ أناأعظكم الآن حتى تستطيعوا كما قلت أن تشيعوا التوبة بين بنى إسرائيل، حتى يرحم الله المخطئين فى إسرائيل، وليحترس كل فرد من الاسترجاء والكسل خاصة هؤلاء الذين يتأخرون فى إعلان توبتهم، لأن كل شجرة لا تحمل جنيا طيبًا تقطع ويدفع بها إلى النار.

كان هناك رجل يملك بستانًا من الكروم وفى وسطه حديقة بها شجرة تين مورقة، ولكنها لم تطرح شيئًا لثلاث سنوات متوالية، فكان يأتيها صاحب البستان كل سنة ولا يجد عليها طرحًا، ولما وجد صاحبها

أن كل شجرة قد أتت جنيها، قال لعاصر الكروم: اقطع هذه الشجرة العاقر فهى تزحم الأرض.

فرد عليه الرجل: لا يا سيدى.. فهى شجرة جميلة.

فرد عليه صاحب البستان: بالله عليك إنى لا أهتم بالجمال المجدب، كان يجب عليك أن تعلم أن النخيل والبلسم أفضل من التين، ولكننى زرعت فى فناء منـزلى شجرة نخيـل وأخرى من البلسم وأحطتها بسور عالى الثمن، فلما وجدتها مجدبين برغم ما بها من أوراق مورقة يانعـة تسقط على الأرض أمام المنزل، أمرت بقطعها فكانا يزحمان فناء المنزل، وكيف لى الآن أن أترك شجرة تين أمام المنزل وهى مجدبة، تزحم الحديقة والكروم فى حين أن الأشجار الأخرى يانعة مثمرة، إنى لن احتمل هذه الشجرة بعد ذلك.

فقال عاصر الكروم: يا سيدى أن الأرض خصبة فاصبر سنة أخرى لأنى سوف أقلم شجرة التين وأنزع عنها التربة المجدبة وأضع مكانها تربة جديدة وحصى وحجارة، وبالتالى سوف تجود بالثمر.

فرد مالك البستان: ولسوف أصبر سنة حتى تجود شجرة التين بثمارها؟ أرجو أن تفهموا ما أعنيه من هذا المثل.

فرد التلاميذ: نحن لا نفهم ما تعنيه.. يا سيدنا، ولكن نرجو أن تفسره لنا».

الإصحاح الرابع عشر بعد المائة

أجاب عيسى: «الحق أقول لكم، إن هذه القصة الرمزية تشير إلى الله كمالك الحديقة، فهو مالك الكون، وإلى عاصر الكروم باعتباره الإنسان المنفذ لإرادة الله وشريعته السمحاء، ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يملك فى الجنة النخيل والبلسم، ويرمز النخيل إلى الشيطان، والبلسم إلى أول إنسان آدم وهما اللذان طردهما الله من الجنة لانهما لم يعملا طيبًا وأغلظا القول، ولما كان الله تعالى قد وضع الإنسان فى وسط خلائقه التى تعبده، وجعله من بين مخلوقاته التى تخدمه وتـأتمر بـأمره، كـل حسب إدراكه وإحساسه، ولما كان الإنسان لم يعص الله بعد ذلك ولكنه لا يزال مجدبا فإن الله سوف يجازيه على اجدابه بالنار، ولما كان إبليس الملاك قد عوقب عقابًا أبديًّا، فى حين عاقب الله الإنسان عقابًا وقتيًّا، وطبقًا لشريعة الله كان على الإنسان أن يأتى بثمار طيبة فى حياته أكثر، وبالتالى كان بالضرورى أن يحكم على الإنسان بأن يمرّ فى شدة ومحنة ويحرم من طيبات الأرض حتى يعمل اعمالا طيبة، وهكذا انتظر الله على الإنسان أن يتوب ويكفر عن سيئاته، والحق أقول لكم، إن الله سبحانه وتعالى قد حكم على الإنسان أن يشقى، أو كما قال أيوب حبيب الله ونبيه: «وكما خلق الله الطير ليطير، والسمك ليسبح، فقد خلق الإنسان ليشقى»، كذلك قال (داوود) رسول الله: «سيباركنا الله إذا ما أكلنا من طرح أيدينا ويبارك لنا فيه».

وعليه، فليعمل كل فرد طبقًا لقدرته، والآن قولوا لى هل عمل أبونا داوود وابنه سليمان بأيديهما، وفى هذه الحالة ما حكم الخاطئ؟

أجاب عيسى: نعم، لا يملكون إلا أن يعملوا، ولكنك تعلم أنكم لستم على قدر من الفضل، ولكى تكونوا على قدر من الفضل، يجب أن تتحرروا من الحاجة، وعليه، فإن الشمس والكواكب قد عزز الله مكانتها بإدراكه وعلمه، حتى أصبحت على ما هى عليه دون أن يكون لها فضل فى ذلك. قل لى عندما أعطى الله فكرة العمل، ألم يقل سيعيش الفقير من عرق جبينه، ثم ألم يقل يعقوب وكما خلقت الطير لتطير، خلق الفقير ليعمل على أن الله سبحانه وتعالى قال للإنسان وبقدر عرق جبينك تأكل خبزك.

ثم قال أيوب إن الإنسان خلق ليعمل، وعلى ذلك فإن المخلوقات دون الإنسان حرة فى أن تعمل أو ألا تعمل، ولكن الأشياء غالية الثمن ومكلفة، ومع ذلك فهناك جماهير كبيرة لا تعمل، فلو اشتغل البعض فى زراعة الأرض والبعض فى صيد السمك من البحر، لكان العالم فى بحبوحة من العيش ووفرة من الطعام، ولكن لما كان الأمر غير ذلك، وجب على الإنسان أن يقدم حسابه فى يوم الحساب».

الإصحاح الخامس عشر بعد المائة

«فليقل الإنسان ما يريد قوله لى، ما الذى أغنى به العالم حتى يتخذ من ذلك ذريعة ليعيش فى كسل وخمول، وبالحق لقد ولد الإنسان عريانًا لا يقدر على شىء وتدريجيا وجد أنه لا يملك الأرض، ولكنه يدبر أمرها، وتعين عليه أن يتقدم بحسابه فى يوم الحشر، وكان على الإنسان أن يخشى جشعه وشهوته حتى لا يصبح والحيوان المتوحش سواء، وهذا الجشع وهذه الشهوة أمران يجب أن يخافهما الإنسان، فليس هناك من عدو للإنسان إلا نفسه وليس من الممكن أن يذهب إلى أى مكان لا يذهب إليه عدوه، فعدوك يكمن فيك، وكم من إنسان هلك بسبب شهوته، وعن الشهوة غرق الإنسان فى ملذاته حتى دمرته، كما أهلك العالم ودمر قبل أن تحل به رحمة الله، فيما عدا نوح الذى انقذه الله ومن معه وكانوا ثلاثا وثمانين شخصًا.

وقد دمر الله بسبب الإغراق فى الملذات والشهوة مدنًا ثلاثة، ولم ينج منها غير لوط واثنين من أولاده.

وبسبب الشهوة فنيت قبيلة (بنيامين) وإنى أقول لكم بالحق، إننى لو أخذت فى سرد هؤلاء الذين هلكوا بسبب الشهوة لما كفتنى خمسة أيام بلياليها.

وأجاب يعقوب: «يا معلم. «وكيف نميز الشهوة»؟

أجاب عيسى: «الشهوة هى رغبة غير محدودة أو مطلقة للحب الذى ينطلق لغير سبب، فيتعدى حدود العواطف البشرية، وتفكير الإنسان، حتى لا يعرف نفسه، وهذا النوع من الحب يجب أن يكرهه الإنسان ويتجنبه، وصدقونى إن الإنسان لا يحب شيئًا لأن الله قد أعطاه له بل يحبه كحائن له، وهذه الشهوة بالنسبة للإنسان أشبه ما تكون بالزنى، والروح بدلا من أن تلتزم بحدود الله خالقها، نجدها تنضم إلى المخلوق أو كما قال أشعيا النبى: «لقد أتيت عملا إذًا مع الكثيرين من العشاق، ومع ذلك عودى إلى ولسوف أتقبلك».

وبحق الله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، لو لم تكن فى قلب الإنسان الشهوة، لما سقط وظهرت شهوته للآخرين، فأنت إذا ما انتزعت جذر الشجرة ماتت بسرعة.

وليكتف الإنسان بالزوجة التى أعطاها الله له، ولينس ما عداها من النساء». وأجاب أندراوس: «وكيف يستطيع الإنسان أن ينسى النساء إذا ما كان يسكن المدينة حيث تزدحم بالكثيرات منهن»؟

أجاب عيسى: «بكل تأكيد إن المعيشة فى المدينة تضر بالإنسان ضررًا أكيدا فالمدينة أشبه ما تكون بإسفنجة تنجذب إليها الأنام.

الإصحاح السادس عشر بعد المائة

«يلزم للرجل الذى يعيش فى المدينة أن يأخذ حرصه دائمًا، فهو كالجندى الذى يعيش فى قلعة تحوط بها الأعداء، فهو يدافع عن نفسه ضد أى اعتداء وفى نفس الوقت يحذر من أن يقع فى شرك خيانة المدنيين وحتى هذا فإنى أقول لكم، إن على هذا الرجل أن يدرأ عن نفسه أية استمالة للخطيئة، وأن يخشى حتى الرغبة فى الخطيئة فلا يقترفها، لأنه يتميز برغبة جامحة لكل ما هو نجس أو غير طاهر، ولكن كيف يتسنى له أن يدافع عن نفسه، خاصة وهو لا يستطيع أن يكبح شهوة العين، فالنظر هو أصل كل خطيئة، وأصل كل شهوة، وبحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته أن كل من فقد عينيه قد أمن ألا يصيبه عقاب إلا عذاب الدرجة الثالثة، أما الذى له عينان ينظر بهما فعقابه أعظم، إذ قد يصل إلى الدرجة السابعة، وفى عهد النبى إيليا شاع أنه رأى أعمى يبكى فسأله أحد الناس قائلا: لماذا تبكى يا أخى؟ فأجاب الأعمى: إنى أبكى لأنى لا أستطيع أن أرى إيليا ولى الله ونبيه فنهره إيليا وقال: «كفى بكاء» يا رجل إنك تقترف خطيئة ببكائك».

فرد عليه الأعمى قائلا: «قل لى هل هناك خطيئة أن أرى أحد أولياء الله، خاصة إذا ما كان يحيى الموتى ويجعل النار تهبط من السماء؟».

فأجاب إيليا: «أنت لا تتكلم صدقًا إذ أن إيليا، لا يستطيع أن يفعل شيئًا بالمرة مما تقول به، فهو إنسان مثلك واعلم أن الناس جميعًا لن يستطيعون أن يخلقوا بعوضة، حتى إذا اجتمعوا كلهم على خلقها.

فأجاب الأعمى: إنك تقول هذا يا رجل ويبدو أن إيليا قد نهرك بسبب خطيئة أتيتها، فأنت لا تحبه».

فأجاب إيليا: «وليعلم الله أنك لو كنت تتكلم صدقًا لكنت قد أحببت الله أكثر، فأنا إن كنت أكره إيليا فإنى أحب الله، وكلما زادت كراهيتى له زاد حبى لله».

وقد غضب الأعمى غضبًا لهذا القول وقال: وبحق الله الحى إنك ملحد كافر، فهل يمكن أن نحب الله فى حين تكره أحد أنبيائه، اذهب يا رجل فلن أستمع إليك بعد الآن.

فأجاب إيليا: «ياأخى قد تستطيع أن ترى ببصيرتك خطيئة البشر، فأنت ترغب فى أن ترى إيليا ولكنك تكرهه من قلبك».

فرد الأعمى قائلا: اذهب إنك والله لإبليس، ولن تجعلنى أخطئ فى حق ولى من أولياء الله.

ثم تنهد إيليا وقال والدموع تترقرق فى عينيه: «لقد تكلمت صدقًا يا أخى والحق، إن جسدى الذى ترغب فى أن تراه، يفصلنى عن الخالق».

قال الأعمى: إنى لا أرغب فى أن أراك ولو كان لى عينان لأغمضتهما، فلا أراك.

فقال الياشع: «اعلم ياأخى إننى إيليا».

فأجاب الرجل الأعمى: إنك لا تتكلم صدقًا.

ثم قال تلاميذ إيليا: «اسمع يا أخ، إنه بحق الله إيليا النبى».

فقال الأعمى: إذا كان هو كذلك فليحدثنى عن بذرتى الأولى، وكيف أصابنى العمى.

الإصحاح السابع عشر بعد المائة

أجاب إيليا: «إنك من اللاويين، وحدث أنك عندما دخلت المعبد نظرت بشهوة إلى امرأة، وكنت قريبًا من المحراب فأذهب الله بصرك».

فأخذ الأعمى يبكى ويقول: عفوك يا نبى الله، لقد أتيت خطيئة عندما تحدثت إليك فلو كنت قد رأيتك لما أخطأتك.

أجاب إيليا: «فليرحمك الله ويغفر لك يا أخى لقد صدقت فيما تحدثت به عنى، فأنا كلما كرهت نفسى وأحببت الله، فلو رأيتنى لخمدت رغبتك فى أن ترانى، فلست أنا خالقك، بل هو الله. فأنا بالنسبة لك قد أكون الشيطان بنفسه»، وراح إيليا يبكى ويقول: «لأنى قد صرفتك عن خالقك. أبك يا أخى لأنك لا تستطيع أن ترى النور الذى يجعلك تفرق بين الكذب والصواب، فلو كنت تراه لما احتقرت تعاليمى، وإنى أقول لك إن كثيرين يرغبون فى رؤيتى، بل يرغبون فى أن يقطعوا المسافات البعيدة ليرونى، ومع ذلك هم يحتقرون كلماتى والأفضل لهم ومن أجل إخلاصهم ألا ترى أعينهم النور، فإن الشخص الذى يجد متعة فى مخلوق من المخلوقات مهما يكن هذا المخلوق، ودون أن يسعى بحثًا عن متعة فى الله سبحانه تعالى، يكون قد وضع فى قلبه جهنم ونسى خالقه، ثم قال عيسى وهو يتنهد: «هل فهمتم كل ما قاله إيليا؟».

فأجاب التلاميذ: نعم، لقد فهمنا، ونحن عند حد معرفتنا أن هناك على هذه الأرض عددًا قليلا من الناس ليسوا من عبدة الأوثان.

الإصحاح الثامن عشر بعد المائة

ثم قال عيسى: «إنكم تقولون الحق، لقد كانت إسرائيل ترغب فى أن تؤمن بالصنم الذى تحيطه بجوانحها، والذى تضعه فى قلبها، ذلك عندما ادعت أننى الإله، بل إن كثيرين منهم أخذوا يضيقون بتعاليمى قائلين إنه كان فى وسعى أن أصبح ملكًا على يهودا لو أننى اعترفت بألوهيتى، ويقولون أننى أحمق ومجنون، لأننى أرغب فى أن أعيش فقيرًا أتردد على الأماكن المنعزلة الصحراوية، ولا ألتزم بمجالسة الأمراء وصحبتهم فى حياتهم الرغدة الهنية، أيها الإنسان المسكين إنك تحرض على النور الذى تتهافت الهوام والنمل عليه وتزدرى بالنور الذى يجمع الملائكة والرسل وأولياء الله الصالحين مع خالقهم، اسمع ياأندراوس، إذا غضضت البصر فذلك حتى لا تقع فى هوة الشهوة، لقد قال أرميا النبى وهو يبكى بحرارة: «إن عينى هى كاللص، تسرق منى روحى كذلك أخذ داوود أبونا يصلى وكله شوق لملاقاة الله خالقنا وسيدنا طالبًا ألا يزيغ بصره فلا ترى الباطل، فكل ما له نهاية إنما هو باطل وأجوف، قل لى إذا ما امتلك فرد درهمين لشراء خبز فهل يصرفهما فى شراء الدخان؟ بكل تأكيد لا، فالدخان يؤذى العينين ولا يغذى الجسم، وهذا ما يجب أن يفعله الإنسان بنظرة إلى العالم الخارجى، وبنظرة من عقله الداخلى يستطيع أن يتعرف على الله خالقه وعلى إرادته وبالتالى لا يجعل الانسان بغيته وغرضه حتى لا يفقد حب الله».

الإصحاح التاسع عشر بعد المائة

«الحق أقول لكم، إن الإنسان إذا ما تعلق بشىء نسى ربه الذى خلق هذا الشىء له ومن أجله، وبالتالى اقترف الخطيئة ولنفرض أن صديقًا لك أعطاك شيئًا تحتفظ به من أجل ذكراه، ثم بعت هذا الشىء ونسيت صديقك، عندئذ تكون قد أسأت إليه، وبالمثل إذا نظر الإنسان إلى مخلوق دون أن يفكر فى الله الذى خلق هذا المخلوق من أجله، يكون قد عصى خالقه بأن أظهر عدم عرفانه له.

وعلى ذلك فإن من يزنى بالنساء وينسى الله الذى خلق المرأة لمصلحة الرجل وأحبها وعشقها وقد تبلغ درجة شهوته لها حدًّا يفوق حبه لأى شىء آخر، ومن هنا تنشأ الخطيئة، فعار على الإنسان الذى يملك الذكرى والتذكر، إذا ما وضع الإنسان على عينيه عصابة تكبح شهوته فإنه يتغلب على المعصية، وبالتالى لن يرغب فيما لا يراه فلا يقدم عليه، ومن أجل هذا وجب أن يخضع البدن للروح فكما أن السفينة تتحرك بالريح، فإن البدن لا يهوى فى المعاصى إلا بسبب الحس.

وعلى ذلك كان من الضرورى أن يتحوّل التائب إلى الصلاة، فهذا عين الصواب والعقل، حتى وإن لم يأمره الله تعالى، فالإنسان يأتى المعصية والخطيئة فيما يقوله، ولكن الله يمحو الخطيئة بالصلاة، لأن الصلاة هى حائط الدفاع الأول للروح، بل هى علاج الروح، أو هى حائط الدفاع عن القلب، بل سلاح المؤمن أو هى مانعة الشعور بالخطيئة، فهى تنهى عن الفحشاء والمنكر، هى ملح البدن، فلا تجعله

يتعفن أو يفسد بالخطيئة، وإنى أقول لكم، إن الصلاة هى اليد الطولى للحياة، فالإنسان الذى يصلى يستطيع بصلاته أن يدافع عن نفسه يوم الحساب، ويحتفظ بروحه طاهرة عن الرذيلة الأرضية، وبقلبه نظيفًا لم تمسسه شرور الرغبة أو الشهوة، ولسوف يثور عليه الشيطان لأنه يحتفظ بمشاعره فى حدود الله الشرعية دون أن يتعداها، كما يحتفظ ببدنه نظيفًا، كما يتلقى منه سبحانه وتعالى كل ما يسأل عنه وكل ما يبتهل به الله عز وجل، لينعم به عليه.

وبحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، إن الإنسان بدون الصلاة لا يصبح صالحًا كريم العمل، بل هو يستوى مع الأبكم الأصم الذى يتوسل إلى كفيف أعمى أن يقضى له حاجته، أو أشبه بناصور لا يشفى إلا بمرهم، أو بسفينة لا تسير إلا بالدفة، أو بإنسان لا يستطيع أن يدافع عن نفسه إلا بالحركة واستخدام السلاح، أو بمركب دون دفة، أو هل يمكن الاحتفاظ باللحم دون ملح، أو هل يستطيع الأكتع الذى لا يد له أن يتلقى أو يمسك شيئًا، وحتى إذا ما استطاع الإنسان أن يحول الروث إلى ذهب، والطين إلى سكر، فماذا هو فاعل؟.

ثم سكت عيسى عن الكلام قائلا: «ما اهتم أحد ببذل جهد إلا من أجل تحويل المادة إلى ذهب، والطين إلى سكر».

ثم قال عيسى «والآن لماذا لا يحول الإنسان لحاجته إلى صلاة، فهل كان يا ترى الوقت الذى منحه الله إياه هو لأن يسىء إليه؟ وهل إذا ما أعطى أمير من الأمراء مدينة لأحد أتباعه فهل هو يعطيها له ليقيم عليه الحرب ويهدمها؟ وبحق الله الحى، إن الإنسان إذا ما عرف إلى أى شكل تتحول الروح بكلامه الأجوف لقرض لسانه بأسنانه وجز عليه حتى لا يتكلم، يا للعالم المسكين البائس، اليوم لا يجتمع الناس للصلاة فعند كنف المعبد وفى داخله يتلقى الشيطان الضحية نتيجة الكلام الأجوف، والأسوأ من ذلك كله هناك أشياء لا أستطيع الحديث عنها فهى الخزى والعار».

الإصحاح العشرون بعد المائة

«إن ثمرة الكلام الأجوف هى إضعاف منطق الإنسان وتفكيره حتى يصبح غير قادر على أن يعى الحق، وهو فى ذلك كجواد اعتاد أن يحمل أوقية من غزل القطن، فلا يستطيع أن يحمل مائة رطل من الحجارة».

والأسوأ من ذلك كله الرجل الذى يصرف وقته فى المزاح والهزل، فإذا رغب رغبة أكيدة فى الصلاة تدخل إبليس وذكره ببعض النكات والمزاح، فيجد نفسه يضحك بدلا من أن يبكى على خطاياه طالبًا المغفرة من ربه، ولكنه بضحكه ومزاحه يغضب ربه، فينصرف عنه ويطرده من رحمته.

الويل لهؤلاء الذين يمزحون ويتفوهون بسقط الكلام، ولكن إذا ما كره الله سبحانه وتعالى هؤلاء المتنمرين الذين يغتابون جيرانهم بفاحش القول، فكيف يكون موقف هؤلاء الذين يتاجرون فى المعاصى والخطايا وكأنهم يتعاملون فى أعمال على غاية الأهمية، يا للعالم الفاسد إنى أكاد أتصور كيف

سيكون عقاب ربى لهم، إنه لعقاب شديد ولا أتصور هؤلاء الذين يعاقبهم الله فارضًا عليهم كفارته، إن كفارته أن يتكلم بميزان من ذهب.

فأجاب تلاميذه، «ولكن من الذى سيشترى كلامه بالذهب، لا أحد على الإطلاق ثم كيف تكون كفارته، لا شك أنه سيكون جشعًا طماعًا محبًا لجمع المال».

أجاب عيسى: «إن قلوبكم لثقيلة حتى أنى لا أستطيع أن أرفعها، هل يتعين علىّ أن أخبركم بمعنى كل كلمة ألا تكفى الكناية، اشكروا الله الذى أنعم عليكم من فضله حتى عرفتم الأسرار الإلهية، ألم أقل إن التائب سيبيع كلامه، كما قلت أيضًا إنه عندما يتكلم يظن أنه يلفظ ذهبًا، إنه عندما يفعل ذلك حتى وإن كان يصرف الذهب فى أشياء ضرورية، فلن يفتح فاه إلا بما هو ضرورى جدا من الكلام وكما أن الإنسان لا يصرف الذهب على أشياء تضر ببدنه، فهو لن يتكلم عن أشياء تضر بروحه.

الإصحاح الحادى والعشرون بعد المائة

«إذا ألقى الحاكم القبض على سجين، وأخذ فى استجوابه ومعه كاتبه يكتب، قولوا لى كيف يستطيع مثل هذا السجين أن يتكلم؟

فأجاب التلاميذ:

إنه يتكلم فى خوف، ولا يطيل فى إجابته، بل يقتصر على النقط المطلوبة، حتى لا يرمى نفسه فى الشبهات، كما أنه حريص ألا يقول شيئًا يضايق الحاكم، بل يتكلم بشكل يجعل الحاكم على استعداد لإطلاق سراحه.

ثم أجاب عيسى: «هذا ما يجب على التائب أن يفعله، حتى لا يفقد روحه، ومن أجل ذلك نجد الله، قد خصص لكل رجل ملكين يسجلان ما يفعل، أحدهما يسجل الحسنات، والآخر يسجل السيئات، ومن ثم إذا طلب إنسان رحمة الله وجب أن يقل من كلامه، وأن يزن أقواله بدقه أكثر مما يزن الذهب».

الإصحاح الثانى والعشرون بعد المائة

أما البخل فيجب أن نحوله إلى صدقة، والحق أقول لكم، إن القادن (وهو الثقل الذى يستخدم فى البناء لمعرفة ما إذا كان الطوب فوق بعضه بعضًا بشكل لا اعوجاج فيه)، ينتهى بثقل يدل على مركز الشىء، كذلك البخيل تنتهى به الحياة إلى جهنم فمن المحال أن يملك البخيل شيئًا فى الجنة، أتدرون لماذا؟ سوف أتحدث إليكم، وبحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، فإن البخيل حتى وإن كف لسانه عن الكلام إلا أنه لا يكف عن القول لنفسه «لا إله إلا أنا» فهو يصرف كل أمواله على شخصه وعلى ملذاته دون أن يتعظ ببداية أو نهاية، فهو يولد عريانًا ويموت عريانًا تاركًا كل شىء وراءه.

والآن قولوا لى، إذا ما أعطاكم هيردوس بستانًا لتحافظوا عليه، وكنتم ترغبون فى أن تدعوا بأنكم ملاكه، أفلا ترسلون شيئًا من فاكهته لهيردوس، وإذا ما حدث أن أرسل هيرودس فى طلب شىء من الفاكهة، فهل تردون رسله خاوى الوفاض؟ أليس الأمر كذلك ألا تحاولون أن تجعلوا من أنفسكم ملوكًا على بستانه؟ نعم بكل تأكيد، إنى أقول لكم الآن إن البخيل يجعل من نفسه إلها على ما يملك فى حين أن ما يملك هو من عند الله.

الشح هو عطش الحس، أو هو فقدان الإيمان بالله بإتيان المعصية لأن الشحيح قد يعيش فى نعيم، ولكنه لن يستطيع أن ينعم بمحبة الله، فهو يتخفى عن الله ويحيط نفسه بأشياء وقتية يعتبرها حسنات وطيبات ويزداد فى شحه، وكلما ازداد شحًّا وجد نفسه محرومًا من رحمة الله، ويتحدث الشحيح حديثًا بعيدًا عن ذكر الله وهو الذى ينعم على الإنسان بفضله ليتوب، أو كما قال داوود أبونا، إن هذا التغير بفضل ما أعطانا الله وما يسبغه علينا من نعم.

ومن الواجب علىّ أن أخبركم عن كنه الإنسان إذا ما أردتم أن تعرفوا كيف تكون الكفارة، ولكن يكفينا اليوم أن نشكر الذى تفضل علينا فجعلنا نعبر عن أوامره عن طريق حديثى إليكم.

ثم رفع عيسى يديه وأخذ يدعو الله قائلا: «يارب يا رحمن يا رحيم، يا قوى يا عزيز، يا من خلقتنا رحمة منك، أنعم علينا بأن نكو أولياء لك وخدما لسدتك، مؤمنين برسولك الحق.. شكرًا لك يارب يا كريم، على آلائك ونعمائك، إننا نتوق لعبادتك طوال أيام حياتنا،إننا نبكى حزنًا على ما اقترفنا من معاص، ونتوب إليك ونصلى لك، ونزكى ونتصدق ونصوم من أجلك، ونحفظ كلمتك، ونعلم هؤلاء الذين يجهلون إرادتك إننا نعيش فى هذا العالم حبًّا فيك وإجلالا لك، إننا نترك هذه الحياة مستقبلين الموت لنخدم سدتك، ارحمنا يارب العالمي وأنقذنا من الشيطان، وأبعد عنا شهوة البدن وشهوة الدنيا كما أنقذت من اصطفيت حبًّا فيك وحبا فى رسولك الذى من أجله خلقتنا، وحبًّا فى أوليائك الصالحين ورسلك وأنبيائك».

فقال التلاميذ: «فليكن كل ذلك يارب يا رحمن يا رحيم».

الإصحاح الثالث والعشرون بعد المائة

فلما جاء صباح الجمعة، وبعد أن صلى عيسى وجمع تلاميذه حوله قال لهم: «فلنجلس قليلا، ففى مثل هذا اليوم خلق الله الإنسان من طين، ولسوف أحدثكم عن طبيعة الإنسان بأمره سبحانه وتعالى».

وبعد أن جلسوا جميعًا قال عيسى: «مرة أخرى أراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر لمخلوقاته نعمته ورحمته وقدرته على كل شىء وعلى كل أمر، وما هو عليه من عدل وكرم، فأخذ أربعة أشياء كل منها

يتعارض مع الآخر ثم خلطها بعضها ببعض، وجعل منها شيئًا واحدًا هو الإنسان، أما هذه الأشياء فهى التراب والهواء والماء والنار، حتى يعمل كل جوهر من هذه الجواهر الأربعة على تلطيف الجوهر الآخر، ثم جعل من هذه الأشياء الأربعة جسم الإنسان، وصنعه من اللحم والعظم والدم والنخاع والجلد، مع ما به من أعصاب وعروق، وما فيها من أعضاء داخلية، ثم وضع الله الروح والحواس باعتبارها طرفى الحياة، فعهد بالجسم أن يكون مثوى الحواس التى تتحكم فى كل جزء منه، فانتشرت فيه وكأنها الزيت، ثم القلب مثوى الروح، حيث تستطيع أن تتحكم فى الحياة كلها إذا ما اتحدت بالحواس.

هكذا خلق الله الإنسان ثم وضع فيه نورًا هو العقل، وجعله يتحكم فى الجسد والحواس والروح لغرض نهائى، هو أن يعمل فى خدمة الله، ثم جاء به إلى الجنة ليعرف تأثير إبليس عليه. فقد أغرى الحس العقل ففقد الجسد راحته والحس مسرته التى يعيش عليها، وفقدت النفس جمالها بفعل الشيطان. فلما وقع الإنسان فى هذه الورطة، وجد أن الحواس لا تجد راحة فى العمل، ولكنها تسعى إلى البهجة والمتعة ولا يستطيع العقل أن يكبح جماحها، فذهب وراء الضوء الذى تراه العين، أما العين فلا ترى غير الخيلاء، فتخدع نفسها، وتختار الأشياء الأرضية، فحلت الخطيئة.

وعلى ذلك كان من الضرورى أن يتجدد تفكير الإنسان والتزامه برحمة الله تعالى فيعرف الصالح من الطالح والطيب من الخبيث، ويفرق بين المتعة الحقيقية والمتعة الكاذبة، مدركًا حقيقة كل منها، ولكنه أخطأ وعصى، ووجبت عليه التوبة، وإنى أقول لكم بالحق إن الله سبحانه وتعالى إذا ما أنار قلب الإنسان لأصبح تفكيره مجديًا منتجًا.

سأل يوحنا: «إذن ما هى الخاتمة التى تتحقق بكلام الإنسان؟ أو ما هى نتيجة كلام الإنسان؟».

أجاب عيسى: «الإنسان كإنسان، لا يستطيع أن يجعل المخطئ يتوب، ولكن الإنسان كوسيلة فى يد الله، يستطيع أن يجعل المخطئ يتوب ولما كان الله يعمل بطريقته الغيبية من أجل خلاص الإنسان، وجب على الفرد أن يستمع لكل إنسان حتى يستطيع أن يتقبل ما يأمرنا الله به عن طريق الشخص الذى يضع سره فيه، فتجد موعظته نافذة ونصيحته متبعة».

فأجاب يعقوب: «وإذا حدث يا معلم أن جاء نبى كاذب، أو معلم زائف، وادعى أنه يريد أن يعلمنا ويعظنا فماذا نفعل؟».

الإصحاح الرابع والعشرون بعد المائة

أجاب عيسى بالكتابة: «الإنسان يذهب ليصيد السمك ومعه شبكة فإذا ما صاد سمكًا كثيرًا احتفظ بالجيد ورمى الردىء.

والإنسان يبذر الحب ليجد أن البذرة الجيدة التى تصل إلى الأرض تنبت ويحمل نباتها محصولا جيدًا.

ومع ذلك ما الذى نستطيع أن تفعله ؟ استمع للجميع ولا تتقبل غير الحقيقة، فالحقيقة هى التى تحمل ثمرة الحياة الأبدية».

فأجاب أندراوس: «وكيف نتبين الحقيقة...»

أجاب عيسى: «الحقيقة هى التى تتفق مع صحف موسى، والتى نتلقاها باعتبارها حقيقة مدركين أن الله واحد، وأن الحق واحد، ومن هذا نرى أن المذهب واحد، ومعنى المذهب واحد أن الإيمان واحد. والحق أقول لكم، إن الحقيقة إذا ما محيت من كتاب موسى، لما أعطاها الله لداوود أبينا الثانى، وإذا ما كان كتاب داوود قد شابه الشك لما أعطانى الله الإنجيل، واعلموا أن الله عز وجل لا يتغير، وأن رسالته واحدة للجميع، وعندما يأتى رسول الله يفضح جميع ما نسبه الكفار لكتابى».

ورد كاتب هذا الإنجيل: «يا مولانا وما يستطيع أن يفعله الإنسان إذا ما كان القانون قد حرف وعلا صوت الأنبياء الكذبة... ؟».

أجاب عيسى: «إن سؤالك لعظيم يا برنابا، وعليه أقول لك إذا ما جاء مثل هذا الوقت فلن ينقذ الله غير القليلين، لأن الإنسان لا يستطيع أن يقدر نهايته، وبالله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، أعلم أن أى مذهب يبعد الإنسان عن غايته أى عن الله، إنما هو مذهب شرير، وعليك أن تتحقق من ثلاثة أشياء فى أى مذهب، هى: حب الله، وحب الإنسان لجاره، وبغض الإنسان لنفسه إذا ما خالف تعاليم الله وأى مذهب يخالف هذه الشروط الثلاثة يجب تجنبه، فهو مذهب شرير.

الإصحاح الخامس والعشرون بعد المائة

«سأعود مرة أخرى إلى البخل، وإنى أقول لكم إذا ما كان الحس يشتهى التملك، أو الاحتفاظ بالشىء، وجب أن يحكم العقل، فإن شيئًا كهذا لابد له من نهاية، وبكل تأكيد إذا ما كانت له نهاية فمن الجنون أن تحبه، وعليه فمن الواجب ألا يحبه الإنسان، وعليه أن يحتفظ بما ليس له نهاية.

فلنحول الجشع إلى صدقة، ونوزع كل ما يحصل عليه الإنسان بطريق الخطأ توزيعًا صحيحًـا، وليتأكد الإنسان أن ما يعطيه باليمين لا تدرى به شماله، لأن المنافقين عندما يعطون الصدقات يودون لو رآهم الناس ويثنى عليهم العالم، ولكن أقول لك بالحق إن هذا عبث باطل فالإنسان يتقاضى أجره من صاحب العمل، وإذا ما تقاضى الإنسان شيئًا من ربه وجب عليه أن يخدمه فى مقابل ما يتقاضاه منه.

والصدقة هى أنك تدفع لله ما تعطيه لغيرك حبًّا فى ذاته العلية، وعلى ذلك يجب ألا تتلكأ فى إعطاء

الصدقة وأن يكون عطاؤها من أجود ما عندك حبًّا فى الله تعالى.

قال لى: هل ترضى أن تأخذ من الله شيئًا رديئًا؟ بالطبع لا. يا لكم من تراب ورماد، كيف إذن تؤثرون أنفسكم بأن تتصدقوا بما هو ردىء حبًّا فى الله وتبقون لأنفسكم ما هو جيد.

أليس من الأفضل ألا تعطوا شيئًا على أن تعطوا ما هو ردئ، ففى عدم تقديمكم الصدقة بعض العذر بميزان عالمكم، ولكن إذا ما أعطيتكم شيئًا لا نفع فيه، واحتفظتم بالطيب لأنفسكم فما هو عذركم؟

هذا هو كل ما أملك أن أقوله لكم فى التوبة.

فأجاب برنابا: وإلى متى تستمر التوبة.

أجاب عيسى: «إذا ما كان الإنسان فى معصية أو خطيئة، عليه أن يتوب ويكفّر، ولما كانت الحياة البشرية تخطئ على الدوام، وجب عليها أن تنشد التوبة دواما، إلا إذا أردت أن تجعل لحذائك مقامًا أكبر من روحك، فكلما تفتق الحذاء أصلحته».

الإصحاح السادس والعشرون بعد المائة

وبعد أن جمع عيسى تلاميذه أرسلهم جماعات كل اثنين معًا إلى إسرائيل: وقال لهم: «اذهبوا وبشروا الناس بقدر ما سمعتمونى».

فسلموا عليه وأحنوا هاماتهم ووضع يديه فى أيديهم وقال: «باسمه سبحانه وتعالى امنحوا الصحة والعافية للمرضى، واطردوا العفاريت من أجساد الناس، ولا تخدعوا إسرائيل فيما يتعلق بى، وقولوا لهم من أنا كما قلته أمام كبير الكهنة».

ولكن أبناء الشيطان وجدوا طريقًا آخر لإغضاب عيسى، ذلك عن طريق الكهنة والكتبة فبدءوا يشيعون بأن عيسى يبغى ملك إسرائيل، وفى نفس الوقت كانوا يخافون الرجل العادى، وراحوا يتآمرون ضد عيسى فى سرية وكتمان، وبعد أن مر التلاميذ فى يهودا عادوا مرة أخرى إلى عيسى، فاستقبلهم كما يستقبل الوالد أبناءه قائلاً: «خبرونى كيف أمكنكم التبشير بربنا وإلهنا، ولقد رأيت الشيطان وهو ينزلق تحت أقدامكم وأنتم تدوسون عليه كما يدوس عاصر الكروم على الكروم».

فأجاب التلاميذ: «يا معلم، لقد عالجنا عددًا لا حصر له من الناس، وطردنا الكثير من العفاريت التى كانت تعذب أصحابها»، فرد عيسى: «سامحكم الله يا إخوتى، لأنكم أخطأتم عندما قلتم إننا عالجنا فى حين أن الله هو صاحب الفضل فى كل شىء»، ثم قالوا: «لقد تكلمنا بغباء وجهالة، فحدثنا يا معلم كيف نتكلم».

فأجاب عيسى: «بالنسبة للطيبات من الأعمال قولوا لقد صنعها الله، وبالنسبة لمساوئ الأعمال قولوا: لقد أخطأنا».

ثم قال التلاميذ له: «وهذا ما سنفعله».

فرد عيسى: «وما الذى ستفعله إسرائيل الآن؟ وقد رأت الله يعمل برحمته عن طريق العديد من الناس ما عملته الآن بيدى وبوحى من الله»؟

فأجاب التلاميذ: «إن الله واحد لا شريك له، وإنك رسول الله».

فأجاب عيسى بفرح، مشجعًا إياهم ومستصوبًا ما قالوه: «تبارك اسمه سبحانه وتعالى الذى لم يحتقر رغبة خادمه وعبده».

وبعد ذلك ذهب الجميع ليستريحوا.

الإصحاح السابع والعشرون بعد المائة

غادر عيسى الصحراء وانتقل إلى القدس حيث هرعت جموع الناس إلى المعبد ليروه، وبعد أن قرءوا المزامير اعتلى عيسى المنبر حيث اعتاد الكتبة/ الجلوس وأشار للجمـوع بيده أن تسكت.. فسكتت ثم قال: «أيها الأخوة تبارك اسمه سبحانه وتعالى، الذى خلقنا من صلصال وليس من روح من نار، فإذا اقترفنا معصية أو خطيئة نجد رحمة الله واسعة، بخلاف إبليس فلن يجد الرحمة، لأنه تكبر واستكبر حتى أصبح ثقيلاً لا يمكن نقله من مكانه، وحتى أصبح يدعى النبل لأن الله صنعه من روح نارية.

هل سمعتم يا إخوتى ما قاله أبونا داوود عنه سبحانه وتعالى إنه يذكر أننا خلقنا من تراب، وأن روحنا تذهب ولا تعود، وأن الله يرحمنا، وتبارك من يعرفون هذه الكلمات فلن يعصوا خالقهم إلى الأبد، فهم يندمون ويتوبون بعد كل معصية فلا تلتصق بهم، تبًّا لهؤلاء الذين يمجدون أنفسهم، فلسوف يتذللون لفحم جهنم المحترق، أخبرونى أيها الإخوة ما الذى يدعو إلى التفاخر والتعاظم؟ هل هناك يا ترى ما يدعو إلى ذلك على هذه الأرض؟ لا بكل تأكيد أو كما قال سليمان نبى الله سبحانه وتعالى: إن ما تحت الشمس لهو متاع وغرور، وإذا لم نجد فى عالمنا ما يدعونا إلى المباهاة والتفاخر من قلوبنا، فالأحرى ألا نجد فى حياتنا ما يدعونا إلى هذا التفاخر، فهى مليئة بالبؤس فجميع المخلوقات أقل من الإنسان. ومع ذلك تحاول أن تحاربه، وكم من شخص قد مات بضربة الشمس فى الصيف أو بقرصة الصقيع والبرد فى الشتاء، أو بصاعقة من السماء أو بالبرق أو بالبرد، وكم من الناس مات غريقًا فى البحر بعواصفه ونواءاته، وكم من شخص مات من الوباء والمجاعة، أو افترستهم الوحوش الضارية، أو لدغتهم الحيات، أو اختنقوا من الأكل، يا أيها الإنسان ما أتعسك، فأنت تتكبر وتتعالى فى حين أنك ترزح تحت أثقال لا قبل لك بها، وهى تقف للإنسان بالمرصاد، ولكن ماذا أقول عن الجسد وعن الروح؟ إن الشهوة إنما هى جور وظلم، فهذا العالم لا يعطينا غير المعصية، والخطيئة هى جور وظلم من الأشرار الذين يعبدون الشيطان، ويضطهدون من يعيش وفق قانون الله وشريعته، اعلموا أيها الإخوة أن الإنسان كما قال داوود أبونا إذا ما جعل النهاية الأبدية مقصده فلن يخطئ قط.

وإذا ما تفاخر الإنسان من وجدانه، إنما يغلق قلبه أمام شفقة الله ورحمته، فلا يعود يغفر لغيره، قال أبونا داود إن الله سبحانه وتعالى يعلم أننا من تراب، وأن روحنا تذهب ولا تعود، وعلى ذلك فإن من يمجد نفسه إنما يكفر بأنه من تراب، وبالتالى لا يعرف ما يريد فلا يسأل الله مساعدته، وبالتالى يغضب خالقه وبالله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، إن الله على استعداد لأن يغفر لإبليس لو اعترف إبليس بما فيه من بؤس وطلب الصفح من خالقه تبارك اسمه إلى أبد الآبدين».

الإصحاح الثامن والعشرون بعد المائة

«أيها الإخوة، إنى أقول لكم وما أنا إلا شخص صنع من تراب أمشى على الأرض، (توبوا إلى الله خالقكم من كل معصية اقترفتموها)، إنى أقول لكم أيها الإخوة إن إبليس خدعكم عن طريق جند الرومان، عندما قال لكم إنى إلهٌ فاحذروا أن تصدقوه، لقد لعنه الله فلا يخدم غير الآلهة الكذبة، لقد استنزل داوود أبونا على الشياطين اللعنة عندما قال: إن آلهة الأمم هى الفضة والذهب، وهى من صنع أيديهم، يصنعون لها أعينًا لا ترى، وآذانا لا تسمع، وأنوفا لا تشم، وأفواها لا تأكل، وألسنة لا تتكلم، وسواعد لا تعمل، وأقدامًا لا تسير، ولقد قال سيدنا داوود وهو يبتهل إلى الله عز وجل، فلتجعل الذين يصنعونها على شاكلتها كذا الذين يصدقونها، يا لسوء الإنسان وتكبره وتعاليه، ألم يسمع به من قبل وهو الذى خلقه الله من تراب الأرض، لقد تناسى ذلك وراح فى شوق يصنع إلٰها على هواه، بل راح يستهزئ فى صمت وسكون وكأنه يقول: لا فائدة من خدمة الله، فأعمال الإنسان تظهر ما فى باطنه، لقد أراد الشيطان يا إخوتى أن ينزل بكم إلى الدرك الأسفل فيجعلكم تعتقدون أنى أنا الله، فى حين أنى لا أستطيع أن أخلق بعوضه، كما أنى زائر فى هذه الدنيا ومآلى إلى الموت، ولا أستطيع أن أقدم لكم شيئًا ذا منفعة، ولا غرو فأنا نفسى أحتاج لكل شىء، فكيف إذن أستطيع أن أساعدكم فى أى شىء، فالله وحده هو الذى يعين الغير ولا يحتاج لمعاونة، أفلا نستهزئ إذن بالكافرين وآلهتهم علمًا بأن لنا إلٰها عظيمًا خلق الكون بكلمة منه.

لقد أتى شخصان هنا إلى المعبد ليصليا وكان أحدهما الفريسى والثانى جابى العشار، أما الأول فقد اقترب كل القرب من المحراب وأخذ يصلى ورأسه مرفوعة ويقول: «يا إلٰهى أشكرك لأنك خلقتنى على غير صورة العصاة المخطئين الذين يأتون الشر والرذيلة ولاسيما مثل جابى العشار، إنى أصوم مرتين فى الأسبوع وأقدم العشور على كل ما أملك».

أما جابى العشور فبقى فى الخلف وانحنى إلى الأرض وأخذ يدق على صدره ويقول ويده منحنية: «يا إلٰهى إنى أحقر من أن أنظر إلى السماوات أو إلى محرابك، فلقد أخطأت كثيرًا فاغفر لى وارحمنى».

الحق أقول لكم، إن جابى العشار ترك المعبد فى راحة نفسية أكثر من الفريسى، فقد أنصفه الله إذ غفر له خطاياه، أما الفريسى فقد ترك المعبد فى حالة أسوأ من جابى العشار، فقد لفظه الله لأن أعماله كانت بغيضة».

الإصحاح التاسع والعشرون بعد المائة

«هل تستطيع البلطة أن تتفاخر فى يوم من الأيام بأنها قطعت أشجار الغابة حيث زرع الإنسان مكانها بستانًا؟

لا والله فالإنسان هو الذى فعل كل شىء هو الذى صنع البلطة بيديه، وأنت أيها الإنسان إذا ما تفاخرت بأنك فعلت كل شىء، وظننت أن أقوالك طيبة، فاعلم أن الله هو الذى خلقك من صلصال وأنه غرس فيك كل ما هو طيب، واعلم أن من واجبك ألا تزدرى بجارك فلولا أن الله حفظك من الشيطان لكنت أسوأ منه.

اعلم الآن أن معصية واحدة قد غيرت أجمل الملائكة إلى أفظع الشياطين قبحًا، وأن أكمل رجل ظهر على هذه الأرض وهو آدم قد تحول إلى مخلوق بائس أخضع نفسه لما نحن فيه من آلام، ليس هو بمفرده، بل جميع ذريته؟ فما هى الرخصة التى تمتلكها والتى بمقتضاها تستطيع أن تعيش فى سعادة دون خوف. الويل لك يامن صنعك الله من صلصال، فقد تعاليت بذاتك فوق ذات الله خالقك برغم أنك أحقر من أن تجلس تحت قدمى الشيطان الذى يتربص بك ويترصدك».

وما إن قال ذلك حتى أخذ لى الدعاء فرفع يديه مبتهلاً إلى الله، وقال المصلون: «فليكن ما تقول، فليكن ما تقول» وعندما انتهى من دعائه نزل من على المنبر، حيث جاءوا إليه بعدد كبير من المرضى فشفاهم ثم ترك المعبد وتقدم إليه سمعان، وكان مريضًا بالبرص وشفاه عيسى ودعاه أن يأكل معه خبزًا.

وذهب الكهنة والكتبة الذين كانوا يكرهون عيسى إلى معسكر الرومان، ورووا لهم ما قاله عيسى عن آلهتهم، وراحوا يتفكرون كيف يقتلونه، ولكنهم وجدوا أن قتله أمر غير مرغوب فيه خوفًا من الشعب وسورته.

دخل عيسى بيت سمعان وجلس إلى المائدة، وبينما كان يأكل جاءت امرأة اسمها مريم ودخلت المنزل، وكانت عاهرًا غارقة فى الخطايا، ورمت بنفسها على الأرض خلف قدمى عيسى، وراحت تزرف الدمع وتغسل بدمعها قدميه، ثم أخرجت حُقًا من المرهم الثمين، وراحت تدهن به قدمى عيسى، ثم تمسح بشعرها قدميه.

وشعر سيمون وكل من كان جالسًا إلى المائدة يأكل معه اللحم، بما حدث من فضيحة، وقالوا لأنفسهم: «إذا ما كان هذا الإنسان رسولاً فلابد وأن يعرف كنه هذه المرأة ومن تكون والا ما سمح لها أن تلمسه».

قال عيسى لسمعان: «اسمع يا سمعان لدى ما أقوله لكم».

قال سمعان: «تكلم يا معلم، فإننا نرغب فى أن نسمع لك».

الإصحاح الثلاثون بعد المائة

قال عيسى: «كان هناك رجل له مدينان يدين الأول بخمسين درهمًا والثانى بخمسمائة درهم، ولما كان كل منهما لا يستطيع أن يدفع دينه، فقد شعر الرجل بما هما فيه من ضيق فسامحهما، فأى منهما أحب دائنه أكثر؟».

أجاب سمعان: «الرجل الذى كان مدينًا بالمبلغ الأكبر».

قال عيسى: «لقد أصبت فى قولك، وإنى أقول لك، وأنت وهذه المرأة معًا شريكان، فأنتما مدينان لله سبحانه وتعالى، فقد كان جسدك مريضًا بالبرص، فى حين كانت روح هذه المرأة مريضة أيضًا بالبرص، إذا أخطأت وعصت ربها، فعطف الله ذو الجلالة واستجاب لدعائى لكما، فشفى بدنك وشفى روحها وأنتما قد تحبان الله قليلا، فقد نلتم القليل كهدية، وعليه عندما دخلت منزلك لم تقبلنى أو تضع على رأسى العطور، بعكس هذه المرأة، فبمجرد أن دخلت منزلك رمت نفسها على قدمى وغسلتهما بدموعها ودهنتهما بدهان ثمين

والحق أقول لك، إن الله قد غفر لها خطاياها لأنها أحبته حبًا جمًا، ثم التفت إلى المرأة وقال: اذهبى بسلام فى طريقك، فالله سبحانه وتعالى قد غفر خطاياك، ولتكن توبتك توبة نصوحاً، فلا تعصى الله بعد ذلك، إن إيمانك به قد أنقذك».

الإصحاح الحادى والثلاثون بعد المائة

وبعد أن انتهى عيسى والتلاميذ من صلاة العشاء (الليل)، اقتربوا منه وقالوا له: «يا معلم، كيف نستطيع أن نتغلب على المكابرة والكبرياء؟»

أجاب عيسى: «هل رأيتم رجلًا فقيرًا دعى ليتناول الطعام على مائدة أمير من الأمراء؟»

أجاب يوحنا: «لقد أكلت خبزًا بمنزل هيرودس، فكنت أعمل صيادًا قبل أن أعرفك وكنت أبيع السمك إلى عائلة هيرودس، وفى يوم من الأيام أقام مأدبة، وأحضرت له سمكة كبيرة، فدعانى إلى البقاء وتناول الطعام».

سأل عيسى: «وكيف تناولت طعامك مع هؤلاء الكفرة؟ سامحك الله يا يوحنا، ولكن قل لى كيف جالستهم إلى المائدة؟ هل حاولت أن تجلس فى مكان الصدارة؟ هل كنت تطلب مالذ من الطعام والشراب؟ وهل كنت تبادلهم الحديث إذا لم يوجهوا إليك كلامهم أو سؤالهم؟ هل كنت تعتبر نفسك فى مركز أعلى أو أكثر أهمية ممن يجلسون إلى المائدة؟».

أجاب يوحنا: «بحق الإله الحى لم أجرؤ أن أرفع نظرى إلى أعلى، فكنت أفكر دائمًا فى نفسى كصياد فقير ألبس رخيص الثياب، فى حين أجلس بين أمراء الملك، وخاصة عندما أعطانى الملك قطعة صغيرة من السمك، تصورت العالم وكأنه سقط على أم رأسى لهذا الفضل العظيم الذى حبانى به الملك، والحق أقول إن الملك لو كان من طبقتنا لكنت قد وهبت نفسى لخدمته طول حياتى.

وصاح عيسى: أمسك عليك يا يوحنا، فإنى أخشى أن يقذف بنا الله تعالى فى هوة الهلاك كما فعل بابرام جزاء زهوه وكبريائه وعندئذ راح التلاميذ يرتجفون خوفا مما قاله عيسى، ثم قال عيسى: «لنخشى الله الذى يستطيع أن يقذف بنا إلى هوة لا قرار لها جزاء تكبرنا وكبريائنا، أيها الأخوة هل سمعتم ما فعله (يوحنا) فى منزل الأمير، ويل لهؤلاء الناس الذين يأتون إلى هذا العالم والذين يعيشون فى كبرياء وتيه، فلسوف يموتون فى احتقار وفى اضطراب».

فهذا العالم الذى نعيش فيه، هو بيت الله يدعو إليه الرجال فيأكلون حيث أكل أولياء الله الصالحون من أنبياء ورسل، والحق أقول لكم، إن ما يناله الإنسان إنما هو من الخالق سبحانه وتعالى، وعلى الإنسان أن يغرق فى بحر من التواضع مدركا ما هو فيه من ضعة وخسة، وما الله عليه من عظمة وكرم وعطاء، فهو الذى يرزقنا، وبالتالى لا يحق للإنسان أن يقول لماذا تم هذا، ولماذا لم يتم ذاك؟ ولماذا قيل هذا فى هذا العالم؟ وعلى الإنسان أن يضع نفسه فى موضعها الحقيقى، فهو لا يستأهل أن يجلس إلى مائدة الله فى هذا العالم، وبحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، ليس هناك من شىء تافه يتلقاه الإنسان فى هذا العالم من الله. ويجب على الإنسان فى مقابل نعم الله عليه أن يصرف حياته فى محبة الله وعبادته، وبحق الإله الحى، إنك يا يوحنا لم ترتكب معصية عندما أكلت مع هيرودس، فقد كان ذلك من إرادة الله حتى تصبح معلما لنا ومعلما لكل من يخاف الله». ثم توجه عيسى بالكلام إلى تلاميذه فقال: «افعلوا هكذا، فقد تعيشون فى هذا العالم كما عاش يوحنا فى سراى هيرودس، عندما أكل معه الخبز، فلسوف تكونون فى الحقيقة أحرارا من التكبر والكبرياء.

الإصحاح الثانى والثلاثون بعد المائة

كان عيسى فى يوم من الأيام يسير على شاطئ بحر الجليل وتحيط به جموع لا حد لها من الناس، ثم انتقل إلى قارب صغير، كان يقف بالقرب من الشاطئ، إلى حد أن الناس كانوا يسمعون عيسى عليه السلام إن تكلم وهو فى القارب، على أنهم اقتربوا من مياه البحر وجلسوا على الشاطئ ينتظرون ما يقول. قال عيسى: «أمسكوا عليكم، لقد ذهب الزارع إلى أرضه ليرمى الحب فسقطت منه بعض حبات على الطريق، فداسها الناس بأرجلهم، وأكلها الطير، وسقطت حبات أخرى فوق الصخور، وعندما نمت كانت هشة فاحترقت بأشعة الشمس إذ لم تجد ماء أو رطوبة، وسقط بعضها إلى جانب السور فلما نبت الشوك اختنقت النباتات، وسقط البعض فى أرض طيبة حيث ربت وترعرعت وحملت الكثير من الفاكهة بما يزيد على الثلاثين أو الستين أو المائة ثقلا.

ثم قال عيسى مرة أخرى: أمسكوا عليكم إذا ما قام رب العائلة ببذر بذور طيبة فى حقله، وبينما كان خدم الرجل الصالح نائمين، جاء عدو لسيدهم وزرع حنضلا مر المذاق فوق البذور الطيبة، وبعد ذلك أتى الخدم إلى سيدهم وقالوا له: ألم تبذر حقلك ببذور طيبة، ولكن نبت بها الحنضل المر وبكميات كبيرة، فقال الرجل نعم، لقد بذرت بذورا طيبة، ولكن عندما نام رجالى جاء خصمى فبذر فوق الحنطة بذور الحنضل.

فقال الخدم: «هل تأمرنا يا سيدنا أن نذهب ونقلع شجر الحنضل من الحنطة؟» فأجاب الرجل: «لا تفعلوا ذلك لأنكم قد تقتلعون شجر الحنطة معها، ولكن انتظروا حتى يأتي يوم الحصاد، فلنذهب جميعا ونقتلع الحنضل من الحنطة وندفع به إلى النار ثم نأتي بالحنطة وندرسها وندفع بها إلى المخازن».

وقال عيسى بعد ذلك: «وحدث أن ذهب جمع من الناس لبيع التين، وعندما وصلوا إلى السوق وجدوا الناس يفحصون أوراق التين وليس التين نفسه، وبالتالى لم يستطيعوا بيع التين، ولما وجدوا الأمر كذلك صاح أحد الأشرار: والحق إنى سأصبح غنيا، ونادى ولديه وقال لهما: اذهبا واجمعا أكبر كمية من أوراق شجر التين وتأكد أن يكون التين الملتصق بالورق تالفا، وبالفعل باع ما جمع بوزنه ذهبا، إذ كان الناس يعجبون بورق التين أكثر من التين نفسه، ولكنهم عندما أكلوا التين أصيبوا بأمراض خبيثة».

ثم قال عيسى: امسكوا عليكم، حدث أن كان لأحد المدنيين ينبوع من الماء يغترف منه جيرانه بما يكفيهم لتنظيف أنفسهم، وكان الرجل صاحب الينبوع لا يجد من الماء ما يكفيه ليغتسل أو يغسل ملابسه.

ثم قال عيسى: وحدث أن شخصين ذهبا لبيع التفاح واختار أحدهما قشر التفاح ليبيعه فى مقابل وزنه ذهبا دون النظر إلى التفاح نفسه، أما الثانى فرغب فى أن يعطى التفاح للمشترين فى مقابل بعض الخبز الذى يسد به أوده خلال الرحلة، ولكن الناس أقبلوا على شراء قشر التفاح بوزنه ذهبا، ولم يهتموا بالرجل الآخر الذى كان يرغب فى أن يعطيهم التفاح بأكمله فى مقابل بعض الخبز، بل ذهبوا إلى حد تحقيره.

وفى ذلك اليوم راح عيسى يتحدث إلى الجموع بالكناية والأمثلة وبعد أن صرف الجموع، ذهب مع حوارييه إلى نايين، حيث أقام عند ابن يتيم الأب، ولقد قبل وأمه أن يستضيفاه وخدمة فى بيتها.

الإصحاح الثالث والثلاثون بعد المائة

اقترب التلاميذ من عيسى وسألوه قائلين: «يا مولانا ما معنى الأمثلة التى كنت تضربها للناس؟».

أجاب عيسى: «اسمعوا، إن ساعة الصلاة اقتربت وعندما ننتهى من صلاة العشاء سوف أحدثكم عنها».

وأجاب عيسى بعد أن انتهت الصلاة واقترب التلاميذ منه: «الرجل الذى يرمى البذرة فى الطريق وفوق الحجر وبين الأشواك وفوق الأرض الطيبة هو الذى ينشر كلمة الله فيتلقاها العديدون من الناس كل على سجيته، فمثلا إذا ما نزلت على الطريق كأنها نزلت على أسماع التجار والبحارة الذين نسوا بسبب رحلاتهم الطويلة واختلاطهم بأمم متنوعة، نسوا الله بفعل إبليس وإذا نزل الحب على الصخر كأن الكلمة الطيبة قد نزلت على أسماع ندماء الملوك وخدامهم، إذ إن مثل هؤلاء الناس بسبب قلقهم الكبير وتحولهم السريع يخدمون أميرا بعد أمير فلا تترعرع كلمة الله فى نفوسهم، ولا يأبهون لها

ولو كانت لهم بعض الذاكرة لتذكروا ما مر بهم من شدائد وتوسلات إلى الله، فما من محنة يصابون بها إلا وذكروا الله أن يخلصهم منها، أما هؤلاء الذين نسوا الله فلن يؤمل منهم مساعدة أو معاونة، أما عن الحب الذى سقط بين الاشواك كأنه كلمات يسمعها هؤلاء الذين يحبون الحياة، فإذا ما نبتت كلمة الله بينهم وإذا ما شاعت فيهم الرغبات الجنسية والمتعة الجسدية فالأطماع والرغبات تخنق البذور الطيبة التى تمثل كلمة الله، فالرغبة الجنسية تنسى الإنسان ربه أما عن البذور التى تقع على الأرض الطيبة فكأنها كلمة الله تنزل على آذان هؤلاء الذين يخافونه فتأتى إليهم بنتاج الحياة الأبدية جزاء مخافتهم الله، والحق أقول لكم إنه فى كل حالة يخاف فيها الإنسان ربه، تطرح كلمة الله ثمرا، وعلى ذلك فإن رب الأسرة هو أشبه ما يكون بالرب، فهو أصل كل شىء، وإن يكن الله هو الذى خلق كل شىء، ولكنه ليس أبا حقيقيا، إذ هو لا يأتى العملية التى يتم بها الإخصاب ثم التكاثر، هو ربنا الذى يخصه هذا العالم، والحقل الذى يبذر فيه الحب هو الإنسان والحب نفسه هو كلمة الله، وعلى ذلك إذا ما أهمل المعلمون فى التبشير بكلمة الله بسبب انشغالهم فى مسائل الحياة يقوم الشيطان ببذر الخطيئة فى قلب الإنسان حيث تنبت شرا لا حصر له، وأشكالا لا عدد لها من المذاهب الشريرة. فيصيح الأطهار الطيبون والأنبياء «يا سيدنا ألم تعط الإنسان التعاليم والعقائد الصالحة فلماذا إذن كانت أخطاؤه كثيرة؟» فيقول الله: «لقد أعطيت الإنسان عقائد صالحة ولكن عندما تكبر متباهيا بذاته بذر الشيطان الباطل حتى يبطل شريعتى وقانونى».

فيقول الصالحون الأطهار: «يا مولانا سوف نبدد هذه الخطايا عن طريق تحطيمنا الإنسان»، فيجيب الله: «لا تفعلوا ذلك، فالمؤمنون على ارتباطات وثيقة بالكافرين، إذ تربطهم صلة القربى، ويضيع المؤمنون مع الكافرين، ولكن انتظروا يوم القيامة، يوم الحساب عندما يجتمع الكافرون معا فتدفعهم الملائكة إلى جهنم ومعهم الشيطان، أما المؤمنون الصالحون فلسوف يأتون إلى مملكتى. نعم سوف يلد الكثيرون من الكفرة أولادا صالحين ومن أجلهم سوف ينتظر الله توبة العالم».

الإصحاح الرابع والثلاثون بعد المائة

هؤلاء الذين حملوا التين الطيب الناضج، هم المعلمون الحقيقيون الذين يبشرون بالعقيدة الحقة، على أن العالم الذى تسعده الكلمة الكاذبة يلجأ إلى أوراق التين وكلام المعلمين الذين يلجئون إلى الكلمات المزوقة المنمقة المزوقات وعندئذ ينضم الشيطان بنفسه، فيجمل متعة الجسد والحس فيأتى المعلم الكاذب بكمية كبيرة من أوراق التين أو من الأشياء الأرضية ليخفى تحتها المعصية والخطيئة، وإذا ما حدث ذلك مرض الإنسان واستعد لأن يموت موتة أبدية.

أما الإنسان الذى يملك الماء ويعطيه للغير لينظفوا به خطاياهم دون أن ينظف هو ملابسه، إنما هو كالمعلم الذى يعلم الإنسان المغفرة وينسى نفسه فيعيش فى المعصية.

يأيها الإنسان البائس المسكين ما أتعسك فلسانك ينطق بالقصاص الذى أنت أهل له لا الملائكة.

فإذا كان لمثل هذا الإنسان لسان كلسان الفيل، وإذا كان له جسد صغير كجسد النملة أفلا يشعر بأنه شيء غريب مخيف؟ نعم بكل تأكيد.. والآن أقول لكم بالحق إن مثل هذا الإنسان لأعظم وحشية وغلظة من أخيه الذى ينصح بالتوبة وهو أبعد ما يكون عن التوبة. أما الشخصان اللذان ذهبا لبيع التفاح، فأحدهما كان يكرز من أجل محبة الله، ومن ثم لم يتملق أحدًا، فكان يبشر بالحقيقة وفى نفسه كان يعيش معيشة الرجل الفقير، وبالله الحى القيوم الذى تقف روحى فى حضرته، إن رجلاً مثل هذا يحتقره الناس ولا يقبلون عليه.

أما البائع الآخر الذى يبيع التفاح فى مقابل وزنه ذهبًا، فهو كالشخص الذى يبشر من أجل مرضاة الإنسان، وبالتالى يتملق العالم، أى أنه يدمر الروح التى يستهويها تملقه يا للإنسان المسكين كم من روح هلكت بسبب هذا الأمر.

وسأل كاتب هذا الإنجيل قائلاً: «وكيف نستمع إلى كلمة الله وكيف نعرف ذلك الذى يبشر محبة فى الله من ذلك الذى يبشر مداهنة وكذبًا..؟»

أجاب عيسى: «يجب أولاً أن نستمع إلى كل من يبشر وكأنه سبحانه وتعالى هو الذى يتكلم، فإذا بشر مبادئ صالحة، نعلم أن الله هو الذى يوحى إليه بما تكلم به، ذلك الذى لا يحارب الخطيئة والمعصية، ثم يحترم الأشخاص العصاة فهو يداهن الناس، ويجب علينا أن نتجنبه كما نتجنب الحية المخيفة، فالحق إنه ينفث سمه فى أذن الإنسان.

هل تفهموننى؟ الحق أقول لكم، إن الإنسان إذا ما كان جريحًا فإنه لا يحتاج إلى ضمادة جيدة لتضميد جروحه، ولكنه يحتاج إلى مرهم ذى مفعول ليطهره. كذلك المخطئ لا يحتاج إلى كلمات معسولة، بل إلى كلمات بها تأنيب حتى يتوقف عن المعصية».

الإصحاح الخامس والثلاثون بعد المائة

قال بطرس: «يا معلم، احكى لنا كيف يعذب الضائعون؟ وكم سيمضون فى جهنم، حتى يتجنب الإنسان الخطيئة».

أجاب عيسى: «يا بطرس إنه لأمر عظيم ذلك الذى تسأل عنه، وإنى بإذنه تعالى أجيبك عليه، اعلم يا بطرس: أن جهنم واحدة، ولكنها تتكون من سبع دركات أو سبع طوابق، الواحد منها تحت الآخر، وكما أن المعصية أو الخطيئة تنقسم إلى سبعة أقسام فإن إبليس قد تسبب فى جهل سبعة أبواب لجهنم، وبالتالى هناك سبعة أنواع من العقوبات، لقد جعل الطابق الأسفل لمن زاغ إيمانه وهو للملحدين المشركين بالله، فيدخلونه مارين بالمراكز التى تعلوه متحملين من العذاب ما كتب الله لهم فى كل طابق أو درك، وإذا ما كان الشخص قد سعى إلى أن يكون أعلى من الله، أو إذا أراد أن يأتى ما يشاء بطريقته الخاصة معارضًا فى ذلك أوامر الله ومشيئته رافضًا أن يعترف بألوهيته، فمثل هذا الشخص سيكون فى أسفل أقدام إبليس وشياطينه، فيدوسون عليه كما يدوس عاصرو العنب عندما

يصنعون النبيذ ثم يسخرون ويستهزئون به.

أما هؤلاء الغيورون الذين يغضبون لما يصيب جيرانهم من نعيم، ويفرحون لما يشيبهم من محن، فهؤلاء سيذهبون إلى الطابق السادس، وهنا سيجدون عددًا كبيرًا من الحيات الجهنمية التى ستقابلهم بغيظ يخرج من فيها كاللهب.

ويتخيل هذا الكافر الملحد أن كلّ شيء في جهنم يبتهج لعذابه ويحزن لأنه لم يهو إلى الدرك الأسفل أو الطابق السابع، وعلى الرغم من أن هؤلاء الذين كتب عليهم العذاب لا يستطيعون لإنسان فرجًا أو شفاء إلا أن عدالة الله سوف تظهرهم وكأنهم مغيظون،اكما لو كان الإنسان فى حلم ويرى نفسه وقد استحقره شخص حتى أخذ يشعر بعذاب مهين وهكذا سيكون الحال أمام الشخص البائس الحسود وحتى إذا لم يكن هناك داع لفرح أو سبب لسعادة، بل لنقمة وحزن وأسى، فإن هذا الشخص سوف يرى وكأن كل شخص يفرح لمصيبته ويأسف لأنه لم ينل جزاءً أفدح.

أما هؤلاء الذين يطمعون فيما لا يملكون، فيذهبون إلى الطابق الخامس حيث يشعرون بالاملاق، كما يشعر الغنى الذى يقيم الولائم فيتقدم إليه الزبانية يعرضون عليه كل ما يريد، وعندما يهم بامساك ما يبتغيه تخطفه منه زبانية آخرون، وتقول له: «أنك لم تعط شيئًا محبة فى الله، وعلى ذلك لا يسمح الله لك بأن تتلقى شيئًا».

يا للإنسان البائس لسوف يجد نفسه فى هذه الظروف عندما يتذكر الوفرة العظيمة والبحبوحة الكبيرة التى كان يعيش فيها ويقارنها بالعوز والإملاق الذى هو فيه أو بالخيرات التى كانت تحت يده والتى كان يستطيع بسببها أن يكتسب البهجة الأبدية.

أما عن الطابق الرابع، فلسوف يذهب إليه أصحاب الشهوة، هؤلاء الذين غيروا الطريق الذى أراده الله لهم، ويبدون وكأنهم كالحنطة التى خبزت فى الروث المحترق لزبانية جهنم، وفى هذا الطابق سوف تعانقهم حيات جهنمية مخيفة، أما هؤلاء الذين زنوا مع زانيات مثلهم، فلسوف تتحول جميع أفعالهم النجسة إلى وجوه قوامها النار الأبدية، ولسوف تظهر النساء الزانيات وكأنهن زبانية جهنم، شعرهن من الأفاعى، وأعينهن من الكبريت الذى يقدح شررًا، وافواههن تسيل بالسم الزعاف، ولسانهم علقم، وجسدهن أشبه ما يكون بالتورس ملفوف بسنانير شائكة شبيهة بالسنانير التى يصطادون بها السمك، ومخالبهن كآنيات الثعبان، وأظافرهن كأمواس وأعضاؤهن التناسلية جذوة نار، ومع ذلك كله فإن رغبتهن الشهوانية لا تنطفئ إلا بجذوة من حجر جهنم يكون مخدعًا لهن.

وفى الطابق الثالث من جهنم سيقذف بالكسالى الذين يتباطئون فى عملهم، وهنا مدن مشيدة وقصور مقامة، كلما فرغ الناس من إقامتها جاءها أمر الله فتهدم وتسوى بالأرض، لأن حجرًا صغيرًا لم يوضع فى مكانه المناسب، ويبدأ الكسالى مرة أخرى فيحملون من جديد الأحجار الكبيرة على أكتافهم ولما تتوقف أيديهم لتبرد أجسادهم وهم يمشون، ومما يحفزهم على العمل أنهم يرون الذين هم أشد كسلًا قد فقدوا حركة أيديهم وأرجلهم، فقد قيدتهم الثعابين الجهنمية، والتفت حولهم كالسلاسل

والأدهى والأمَرّ نجد وراءهم الزبانية يدعونهم فينكفئون على وجوههم مرارًا وقد أحنت ظهورهم الأحمال دون أن يمدوا أيديهم ليساعدوا أنفسهم، وقد زاد العبء عليهم إلى الضعف.

أما الطابق الثانى من جهنم فهو مأوى من كانوا فى حياتهم جشعين نهمين، وهنا نجد قحطًا فى الطعام حتى لا يجد الإنسان ما يشبع نهمه، فيضطر إلى أكل العقارب والحيات التى تقوم بتعذيبهم، فيتمنون على الله لو أن أمهاتهم لم تلدهم حتى لا يأكلوا مثل هذا الطعام الذى يقدمه زبانية جهنم إليهم والذى يبدو فى مظهره طعامًا شهيًا، وقد غلت أيديهم وأرجلهم بأغلال من نار، فلا يستطيعون أن يمدوا أيديهم أو أرجلهم إذا ظهرت أطباق الطعام أمامهم والأدهى والأمر أن هذه العقارب التى يلتهمونها سوف تلتهم معدتهم لتسرع بالخروج من أجوافهم فتتمزق أعضاؤهم الداخلية تمزيقًا، وإذا ما خرجت نجسة قذرة عاودوا أكلها مرة أخرى، أما هؤلاء الذين يفقدون صبرهم فى الدنيا فيذهبون إلى الطابق الأول حيث تنهال عليهم الشتائم والسباب من جميع الشياطين، ومن كل من كتبت عليهم النار، ممن ذهبوا إلى الطوابق الأسفل، فيرفسونهم ويستحقرونهم ويسبونهم، فينكفئون على الأرض فيدوسونهم فى طريقهم إلى طبقات جهنم الأسفل واضعين أقدامهم فوق رقابهم، وإذا لم يستطع المرء أن يدافع عن نفسه وقد غلت يداه وقدماه فلا يستطيع أن ينفث عن غيظه فيرد الشتائم والإهانات، وكأن لسانه قد ربط بخطاف مثل الخطاف الذى تعلق به الذبيحة عند الجزار، وفى هذه المكان الملعون تجد العقوبات العامة التى تنزل على أهل جهنم جميعًا، ومن بينها خلط الحبوب بعضها ببعض لعمل الخبز، وخلط ظواهر العالم من نار وثلج، وصواعق ورعد وبرق، وكبريت وحرارة وبرودة، وعواصف وخوف، فتتحد جميعًا بعدالة الله، حتى أن البرد لا يهدئ الحرارة والنار لا تسيح الثلج، ولكن كل واحد من هذه العناصر يعمل على تعذيب المخطئين الملعونين».

الإصحاح السادس والثلاثون بعد المائة

«فى هذا المكان الملعون يبقى الكفرة إلى أجل غير مسمى، ولو فرض أن العالم كله قد ملئ بحبات الذرة الصغيرة، وكان هناك طائر صغير يحمل حبة واحدة كل مائة سنة حتى ينقضى العالم، لسرّ الكافرون ولراودهم أمل فى الجنة، ولكن لا أمل لهم، فعذابهم أبدى لا حد له لأنهم لم يريدوا أن يضعوا حدًّا لكفرهم وعصيانهم حبًّا فى الله.

أما المؤمنون فيعيشون فى طمأنينة إذ ينتهى عذابهم فى يوم من الأيام»، وقد شعر التلاميذ بالخوف الشديد عندما سمعوا ذلك، وقالوا: «ومعنى ذلك أن المؤمنين سيردون جهنم!».

فقال عيسى: «وكل واردها مهما يكن، إذا كتب عليه أن يرد جهنم، الحق أن أولياء الله الصالحين، والأنبياء، سيذهبون إلى جهنم ليروها، ولكنهم لن يتعذبوا فيها ولن ينزل بهم ألم، أما هؤلاء الذين ساروا على طريق الهدى فلن ينالوا عذابًا إلا بعض الخوف، وماذا أقول لكم، إن رسول الله سيذهب إلى جهنم ليحكم بما أنزل الله، وعندما يهبط إليها ترتعد أركانها خوفًا منه ولما كان رسول الله بشرًا من

البشر قد غطى جسده بلحم آدمى، فإن جميع من فى جهنم من بشر، ومن كتب عليهم العقاب سيفرحون إذ أن رسول الله سيأمر جهنم أن تكف عن عذابهم، ماداموا هم يلتزمون بأوامر الله، لكنه سيبقى فى جهنم فترة لا تتجاوز طرفة عين، وسيفعل الله ذلك حتى يعلم كل المخلوقات بأن وجود رسول الله هناك قد خدمهم ونفعهم، وإذا ما حل الرسول بالنار ستنكمش الجن والعفاريت وتحاول أن تختبئ وراء جذوات النار المحترقة وتقول الواحدة للأخرى: اهربوا.. اهربوا.. إن محمدًا عدونا آت، وعندما يسمع إبليس ذلك يلطم على وجهه بيديه ويصيح بأعلى صوته: «إنك أنبل منى يا محمد، برغم عداوتى ومعارضتى لك. لقد كنت عاقًا ظالمًا».

أما المؤمنون الذين يسكنون الدرك أو الطبقة الثانية والسبعين أو من أصحاب الدرجتين الأخيرتين والذين كانوا يؤمنون دون أن يعملوا عملا طيبًا، كذلك الذين يحزنون للأعمال الطيبة، ويفرحون لأعمال الشر فسيبقون فى جهنم سبعين ألف سنة.

وبعد هذه السنوات الطويلة، يأتى جبريل إلى جهنم ويسمعهم يقولون «يا محمد أين وعودك لنا؟ لقد وعدتنا أن من يؤمن برسالتك لن يمكث فى جهنم أبد الآبدين».

ويعود ملاك الرب إلى الجنة ويتقدم فى وجل واحترام نحو رسول الله ويردد أمامه ما سمع.

فيتحدث الرسول إلى الله سبحانه وتعالى قائلا: «يا ربى يا مولاى أتذكر الوعد الذى قطعته لخادمك وعبدك بشأن هؤلاء الذين اعتنقوا دينك؟، إنهم لن يمكثوا أبد الآبدين فى النار».

فيجيب الله تعالى: «اسأل ما تريد يا صديقى، فسوف أعطيك كل ما تطلب».

الإصحاح السابع والثلاثون بعد المائة

وعندئذ يقول رسول الله:

«يا ربى، من بين المؤمنين من بقى فى النار سبعين ألف سنة رحمتك يا إلهى أتوسل إليك يا ربى أن تعفو عنهم».

وعندئذ يأمر الله سبحانه وتعالى ملائكته المقربين الأربعة أن يذهبوا إلى جهنم ويحرروا كل من إعتنق دين الإسلام وينقلوه إلى نعيم الخلد، وهذا ما سوف يفعلون.

هذه هى ميزة دين رسول الله ﷺ، وهى أن من يؤمن به، حتى وإن لم يكن قد أتى عملا طيبًا، ثم مات على دين الإسلام فمصيره الجنة بعد العقاب الذى تحدثت عنه.

الإصحاح الثامن والثلاثون بعد المائة

ولما طلع الصباح جاء رجال المدينة في وقت مبكر تصحبهم نساؤهم وأطفالهم إلى المنزل الذى نزل فيه عيسى وتلاميذه، وبعد أن قابلوه قالوا له: «يا معلم ارحمنا فالحشرات أكلت الحنطة، ولن نستطيع هذه السنة أن نخبز خبزًا».

أجابهم عيسى: ما هذا الخوف الذى حط بكم؟ ألا تعلمون أن إيليا عبد الله وخادمه، كان يقتات لمدة ثلاث سنوات على الأعشاب والفواكه البرية بسبب اضطهاد أحاب ألا تعلمون أن أبانا داوود نبى الله عاش مدة سنتين على الفاكهة البرية والأعشاب بسبب اضطهاد شاؤل وأنه لم يذق الخبز إلا مرتين فقط؟».

فأجاب الناس: لا يا سيدى هؤلاء أنبياء الله، إنهم يتغذون على مباهج الروح فاحتملوا العذاب فى صبر ولكن ما بال هؤلاء الصغار ثم أتوا إليه بمجموعات من الأطفال، فأخذت عيسى الرأفة بهم وقال لهم: «كم تبقى لكم من وقت حتى تجنوا ثمار الحنطة؟» فأجابوا: عشرين يومًا فقط».

ثم قال عيسى لهم: «اسمعوا، فى هذه الأيام العشرين انذروا أنفسكم للصيام والصلاة ولسوف يرحمكم الله، والحق أقول لكم إن الله محق فى هذا القحط، فهنا بدأ جنون الإنسان وبدأت معصية إسرائيل عندما ادعوا كذبًا أنى إله أو أنى ابن الله».

ذهب أهالى المدينة فصاموا وصلوا تسعة عشر يومًا وفى صبيحة اليوم العشرين ذهبوا إلى حقولهم وتلالهم فوجدوها قد غطيت بحنطة ناضجة، فعادوا جريًا إلى (عيسى) وحكوا له كل شيء، وعندما سمع عيسى ذلك شكر الله وثنى عليه وقال: «اذهبوا أيها الإخوة واجمعوا الخير الذى أعطاكم الله، وبالفعل ذهب الرجال فجمعوا أجرانًا عديدة من الحنطة حتى أنهم لم يجدوا مخازن يضعونها فيها، وكان ذلك سببًا فى حديث الناس بإسرائيل، ثم اجتمع الأهالى وكونوا من أنفسهم مجلسًا لتنصيب عيسى عليهم ملكًا دون أن يعلموا أنه قد هرب منهم وراح تلاميذه يبحثون عنه خمسة عشر يومًا فلا يجدونه؟.

الإصحاح التاسع والثلاثون بعد المائة

كان من حظ كاتب هذا الإنجيل ومعه يعقوب، ويوحنا أن وجدوا عيسى ولما وجدوه بكوا وقالوا: «يا معلم إلى أين فررت منا، لقد بحثنا عنك كل يوم إن جميع تلاميذك يبحثون عنك وهم يبكون؟».

فأجاب عيسى: «لقد فررت لأنى أعلم أن مجموعة من الجن يعدون لى ما سوف تعلمونه وترونه فى وقت قريب، فلسوف يناصبنى العداء رؤساء الكهنة وكبار السن ولسوف يؤلبون السلطة، ليقتلونى خاصة الحاكم الرومانى، لأنهم يخافون أن أغتصب المُلك وأنصب نفسى ملكًا على إسرائيل، كما أن أحد تلاميذى سوف يبيعنى ويخوننى كما بيع يوسف فى أرض مصر، ولكن الله العلى القدير سيوقعه فى الحفرة

التى يحفرها لى، أو كما قال النبى داوود سيجعله يقع فى نفس الحفرة، أو من حفر لجاره حفره وقع فيها، ولسوف ينقذنى ربى من أيديهم ويرفعنى من هذا العالم».

فحط الخوف على التلاميذ الثلاثة، ولكن عيسى هدأ روعهم وقال لهم: «لا تخافوا فلن يكـون الخائن من بينكم أنتم الثلاثة»، فاطمأنوا بعض الشيء، وفى اليوم التالى جاء التلاميذ مثنى مثنى وبلغ عددهم ٣٦ ولزم عيسى دمشق منتظرًا الآخرين وراح كل واحد منهم يواسى أخاه، فقد علموا أن الوقت قد حان ليترك عيسى العالم، وتحدث إليهم عيسى فقال:

إن الذى يسير على غير هدى دون أن يعلم إلى أين يسير، لهو شخص تعس، والأتعس منه ذلك الذى يعلم ويستطيع أن يصل إلى نزل يأوى إليه، ومع ذلك يلزم الطريق الموحل الممطر الموحش، أخبرونى أيها الإخوة، هل هذا العالم الذى نعيش فيه هو وطننا وأرضنا؟ لا بكل تأكيد، فالرجل الأول الذى لفظ وطرد من الجنة جاء إلى هذا العالم لاجئا عقابًا له على ما اقترف من خطيئة، فهل هناك يا إخوة لاجئ لا يتنسم ريح بلده الغنى ليعود إليه، وهو الذى يعيش فى فقر وعوز، إن العقل يرفض ذلك، ولكن التجربة تبرهن على صحته، فهؤلاء الذين يرغبون فى هذا العالم ويريدونه لا يفكرون فى الموت، وحتى إذا ما تحدث إليهم أحد فى الموت لا يستمعون إليه».

الإصحاح الأربعون بعد المائة

أيها الرجال.. صدقونى إن قلت لكم إنى أتيت إلى هذا العالم بنعمة من الله لم ينعم بها على أحد سواى، حتى رسوله ﷺ، لقد خلق الله الإنسان لا ليبقيه فى الأرض، بل لينقله إلى الجنة، وأكيد أن الذى لا أمل له فى أن يتلقى شيئًا من الرومان لأنهم يدينون بعقيدة غريبة عنا، لا يترك وطنه وما يملك ليعيش فى روما ويستوطنها، ناهيك إذا ما كان قد أهان قيصر، فلن يترك وطنه إلى روما، وإنى أقول لكم الحق وشاهدى على ذلك قول سليمان نبى الله: (أيها الموت إن لك ذاكرة مريرة بين هؤلاء الناس الذين عاشوا فى بحبوحة من الغنى)، إنى لا أقول هذا لأنى سوف أموت الآن، اعلموا أنى سأعيش حتى نهاية العالم، ولكنى أتكلم معكم وإليكم حتى تعلموا أنى سأموت.

وبحق الإله الحى، اعلموا أن أى شيء عمل دون روية وفى غير وقته، حتى ولو مرة واحدة، إنما يبرهن لنا أننا إذا ما أردنا أن نفعل شيئًا وجب علينا أن نروض أنفسنا على عمله فى وقته بإتقان، هل رأيتم الجنود هل رأيتم كيف يتدربون فى أيام السلم ويعملون وكأنهم فى حرب، ولكن كيف للإنسان أن يموت موتة طيبة وهو لم يتدرب على الموت؟

لقد قال النبى داوود: «إن موت أولياء الله عمل جليل عنده سبحانه وتعالى». أتعلمون إلى أين؟ سأخبركم إن كل شيء نادر ثمين، وهكذا يكون موت هؤلاء الذين يستقبلونه استقبالاً طيبًا، فهو نادر وهو ثمين فى نظره سبحانه وتعالى خالق الوجود.

بالتأكيد إذا مابدأ الإنسان عملًا، وحتى إذا ما أراد أن يتم عملًا بدأه، فـإنه يخشى ألا تكـون

لتصرفاته وترتيباته نهاية طيبة. يا للإنسان المسكين، أنه يعتز بالحياة أكثر من اعتزازه بنفسه، فهو عندما يقطع القماش يقيسه جيدًا قبل أن يقطعه، وبعد أن يقطعه يحرص على حياكته حياكة جيدة، أما حياته- وقد ولدت معه لتموت معه فالإنسان الذى يولد لابد أن يموت. فلم لا يقيسها بالموت؟.

هل رأيتم البنائين وكيف يتمعنون فى كل حجر يضعونه متصورين الأساس، ومتصورين أن هذا الحجر سيكون فى موضعه بانتظام فلا يسقط؟

أيها الإنسان المسكين، إن حياتك التى تبنيها سوف تسقط حطامًا لأنك لا تنظر إلى الأساس الذى يقوم عليه الموت».

الإصحاح الواحد والأربعون بعد المائة

قال عيسى: «قل لى إذا ما ولد الإنسان.. كيف يولد؟ إنه يولد عاريًا عن كل كساء، ثم عندما يموت يوضع تحت الأرض فهل يستفيد شيئًا، هل يأخذ شيئًا أكثر من قطعة قماش عندما يوضع تحت الأرض؟ أليس هذا هو كل جزائه الذى أخذه من الدنيا؟ إذا ما كانت الوسيلة لأى عمل متناسبة مع بدايته ونهايته وجب أن تكون نتائج العمل طيبة؟ وماهى الموتة التى يريدها الإنسان الذى تمتع بطيبات الأرض أو كما قال داوود النبى: (سيموت العاص ميتة شنعاء).

إذا ما كان هناك خياط للثياب وحياكتها، فهل يمكن أن يضع بدلاً من الخيط عرقًا من الخشب؟ كيف تكون نهاية عمله؟ لاشك أن نتيجة عمله هباء، ولا جدوى من ورائها، وأن جيرانه سوف يحتقرونه، والإنسان لا يود أنه يفعل نفس الشيء باستمرار فهو يخف إلى جنى مافى الأرض من طيبات، علمًا بأن الأرض هى الإبرة التى يحاول أن يدخل جذوع الشجر فى سمها وطيبات الأرض لا يمكن أن تكون الخيط، ولكن الإنسان بجنونه يحاول أن ينجح فيما يعمل، ولكن هل ينجح؟ أم يذهب عمله هباءً؟

من لايصدق كلماتى فليذهب إلى المدافن وينظر ما فوق القبور، ولسوف يجد الحقيقة، فالذى يشوق الآخرة، سيدرك تمامًا معنى خشية الله، وليدرس كتاب الموت، فلسوف يجد فيه النظريات الحقيقة لخلاصه، ولسوف يدرك أن عليه أن يحترس من مغريات هذه الدنيا، ومن الشهوة البدنية ومن المشاعر الحسية، فجسم الإنسان سوف يصبح طعامًا للديدان.

قولوا لى إذا ما كان هناك طريق على هذا الحال، فهل يستطيع الإنسان أن يسير فيه آمنا إلا فى الوسط؟ فإذا سار على جانبيه وقع فتدق عنقه. ما الذى تقوله فى إنسان يخاصم أخاه الإنسان وينافسه فى السير على جانب الطريق فيُقتل هو وأخوه الذى ينافسه، أليس ذلك غريبًا بالنسبة لكم؟ إنكم لابد أن تقولوا: «إنهم لمجانين معتوهون، فإذا لم يكونوا كذلك فلابد أنهم يائسون».

فرد التلاميذ: «إذا لم يكونوا مجانين فلابد أنهم يائسون».

فبكى عيسى وقال: «الحق أقول لكم، إنهم يحبون العالم حبًا جما، فهم إذا ماكانوا قد عاشوا

بالمنطق الذى يجعل الإنسان يلزم الوسط فى الأمور، لكانوا قد اتبعوا شريعة الرب، ولكانوا قد نجوا من الموت الأبدى، ولكنهم لماَ يتنسمون طريق الجسد، ومتعة الدنيا أصبحوا كالبله المعتوهين وغدوا أعداءً ألداء قساة، حتى على أنفسهم فهم يحاولون أن يعيشوا فى عجرفة وكبرياء ويتنافسون فى الفسق والدعارة.

الإصحاح الثانى والأربعون بعد المائة

عندما رأى يهوذا الخائن أن عيسى قد هرب شعر بيأس من ألا يصبح رجلاً مرموقًا فى هذا العالم، فمن ناحية كان يحمل حافظة عيسى، إذ كان يحتفظ بكل ما كان يعطى لعيسى من مال حبًّا فى الله، وكان يأمل أن يصبح عيسى ملكًا على إسرائيل وبالتالى يصبح هو رجلاً مرموقًا ولما فقد هذا الأمل قال لنفسه: «إذا كان هذا الرجل نبيًّا حقًّا فلابد أنه يعرف أنى أسرق نقوده، وأنه سيضيق بى ويطردنى من خدمته، خاصة أنى لا أعتقد فيه أو فى رسالته، وإذا كان رجلاً عاقلاً فيجب ألا يهرب من هذا الشرف الرفيع الذى يسبغه الله عليه، وبالتالى فإن الأجدى لى أن أتفق مع رئيس الكهنة والكتبة والفريسيين على أن أسلمه لهم، وبالتالى سوف يصيبنى بعض الخير منهم» وعلى ذلك حزم أمره وأخطر الكتبة والفريسيين، وشرح لهم كيف سارت الأمور فى نايين، فذهب هؤلاء إلى رئيس الكهنة وأخذوا يتشاورون معه، وقالوا له: «وما الذى نستطيع أن نفعله إذا أصبح هذا الرجل ملكًا، لابد وأن يسوء حالنا إذ هو يسعى إلى إصلاح الكنيسة وعبادة الله عبادة صحيحة، وفق ما جرت به العادة فى الزمن القديم، فهو لن يستطيع أن يتمشى مع تقاليدنا. كيف نستطيع أن نتأقلم تحت سيادة هذا الرجل؟ لاشك أننا سنهلك جميعًا ومعنا أولادنا فنحن إذا ما تركنا مناصبنا أصبحنا ولا عمل لنا وسرنا نتسول الطعام».

إننا الآن نعمل فى ظل ملك وفى ظل حاكم غريبين عن قوانينا وشريعتنا ولا يهتمان بشريعتنا كما نحن لا نهتم بشريعتيهما، وعلى ذلك فنستطيع أن نفعل ما نريد، وحتى إذا ما أتينا معصية فالله غفور رجيم ونستطيع أن نقدم له القرابين وأن نصوم فيغفر لنا، ولكن إذا ما أصبح هذا الرجل ملكًا فلن نستطيع أن نستميل إلا إذا عبدنا الله سبحانه وتعالى على شريعة موسى وكتابه، والأمر من ذلك أنه قال إن المسيح لن يأتى من صلب داوود»، كما قال أحد تلاميذه، «بل سيأتى من صلب إسماعيل، وإن الوعد الذى وعده الله كان لإسماعيل وليس لإسحاق فما فائدة هذا الرجل فى الحياة لاشك أن أولاد إسماعيل سيصبحون المدللين عند الرومان، وسيعطونهم بلادنا وممتلكاتنا، وبالتالى سيخضع بنو إسرائيل للعبودية مرة أخرى كما كانوا فيما مضى»، ولما سمع كبير الكهنة هذا القول أشار إلى أنه يجب أن يتداول مع هيرودس ومع الحاكم، فالناس يتابعون عيسى وبدون العسكر لن يستطيع أن يفعل شيئًا، ولكننا بفضل الله وبفضل العسكر نستطيع أن ننتهى من هذه المسألة.

وعلى ذلك تداولوا بين أنفسهم، وتآمروا على عيسى، أن يأسروه ليلاً بعد أن يوافق الحاكم، وهيرودس على ذلك.

الإصحاح الثالث والأربعون بعد المائة

وبوحى من الله جاء التلاميذ إلى دمشق، وفى نفس اليوم أظهر يهوذا الخائن أكثر من أى تلميذ آخر حزنه العميق على غياب عيسى وقال عيسى: «فليحترس كل شخص من هذا الـذى يسعى إلى إهدائكم تذكارًا للمحبة وبدون مناسبة».

والحق أنه التبس علينا المعنى الذى كان يرمى إليه عيسى، فقد أراد الله ألا نفهم نحن حقيقة ما عناه.

وبعد أن أتى كل التلاميذ قال عيسى: «فلنعد مرة أخرى إلى الجليل هكذا أمرنى ملاك الرب أن أذهب إلى هناك، وبالفعل وصل عيسى فى صباح السبت إلى الناصرة، وعندما عرفه شعبها تجمعوا حوله لرؤيته، ولكن حدث أن أحد الجباة وكان اسمه زخايوس، وكان صغير الجسم، لم يستطع أن يراه وسط الجموع الضخمة، فتسلق شجرة الجميز منتظرًا أن يمر عيسى من هناك فى طريقه إلى «الكنيس» المعبد، وعندما وصل عيسى رفع نظره إليه وقال: «اهبط يا (زخايوس)، فاليوم الزم منزلك.»

فهبط الرجل من أعلى الشجرة ورحب به فى فرح وسرور وأمر أهل بيته أن يقيموا له وليمة كبيرة، وراح الفريسيون يهمسون إلى تلاميذ عيسى: «لماذا يذهب مولاكم ليأكل عند جامع العشار أو المكوس ومقترفى الخطيئة؟».

فأجابهم عيسى: «لماذا يذهب الطبيب لعيادة المريض فى منزله؟ فإذا قلتم لى السبب قلت لكم سبب مجيئى إلى هنا».

فقالوا له: «ليطببه ويعالجه».

قال عيسى: «لقد قلتم الحق، فالناس ليسوا فى حاجة إلى دواء، بل المرضى منهم فقط».

الإصحاح الرابع والأربعون بعد المائة

«وحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، إن الله يبعث بأنبيائه وأوليائه إلى العالم، حتى يتوب المخطئون من الناس ويكفروا عن سيئاتهم، فهو لا يرسل أنبياءه وأولياءه للمؤمنين الذين هم عن المعصية معرضون، والذين هم فى أجسادهم وملابسهم متطهرون، حتى أنهم لا يحتاجون إلى حمام أو غسل لأبدانهم، ولكنى أقول لكم إذا كنتم حقًا فريسيين فلابد أنكم سعداء حقًا بأنى ذاهب إلى العصاة لأخلصهم مما هم فيه.

أخبرونى عن أصلكم ومن أين بدأ العالم فى عرف الفريسيين؟ سأقول أنـا لكم، إذ يبدو أنكم لا تعرفون الحقيقة، إنكم تتطلعون إلى سماع كلماتى.

كان أخنوخ صديقًا للرب يسير فى طريق الحق لا يأبه بالعالم، فأرسله الله إلى الجنة ليبقى بهـا

ويلزمها حتى يوم الحساب، وعندما تقترب نهاية العالم سيعود أخنوخ إلى الأرض مع إيليا وآخر ولما علم الإنسان بهذا، (بدأ حبًّا فى الجنة) يسعى إلى مرضاة الله خالقه، فكلمة فارّيسى معناها الذى يسعى لمرضاة الله فى لغة كنعان، بدأ استخدام هذا الاسم أولا سخرية من الرجال الطيبين الصالحين، فقد كان بنو (كنعان) يعبدون الأوثان والأصنام التى صنعوها بأيديهم، وعندما أمسك (الكنعانيون) بهؤلاء الناس الذين انقطعوا لعبادة الرب وانصرفوا عن العالم أطلقوا عليهم اسم الفاريسين، أى عبدة الله، وهم يعنون فى الواقع الرجل المجنون الذى لا يعتقد فى الأصنام والذى يعبد الريح أو غيرها، وعليه انظروا أنتم إلى مصيركم واقبلوا على عبادة آلهتكم».

قال عيسى: «الحق أقول لكم إن جميع القديسيين والأنبياء كانوا فعلا فريسيين كما أنتم، ولكنهم كانوا يرون الله فى كل عمل يعملونه ويرجونه محبة فى خالقهم، بل تركوا أوطانهم ومدنهم وبضاعتهم، فباعوا ما يملكون وأعطوا ثمنها للفقراء حبًّا فى الله، وتفرغوا لعبادته».

الإصحاح الخامس والأربعون بعد المائة

وحق الإله الحى، كان فى أيام إيليا نبى الله وصديقه، اثنا عشر جبلا يسكنها سبعة عشر ألف فريسى، ولم يكن من بينهم أحد مستهجن، أو شرير أو فاسد، بل كانوا جميعًا من الأتقياء الصالحين، فكانوا الصفوة التى خلقها الله، ولكن اليوم وسكان إسرائيل يزيدون على مائة ألف من الفريسيين، فإننا نضرع إلى الله تعالى أن يكون من بين كل ألف واحد من الصفوة.

فأجاب الفريسيون فى غضب: «إذن فنحن جميعًا من المستهجنين المغضوب عليهم وأنت تعتبر ديننا دينًا مستهجنًا فاسدًا».

فأجاب عيسى: «إنى لا أعتبر شيئًا مستهجنًا، بل أعتبر الدين الحقيقى للفريسيين دينًا حسنًا مقبولا، ومن أجل ذلك فإنى على استعداد أن أموت، ولكن دعونا أولا نرى ما إذا كنتم فريسيين حقيقة وفعلا، لقد كتب إيليا كتابًا صغيرًا ضمنه الحكمة مع شريعة الله بناء على دعاء تلميذه اليشع».

وعندما سمع الفريسيون اسم كتاب أليشع صمتوا وكأن على رءوسهم الطير لأنهم كانوا يعلمون أن أحدًا لم يلتزم بمذهبهم أو تقاليدهم، وعلى ذلك كانوا يتوقون إلى الخروج بحجة اشتغالهم بأعمال دنيوية.

ثم قال عيسى: «إذا كنتم حقًّا فريسيين، وجب عليكم أن تنسوا أعمالكم وتنصرفوا إلى عبادة الله»، فاضطربوا اضطرابًا شديدًا، وحاولوا أن ينصرفوا عن سماعه ولكنه قال لهم: «إن أول كلمة فى الكتاب الصغير (إيليا عبدالله) يكتب هذا لهؤلاء الذين يرغبون فى أن يسيروا على هدى الله خالقهم، هؤلاء الذين يرغبون فى مزيد من المعرفة، هؤلاء الذين يخشون الله قليلا، والذين يخشون الله يكتفون بأن يعرفوا ما يريده الله فقط.

والذين يرغبون فى الكلمات المنمقة، لا يرغبون فى الله الذى يحاول أن يصرفنا عن المعاصى والشرور، فيلومنا وينهرنا.

هؤلاء الذين يسعون من أجل الله، فليغلقوا أبوابهم ونوافذ بيوتهم، فالسيد منهم يتأذى إذا وجد فى مكان لا يرغب أهله أن يكون فيه. حافظوا على شعوركم وعاطفتكم، فالله فى داخلنا وليس فى خارجنا، إنه فى نفوسنا وليس فى هذا العالم الذى يكرهه.

فليحافظ هؤلاء الذين يرغبون فى العمل الطيب، على أنفسهم، فلا فائدة فى أن يكسب الإنسان العالم كله ويخسر نفسه، فليعش هؤلاء الذين يرغبون فى أن يعلموا غيرهم عيشة أفضل والذى يعلم أقل من غيره لا يستطيع أن يعلم من هو أعلم منه. كيف يستطيع المخطئ أن يصلح حياته عندما يستمع إلى آخر أعظم منه خطأ وعلى الذين يسعون فى سبيل الله أن يبتعدوا عن كلام الناس، فموسى عندما صعد إلى جبل سينا، تحدث إلى الله كما يتحدث الصديق إلى صديقه، هؤلاء الذين يسعون فى سبيل الله ينزلون مرة واحدة كل ثلاثين يومًا إلى حيث الناس والعالم، ففى يوم واحد يستطيع الإنسان الصالح أن يعمل عملا يستغرق من غيره سنتين طالما كان هذا العمل فى سبيل الله.

وإذا سار الرجل الصالح، فلا يجب أن يلتفت يمينًا أو يسارًا، بل حيث يضع قدميه، وإذا تكلم فلا يتكلم إلا بما هو ضرورى، وإذا ما أكل فليأكل حتى لا يشبع وليترك المائدة وهو جائع، وليفكر كل يوم أنه لن يعيش غده، وأن يصرف وقته فيما هو ضرورى جدا أو كما يأخذ المرء نَفَسَه.

وليكتفى الرجل الصالح بجلباب واحد من جلد الحيوان، وليدع جسده يرقد على الأرض العارية، ويكفيه أن ينام ساعتين، ويحب الآخرين، وإذا كان عليه أن يكره فليكره نفسه ولا يكره غيره، وإذا ما أتى وقت الصلاة فليقف فى خشوع وكأنه ينتظر الحساب.

ولتفعلوا هذا محبة فى الله، وعملا بالشريعة التى أعطاها الله لموسى، وعن هذا الطريق البين، ستجدون الله فى كل مكان وفى كل زمان، ولسوف يكون الله فى أنفسكم دائمًا.

هذا هو الكتاب الصغير الذى تركه إيليا أيها الفريسيون، وإنى أقول لكم إذا كنتم فريسيون حقًا، لابتهجتم بحضورى إليكم فرحمة الله واسعة وهو يرحم العصاة المخطئين».

الإصحاح السادس والأربعون بعد المائة

قال زخيوس: «أمسك عليك يا سيدى، سوف أعطيك أربعة أمثال ما حصلت عليه من الربا محبة منى فى الله».

فقال عيسى: «لقد أتى الخلاص إلى هذا المنزل فى هذا اليوم. الحق أن كثيرين من الجباة والعاهرات مرتكبى الخطيئة والمعصية سيذهبون إلى ملكوت الله، وكثيرون من الناس الذين يعتبرون أنفسهم على الصراط المستقيم سيذهبون إلى جهنم حيث النار الأبدية»، وما أن سمع الفريسى هذا حتى ذهب ممتعضًا غاضبًا، ثم قال عيسى: «هؤلاء الذين تابوا وأنابوا»، وفى نفس الوقت وجه كلامه لتلاميذه: «كان هناك أب رزقه الله بولدين، فقال الأصغر يا أبتى أعطنى نصيبى من البضاعة لأتاجر فيها ففعل والده ذلك، وما إن تلقى نصيبه حتى ذهب به إلى بلد بعيد ناء فصرف كل ما كان يملك على العاهرات

وعاش فى بذخ كبير، ثم حدثت مجاعة كبيرة فى البلد واضطر الابن البائس إلى أن يخدم فى منزل أحد الأهالى، فكلفه برعاية الأوز الموجود فى أملاكه، وبينما كان يطعم الأوز حاول أن يخفف من جوعه فشارك الخنازير أكلها، من ثمر البلوط، ولكنه عاد ففكر وقال كم من الأشخاص فى منزل أبى يعيشون فى رغد رغم صيامهم، وها أنا هنا أهلك من الجوع، فسأقوم وأذهب إلى منزل أبى وأقول له لقد أخطأت فى حقك عند الله، فافعل بى ما تفعله بخدمك.

وبالفعل ذهب الابن الفقير فلمحه والده من بعد وعرف أنه تاب، فحن له قلبه وخف إلى لقائه فؤاده، ولما لقيه احتضنه وقبله فانحنى الابن على الأرض وقال: يا أبتى لقد أخطأت فى حقك وفى الله فافعل بى ما تفعله بخدمك وعبيدك فأنا لا أستحق أن أكون ولدك.

فأجاب الوالد: يا بنى لا تقل هذا فأنت ابنى ولن أتحمل أن تكون فى مركز خادمى وعبدى، ونادى على خدمه وقال لهم: احضروا قفاطين جديدة وألبسوا ولدى هذا، وأعطوه نعلا جديدًا وخاتمًا فى إصبعه واذبحوا أسمن بقرة ولنقم الأفراح، لقد كان ابنى هذا كالميت ولكنه عاد للحياة مرة أخرى، لقد فقدته ثم وجدته الآن».

الإصحاح السابع والأربعون بعد المائة

وبينما المنزل كله فى فرح وحبور، وصل الابن الأكبر فسمع أنهم أقاموا الأفراح فى داخل البيت، فعجب لذلك، ونادى أحد الخدم وسأله عن سبب هذه الأفراح.

فرد الخادم قائلا: «لقد حضر أخوك وذبح والدك من أجله أسمن البقر وأقام المآدب»، فغضب الابن الأكبر لذلك ورفض أن يدخل البيت فخرج إليه أبوه وقال له: «يا ولدى لقد حضر أخوك فتعال معنا وشاركنا أفراحنا».

فأجاب الولد فى غضب: «لقد خدمتك يا أبى بإخلاص ومع ذلك لم تعطنى حملا صغيرًا آكله وأصدقائى، ولكنك تذبح لهذا التافه الذى خرج عن طوعك وتركك وصرف نصيبه كله على العاهرات ها أنت تذبح من أجله أسمن بقرة».

فأجاب الوالد: «يا بنى إنك معى فى معيشتى دائمًا وما أملك هو ملكك، أما أخاك فكان فى عداد الموت، ولكنه اليوم يبعث من جديد كان قد فقد نفسه، وفقدناه، ولكننا وجدناه فوجب علينا أن نبتهج ونفرح».

فازداد غضب الابن الأكبر وقال له: اذهب أنت وافرح به ما شاء لك الفرح، فلن أتناول لقمة من مائدة زان واستحل الحرام وترك والده دون أن يأخذ منه أى نقود.

قال عيسى: «وبحق الإله الحى، فإن ملائكة الرب نفسها تبتهج وتفرح عندما يتوب مخطىء ويعود إلى صف المؤمنين».

أما الولد الأصغر فبعد أن أكل غادر المنزل وذهب إلى يهودا، فقال التلاميذ: «ونحن يـا معلم ألا نذهب إلى يهودا، فنحن نعلم أن الفريسيين قد اجتمعوا بكبير الكهنة وتشاوروا معه ضدك».

فأجاب عيسى: لقد علمت بذلك قبل أن يفعلوه، ولكنى لا أخاف شيئًا، فلن يستطيعوا أن يأتوا أمرًا على غير إرادة الله، فليفعلوا ما يريدون، فأنا لا أخافهم بل أخاف ربى وحده».

الإصحاح الثامن والأربعون بعد المائة

«قولوا لى هل الفريسيون الذين يعيشون فى أيامنا الحاضرة فريسيون حقًا وصدقًا؟ هل هم عبيد الله؟

بالطبع لا.. نعم إنى أقول لكم بالحق ليس هناك أسوأ منهم على ظهر هذه الأرض، ليس هناك أسوأ من رجل زاول الدين كمهنة ليخفى شروره وآثامه، سأقص عليكم حكاية الفريسيين فى الزمن القديم، حتى تفهموا الفريسيين فى زمننا الحاضر بعد أن رحل إيليا أمام اضطهاد الوثنيين له وانفرط جمع الفريسيين الصالحين، فقد حدث فى وقت إيليا أن قتلوا أكثر من عشرة آلاف رجل صالح من الأنبياء وكانوا جميعًا من الفريسيين الحقيقيين.

ولكن هرب اثنان من الفريسيين إلى الجبل ليسكنوه ومكث أحدهما خمسة عشر عامًا، لا يدرى شيئًا عن أخيه الفريسى الآخر برغم أنه لم يكن يبعد عنه سوى مسافة ساعة واحدة، فهل ترون أنهما كانا فضوليان، حدث أن حط القحط على الجبال، وذهب كل منهما يبحث عن ماء له، فتقابلا وقال الأكبر سنا للأصغر سنًا – كانت العادة أن يتكلم من هو أكبر سنا قبل الأصغر، وكانوا يعتبرونها خطيئة كبيرة إذا ما بادر الأصغر الأكبر منه بالكلام، قال الأكبر للأصغر: أين تسكن يا أخى فأشار الأصغر بأصبع يده إلى مكان سكنته قائلا: إنى أسكن هنا، فقال الأكبر: وكم مضى عليك يا أخى وأنت هنا؟

فرد الأصغر خمس عشرة سنة.

قال الأكبر: وهل أتيت هنا عندما ذبح آحاب عبيد الله؟

فرد الأصغر: نعم.

قال الأكبر: يا أخى هل تعرف الآن من هو ملك إسرائيل؟

فرد الأصغر: الله هو ملك إسرائيل، فالوثنيون ليسوا بملوك ولكنهم يضطهدون إسرائيل.

قال الأكبر: هذا صحيح، ولقد عنيت أن أسأل من الذى يضطهد إسرائيل الآن؟

فقال الأصغر: معاصى إسرائيل وخطاياها هى التى تضطهد إسرائيل، فلولا أنها ارتكبت المعصية، لما نصب الله على إسرائيل أمراء وثنيين.

فقال الأكبر من هو الأمير الكافر الذى أرسله الله ليعذب إسرائيل؟

فأجاب الأصغر: كيف لى أن أعلم ولم أر شخصًا فى هذه السنوات الخمسة عشرة غيرك، ولا أعلم كيف أقرأ أو أكتب، ولم أتلق خطابًا من أحد.

قال الأكبر: إنك تلبس جلد شاة جديد من الذى أعطاه لك إذا لم تكن قد رأيت أحدًا.

الإصحاح التاسع والأربعون بعد المائة

أجاب الأصغر: إن الذى حفظ لباس بنى إسرائيل لأربعين سنة وهم فى القفر والصحراء قد حفظ جلد الشاة كما تراه.

وأدرك الأكبر عندئذ أن الأصغر أكثر منه تدينًا، لأنه كان يتعامل سنويًّا مع الناس وحتى يستطيع أن يخرج بنتيجة من محادثته، قال له: يا أخى، إنك وإن كنت أميًّا لا تعرف القراءة أو الكتابة، إلا أن فى منزلى مزامير (داوود) فأحضر إلىّ كل يوم لأقرأ عليك بعض هذه المزامير، وأشرح لك ما قاله داوود.

فأجاب الأصغر: فلنذهب الآن.

فرد الأكبر: لقد شربت بعض الماء منذ يومين فقط فلنبحث عن الماء أولا.

فأجاب الأصغر: يا أخى، إنى لم أذق الماء منذ شهرين، فلنذهب لنرى ما يقوله الرب على لسان نبيه داوود، واعلم أن الرب يستطيع أن يفجر لنا الماء، ولما عادا إلى مسكن الراهب الأكبر وجدا عند بابه ينبوعًا من الماء الصافى، فقال الأصغر: يا أخى، إنى بكل تواضع أقول لك لو أن الله فجر هذا الينبوع من أجلى، لكان قد جعله قريبًا من مسكنى، وإنى أعترف لك أنى أخطأت فى حقك، فعندما قلت إنك لم تشرب الماء من يومين فأنت حقًّا لم تشرب الماء من يومين برغم بحثك، أما أنا فقد مكثت شهرين بدون ماء حتى أننى شعرت بأنى أكبر من غيرى وأعظم، وكأنى وقعت فى خطأ أو معصية.

فقال الأكبر: أيها الأخ إنك لم تقل خطأ بل كل ما قلته صحيح.

فقال الأصغر: يا أخى، هل نسيت ما قاله أبونا إيليا «إن من يسعى لله يجب أن ينسى نفسه ويهملها»، ولا شك أنه كتب ذلك لا لنعلم هذه الحقيقة بل. لنباشرها ونعمل بها.

قال من هو أكبر سنًّا ملاحظًا أن زميله الأصغر سنًّا على حق وصواب: هذا حقيقى، والله قد غفر لك.

وبعد ذلك أخذ كتاب المزامير وقرأ ما قاله أبوناداوود «سأجعل على فمى حارسًا حتى لا يميل لسانى إلى النطق بكلمات ظالمة، أو أن أنتحل عذرًا عن خطاياى»، وهنا قال الرجل المعن بعض كلمات فغادر المسكن الأصغر سنًّا، ثم مضت خمس عشرة سنة أخرى حتى تلاقيا مرة ثانية؛ لأن الأصغر قد غير مسكنه، ولما وجد كل منهما الآخر قال الأكبر: يا أخى لماذا لم تعد لزيارتى؟

أجاب الأصغر: لأنى لم أدرك تمامًا ماقلته لى.

فقال الأكبر:اوكيف كان ذلك وقد مرت خمس عشرة سنة؟

فقال الأصغر: أما عن الكلمات فقد عرفتها وتعلمتها فى ساعة واحدة، ولن أنساها إطلاقًا، ولكنى لم أباشرها أو أزاولها، فلأى سبب إذن نتعلم الكثير ولا نعمل به، إن الله سبحانه وتعالى، لا يريد لنا أن يكون تفكيرنا وعقلنا نابهًا ولكن يريد أن يكون قلبنا نابهًا، وعليه فلن يسألنا فى يوم الحساب: ماذا تعلمنا؟ بل سوف يسألنا ماذا فعلنا؟

الإصحاح الخمسون بعد المائة

أجاب الأكبر: يا أخى لا تقل ذلك، فقولك هذا يعنى تحقيرا للمعرفة والله يريد منا أن نكتنز المعرفة.

فأجاب الأصغر: والآن كيف أتكلم حتى لا أقع فى معصية، فكلامك حقيقة كذلك كلامى، فأنا أقول إن هؤلاء الذين يعرفون وصايا الله التى جاءت فى شريعته وجب عليهم أن يعملوا بها أولا، ثم يحفظونها ثانيًا، ولكن ما يفعله الإنسان أنه يحاول أن يعمل بها، لا أن يعرفها ويدرسها.

فقال الأكبر: يا أخى، قل لى مع من تحدثت حتى علمت بكل هذا، فلم تعلم كل هذا من نفسك؟

فأجاب الأصغر: يا أخى، إنى أتحدث إلى نفسى، ففى كل يوم أضع نفسى أمام الله ليحاسبنى، فأسرد له كل مافعلت وكل ما أشعر به داخل نفسى، حتى يغفر لى خطاياى.

قال الأكبر: يا أخى وأى خطايا لديك، وأنت الكامل؟

فأجاب الأصغر: يا أخى، لا تقل هكذا، فأنا أقف بين خطيئتين كبيرتين، الأولى أنى لا أعرف أنى أكبر العصاة والثانية أنى لا أرغب فى أن أكفر عن هذا الذنب أكثر من أى إنسان آخر.

فسأل الأكبر: والآن قل لى كيف عرفت أنك أكبر العصاة إذا ما كنت أكمل الناس طرًّا.

فأجاب الأصغر: الكلمة الأولى التى قالها لى سيدى عندما أخذت عليه العهد كفريسى، هى أن علىّ أن أقدر حسنات غيرى وأعترف بمظالمى، فلو لم أفعل ذلك أكون قد أدركت أننى أكبر العصاة.

قال الأكبر: فى حسنات من؟ وفى مظالم من تفكر؟ وأنت على هذه الجبال الموحشة التى لا يسكنها بشر.

قال الأصغر: يجب على أن أفكر فى طاعة الشمس والنجوم والكواكب لأنها تعبد خالقها أفضل منى ولكنى أحكم عليها بأنها لا تعطى نورًا كما أرغب أو بأن حرارتها أكثر مما ينبغى أو أقل أو بأن السماء لا تمطر بما يكفى الأرض أو أقل مما لا يكفيها.

وما أن سمع الأكبر هذه العبارة حتى قال للأصغر يا أخى أين علمت بهذه الحكمة فعمرى الآن تسعون سنة، وأمضيت خمسًا وسبعين سنة وأنا فريسى؟

فأجاب الأصغر: يا أخى، إنك تقول هذا فى تواضع، فأنت ولىّ من أولياء الله الصالحين، وإنى أجيبك بأن الله خالقنا لا ينظر إلى الوقت بل ينظر إلى القلب، (فداوود) عندما كان أصغر من أخوته الستة الآخرين بخمس عشرة سنة، اختير ملكًا على إسرائيل وغدًا أيضًا رسول رب العالمين».

الإصحاح الواحد والخمسون بعد المائة

لقد كان الرجل فريسيا حقا وإننا نضرع إليه تعالى أن يكون فى يوم الحساب أحد أصدقائنا.

وبعد ذلك ركب عيسى سفينة وركب معه تلاميذه وكانوا آسفين كل الأسف لأنهم لم يحضروا معهم بعض الخبز فأنبهم قائلاً: احترسوا من خمائر الفريسيين الذين يعيشون معنا اليوم، فقليل منها يضر بالجسد».

ثم أحضر التلاميذ وقال لهم أحد ماهى الخمائر التى معنا حتى ولو لم يكن معنا الخبز؟.

قال التلاميذ بعضهم لبعض: ماهى الخمائر التى نمتلكها إننا لا نمتلك حتى قطعة من الخبز.

قال عيسى: «أيها الناس، يامن قل إيمانكم، هلا نسينا ما قاله الله فى نايين Nain حيث لم يكن هناك أى أثر للحنطة، وكيف أكل الكثيرون حتى شبعوا، وكل ماكان لدينا خمسة أرغفة وسمكتان إن خمير الفريسى فى حاجة إلى إيمان الله والتفكير فى الإنسان هو الذى أفسد فريسى اليوم، بل أفسد إسرائيل كلها، فالإنسان العادى يجهل القراءة، لذلك نراه يقلد مايفعله الفريسيون معتقدًا أنهم صالحون.

هل تعرفون الفريسى الحقيقى؟ الفريسى الحقيقى زيت الطبيعة فكما أن الزيت يطفو فوق ما عداه من سوائل؟ فإن حسنات الفريسى الحقيقى تعلو ما عداها من حسنات الإنسان، إنه كتاب حى أعطاه الله للعالم، فكل مايقول وكل ما يفعل هو وفق شريعة الله وعلى ذلك فكل ما يفعله إنسان من بعده هو تقليد له، الفريسى الحقيقى، هو ملح لا يؤذى لحم الإنسان، فينظفه من سيئاته، وكل من يذهب إلى فريسى إنما يذهب من أجل التوبة لله، بل هو السراج الذى ينير طريق الحج، فكل شخص ينظر إلى ماهو عليه من فقر، مع ماهو عليه من تقوى فى هذا العالم يرى أنه يجب علينا أن نفتح قلوبنا لا أن نغلقها.

أما هذا الفريسى الذى يصطنع من الزيت حجة وعذرًا، ليفسد الكتاب وينتن الملح ويطفئ السراج، فهو كاذب، فاحترسوا ألا تفعلوا ما يفعله فريسى اليوم حتى لا تهلكوا.

الإصحاح الثانى والخمسون بعد المائة

وصل عيسى إلى القدس، ثم قصد المعبد فى يوم سبت، واقترب منه الجنود متحرشين به، ليأخذوه معهم، فقالوا له: «يا معلم، هل الحرب جائزة شرعًا؟

فأجاب عيسى: «إن عقيدتنا تقول لنا إن حياتنا حرب مستمرة على هذه الأرض»

فأجاب الجنود: «وعلى ذلك هل ترغب فى تحويلنا إلى عقيدتك، وإذا ما فعلنا فهل ننبذ مجموعات الآلهة التى نعبدها؟ (كان الرومان فى روما وحدها يعبدون ٢٨ ألف اله على هيئة أصنام) ثم نتبع إلهك وهو واحد فقط ومع ذلك لا نراه ولا نعرف أين هو؟ وقد يكون بالمصادفة إلها متكبرًا متعجرفًا».

فقال عيسى: «لو أنى خلقتكم كما خلقكم الله سبحانه وتعالى لكنت قد حولتكم عن دينكم».
فأجابوا: «والآن قل لنا كيف خلقنا إلهك علمًا أنه مجهول المكان، اظهر لنا إلهك فنصبح يهودًا».
ثم قال عيسى: «لو كان لكم أعين ترون بها الله لأريته لكم، ولما كنتم عميانًا فلن أستطيع أن أريكم الله».

فأجاب الجنود: «بكل تأكيد أننا نرى أن تكريم هؤلاء الناس لك قد أخل بتفكيرك، كيف تقول إننا عميان وفى رأس كل منا عينان؟».

فأجاب عيسى: «إن العيون البشرية ترى ما أمامها وماهو فى ظاهر الجسد، وعليه تستطيعون أن تروا آلهتكم المصنوعة من الخشب والفضة والذهب، والتى لا تملك لكم ضرا ولا نفعًا، ولكننا نحن أهل يهودا لنا بصيرة، وبصيرتنا هى أن نخشى الله وأن نؤمن به، فنحن نرى فى كل شىء إلهنا».

فأجاب الجنود: «احترس فى كلامك، فإذا ما حاولت أن تهين آلهتنا، سلمناك إلى هيرودس الذى سينتقم لها، فهى قادرة على كل شىء».

فأجاب عيسى: «إذا ما كانت قادرة على كل شىء فإنى سأعبدها».

وعندما سمع الجنود ذلك فرحوا فرحًا شديدا وبدءوا يمجدون أوثانهم.

قال عيسى: «إننا لا نحتاج إلى كلمات بقدر ما نحتاج إلى أفعال، اطلبوا من آلهتكم أن تخلق ذبابة ولسوف أعبدها».

شعر الجنود عندئذ بخيبة الأمل وأسقط فى أيديهم، فلم يحروا كلامًا فقال عيسى: «بالطبع وقد رأيتم أنها لا تستطيع أن تصنع ذبابة، وعليه فإنى لن أنسى من أجلها أن الله سبحانه وتعالى قد خلق كل شىء بكلمة منه، بل أن اسمه وحده يخيف الجنود».

فأجاب الجنود: «فلنر ذلك، فنحن مشتاقون أن نأخذك معنا والواقع أنهم كانوا تواقين لأن يقبضوا على عيسى.

قال عيسى: ادوناى صبأوت[1].

وفى الحال خرج العساكرامن المعبد، الواحد تلو الآخر كما لو كان الإنسان يدفع براميل أمامه. فتتدحرج بعد غسلها توطئة لملئها بالنبيذ ولكن أرجلهم كانت على الأرض دون أن يمسهم شخص ما. وكانوا خائفين لا يلوون على شىء حتى أنهم لم يظهروا فى يهودا مرة أخرى.

الإصحاح الثالث والخمسون بعد المائة

أخذ الكهنة والفريسون يتمتمون ويهمسون فيما بينهم قائلين: «إن لهذا الرجل حكمة (بعل، وعشتاروت)، وقد تمكن من الجنود بعزيمته من إبليس».

قال عيسى: «لقد أمرنا الله ألا نسرق حاجيات جيراننا على أن هذه الفكرة قد أسقطها الناس من

---

(١) هاتان الكلمتان من لسان عمران ومعناها «الله أكبر».

حسابهم وأنكروها، فانتشرت المعصية فى العالم ومعصية كهذه لن تغفر كما تغفر الخطايا الأخرى، فالإنسان إذا ما أتى معصية أخرى ثم توقف عن إتيانها وصام وصلى تكفيرًا عن ما أتاه وتصدق فى سبيل الله الرحمن الرحيم، فإن الله القوى العزيز يغفرها له ولكن خطيئة السرقة من نوع لا يغتفر إلا إذا اعترف وأعيد بها المسروق»

قال أحد الكتاب: «يا معلم كيف ملأت السرقة العالم بالخطايا والمعاصى، فبفضل الله ورحمته لا يوجد إلا عدد قليل من اللصوص، وهم لا يستطيعون أن يظهروا أنفسهم فإن الجنود تشنقهم فى الحال إذا ظهروا».

فأجاب عيسى: «الذين لا يعرفون البضائع المسروقة لا يعرفون اللصوص، الحق أقول لكم، إن كثيرين من الناس يسرقون ويسلبون دون أن يعلموا أنهم يفعلون ذلك، وبالتالى فإن معصيتهم أكبر من معاصى الآخرين، والمرض الذى لا نعرفه لا نستطيع أن نداويه»، وعندئذ اقترب الفريسيون من عيسى وقالوا له: «يا معلم، إنك الوحيد فى إسرائيل الذى يعرف الحقيقة، فعلمنا ما هى الحقيقة».

فأجاب عيسى: لا أستطيع أن أقول إننى وحدى الذى أعرف الحقيقة فى إسرائيل فكلمة وحدى صفة من صفات الله ولا تنطبق على غيره، فهو وحده الحق الذى يعرف الحق، وعلى ذلك إذا ما قلت إننى وحدى أعرف الحقيقة أكون أكبر سارق فى البلد، أكون قد سرقت صفة من صفات الله، ذلك لأنى أعرف الله وأكون قد أوقعت نفسى فى هوة الجهل أكثر من غيرى، وهكذا اقترفتم معصية خطيرة بقولكم إنى وحدى أعرف الحق، وإنى أقول لكم إنكم إذا ما قلتم ذلك مداهنة لى، تكون معصيتكم أكبر وأعظم».

وعندئذ رأى عيسى: أن الجميع قد صمتوا، فقال: «وإنى إن كنت مع غيرى فى إسرائيل نعرف الحقيقة، فإنى أتكلم وحدى عنها، فانصتوا لى وأنا أتكلم.

إن جميع هذه الأشياء من خلق الله، حتى أننا لا نستطيع أن ندعى أن شيئًا بسيطًا قد خلقه غيره، وبالتالى فأرواحكم ومشاعركم وبدنكم ووقتكم وبضاعتكم وشرفكم، وكل شىء هو ملك لله، فإذا أخذ إنسان ما ليس مقدرًا له من عند ربه، يصبح سارقًا، ونفس الشىء إذا ما صرف إنسان شيئًا على نقيض ما يريده الله فهو لص، وعليه أقول لكم والله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، عندما تقولون إننا سنفعل كذا وكذا غدا، أو أننا سنقول كذا أو كذا، أو أننا سنذهب إلى المكان الفلانى، دون أن نقول إن شاء الله تكونون كاللصوص، بل أكبر من اللصوص عندما تصرفون القسم الأكبر من وقتكم مرضاة لأنفسكم وليس مرضاة لله، وأن تنفقوا أقل الأوقات فى عبادة الله فأنتم حقا لصوص.

إن من يقترف معصية مهما كانت، هو لص إذ هو يسرق الوقت والروح، بل يسرق حياته ويسخرها لمنفعته دون أن يعبد الله.. وهكذا يعطيها لإبليس عدو الله».

الإصحاح الرابع والخمسون بعد المائة

قال عيسى: «الرجل الذى يتمسك بالشرف وبالحياة وبالمال، إذا سرقت ممتلكاته يؤتى بالسارق ويشنقونه، فالله قد أمر بذلك، ولكن إذا ما ثلم شخص شرف جاره فماذا يحدث له؟ لماذا يصلب السارق على الصليب ولا يصلب سارق الشرف؟ هل السلع والبضائع أفضل من الشرف؟ وهل أمر الله سبحانه وتعالى حقًا وصدقًا أن من يسرق سلعة يعاقب، وإن من يسرق حياة آخر يعاقب، وإن من يسرق شرف آخر لا يعاقب؟

بالطبع لا فآباؤنا بلجاجاتهم وثرثرتهم لم يدخلوا فى أرض الميعاد، بل أبناؤهم، وبسبب هذه الخطيئة قتلت الحيات حوالى سبعين ألفا من الناس، والله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، فإن الذى يسرق شرف غيره يستحق عقوبة أكبر من الذى يسرق سلعة أو حياة، وهذا الذى ينصت للإشاعات والثرثرة مذنب ذنب السارق فأحدهما تقبله الشيطان عن طريق أذنه والآخر تقبله عن طريق لسانه»، وقد استشاط الفريسيون غضبًا عندما سمعوا ذلك لأنهم لم يستطيعوا أن يستنكروا حديثه.

ثم اقترب من عيسى أحد الحكماء وقال له: «أيها المعلم الطيب، أخبرنى لماذا لم يهب الله سبحانه وتعالى أبوينا الحنطة والفاكهة، ولما كان الله تعالى يعلم أنهما لابد ساقطان، كان لابد أن يهبهما بعض الحنطة أو أنْ لا يراهما».

فأجاب عيسى: «أيها الرجل، على الرغم من أنك تنادينى بكلمة طيب، أعلم أنك أخطأت، فالطيب الوحيد هو الله وأنك لا تخطئ خطأً أكبر عندما تتساءل لماذا لم يفعل الله ما دار بخلدك، ومع ذلك فإنى أجيبك: أعلم أن الله خالقنا لا يلائم عمله بما نعمله نحن، فليس من الحكمة أو الشريعة أن يقوم الخالق بعمل ما ملائمًا نفسه مع مخلوقاته، فإن شرف الله أكبر من شرف المخلوق، ذلك حتى يستطيع الأخير أن يعتمد على الخالق، لا الخالق على المخلوق، والله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، إذا ما وهب الله تعالى كل شىء للإنسان لما أدرك الإنسان أنه عبدالله وخادمه، ولنصب نفسه ملكًا على الجنة، والواقع أن الخالق الذى تبارك دائمًا أبدًا، إذا حرم الإنسان من الغذاء لأدرك الإنسان أنه عبدًا وخادمًا لخالقه.

والحق أقول لكم، إن الذى فى نظره نور يرى الأشياء واضحة، بل يستطيع أن يستمد النور والحقيقة من الظلمة نفسها، أما الأعمى فلايستطيع ذلك، وعليه أقول لكم إن الإنسان لولا خطيئته ومعصيته لما عرفت أنا ولما عرفتم أنتم ولما عرف الإنسان نفسه رحمة الله أو الطريق المستقيم، ولو كان الله قد خلق الإنسان وجعله غير قابل للمعصية، لكان الإنسان صنوًا لله، وعلى ذلك فإن الله العزيز الكريم خلق الإنسان فى أحسن تقويم، وجعله طيبًا ووضعه على الطريق المستقيم، ولكنه فى نفس الوقت جعله حرًا فى أن يفعل ما يشاء بحياته وبخلاصه من جهنم»، ولقد عجب الحكيم عند سماع ذلك وترك المكان وهو مضطرب.

الإصحاح الخامس والخمسون بعد المائة

كان كبير الكهنة قد استدعى كاهنين سرًّا وأرسلهما إلى عيسى الذى كان خارج المعبد، إذ كان يجلس على عتبة معبد سليمان منتظرًا صلاة الظهر، وكان يجلس بالقرب منه تلاميذه ومعهم جموع حاشدة من الناس.

فجاء الكاهنان إلى عيسى وقالا: «أيها المعلم، لماذا يأكل الإنسان الحنطة والفاكهة؟ هل أمره الله بأكلها أم لا؟ وكانا فى سؤالها يحاولان الإيقاع به، لو قال إن الله أمر بذلك لردًّا عليه: لماذا حرم الله الإنسان من الحنطة والفاكهة؟ وإذا قال لم يأمر الله الإنسان بذلك لقالا له: لابد وأن يكون الإنسان أكثر قوة من الله إذا ما كان قادرًا على أن يعمل على نقيض إرادته سبحانه وتعالى.

فأجاب عيسى: «إن سؤالك أشبه ما يكون بطريق يمر فوق قمة الجبل وعلى يمينه هاوية وعلى يساره هاوية ولكنى سأسير فى الوسط».

ولما قال ذلك أسقط فى يد الكاهنين إذ أدركا أنه عالم بما يضمران.

قال عيسى: كل إنسان يعمل من أجل الحصول على حاجته ومنفعته الشخصية، والله لا حاجة له بشىء مما يعمل الإنسان، فهو عندما خلق الإنسان خلقه حرًّا حتى يدرك أن الله ليس بحاجة إليه أن ما يعطيه فهو عطية حقا كما يفعل الملك الذى يستعرض أملاكه وأمواله حتى يحترمه عبيده وخدمه أكثر، فيهب عبيده حريتهم (ليتصرفوا وفق ما يشاءون).

وبعد ذلك خلق الله الإنسان حرًّا، حتى يحب خالقه أكثر وحتى يعرف جوده وكرمه عليه، فيتجنب ما هو شر، ويقبل على ما هو طيب، والله تعالى وإن كان يستطيع أن يمنع المعصية والخطيئة، فإنه لا يرى أن يتعارض ذلك مع رغبته فى أن يهب الإنسان النعم والآلاء ليس هناك من تناقض فى الله وحتى يتأثر الإنسان بقدرته ونعمه، وجب ألا يعارض الإنسان الخطيئة والمعصية، حتى يتلقى مغفرة الله ورحمته إذا ما أخطأ أو عصى، وإنى بذلك أقول لكما الحق لقد أرسلكما الكاهن الأكبر للإيقاع بى وهذا ثمرة منصبه ككاهن».

فانصرف الرجلان وسردا على الكاهن الأكبر ما حدث فقال لهما:

«إن الشيطان فى ظهر هذا الرجل يحدثه فى كل شىء، ولكن هذا الرجل يطمع فى ملك إسرائيل ولكن الله تعالى له بالمرصاد».

الإصحاح السادس والخمسون بعد المائة

وبعد أن فرغ عيسى من صلاة الظهر خرج من المعبد ووجد شخصًا ضريرًا بالمولد، فسأله تلاميذه: «ما هى المعصية التى أتاها هذا الرجل ليكون أعمى؟ هل أبوه هو العاصى أم أمه هى العاصية فولد هكذا؟».

أجاب عيسى: «لقد ولد أعمى خلقه الله أعمى شاهدًا على الإنجيل وبالتالى لم يقترف أبوه أو أمه معصية ليجازيا بها».

ونادى عيسى الرجل إليه وبصق على الأرض وعجن عيسى بصقته بالتراب ووضع العجينة على عينى الأعمى وقال له: «اذهب إلى ينبوع سيلوام واغتسل».

ذهب الأعمى وفعل ما أمره عيسى، فعاد إليه نظره ولما عاد إلى منزله وجد الناس يتحدثون فى شأنه، قال أحدهم هذا الرجل كان أعمى وإنى على يقين أنه كان يجلس دائمًا على بوابة المعبد الجميلة، وقال آخرون إنه هو، ولكن كيف ارتد إليه بصره، وراحوا يحاورونه قائلين: «ألست الأعمى الذى كان يجلس على بوابة المعبد الجميلة؟».

فقال لهم: «نعم إنى هو».

قالوا: «لقد عاد إليك بصرك كيف؟» فأجاب الرجل: «قابلت رجلا بصق على الأرض وعمل من التراب عجينة ووضعها على عينى وقال لى اذهب واغتسل فى ينبوع سيلوام، وبالفعل ذهبت واغتسلت وها أنا أرى، تبارك إله إسرائيل».

عندما عاد الرجل الأعمى إلى بوابة المعبد الجميلة، كان الناس فى القدس قد سمعوا به كما سمع به كبير الكهنة، فأتى به إليه وكان يتفاوض مع الكهنة والفريسيين فى شأن عيسى.

ولما دخل سأله كبير الكهنة: «يا رجل ألم تولد أعمى؟».

فأجاب: «نعم».

فقال الكاهن الأكبر «المجد لله، قل لنا من هو هذا النبى الذى ظهر لك فى حلمك وأعاد إليك نظرك؟ هل كان إبراهيم أبونا، أم كان موسى عبد الله، أم نبى آخر لأن غيرهم لا يستطيعون الإتيان بمثل هذه المعجزة؟».

أجاب الذى ولد أعمى «لم يكن إبراهيم ولا موسى، ولم يكن نبيًا رأيته فى منامى وشفانى، ولكن حدث عندما كنت جالسًا عند بوابة المعبد أن أمرنى رجل أن أقترب إليه وبصق على الأرض وعجن من التراب عجينة ووضعها على عينى ثم أرسلنى إلى ينبوع سيلوام لأغتسل فذهبت واغتسلت وعدت ونظرى قد عاد إلى عينى».

سأل كبير الكهنة عن اسمه.

فأجاب الرجل الذى ولد أعمى: «لم يخبرنى باسمه، ولكن حدث أن رجلا رآه فنادانى وقال لى: اذهب واغتسل كما قال لك هذا الرجل فهو عيسى الناصرى، وهو نبى الله وولى من أولياء الله الصالحين إله إسرائيل».

فقال الكاهن الأكبر: «بالمناسبة.. هل عالجك اليوم واليوم هو السبت؟».

أجاب الأعمى: «عالجنى اليوم يوم السبت».

فقال الكاهن الأكبر: «أمسك عليك كيف يكون ذلك؟ لابد أن هذا الرجل صاحب معصية، فهو لا يحافظ على يوم السبت».

الإصحاح السابع والخمسون بعد المائة

أجاب الأعمى: «سواء أكان مخطئا أم غير مخطئ فأنا لا أعرف ولكن ما أعرفه أننى كنت أعمى وأنه جعلنى أبصر».

أما الفريسيون فلم يصدقوا ذلك فقالوا لكبير الكهنة: «أرسل فى طلب والده وأمه فهما اللذان يطلعاننا على الحقيقة، فأرسل فى طلبهما، ولما حضرا سألهما: «هل هذا الرجل ولدكما؟» فأجابا: إنه ابننا حقيقة».

فقال كبير الكهنة «يقول إنه ولد أعمى وأنه يرى الآن، كيف حدث هذا؟».

فأجاب والد الأعمى: «لقد كان أعمى حقيقة، ولكنه الآن يبصر ولا نعرف كيف؟ لقد بلغ السن، اسأله ولسوف يجيبك بحق».

فصرفهما كبير الكهنة وأعاد السؤال على الرجل: «يا رجل مجد الله وقل لنا الحقيقة». والدا الأعمى كانا فى خوف شديد لأنه كان قد صدر مرسوم من مجلس الشيوخ بروما، بألا يدافع أحد عن عيسى نبى اليهود، أو يصدقه، فلو حدث ذلك يعدم، وقد خول المرسوم الحاكم سلطة التنفيذ. وعليه قال الأبوان إنه بلغ السن.

قال كبير الكهنة للرجل الذى ولد أعمى: «مجد الله وقل الحقيقة، نحن نعرف هذا الرجل الذى تقول إنه أبرأك، إنه عاص وصاحب خطيئة».

فأجاب الرجل الأعمى: «إذا كان عاصيًا أو مقترفًا للخطيئة فليس لى علم بذلك، ولكنى أعلم وأعرف أنه أعاد لى بصرى، كذلك أعلم علم اليقين أن ما من فرد عاد إليه بصره وكان قد ولد أعمى منذ خلق الله الأرض، كما أن الله لا يستمع إلى العصاة أصحاب الخطيئة».

فقال الفريسيون: «قل لنا ماذا فعل عندما أعاد لك بصرك».

فعجب الذى ولد أعمى من عدم إيمانهم بالله وقال لهم: «لقد قلت لكم وها أنتم تسألوننى مرة أخرى، فهل تريدون أنتم أيضًا أن تكونوا من تلاميذه...؟».

فهب كبير الكهنة إلى تأنيبه وسبابه قائلا: «لقد ولدت أيها الرجل فى الخطيئة، ومع ذلك ترغب فى أن تعلمنا. اذهب وكن تلميذًا لهذا الرجل، أما نحن فتلاميذ موسى ونعلم أن الله قد كلم موسى، أما هذا الرجل فلا نعلم من أين أتى، ثم قاموا مرة واحدة ودفعوا به خارج المعبد، وحرموا عليه أن يشترك فى عبادة الله مع المتطهرين الذين يؤمون المعبد».

الإصحاح الثامن والخمسون بعد المائة

خرج الرجل الأعمى، ويحث عن عيسى حتى وجده، فراح هذا يطيب خاطره وقال له: «لم يحدث فى وقت من الأوقات أن بوركت كما بوركت الآن، فالله ربنا الذى تكلم عن طريق داوود، قد باركك كما باركك أنبياؤه، هم يلعنونك وأنا أباركك» وعن لسان ميخا النبى قال: «إنى ألعن بركتك، فالتراب ليس على النقيض من الهواء، والماء ليس على نقيض النار، والنور ليس على نقيض الظلام، والبرد ليس على نقيض الحرارة، والحب ليس على نقيض البغض، وإن إرادة الله تختلف عن إرادة العالم».

فسأله التلاميذ قائلين: «يا معلم هذه كلمات عظيمة، ونرجو أن تفسر لنا معانيها فنحن لا نعرف لها معنى».

فأجاب عيسى: «سترون أننى قد قلت الحق وبالتالى ستعرفون الحق من كل رسول يأتيكم. اعلموا أن هناك ثلاثة أنواع من العوالم قد جمعت فى اسم واحد. الأول: يشير إلى السموات والأرض والماء والهواء والنار، وكل ما كان أقل درجة من الإنسان، واعلموا أيضًا أن كل ما فى هذا العالم من أشياء إنما يتبع الله وإرادته، كما قال داوود - النبى (لقد أعطاكم الله فكرًا لا تستطيعون أن تتجاوزوه).

والثانى: يشير إلى الإنسان فنحن إذا قلنا بيت هذا الرجل فلا يعنى أنه مكون من مجرد حيطان بل عائلة شعارها حب الله، فالإنسان بطبيعته يعشق الله ويحبه، فالطبيعة جعلت الإنسان يتوق إلى الله، فهو فى خطئه يتوق إلى الله فهل تعلم لماذا يسعى الإنسان إلى الله؟ يسعى الناس إلى الله لأنهم يسعون فى سبيل خير لا نهائى، لا يمسه الشر، وهذا هو الله وحده وعلى ذلك أرسل الله الرحمن الرحيم أنبياءه إلى هذا العالم لخلاصه.

والكلمة الثالثة هى معصية الله وهى كلمة تحولت إلى شرع يعارض الله خالق هذا العالم، والمعصية تحوّل الإنسان إلى شيطان رجيم بل إلى عدو لله. والله يكره هذه الكلمة وماذا تظنون إذا ما أحب نبى هذه الكلمة ماذا تظنون؟

بكل تأكيد لكان الله سبحانه وتعالى قد جرده من نبوته، ولماذا أقول لكم بحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، عندما يأتى رسول الله إلى هذا العالم، فإنه إذا ما أحب هذه الكلمة، فإن الله سبحانه وتعالى سوف يجرده من كل ما أعطاه له عندما خلقه ويجعله مرزولا منبوذًا. إن الله لا يحب هذه الكلمة إطلاقًا.

الإصحاح التاسع والخمسون بعد المائة

أجاب التلاميذ: «يا معلم إن لكلماتك سحرًا وعجبًا، فارحمنا لأننا لا نفهم معناها».

قال عيسى: «هل تظنون أن الله سبحانه وتعالى قد خلق رسوله كمنافس له، وهو الذى يكره أن يكون قريبًا من مستوى الألوهية؟»

بكل تأكيد لا، لقد خلقه عبدًا صادقًا مطيعًا، فلا يرغب فى شىء، لا يرغب فيه خـالقه، إنكم لا تستطيعون أن تفهموا هذا، لأنكم لا تعلمون ما هى المعصية انصتوا إلى كلماتى - الحق أقول لكم لا تظهر المعصية فى رجل، إلا إذا خالف الله وهو يعلم أن كل ما لا يرغب فيه الله معصية، وأن كل ما يرغب فيه الله بعيدًا عن المعصية، وعليه إذا ما كان كبار الكهنة والكهنة الفريسيون قد اضطهدونى لأن الناس نادونى باسمه تعالى، فإنهم يفعلون شيئًا يرضى الله، والله يجازيهم على ذلك، ولكنهم إذا ما كانوا يضطهدوننى لسبب آخر مخالفًا لذلك، فمثلا لأنهم خابوا فى حملى على أن أقول غير الصدق لأنهم أفسدوا كتاب موسى وكتاب داوود نبى الله وصديقه بما اتبعوه من عادات وتقاليد مخالفة لما أمر به الله وعليه أضمروا لى الكراهية ورغبوا فى موتى ومن ثم فإن الله يكرههم ويبغضهم.

قولوا لى لقد قتل موسى رجالا كما قتل آحاب رجالاً، فهل هذا يعتبر قتلا فى كل حاله؟.

لا بكل تأكيد، لأن موسى قتل الرجال ليحطم عبادة الأوثان، وليحتفظ بعبادة الله الحق، أما آحاب فقد قتل الرجال ليحطم عبادة الإله الحق ويحافظ على عبادة الأوثان، والقتل بالنسبة لموسى يعتبر تضحية، أما بالنسبة لآحاب فيعتبر انتهاكًا لحرمة المعبد، فانظروا كيف أنه عمل واحد له طبيعة واحدة قد أنتج هذه التأثيرات المتضاربة.

وبحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، إذا ما تكلم الشيطان إلى الملائكة ليرى قدر حبهم لله، لرفضه الله، ولكن الله غضب على الشيطان لأنه حاول أن يبعـد الملائكـة عنه، وحضهم عـلى معصيته».

فسأل كاتب هذا الإنجيل برنابا «كيف إذن نفهم ما قاله ميخا النبى بشأن الكذب الذى أمر الله سبحانه وتعالى الكذبة من رسله أن يقولوه، كما هو وارد فى سفر الملوك - ملوك إسرائيل؟».

فأجاب عيسى: «اسمع يا برنابا، اتلوا علينا كل ما حدث حتى نرى الحقيقة بوضوح».

الإصحاح الستون بعد المائة

فأجاب كاتب هذا الإنجيل وصف لنا النبى دانيال أعمال الملوك وتاريخهم فى إسرائيل وجبابرتهم كما يلى:

(انضم ملك إسـرائيل إلى ملك يهـودا ليحاربـا أبناء بلعـال (أى الفاسـدين من الأئمة)، وهم العمونيون، وكان ملك (يهو شافات) ملك يهودا، وآحاب ملك إسرائيل يجلس كل منهما على عرش فى سامراء، ووقف أمامهما أربعمائة من الأنبياء الكذبة المزيفين وقالوا للملك إسرائيل: «اذهب وحارب العمونيين، فالله سوف يجعلهم يقعون فى يدك، ولسوف تتمكن من دحرهم والتنكيل بهم».

وسأل يهوشافات: «هل هنا رسول من رسل الله إله آبائنا؟».

أجاب آحاب: «نعم يوجد واحد فقط وهو رجل شرير، إذ هو دائمًا ما يتنبأ لى بكل ما هو شر،

ولذلك أحتفظ به فى السجن، ثم قال متفكهًا هناك نبى واحد. وكلما وجد واحد منهم قتلوه بأمر من آحاب، وعليه هرب الأنبياء وأولياء الله كما قلت يا معلم، نعم هربوا إلى قمم الجبال حيث لا يسكن أحد من الناس.

ثم قال يهوشافات: أرسل فى طلبه ولنر ما يقول، وعليه أمر الملك أن يؤتى بميخا، فأوتى به وفى رجليه الأصفاد ووجهه مضطرب وكأنه يعيش بين الحياة والموت. فسأله آحاب: «تكلم يا ميخا بسم الله هل أذهب لمحاربة العمونيين، وهل سيمكننا الله من مدنهم وقراهم؟».

فأجاب ميخا: «اذهب فلسوف تزداد غنى إذا ذهبت، وعندما تعود تزداد غنى أكثر».

وعندئذ راح الأنبياء الكذبة يثنون على ميخا كنبى حقيقى من أنبياء الله وكسروا الأصفاد من حول قدميه.

وسأل (يهو شوفات) الذى كان يخاف الله، والذى لم يركع أمام الأصنام، سأل ميخا قائلا: قل الحق فأنت قد رأيت نتيجة هذه الحرب، قل الحق من أجل إله أجدادنا وآبائنا.

فأجاب ميخا: «يا يهوشوفات إنى أخاف وجهك وعليه أقول لك إنى رأيت شعب إسرائيل كقطعان من الغنم بلا راع».

فابتسم آحاب وقال يهوشوفات: «لقد قلت لك إن هذا الرجل لا يتنبأ إلا بكل ما هو شر، ولكنك لم تصدقنى».

ثم قالا فى نفس واحد: «والآن كيف تعلم بهذا يا ميخا»:

أجاب ميخا: «لقد رأيت أن مجلسًا من الملائكة قد اجتمع فى حضرة الله، وسمعت الله يقول لهم من الذى سيدلس على آحاب ويجعله يذهب لمحاربة العمونيين فيقتلهم، فقال واحد منهم شيئًا، وقال آخر شيئًا ثم جاء ملاك من الملائكة وقال: سوف أحارب آحاب وسوف أذهب إلى أنبيائه المزيفين وأجعلهم ينطقون كذبًا، فيصعد لمقاتلة العمونيين فيقتل، ولما سمع الله ذلك قال افعل ما قلت واذهب الآن فلسوف تكون سالمًا. وعندئذ ثارت سورة الأنبياء الكذبة، وقام رئيسهم وصفع ميخا على صدغه وقال: أيها الشرير الفاسد متى رحل عنا ملاك الحق وجاء إليك ثم قل لنا متى أتى إلينا ملاك يحمل معه الكذب؟».

فأجاب ميخا: «لسوف تعلم ذلك عندما تهرب من منزل إلى منزل خوفًا من القتل بسبب خداعك لمولاك الملك».

ثم قال آحاب: «اقبضوا على ميخا وضعوا الأصفاد التى كانت حول قدميه حول عنقه ولا يأكل غير خبز الشعير والماء حتى أعود، فلست أعلم الآن نوع الموتة التى أذيقه إياها.

فصعدوا وقضى الأمر كما تحدث ميخا إذا قال ملك العمونيين لعبيده «لا تحاربوا ملك يهودا أو أمراء بنى إسرائيل، ولكن اقتلوا آحاب ملك إسرائيل عدوى.

ثم قال عيسى: «قف يا برنابا هذا يكفى لغرضنا إنه ولد أعمى وأنه يرى الآن، كيف حدث.

الإصحاح الحادي والستون بعد المائة

قال عيسى: هل سمعتم كل شيء.

قال تلاميذه: نعم يا معلم.

قال عيسى: الكذب معصية والقتل معصية أكبر فالكذب معصية قاصرة على من يتكلم ولكن القتل وإن كان يختص بمن يرتكبه إلا أنه عمل نتيجته تدمير أعز ما ترك الله في الأرض (الإنسان) والكذب يمكن معالجته بقول الحقيقة بينما القتل لا علاج له فلا يستطيع الإنسان أن يعيد الحياة لقتيل قل لي هل اقترف موسى عبد الله معصية عندما قتل من قتل؟

أجاب التلاميذ «حاشا لله أن يأتي موسى معصية في طاعة الله الذي أمره بما يفعل فتقبل».

وعندئذ قال عيسى: حاشا لله أن يكون هذا الملاك قد أتى معصية بإدخاله الخديعة على رسل آحاب الكذبة بأن كذب عليهم. والله حتى وإن كان يتقبل قتل رجل كضحية فإنه تقبل كذبة الملاك كفعل طيب. الحق الحق إني أقول لكم إن الطفل حتى وإن اخطأ عندما يطلب أن يكون حذاءه كبيرا كحذاء جبار ضخم الجثة أو أن يخطىء شخص بات يدعي أن الله خاضع للناموس كما يخضع الإنسان له. فأنتم عندما تؤمنون بأن الله أمرا ما خطيئة في حين لا يرى الله أنه خطيئة فإنكم ستجدون الحقيقة كما قلتها إن الله سبحانه وتعالى لا يتغير، وهو واحد أحد من جوهر واحد وليس مركب من أشياء، وعليه فالله لا يأمر بشيء يومًا وبشيء آخر مخالف له يومًا آخر، وإلا ناقض نفسه، وبالتالي كان هناك الألم، وانتفى التبريك إلى الأبد».

فأجاب فليب: «ولكن كيف لنا أن نفهم عاموس النبي: «ليس هناك من شر في المدينة ليس من صنع الله».

فأجاب عيسى: «انظر يا فليب، من الخطر جدًّا أن تقف عند حرفية الكلام فقط، كما وقف الفريسيون الذين قالوا لأنفسهم إن الله أمر بالقضاء والقدر بالنسبة للصفوة، وهم عندما يقولون ذلك، إنما يقولون إن الله ليس بعادل، بل مخادع وكاذب، أو إذا شئت يكره العدالة التي سوف يلاقونها يوم الحساب، وعندما أقول لكم إن عاموس نبي الله عندما يتحدث عن الشر أو ما يسميه العالم بشر، فهو إذا ما استخدم الصدق والحق لما صدقه العالم. فجميع المحن والبلايا يأخذها الناس وكأنها طهورًا بمعنى أن المحن التي تحل بالإنسان تغسل الشر أو أنها تحد من إتيان الإنسان للمعصية، أو هي درس يتعرف من خلاله الإنسان على الحياة، حتى نحب الآخرة ونتشوق إليها، وعلى ذلك لو كان النبي عاموس قال ليس هناك في المدينة من خير إلا ما صنع الله، لكان قد أنزل اليأس بالذين يرون أنهم في بلائهم وفي معصيتهم يعيشون عيشة رغدة هنية، والأمر والأدهى من ذلك أن كثيرين يعتقدون أن الشيطان له السيادة على الإنسان، ومن ثم يخاف الإنسان الشيطان، فيخدمه حتى لا يصيبه بمصيبة أو بلاء، وعليه فعل عاموس كما فعل المترجم الروماني الذي كان يتكلم في حضرة كبير الكهنة، ولم يهتم بكلماته

الفاصلة، بل كان يعتبر إرادة اليهود وأعمالهم هى الفاصلة. أما الرومان فلا يعرفون العبرية ويجهلون النطق بها.

الإصحاح الثانى والستون بعد المائة

لو كان عاموس قد قال ليس فى المدينة من خير إلا ما صنعه الله، لكان قد أتى خطأ كبيرًا، فمعنى ذلك يحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، إن هذه العبارة تعنى أن الله هو صاحب الخير وحده، وإن الظلم والمعاصى إنما تأتى بسبب الحماقة والتفاخر، ولو كان الإنسان قد صدّق ذلك لكان قد أتى من الظلم ما هو أكثر، معتقدًا بعدم وجود معصية أو ظلم أو ضرر إلا من عند الله، ولو كان هذا حقًا لارتعدت الأرض من سماعه، وعندما قال عيسى ذلك حدثت هزة أرضية شديدة حتى انكفأ كل رجل على وجهه، كما لو كان قد فارق الحياة، وهذا يكفى للبرهنة على أن عاموس عندما قال إن الله قد أتى شرًا فى المدينة متحدثًا إلى العالم، إنما كان يتحدث عن المحن وهى التى لاسميها أصحاب المعصية بالشر ولنتحدث الآن عن القدر والذى يسميه أصحاب المعصية بالشر، ولنبحث معنى القدر فنحن نريد أن نعرف حقيقته، ولسوف أتحدث إليكم غدًا قرب نهر الأردن من الجانب الآخر إن شاء الله».

الإصحاح الثالث والستون بعد المائة

ذهب عيسى إلى الصلاة وراء نهر الأردن مع تلاميذه، وبعد أن صلوا الظهر جلس بالقرب من نخلة وفى ظلها جلس تلاميذه، ثم قال عيسى: «القدر سر من الأسرار أيها الإخوة، وإنى أقول لكم بالحق إن ما من إنسان سوف يعرف القدر إلا شخص واحد، وهو الذى تتطلع إليه الأمة، والذى يعرف الأسرار الإلهية فى وضوح كامل، وعندما يأتى هذا الرجل إلى هذا العالم تبارك الذين يسمعون كلامه، فالله سبحانه وتعالى سوف ينزل عليهم رحمته ويكلؤهم بمغفرته، كما تحيطنا هذه الشجرة بظلها، وتحمينا من حرارة الشمس الحارقة، فإن رحمة الله سوف تحميهم من الشيطان».

فأجاب تلاميذ المسيح: «ومن سيكون هذا الرجل الذى تتحدث عنه، والذى سيأتى إلى هذا العالم وكأنه المطر الذى يجعل الأرض تثمر برغم أنها لم تتلق الماء مدة طويلة، والذى سيقوم بعمل الخير بفضل رحمته الواسعة وكأنه غمامة بيضاء بها رحمة الله تنزل منها الرحمة كالمطر يصيب المؤمنين؟».

أجاب يسوع بابتهاج إنه محمد رسول الله ومتى جاء إلى هذا العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر عن طريق ما يأتى به من رحمة فياحتة كالفيت الذى يجعل الأرض تثمر بعد طول جفاف فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله رحمة ينثرها الله كالرذاذ على المؤمنين نثرا.

الإصحاح الرابع والستون بعد المائة

وعليه سوف أنقل إليكم القليل الذى حبانى الله به من علم عن القدر.

يقول الفريسيون: إن ما من شىء إلا وهو مسطر فى كتاب مكنون، وإن من اختارهم الله واصطفاهم لن يصبحوا إطلاقًا فسدة شريرين، وإن كل فاسد شرير لن يكون ممن اصطفاهم الله، وكما أن الله قد قدر أن يكون الخير والعمل الطيب الطريق الذى يسير فيه المصطفون نحو خلاصهم، وأن تكون المعصية الطريق الذى يسير فيه المفسدون نحو هلاكهم، فقد لعن الله اللسان الذى ينطق بالرذيلة، واليد التى تكتب بالفساد، فهذه عقيدة الشيطان، وعلى ذلك علينا أن نعلم كنه الفريسيين فى يومنا هذا، فهم عبيد الشيطان المخلصون.

ما معنى كلمة القدر، إنها تعنى إرادة قاطعة تعطى نهاية لشىء يملك الإنسان الوسيلة إليه فى يده، كيف إذن يتسنى لأحد أن يبنى بيتًا يحتاج إلى أحجار ونقود لبنائه، بل يحتاج أيضًا إلى أرض ليضع الإنسان قدمه عليها؟ بكل تأكيد لاأحد يستطيع ذلك، إن القدر يخفف من إرادة الإنسان التى جاد بها الله على عبيده المختارين وما أنعم به عليهم من نعم الحق، إن هذا لا يعتبر تقديرًا مسبقًا فلا أحد يستطيع أن يحرم الإنسان مما أنعم به الله عليه من إرادة حرة، فذلك ليس قدرًا، بل هو إكراه، وطبقًا لصحف موسى يعتبر الإنسان حرًا، فقد أعطى الله سبحانه وتعالى شريعته وهو فوق جبل سيناء، فقال: «إن وصاياى ليست فى السماء حتى تعتذروا عن تنفيذها قائلين: إننا سنذهب الآن لنحضر وصايا الرب، ثم من هو ذا الذى سيعطينا القوة لتنفيذ هذه الوصايا، وليست هى وراء البحار حتى تنتحلوا لأنفسكم مثل هذا العذر، بل هى قريبة من قلوبكم فإذا أردتم فإنكم سوف تحافظون عليها».

خبرونى هل فى استطاعة الملك هيرودس أن يأمر رجلًا مسنًا أن يصبح شابًا، أو رجلا مريضًا أن يصبح صحيحًا، وإذا ما فعل ذلك ولم يحدث ما أراده فإنه يأمر بقتل المسن والمريض، فهل هذا عدل؟».

أجاب التلاميذ: «إذا ما أمر هيرودس بذلك لكان أظلم الظالمين وأفسد الفاسدين».

فتنهد عيسى وقال: «هذه هى ثمار العادات والتقاليد الإنسانية. أيها الإخوة، فنحن إذا قلنا إن الله قد كتب على أناس أن يكونوا أشرارًا لما استطاع أن يصطفى لنفسه صفوة مختارة، لأنهم كانوا يصفون الله بالظلم وبعدم الصلاح، فالله يأمر العاصى ألا يعصى، وحتى إذا عصاه يقبل توبته فى حين أن القدرية تنتزع من صاحب المعصية القدرة على أن يكف عن المعصية، وتحرمه كل الحرمان من التوبة والمغفرة».

الإصحاح الخامس والستون بعد المائة

«اسمعوا ما قاله الله على لسان يوئيل النبى: «وبحقى أنا الحى القيوم إلٰهك لن آمر بموت خاطئ بل سوف أسعى لتحويله إلى شخص تائب» فهل بعد ذلك تظنون أن الله يأمر مسبقًا بما لا يريد فكروا فيما يقوله الله وفيما يقوله الفريسيون فى يومنا هذا.

لقد قال الله عن أشعياء النبى (لقد ناديتكم ولكن لم تستمعوا إلى ندائى) وحتى تدركوا كيف نادى الله وكيف دأب على النداء، انظروا ما قاله على لسان نفس النبى، (لقد مددت يدى طوال اليوم إلى أناس لا يؤمنون بى، بل يكفرون بى).

والفريسيون عندما يقولون إن الله لن يغفر للمذنبين، إنما يقولون فى الحقيقة إن الله يسخر ببنى الإنسان، كما يسخر الإنسان من الأعمى فيريه شيئًا أبيض، أو كما يسخر آخر من رجل أصم يتحدث قرب أذنه، وعليه فإن الصفوة المختارة من قبل الله غير معصومة من الذلل، انظروا ما قاله الله على لسان حزقيال الرسول (وبحقى أنا الإلٰه الحى إذا ما انحرف الصالحون عن طريق الصواب وذلوا وأتوا المعصية والرجس، فلسوف يهلكون، ولن أذكر لهم بعد ذلك صلاحهم، فإن صلاحهم يخذلهم أمامى ولن ينجيهم).

لقد أشار النبى يوشع إلى ما قاله الله عندما أشار إلى المفسدين.. قال: (ليس هناك من بين الناس من أسميهم بالمنبوذين، بل كلهم مختارون مصطفون. فالله حق ولا يقول غير الحق، والله صدق ولا يتكلم غير الصدق، ولكن الفريسيين الذين يعيشون بيننا الآن يعارضون نشر تشريعات الله كل المعارضة).

الإصحاح السادس والستون بعد المائة

فقال أندراوس: ولكن كيف نستطيع أن نفسر ما قاله الله لموسى بأن رحمته سوف تسع كل من أراد أن ينضم إلى رحمته وأنه سوف يطرد من رحمته من يريد طرده.

فأجاب عيسى: «يقول الله سبحانه وتعالى هذا لأنه لا يريد للإنسان أن يعتقد أن صلاحه فقط هو الذى أنقذه، وأن يعرف بأن الله قد من عليه برحمته وبحياته، وقال الله تعالى هذا القول حتى ينصرف الناس عن فكرة وجود آلهة آخرين بجانب الله تعالى فيكذبونها ويحطمونها.

وإذا ما كان الله تعالى قد قضى أن يلزم فرعون القسوة، فإنه فعل ذلك لأنه أذاق الشعب اليهودى الأمرين، وحاول أن يحطمه ويبيده عندما أمر بقتل جميع أبناء إسرائيل من الذكور حتى كاد موسى يفقد حياته.

وعلى ذلك أقول لكم إن القدرية أو تحديد مصير الإنسان من قبل، يرتكز على شريعة الله وإرادة

الإنسان الحرة، نعم إذا أراد الله أن ينقذ العالم كله فلا يهلك أحد، فقد لا يفعل ذلك لا لشيء إلا لأنه لا يريد أن يحرم الإنسان من إرادته الحرة، فهو يحتفظ له بهذه الإرادة ليفعل ما يشاء رغماً عن الشيطان، حتى لو قدر لهذه المضغة المصنوعة من الصلصال والتى استهزأ بها إبليس أن تعصى الله كما عصى إبليس، وأن يكون لها القوة والقدرة على التوبة، وتذهب لتعيش فى نفس المكان الذى طردت منه أول مرة، إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يزاول الإنسان حريته وإرادته، ولا يريد أن يتنازل عن قدرته على تقرير ما يراه فى أمر من الأمور، وفى يوم الحساب لا يستطيع الإنسان أن يبتكر عذرًا لمعصيته إذ سيظهر عندئذ بصورة مفحمة مدى ما فعله الله تعالى لكى يتوب وكم من مرة دعاه إلى طلب المغفرة».

الإصحاح السابع والستون بعد المائة

قال عيسى: «إذا لم يكن عقلك قد اقتنع بما قلت، وإنك تميل إلى أن تقول: ولماذا يكون هذا أو يكون ذاك، إنى سوف أكشف لك عن لماذا، قل لى لماذا لا يمكن أن يطفو حجر واحد بذاته فوق سطح الماء، مع أن الأرض كلها تطفو فوق الماء، قل لى لماذا تخمد الماء النار، والتراب يتطاير أمام الهواء حتى لا تتحد الأرض والهواء والماء والنار، مع أننا نجد هذه العناصر الأربعة متحدة فى الإنسان وفى تناسق عجيب، إذا لم تكن تعرف هذا فجميع الناس كأشخاص لا يعرفونه أيضًا، كيف يستطيعون أن يفهموا أن الله قد خلق العالم من لا شيء، بل بكلمة من عنده. كيف يدركون أن الله أبدى خالد، لاشك أنهم لن يستطيعوا أن يفهموا هذا أيضًا، لأن الإنسان - وهو كائن مؤقت يتكون من جسم - كما يقول سيدنا سليمان الرسول - قابل للفساد، يضغط على الروح، وأن أعمال الله هى أعمال نسبية لقدرته كيف يستطيعون إذن أن يدركوا ويقدروا هذه الأعمال؟

ولما رأى أشعياء نبى الله أن الأمر هكذا، تعجب فقال: (الحق أن العين لا تراك) ثم تحدث عن رسول الله وكيف خلقه الله؟

(إن جيله سوف يروى لنا ما حدث)، وعن أعمال الرب قال: «من الذى كان يستشيره»، وعن الله وما أشار به عن طبيعة الإنسان: (وكأن السماوات قد رفعت فوق الأرض، وهكذا أساليبى قد رفعت فوق أساليبكم وأفكارى فوق أفكاركم)، وعلى ذلك أقول لكم إن اساليب القدرية ليست مكشوفة للناس ولكنها حقيقة كما قلت لكم).

ولن يتعين على الإنسان عندئذ أن ينكر الحقيقة لأنه لا يعرف الوسيلة، بكل تأكيد لم أر أحدًا يرفض الصحة، ولكن الوسيلة التى تدب بها الصحة فى بدن الإنسان غير معروفة، وحتى الآن أنا لا أعرف كيف يبرئ الله المرضى إذا ما لمستهم بيدى».

الإصحاح الثامن والستون بعد المائة

وقال التلاميذ بعد ذلك: «لقد تكلمت فأوضحت بشكل لم يوضح رجل قبلك ما أوضحت».

فقال عيسى: «صدقونى عندما اختارنى الله لأكون رسولاً لبنى إسرائيل، أعطانى كتابًا وكأنه المرآة الشفافة تنزل إلى قلبى، فلا أتكلم إلا بما كتب فيه، وعندما يفرغ ما سطر به، سأترك هذا العالم».

فأجاب بطرس: «يا معلم، هل ما تتكلم به الآن قد سطر فى هذا الكتاب؟».

فأجاب عيسى: «كل ما يتعلق بالله وملكوت الله وخدمة الله، وكل ما يتعلق بالإنسان وخلاص الإنسانية، هو من هذا الكتاب الذى هو إنجيلى».

قال بطرس: «هل فى هذا الكتاب شىء عن الجنة ومباهجها؟».

الإصحاح التاسع والستون بعد المائة

أجاب عيسى: «انصتوا لى سأحدثكم عن الجنة وحالها وكيف سيلزمها الصالحون والمؤمنون حتى أبد الآبدين، فمن مباهج الجنة أننا نرى كل شىء مهما عظم صغيرًا تافهًا، وكأنه لا شىء إذا ما كانت له نهاية.

الجنة هى البيت الذى يدخر فيه الله مباهجه، وهى مباهج عظيمة، وأرضها التى يخطو فوق أديمها الصالحون المباركون من أحجار ثمينة، حتى أن مثقال درهم واحد من ترابها أثمن من ألف عالم من عالمنا. لقد رأى أبونا داوود رسول الله مباهج الجنة إذ أراها الله له فجعله يلهج بها، وعندما عاد إلى نفسه أغلق عينيه بيديه وبكى قائلا: (لا تنظرا يا عيناى بعد الآن إلى هذا العالم فهو عالم فان لا خير فيه). وتكلم الرسول أشعيا عن مباهج الجنة فقال. (لقد أعد الله لمن أحبوه من مباهج الجنة ما لم تر عين أو تسمع أذن أو يدرك قلب، ألا تعلمون ماذا رأوا وماذا سمعوا وماذا أدركوا بقلوبهم، إنهم عندما كانوا يعيشون لم يصلوا إلى درجة يستأهلون فيها التمتع بهذه المباهج، وعليه فإن أبانا داوود عندما رأى مباهج الجنة لم يرها بعينى إنسان إذ انتزع الله روحه وضمها إليه فاتحدت بروحه، ورأى المباهج فى نور إلهى، ويحق الله الذى تقف روحى فى حضرته أقول لكم إن مباهج الجنة لا حد لها، أما الإنسان فهو فان ولا يستطيع أن يحيط بها علمه كما لا تستطيع القنينة الصغيرة المصنوعة من الصلصال أن تضم مياه البحر كله.

أمسكوا عليكم إذن هل تقدرون جمال العالم فى الصيف، وكم هو بديع عندما يحمل الشجر ثماره، فتجد الفلاح وقد انتشى بفرحة لا حد لها، فالمحصول قد أتى فيغنى وترد عليه الأودية والجبال غناءة فهو يحب عمله حبًّا جمًّا.

والآن افتحوا قلوبكم واذكروا الله وتمنوا أن تكونوا فى الجنة، فكل شىء فيها يحمل ثماره وهذه

الثمار كفؤا لمن بدعها وبحق الإله الحى يكفى ما ذكرته لكم من معلومات، فالله قد خلق الجنة لتكون مكانًا لمباهجه.. ولتتفكروا فى الخير العميم الذى لا حد له، وفى الأشياء الجميلة التى لا حد لها والجمال الذى لا حد له ألا يكون معه أشياء جميلة لا حدود لجمالها واحذروا أن تخطئوا إذا ما ظننتم أن الله لا يمتلك هذه المباهج».

الإصحاح السبعون بعد المائة

لقد قال الله تعالى للإنسان الذى سوف يخدمه بإخلاص: «إنى أعرف عملك، وأعرف أنك تخدمنى وأنك تعبدنى وأنك تجنى حبًّا لن يفوق كرمى وجودى، وأنا الحى الأبدى الخالد، ولما كنت تعبدنى كإله خلقك، وتعلم أنك من صنعى وإبداعى وأنك لم تسألنى سوى الرحمة والعطف والمغفرة فى خدمتك لى بإخلاص، ونظرًا لأنك تتفانى فى خدمتى وعبادتى، وترغب فى عبادتى إلى الأبد، هذا ما سأفعله وأجيبك إليه، إنى سأجيبك كما لو كنت إلـها، وكما لو كنت مساويًا لى، ولسوف أضع بين يديك ما فى الجنة من خيرات، بل سأعطيك نفسى هدية، ذلك حتى لو كنت ترغب فى أن تكون خادمى وعبدى أبد الآبدين، ولسوف يكون جزاؤك دائمًا أبديًّا».

الإصحاح الحادى والسبعون بعد المائة

قال عيسى لتلاميذه: «ما هى الجنة؟ كيف تتصورونها؟ وهل هناك عقل يستطيع أن يلم بكل ما بها من ثراء ومباهج؟ إذا ما كان للإنسان أن يقدر ما بها من مباهج، وما بها من وفرة، وجب عليه أن يكون على معرفة كمعرفة الله، فهو يعرف إرادته سبحانه وتعالى، وما يريد أن يعطى وما يريد أن يحبس عن عبيده، هل تعلمون كيف تكون هدية هيرودس إذا أراد أن يهدى أحد أوليائه، وكيف يهديها له؟».

أجاب يوحنا: «لقد رأيت ذلك مرتين، وإنى أقول إن عشر هدية من هداياه يكفى رجلا فقيرا».

فقال عيسى: «ولكن ما هى الهدية التى يعطيها هيرودس لرجل فقير».

أجاب يوحنا: قد تكون فلسًا أو فلسين».

فليكن هذا ديدنكم الذى يرشدكم إذا أردتم أن تدرسوا الجنة، فكل ما أعطاه الله للإنسان فى هذا العالم ليصلح به بدنه، يتناسب مع ما يعطيه هيرودس لرجل فقير، ولكن الذى يعطيه الله للإنسان جسدًا وروحًا فى الجنة، يفوق كثيرًا جدًّا ما يعطيه هيرودس حتى وإن أعطى بدنه وحياته لأحد من مواليه».

الإصحاح الثانى والسبعون بعد المائة

قال عيسى:

«إن الله سبحانه وتعالى قال لمن يحبه ويعبده مخلصًا، اذهب وتدبر رمال البحر يا عبدى العزيز، وعدها عدًا ما أكثرها، فإذا أعطاك البحر رملة واحدة فهلا يبدو لك ذلك قليلا، بلى ولكنى أنا خالقك أقول لك بحياتى إن كل ما أعطيته للأمراء والملوك، على هذه الأرض، وفى هذا العالم، لهو أقل من حبة رمل يعطيك البحر، إذا ما قورنت بما سوف أعطيك فى جنتى».

الإصحاح الثالث والسبعون بعد المائة

قال عيسى: «تفكروا فيما عليه الجنة من وفرة، فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أعطى الإنسان فى هذه الدنيا أوقية من الرفاهية، فإنه سيعطيه فى الآخرة مليون أوقية، تفكروا فى كمية الفواكه التى ينتجها هذا العالم أو كمية الطعام أو الزهور أو أى شىء آخر يحتاجه الإنسان. وبحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، إذا ما بقى فى البحر من رمال بعد أن يأخذ كل فرد رملة واحدة فإن تين الجنة سواء فى كميته أو فى نوعه لأفضل بكثير من هذا التين الذى نأكله وبنفس المقياس نجد جميع الأشياء التى فى الجنة أفضل وأكثر من مثيلاتها هنا، زد على ذلك أقول لكم بالحق إن مباهج الجنة أثمن من أية مباهج اقتناها أمير من الأمراء فى هذا العالم، أو قد يقتنيها أمير أو كل أمراء هذا العالم إلى يوم القيامة عندما ينتهى العالم، وإذا ما كان جبل من ذهب ولؤلؤ أثمن من ظل نملة فإن مباهج الآخرة بالمثل أثمن من كل ما فى هذه الدنيا من نعم».

فأجاب بطرس: «هل يذهب جسدنا الذى نرتديه الآن إلى الجنة معنا؟».

فأجاب عيسى: «احذر يا بطرس أن تكون من الصدوقيين، فهؤلاء يقولون أن لا قومة للجسد ولا توجد ملائكة، وبالتالى سوف يحرمون جسدًا وروحا فى الجنة، كما هم محرومون فى عالمنا هذا من معاونة الملائكة، أنسيتم أيوب نبى الله وحبيبه ألم يقل: (إنى أعلم أن ربى حى قيوم وإنى عندما تقوم قيامتى سأكون بجسدى، وبعينى أرى الله مخلصًا).

صدقونى فإن أجسادنا يوم القيامة سوف تظهر، ولن تحمل خاصية من الخصائص التى تحملها الآن، ولسوف تتطهر من الشهوة والرغبة وتعود إلى ما كانت عليه قبل أن يعصى آدم ربه.

كان هناك رجلان يخدمان سيدًا واحدًا فى نفس العمل وبنفس القدر، وكان الأول يلاحظ العمل ويعطى أوامره إلى الثانى، وكان الثانى ينفذ العمل ويعمل ما يتلقاه من أوامر الأول، فهل ترون من العدل أن يكافىء السيد واحدًا منهما دون الآخر؟ مثلا الملاحظ الذى يعطى الأوامر هل يكافئه ويطرد من منزله الثانى الذى يشقى ويتعب، بالحق لا كيف يكون عدل الله فى مثل هذا الأمر، فروح الإنسان وبدنه شيئان متكاملان فى جسم الإنسان لخدمة الله. فالروح ترى وتأمر إذ هى لا تأكل الخبز

ولا تصوم، ولا تحس ولا تسير، ولا تشعر بالبرد أو الحر ولا تمرض ولا تقتل.. فالروح خالدة فهى لا تفنى ولا تحس بالأحاسيس البدنية التى يحس بها البدن من ألم وفرح، فهل من العدل أن تذهب الروح وحدها إلى الجنة لا البدن الذى شقى وتعب فى خدمة الله».

فأجاب بطرس: «يا معلم، لقد تسبب البدن فى أن تقترف الروح المعصية فهل مع ذلك يذهب إلى الجنة؟»

فأجاب عيسى: «كيف يتأتى للبدن أن يقترف المعصية بدون الروح؟ إن هذا مستحيل، وعلى ذلك لو استثنينا البدن من رحمة الله، فإننا نكون فى الواقع قد حكمنا على الروح بأنها مذنبة وبالتالى مكانها النار».

الإصحاح الرابع والسبعون بعد المائة

«وبحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، لقد وعد الله سبحانه وتعالى المخطئ برحمته فى نفس الساعة التى يتوب فيها توبة نصوحا وأنه لن يذكر له بعد ذلك ظلمه ومعصيته.

والآن ما الذى سيأكل اللحم فى الجنة إذا لم يذهب البدن إليها؟ هل ستأكله الروح لا فهى روح».

فأجاب بطرس: «إذن من يباركهم الله يأكلون فى الجنة، ولكن كيف يبرز البدن بدون نجاسة».

أجاب عيسى: «هل يبارك الله البدن إذا لم يأكل أو يشرب، بكل تأكيد إننا نعطى المجد بقدر يتناسب مع ما نمجده ولكنك أخطأت يا بطرس فى التفكير بأن مثل هذا البدن سيبرز نجاسة، فالبدن فى الوقت الحاضر يأكل طعامًا فاسدا ويبرز نجاسة، ولكن البدن فى الجنة باق وخالد وخال من كل بؤس وشقاء، والطعام الذى يأكله لا يحدث به فساد وبالتالى لا يبرز نجاسة».

الإصحاح الخامس والسبعون بعد المائة

قال المسيح: لقد قال سبحانه وتعالى متحدثًا مع أشعياء النبى منزلا سخطه بالمفسدين الأشرار.

قال الله: «سيجلس عبيدى إلى مائدتى فى بيتى ويفرحون فرحًا كبيرًا، ولسوف يسمعون المغنى والموسيقى من هارب وأرغون، ولن يحتاج عبيدى شيئًا، أما أعدائى فلسوف أبعدهم عنى، ولسوف يموتون فى بؤس، ولسوف يحتقرهم عبادى الصالحون».

الإصحاح السادس والسبعون بعد المائة

قال عيسى لتلاميذه: «وما هى نتيجة قولنا أنهم سوف يفرحون ويستمتعون، لقد تكلم الله كلامًا صريحًا، ولكن ما هو الغرض من وجود أربعة أنهار فى الجنة فيها مشروبات عجيبة وفواكه متنوعة، مع أن الله سبحانه وتعالى لا يأكل ولا يشرب، كذلك لا يأكل الملائكة ولا يشربون والروح أيضًا

لا تأكل ولا تشرب، والإحساس نفسه لا يأكل ولا يشرب، وعلى ذلك تكون مباهج الجنة للبدن أى اللحم أما النفس والحس فلهما الله ومحادثة الملائكة والأرواح التى باركها الله، ولسوف يكشف الغطاء رسول الله الذى يعرف كل هذه الأشياء أكثر من أى مخلوق آخر والذى خلق الله كل هذه الأشياء محبة له».

قال بارثليميو «يا معلم هل مباهج الجنة ولذاتها واحدة على السواء لكل شخص إذا ما كانت واحدة فليس هناك عدل وإذا كان هناك فرق فلسوف يغبط من ينال منها حظًا قليلا من ينال حظًا أكبر ؟».

أجاب عيسى: «لن تكون مباهج الجنة واحدة لكل الناس، فالله حق وعدل، ولكن سوف يشعر كل فرد بالراحة والقناعة، فليس فى الجنة أحد يغبط الآخر أويحسده، قل لى يا بارثليميو هناك سيد له عدد كبير من الخدم، وهو يكسيهم كلهم بنفس الثياب فهل يتكدر الأولاد الذين يلبسون ثياب الأولاد لأنهم لا يلبسون ثياب الرجال، الأمر على العكس فإذا أراد كبار السن أن يكتسى الأولاد بثياب من ثيابهم، فإنهم يلبسون ثيابًا أكبر من حجمهم. وبالتالى يظنون أنهم موضع استهزاء وسخرية والآن يا(بارثليميو) افتح صدرك لله فى الجنة، ولسوف ترى أن الجميع يتمتعون بمجد واحد وأن نال بعضهم حظًا أكثر من الآخر، ولكن هذا التفاوت لن يؤدى إلى غيرة أوحسد».

الإصحاح السابع والسبعون بعد المائة

ثم سأل كاتب هذا الإنجيل: «يا معلم، هل تستمد الجنة نورها من الشمس كما تستمد أرضنا نورها من الشمس؟».

أجاب عيسى: يا برنابا هذا ما قاله الله لى، قال إن العالم الذى يسكنه الإنسان الذى يعصى ربه فيه، يتكون من الشمس والقمر والنجوم التى تزين السماء لمنفعتكم ولبهجتكم، ولهذا خلقتها أتظن إذن أن المنزل الذى يسكنه المؤمنون سيكون أفضل.

«لاشك أنكم تخطئون إذا ماظننتم أننى إلهكم سأنير الجنة بنفسى وأصبح شمسها، ويكون رسولى القمر الذى يتلقى عنى كل شىء، وتكون النجوم أنبيائى التى تبلغكم إرادتى، ولسوف يلتقى المؤمنون بى والذين تلقوا كلمتى عن طريق أنبيائى سينالون بالطريقة نفسها البهجة والحبور فى الجنة التى هى مقر مباهجى».

الإصحاح الثامن والسبعون بعد المائة

قال عيسى: «هل اكتفيت يا بارثليميو بهذا القدر من المعرفة عن الجنة؟». فرد (بارثليميو) قائلا: «يا معلم صبرك وحلمك علىّ إذا سألتك سؤالا واحدًا فقط».

أجاب عيسى: «اسأل ما شئت».

قال بارثليميو: «لا شك فى أن الجنة واسعة، فهى كما أرى تحتوى على خيرات عظيمة إذن لابد أن تكون واسعة وشاسعة الأرجاء».

أجاب عيسى: «الجنة عظيمة ولن يستطيع إنسان أن يحيط بها أو يقيسها، والحق أقول لكم، إن هناك تسع سموات تسكنها الكواكب والنجوم بعضها يبعد عن الآخر مسيرة خمسمائة سنة، والأرض تبعد عن السماء الأولى مسيرة خمسمائة سنة.

ولكن أرجو أن تتوقف عند قياس السماء الأولى فهى واسعة جدًّا، وما الأرض - بأكملها إلا حبة رمل إذا قيست بها، كذلك السماء الثانية، فهى أكبر من الأولى والثالثة أكبر من الثانية وهكذا نجد أن كلا منها أكبر مما قبلها، حتى تصل إلى السماء التاسعة والأخيرة، والحق أقول لكم إنها أكبر من الأرض وجميع السموات معًا، على الرغم من أن الأرض أكبر من حبة الرمل».

فقال بطرس: «لابد أن الجنة أكبر من الله يرى فى الجنة».

قال عيسى: «احفظ لسانك، لأنك بدون قصد أخطأت وقلت نكرًا».

الإصحاح التاسع والسبعون بعد المائة

أتى بعد ذلك الملاك جبريل وأطلعه على مرآة تنير كالشمس وقد كتب عليها ما يلى: «وإنى وأنا الخالد الأبدى أقول إن الجنة أكبر من السموات والأرض جميعًا، وأن الأرض كلها أكبر من حبة الرمل وأنا أكبر من الجنة، وبقدر ما يضم البحر من حبات الرمل وبقدر ما فى البحر من قطرات الماء، وبقدر ما يحمله العشب من أوراق، وبقدر ما تحمله الأشجار من أوراق، وبقدر ما تحمله الحيوانات من جلود، وبقدر ما يوجد من رمال بل أكثر بكثير مما تكفى لملء السموات والجنة، بل أكثر من ذلك انى أعظم وأعظم.

فقال عيسى: «فلنصل لله سبحانه وتعالى الذى بورك أبد الآبدين فاركعوا مائة مرة، واسجدوا على الأرض ووجوهكم إليها مصلين لله تعالى».

وعندما انتهت الصلاة نادى عيسى على بطرس وقال له ما رآه بحضور جميع التلاميذ. فقال لبطرس: «إن روحك التى هى أكبر من الأرض تستطيع بعين واحدة أن ترى الشمس التى هى أكبر ألف مرة من الأرض».

فقال بطرس: «هذا صحيح».

ثم قال عيسى: «وهكذا سوف ترى الله خالقنا عن طريق الجنة وبعد أن قال هذا شكر الله ربنا وصلى من أجل إسرائيل، ومن أجل المدينة المقدسة»، وأمن الجميع على كلامه.

الإصحاح الثمانون بعد المائة

كان عيسى فى يوم من الأيام فى رواق سليمان، فدنا منه أحد الكتبة وكان ممن يخطب فى الشعب، ثم خاطبه قائلا: «يا معلم كثيرًا ما خطبت فى الشعب ولكن هناك فى الكتاب عبارة لا أفهمها».

فقال عيسى: «وما هى؟».

فقال الكاتب: «هذه العبارة التى قالها الله لإبراهيم أبينا قال: (سأكون لك جزاك العظيم)، فقل لى يا معلم: كيف يكون الله جزاء للإنسان، وكيف يستحق الإنسان مثل هذا الجزاء».

ففرح عيسى وابتهجت روحه وقال: «إنك لست بعيدًا عن ملكوت الله.. أنصت إلى فلسوف أحدثك عن معنى هذه الكلمات إن الله خالد إلى الأبد أما الإنسان فهو فان، والإنسان لا يستحق الله هل تشك فى هذا»؟

فبكى الكاتب وقال: «يا معلم إنك تعلم ما فى قلبى، فتكلم، إن روحى لتشوق إلى سماع صوتك».

فقال عيسى: «وبحق الإله الحى إن الإنسان لا يستحق هذا النفس البسيط الذى يتلقاه كل ثانية وكل لحظة، فجاء الكاتب إلى جانبه مستمعًا إليه، وراح تلاميذه بعجبون لكلامه لأنهم كانوا يذكرون ما قاله عيسى إنهم إذا ما أعطوا لله شيئًا من حبهم، فإنهم يتلقون فى مقابله مائة مرة مثل ما أعطوا.

ثم قال: «إذا ما أقرضك شخص مائة قطعة من الذهب وإذا صرفت هذه القطع، هل تستطيع أن تقول للرجل الذى أقرضك سأعطيك ورقة عنب فاسدة فى مقابل ذلك، أو أن تقول له أعطنى بيتك فأنا أستحقه»؟.

فرد الكاتب: «لا يا معلم يجب عليه أولا أن يدفع ما اقترضه، فإذا ما رغب فى شىء آخر أعطى المالك ما يساوى ما يريد من الأشياء الطيبة، ولكن ما فائدة ورقة عنب فاسدة؟».

الإصحاح الحادى والثمانون بعد المائة

أجاب عيسى: لقد أحسنت القول يا أخى، وعليه قل لى من الذى خلق الإنسان من عدم؟ بكل تأكيد هو الله، وهو الذى أعطى الإنسان العالم كله لينتفع به، ولكن الإنسان نتيجة معصيته قد فقده. فالمعصية قلبت العالم ضد الإنسان فحط عليه البؤس ولم يعد لديه شىء يعطيه لخالقه سوى بعض أعمال شابتها الخطيئة فهو يعصى الله كل يوم وبارتكابه الخطيئة يفسد عمله، حيث قال النبى أشعيا: (إن أعمالنا الصالحة لقماش ملوث بطمث امرأة).

كيف إذن يستطيع الإنسان أن يبرهن على جدارته (وهو غير قادر) أن يرضى الله، هل يعود ذلك يا ترى إلى أن الإنسان قد تجنب المعصية، لقد قال الله سبحانه وتعالى عن طريق نبيه داوود، (يخطىء

الصالح كل يوم سبع مرات)، فكم مرة يا ترى يخطىء الرجل الفاجر، وإذا ما كان الصالحون مناغشاشون، فكيف يكون إذن المفسدون؟ وبالله الحى ليس هناك خزى أكثر من عبارة (إنى أستحق)، فليعلم الإنسان يا أخى ما عملته يداه، وسيرى ما إذا كان يستحق ما يطلب من عدمه وحتى الأشياء الطيبة التى يأتيها الإنسان فإنها فى الحقيقة ليست من عمله، ولكنها من عمل الله وعن طريقه، فالإنسان كأى كائن حى يريد أن يدين لله الذى خلقه والذى يفعل من الأشياء ما يأمر به الله، وإذا أراد الإنسان أن يعارض خالقه ويعصيه فهو يستحق العذاب لا الثواب.

الإصحاح الثانى والثمانون بعد المائة

لقد خلق الله الإنسان وكما أقول إنه لم يخلقه فحسب بل أحسن تقويمه، لقد أعطاه العالم بأكمله كما أعطاه ملاكين يحرسانه بعد أن ترك الجنة، ثم والى إرسال الأنبياء إليه، ثم وهبه الشريعة والقانون، ثم أعطاه الإيمان، ثم أخذ يحميه فى كل لحظة من الشيطان، والله تعالى يتوق إلى أن يعطى الإنسان الجنة، بل أكثر من الجنة، فالله يعطى نفسه للإنسان ولنتفكر الآن فى هذا الدين الذى يدين به الإنسان ربه، فإنه دين كبير، ولا يمكن أن ينمحى إلا إذا قام الإنسان بخلق مثيل له من العدم، وأن يخلق أنبياء بقدر ما أرسل له الله، وأن يخلق له عالمًا وجنة، بل أكثر من ذلك أن يخلق آلهة أعظم وأحن وأطيب من خالقنا، ثم يعطى الله كل ذلك، وهكذا يسدد الإنسان دينه لله ولا يتبقى إلا أن يشكر الإنسان ربه، ولكن لما كان الإنسان لايستطيع أن يخلق ذبابة، ولما كان الله واحد لا شريك له خالق كل شىء، فإن الإنسان لن يستطيع أن يسدد دينه، وكيف يسدده فمثلا إذا ما أقرضك رجل مائة قطعة من الذهب، وجب عليك أن تردها مائة قطعة من الذهب.

وعلى ذلك فإن معنى هذا يا أخى، أن الله بوصفه صاحب الجنة وصاحب كل شىء، له أن يقول ما يشاء ويعطى من يشاء، ومن ثم فإن الله عندما قال لإبراهيم إنى سأكون جائزتك الكبرى، لم يستطع إبراهيم أن يقول الله جائزتى، بل قال إن الله هديتى ودين علىّ وبالتالى إذا أردتم أن تخاطبوا الناس أيها الأخوة وتعلموهم وتشرحوا لهم هذه العبارة قولوا لهم إن الله سيعطى الإنسان كذا وكذا من الأشياء إذا ما عمل الإنسان بجد وحماس.

«وعندما يكلمك الله يا إنسان ويقول لك يا عبدى لقد عملت بجد وبمحبة فأى جزاء تريد منى..؟ أجب أيها الإنسان (يا ربى إنى أعلم أنى من صنع يديك وعليه ما كان يجب أن أقترف معصية يرحب بها الشيطان، ومن ثم فإنى أرجو منك يا ربى أن ترحمنى وتغفر لمن صنعته يداك).

وإذا ما قال الله: (لقد غفرت لك ومع ذلك أتوق إلى أن أهبك هبة)، «فأجب يا إنسان» (ربى إنى أستحق عقابًا على ما اقترفت، أما أنت فلك المجد لما عملته من أجلى، فعاقبنى جزاء ما قدمت يداى واستبق هذا الذى كتبته من جزاء).

وإذا ما قال الله (وما العقاب الذى تظنه يتناسب مع معصيتك؟)، «فلتكن إجابتك»: (كل ما تنزله

من عقاب بالمذنبين جميعًا أنا أستحقه يا ربي). «وإذا ما قال الله»: يا عبدي الأمين المؤمن لماذا تسعى إلى أكبر عقوبة أنزلها بك «فلتكن إجابتك» (لو نال كل فرد منهم قدر ما أخذت لكانوا أشد إخلاصًا مني في عبادتك). «وإذا قال الله تعالى»: (ومتى تريد أن أنزل بك هذا العقاب، ولأي مدة تريد؟)، «فلتكن إجابتك»: (الآن يا ربي وإلى أبد الآبدين).

«وبحق الإله الحي الذي تقف روحي في حضرته، فإن مثل هذا الرجل الذي يجيب مثل هذه الإجابات ينال من محبة الله وعطفه أكثر مما يناله الملائكة جميعًا، فالله يحب التواضع الحقيقي ويكره التكبر».

وبعد ذلك شكر الكاتب عيسى وقال له: «يا معلم، فلتتعطف بالذهاب إلى منزل خادمك لتأكل اللحم أنت وتلاميذك معي».

فأجاب عيسى: «إني سآتي معك إذا وعدت أن تناديني بأخي، وليس بسيدي أو بربي، وسأقول إنك أخي ولست بخادمي».

فوعد الرجل عيسى، فذهب إلى بيته وتلاميذه.

الإصحاح الثالث والثمانون بعد المائة

بينما هم جلوس إلى المائدة قال الكاتب: «يا معلم لقد قلت إن الله يحب التواضع الحقيقي، قل لنا ما هو التواضع، وكيف يكون حقيقيًا أو مزيفًا؟

فأجاب عيسى: «الحق أقول لكم، إن من لا يتواضع حتى يصبح كالطفل الصغير لن يدخل ملكوت الله».

فعجب كل من سمع ذلك وقال الواحد منهم لأخيه: «والآن كيف يصبح الشخص صغيرًا كالطفل في حين هو يبلغ الثلاثين أو الأربعين بكل تأكيد هذا قول صعب».

فأجاب عيسى: «بحق الإله الحي الذي تقف روحي في حضرته لم أنطق إلا بالحق لقد قلت لكم إن على الإنسان أن يصبح كالطفل الصغير فهذا تواضع حقيقي، فأنت إذا ما سألت طفلا صغيرًا من الذي عمل لك هذه الأثواب لرد عليك بقوله: أبي، وإذا سألته: من صاحب المنزل الذي تعيش فيه؟ لقال لك: إنه منزل أبي وإذا سألته: من الذي يتولى طعامك؟ لرد عليك: أبي، وإذا سألته: من الذي علمك المشي والكلام؟ لأجابك: أبي، ولكن إذا سألته: من الذي جرح جبهتك وكانت جبهته قد عصبت بسبب جرح ألم بها، فلسوف يقول لك لقد سقطت فجرحت جبهتي، وإذا سألته: لماذا سقطت، فلسوف يجيبك ألا ترى أني صغير فلا أقوى على السير والجري كرجل كبير، وإذا تعين عليّ أن أسير في ثبات لوجب على والدي أن يأخذ بيدي، ولكن لكي أتعلم السير تركني والدي مدة بسيطة، ولما كنت أرغب في أن أجري سقطت. وإذا سألته وماذا قال أبوك فلسوف يجيبك: لماذا لم تمش في بطء حتى لا تقع تذكر ذلك في المستقبل عندما لا أكون بجانبك».

الإصحاح الرابع والثمانون بعد المائة

قال عيسى: «أليس هذا حقيقى»؟

فأجاب التلاميذ والكاتب «إنه حقيقى فى غالبه».

قال عيسى: «من ذا الذى يعترف من قرارة قلبه بأن الله هو صاحب كل خير، وأنه هو نفسه صاحب الخطيئة، فإذا ما اعترف بذلك كان متواضعًا حقًا، ولكن هذا الذى يتحدث كما يتحدث الطفل، ثم تأتى أعماله متناقضة مع أقواله فتواضعه كاذب، وتكبره حقيقى.

والتكبر أو التفاخر يصل إلى منتهاه إذا ما استغل الإنسان أشياءً بسيطة، لا تستدعى اللوم أو النهر أو الازدراء أو الاحتقار، فالتواضع الحقيقى هو بانعـزال النفس فيعرف الإنسـان حقيقة نفسـه أما التواضع الكاذب فهو عبارة عن ضباب من جهنم يجعل التفكير مضطربًا، وبالتالى يجعل الشخص ينسب إلى الله ما يجب أن ينسبه إلى شخصه، وعليه يقول الرجل الذى يتواضع تواضعًا كاذبًا إنه من جانبه لم يخطئ بل أتى أعمالا صالحة، وإذا ما قال له أحد إنه مخطئ ثار حنقه وراح يضطهده.

وهل تعلمون أيها الإخوة كيف يسير الفريسيون فى حاضرنا؟.

فأجاب الكاتب وهو يبكى: «يا معلم الفريسيون فى يومنا يرتدون ملابس الفريسيين وينتحلون اسمهم ولكنهم فى قلوبهم وفى أفعالهم كنعانيون، لقد اغتصبوا هذا الاسم حتى يستطيعوا أن يدخلوا الغفلة على البسطاء، يا للماضى، لقد أذقتنا الظلم والقسوة، فقد أخذت منا الفريسيـين الحقيقيين، وتركت لنا الفريسيين الكذبة».

الإصحاح الخامس والثمانون بعد المائة

أجاب عيسى: «أيها الأخوة لم يكن للوقت دخل فى هذا ولكن العالم الشرير هو الذى فعل ذلك، ففى كل وقت يمكننا أن نعبد الله عبادة حقة، ولكننا بامتزاج الناس مع العالم أى مع العادات الفاسدة الشريرة فيه يفقدون صلاحهم ويصبحون أشرارًا، واعلموا أن (جهازى) خادم النبى كذب ووصم سيده بالعار، إذ أخذ نقود نعمان السورى وكل ما كان لديه، ومع ذلك كان لدى اليسع عدد كبير من الفريسيين وكان لهم نبيا مرسلا.

والحق أقول لكم إن الإنسان بطبعه ميال إلى الشر، وإن العالم يثير فى الإنسان أشياء كثيرة، كما إن الشيطان يحضه على فعل الشر، أما الفريسيون فى يومنا هذا، فهم يتجنبون كل عمل صالح وكل مثل يرضى عنه الله ويرون أن مثل (جهازى) بالنسبة لهم يكفى ليكون مثلا مستهجنًا».

فرد الكاتب قائلا: «إنه لحقيقة تقريبًا ثم قال عيسى: «وإنى لأود أن تقص علينا مثل حجى، وهوشع، وكلاهما من أنبياء الله، حتى نتعرف على الفريسيين الحقيقيين».

فقال الكاتب: «يا معلم، ماذا أقول؟ بالحق كثيرون لا يصدقون على الرغم من أن دانيال النبى قد كتبها، ولكننى إطاعةً لأمرك سأقص عليك الحقيقة.

«كان حجى يبلغ الخامسة عشرة من عمره، فباع ما ورثه عن أبيه ووزعه على الفقراء وترك أناءوث ليخدم النبى وكان عوبيديا رجلاً مسناً، وعلم مدى تواضع حجى وكان يستعين به لتعليم تلاميذه وكثيرًا ما قدم له الملابس والطعام الجيد، ولكن حجى كان يرد ذلك قائلا للمرسال الذى يحمله إليه عد إلى منزل سيدك لأنك قد أخطأت. هل يرسل لى أنا هذه الأشياء؟ بالتأكيد لا لأنه يعلم أنى لا أصلح لشىء ولا اقترف إلا المعاصى، وعندما كان يصادف عوبيديا شيئًا لا يرضى عنه، كان يعطيه لمن يجلس إلى جانب حجى ليراه، وإذا ما رأى حجى ما بيد جاره قال له: أمسك عليك، لا شك أن عوبيديا قد نسينى، فهذا الشىء الذى بيدك يصلح لى أنا. فأنا أسوأكم جميعًا وليس هناك أشر مما معك ذلك الذى تلقيته من عوبادية، ومنحنى الله إياه لقد صار كنزًا.

الإصحاح السادس والثمانون بعد المائة

كان عوبيديا يريد أن يعلم كيف يصلى الفرد، فكان ينادى على حجى ويقول له: «اتلو الصلاة حتى يسمعك كل الناس، ثم يقول حجى: يا إله إسرائيل، انظر برحمتك نحو خادمك الذى يتطلع إليك لأنك أنت الذى خلقته، أيها الإله العادل عاقب خادمك على ما اقترفه من معصية عملا بعدلك، حتى لا أفسد لك عملا. سبحانك ربى إنى لا أستطيع أن أسالك المباهج والنعم التى وهبتها لعبيدك، فأنا لا أفعل شيئًا غير الخطايا والمعاصى يا ربى. عندما تنزل بعبد من عبيدك المرض أو العاهة، أذكرنى أنا حتى أمجدك.

وقال الكاتب «وعندما فعل حجى هذا أحبه الله حبًا جعله يعطى كل من يقف بجواره هبة النبوة، ولم يسأل حجى الله شيئًا إلا وأعطاها له.

الإصحاح السابع والثمانون بعد المائة

قال الكاتب الطيب قوله وانخرط فى البكاء كما لو كان بحارًا انفطر قلبه وهو يرى سفينته تتحطم.

ثم قال: «عندما ذهب هوشع ليعبد الله، كان فى ذلك الوقت أميرًا لقبيلة نفتالى، وكان عمره أربعة عشر عامًا وكان قد باع نصيبه فى التركة ووزعه على الفقراء، ثم اتجه إلى حجى، ليكون فى خدمته تلميذًا من تلاميذه، وكان هوشع ممتلئًا بشعور الإحسان، وكان عندما يسأله أحد عن شىء يملكه يقول: «لقد أعطانى ربى هذا الشىء لك، فخذه يا أخى أرجوك أن تقبله».

وحدث أن تبرع بجميع ملابسه ولم يبق له غير جلبابين، الأول جلباب مصنوع من الخيش، والثانى من جلد الحيوان، فباع ما ورثه وأعطاه للفقراء حتى لا يقال إنه فريسى ويملك جلبابين، كان لدى هوشع كتاب سيدنا موسى الذى كان يقرؤه فى شغف ونهم كبيرين، وفى يوم من الأيام قال له حجى:

«اسمع يا هوشع، من الذى أخذ منك كل ما كنت تملك؟»

فقال: «كتاب موسى».

ويبدو أن أحد التلاميذ المجاورين كان يتوق للذهاب إلى القدس، وكان لا يملك زعبوطًا، ولما سمع بكرم هوشع ذهب يبحث عنه حتى وجده وقال له: «يا أخى إنى أتوق إلى زيارة القدس لأقدم الضحية لله، ولكن ليس لدى زعبوط ولا أدرى ماذا أفعل»

وسمع هوشع هذا الكلام منه فقال له: «العفو ياأخى، فلقد أتيت معصية كبرى فى حقك، لأن الله قد أعطانى زعبوطًا لأعطيه إياك، ولكنى نسيت الأمر كلية، فأرجوك أن تتقبله منى، صلِّ لله واشكره».

فصدق الرجل كلام هوشع وتقبل الزعبوط وانصرف عنه، ولما ذهب هوشع إلى منـزل حجى، قال الأخير له من الذى أخذ منك الزعبوط فأجاب هوشع «كتاب موسى».

فرح حجى كل الفرح لسماعه هذا القول، لأنه كان يدرك ما عليه هوشع من كرم وطيب خلق.

وحدث أن اللصوص قابلوا شخصًا وانتزعوا ما عليه من ثياب، وتركوه كما ولدته أمه، ولما رآه هوشع خلع عنه قميصه وأعطاه إياه، ولم يترك على نفسه سوى قطعة من جلد الماعز صغيرة تكاد تغطى الأجزاء الخاصة جدًا، ثم انصرف عن رؤية حجى، ولما افتقده ظن أنه مريض، فأخذ تلميذين من تلاميذه وذهب يبحث عنه حتى وجده، وقد غطى نفسه بسعف النخيل، فقال له حجى: «قل لى، لماذا لم تأت لزيارتى؟».

فأجاب هوشع: «لقد أخذ القميص منى كتاب موسى، وخفت أن آتى إليك بدونه وعندئذ أعطاه حجى قميصا آخر.

وحدث فى مرة من المرات أن رأى هوشع شابًا من الشباب وهو يقرأ فى كتاب موسى، فقال له: «إنى أستطيع أن أتعلم القراءة، لو كان لدى كتاب مثلك، فما كان من هوشع إلا أن أعطاه الكتاب، وقال له: «إنه كتابك، فقد أعطاه الله لى لأعطيه لمن يرغب فيه، وأخذ يبكى».

وبالفعل صدقه الرجل وأخذ منه الكتاب.

الإصحاح الثامن والثمانون بعد المائة

كان تلميذ من تلاميذ حجى قريبًا لهوشع، فذهب لزيارته ليرى ما إذا كان كتابه قد كتب بخط جيد أم لا . وقال له: «يا أخى خذ كتابك ولترى هل كتب بخط جيد أم لا؟»

فأجاب هوشع: «إنه كتابى وقد أخذ منى» فرد التلميذ: «من هو الذى أخذه منك؟».

فأجاب: «كتاب موسى» ولكن التلميذ ذهب إلى حجى وقال له: «لقد ذهب عقل هوشع إذ يقول إن كتاب موسى قد أخذ منه كتاب موسى».

فقال حجى: «يا أخى ياليتنى كنت مجنونًا جنون هوشع وياليت المجانين جميعًا كانوا فى جنون هوشع.

وحدث أن اللصوص السوريين أغاروا على أرض يهودا وأسروا ولدًا يتيم الأب كان يسكن بالقرب

من جبل كرمل حيث يسكن الفريسيون، وحدث أن هوشع ذهب ليحتطب فقابل امرأة تبكى، وفى الحال بدأ يبكى بدوره، وكان ينفحم بالبكاء إذا رأى أحدًا يبكى ويضحك ملء شدقيه إذا رأى أحدًا يضحك، وبعد فترة سأل هوشع المرأة لم تبكين فقصت عليه قصتها.

فقال هوشع: «تعالى يا امرأة، فقد أراد الله تعالى أن يرد عليك ولدك» وذهب كلاهما إلى الجليل، حيث باع نفسه وأعطى ثمنه للمرأة التى لم تكن تعلم من أين جاء بهذه النقود فقبلتها منه وذهبت واستعادت ولدها.

وحدث أن الذى اشتراه ذهب به إلى القدس، حيث كان له فيها منزل.

وراح حجى من جانبه يبحث عن هوشع، ولكنه لم يجده فانتابه الجزع، ولكن ملاك الرب ذهب إليه وأخبره أن هوشع قد أصبح عبدًا، وأنه فى القدس، ولما سمع حجى الطيب هذا أخذ يبكى مفتقدًا هوشع، كما تبكى المرأة ابنها، ثم نادى على تلميذين من تلاميذه وذهب معهما إلى القدس وما أن وصلوا إلى بوابتها وبإرادته تعالى وجدوا هوشع وقد حمل حملًا كبيرًا من الخبز لعمال بستان سيده..

ولما تعرف حجى على هوشع قال له: «يا بنى كيف نسيت والدك بهذه السرعة؟ وهو الذى يفتقدك كل صباح ومساء».

فأجاب هوشع: «يا أبتِ إنى لست حرًّا، فقد باعونى»

وثار غضب حجى قائلًا: «ومن هو الفاسد الشرير الذى باعك».

فأجاب هوشع: «يرحمكم الله يا والدى إن الذى باعنى رجل طيب كل الطيبة ولولا أنه على هذه الأرض لما كان فيها ولى صالح.

فأجاب حجى: «ومن هو إذن؟».

فرد هوشع: «يا أبتِ إنه كتاب موسى».

فوقف حجى الطيب مكانه، كما لو كان الكتاب بجواره فقال: «يا ليت كتاب موسى يبيعنى أنا وأطفالى جميعًا كما باعك».

وبعد ذلك ذهب حجى، ومعه هوشع إلى بيت سيده ولما رآه قال: تبارك الله الذى أرسل نبيه ورسوله إلى منزلى» وهرول إليه ليقبل يده، فقال له حجى: «قبل يدى عبدك الذى اشتريته، فهو يفضلنى، ثم روى له كل ما حدث وبالتالى أنعم عليه سيده بحريته، فذهب مع حجى وقال له الكاتب: «هذا كل ما رغبت فيه ياسيدى».

الإصحاح التاسع والثمانون بعد المائة

قال عيسى: «هذا حق، فقد أكد لى ذلك ربى، وليعلم كل فرد أن هذا هو الحق، وباسمه تعالى ولتقف الشمس فى مدارها ولا تتحرك اثنتى عشرة ساعة لو كان هذا غير الحق. وهكذا حدث وقابلته القدس ويهوذا بالفزع الأعظم.

ثم قال عيسى للكاتب: «يا أخى ما الذى تبقى أن تتعلمه منى وأنت على مثل هذا العلم، وبحياته

سبحانه وتعالى، إن علمك يكفى لخلاصك وخلاص أى إنسان آخر، وكما كان حجى متواضعًا وكما كان هوشع كريمًا محسنًا، فقد كانا يعملان بشريعة الله ورسله اخبرنى يا أخى عندما أتيت لتسألنى فى المعبد، هل ظننت ولو لفترة عابرة أن الله أرسلنى لكى أدمر شريعته وكتب رسله.

بكل تأكيد، إن الله تعالى لا يريدنى أن أفعل ذلك، فهو ثابت على حاله لا يتغير ولا يتبدل وعلى ذلك فإن ما أمر به الله هو خلاص للإنسان، لقد أمر الرسل كلهم أن يقولوه، وبحق الله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، لو أن كتاب موسى، وكتاب داوود لم يتناولهما التحريف،اولو لم يدخل الفريسيون الكذب، والحكماء التقاليد الكاذبة على الكتابين، ما أرسلنى الله وأعطانى كلمته، وما جعلنى أتكلم عن كتاب موسى وكتاب داوود، وقد حرفت رسالتاهما تحريفًا مما جعلهما غريبتين فى يومنا هذا، ولكن الله هو الذى أمر بكل ذلك، ولكن الإنسان يحاول أن يعرف ماذا يقول الحكماء فى كل هذا، فى حين يلاحظ الفريسيون ما حدث وكأن الله أخطأ، وكأن الإنسان هو المعصوم عن الخطأ.

يا ويل هذا الجيل غير المؤمن الذى تقع على رأسه دماء كل نبى، ودماء كل رجل صالح مع دماء زكريا بن برخية الذى قتل مابين المعبد والمذبح، من هم الرسل الذين لم يضطهدونهم، وكم من رجل صالح أذاقوه العذاب حتى الموت؟ لا أحد يعرف تقريبًا، واليوم يسعون إلى قتلى، إنهم يتفاخرون بأنهم أولاد إبراهيم وأنهم أصحاب هذا المعبد الجميل، وبحق الله الحى إنهم أولاد الشيطان وإنهم ينفذون إرادته، وعليه سوف يقع الخراب على المعبد والمدينة المقدسة، حتى لن يبقى حجر على حجر فى هذا المعبد».

الإصحاح التسعون بعد المائة

قل لى يا أخى وأنت الحكيم المتفقه فى الشريعة، لقد أعطى الله وعده لأبينا إبراهيم بأن يكون المسيح من نسله، فهل هو من فرع إسماعيل أو من فرع إسحاق؟».

فقال الكاتب: «ياسيد إنى أخشى أن أقول لك هذا فعقاب ما أقوله لك الموت».

فقال عيسى: «يا أخى لقد أزعجنى أن آتى ضيفًا عليكم فى منزلكم، لأنكم تحبون الحياة الدنيا أكثر من حبكم لله خالقكم، ولهذا السبب فأنتم تخافون أن تفقدوا الحياة ولكنكم لا تخافون أن تفقدوا إيمانكم، والحياة الأبدية تلك الحياة التى سوف تذهب عنكم إذا ما تحدث لسانكم بما يخالف الحقيقة التى يعرفها قلبكم عن شريعة الله».

وهنا بكى الكاتب وقال: «يا معلم، لو كان فى استطاعتى أن أعرف كيف أبدع الثمار لما ترددت فى أن أبشر بكثير من الأشياء التى تركت الكلام عنها حتى لا تثور الفتنة بين الناس».

فأجاب عيسى: «ما عليك وما كان لك أن تحترم كل الاحترام الناس والعالم أو حتى الصالحين، بل الملائكة إذا ما كان فى ذلك سبب فى التقول على الله.

وعليه، فليهلك العالم بأسره ذلك أفضل من أن أخطئ فى حق الله خالقى، وليس من حقى أن

أحافظ على هذا العالم عن طريق الخطيئة والمعصية فالخطيئة تدمر وتخرب لا تبقى ولا تعمر، أما الله تعالى فهو القوى القادر على أن يخلق الكثير من عوالمنا فى عدد رمال البحر أو أكثر».

الإصحاح الحادى والتسعون بعد المائة

قال الكاتب: «العفو يا معلم، لقد أخطأت وعصيت الله».

قال عيسى: «فليرحمك الله ويعفو عنك، فقد كانت معصيتك ضده».

فقال الكاتب: «لقد رأيت يا معلم كتابًا قديمًا بخط موسى ويوشع الذى جعل الشمس تقف فى مدارها، وهم من عبيد الله ورسله وهذا الكتاب هو كتاب موسى الصحيح، وفيه نجد أن إسماعيل هو والد المسيح، وأن إسحاق هو والد رسول المسيح، وجاء فى الكتاب (يا إله إسرائيل أيها القوى الجبار أعرض على عبدك وخادمك آياتك العظمى، وعليه أظهر له سبحانه وتعالى رسوله بين ذراعى إسماعيل كما أظهر له إسماعيل بين ذراعى إبراهيم وبالقرب من إسماعيل وقف إسحاق وكان بين ذراعيه طفل، وكان الطفل يشير إلى رسول الله، ويقول: «هذا هو الذى خلق الله من أجله جميع الأشياء».

وكان موسى يصيح فى فرح وابتهاج «يا إسماعيل اذكرنى على الرغم من أنك تحتضن بين ذراعيك العالم كله والجنة كلها، اذكرنى أنا عبد الله، فقد يتعطف علىّ سبحانه وتعالى ويتشفع لى ابنك الذى خلق الله من أجله الأشياء كلها».

الإصحاح الثانى والتسعون بعد المائة

وفى هذا الكتاب لم يرد مطلقًا أبدًا أن الله يتغذى على لحم الأغنام أو البقر، كذلك لم يرد أن الله قد قصر رحمته على إسرائيل وحدها، بل وسعت رحمته كل شىء، وكل إنسان خلقه الله وابتغى حقًا الرحمة فنالها.

ولم أستطع أن أقرأ كل الكتاب لأن كبير الكهنة الذى كنت أعمل فى مكتبته قد حرم علىّ قراءته، لأن الذى كتبه أحد أبناء إسماعيل، ثم قال عيسى: «اخرس وانطق بالحق دائمًا، فالله سبحانه وتعالى سينعم على الإنسان باسم المسيح برحمته وغفرانه وبدون ذلك لن يكون هناك خلاص للإنسان».

وعندئذ أنهى عيسى كلامه وجلسوا يأكلون اللحم، ودخلت مريم التى كانت تبكى على قدمى عيسى فى منزل نيكوديماس، فقد كان هذا اسم الكاتب وأخذت تذرف الدمع عند قدمى عيسى قائلة: «إنى خادمتك يا معلم، لقد وجدت رحمة الله عن طريقك، هناك أخت وأخ لى مريضان يحوم حولهما الموت».

فأجاب عيسى: «وأين منزلك، قولى لى فسوف آت إليك وأصلى لله سبحانه وتعالى أن يشفى أخويك».

فأجابت مريم: بيثانى هى مقر أختى وأخى، أما منزلى ففى المجدل ويعيش أخى فى بيثانى».

وقال عيسى للمرأة: «اذهبى فورًا إلى منزل أخيك وانتظرينى، فلسوف أحضر لعلاجه ولا تخافى، فلن يموت».

خرجت المرأة، وذهبت إلى بيت أخيها فوجدته قد مات فى نفس اليوم ووضعوه فى مدفن أبيهم.

الإصحاح الثالث والتسعون بعد المائة

وبعد أن أمضى عيسى يومين فى منزل نيكوديموس رحل فى اليوم الثالث إلى بيثانى، وعندما اقترب من المدينة أنفذ تلميذين من تلاميذه ليبشرا مريم بمقدمه فخرجت تهرول من منزلها تاركة المدينة وراءها حتى وجدته، فبكت وقالت: «يا سيد لقد قلت إن أخى لا يموت، وبرغم ذلك فقد مات ودفناه فى المقبرة منذ أربعة أيام، وإنى لأطلب إلى الله لو كان قد بعثك قبل ذلك لما مات أخى».

فأجاب عيسى: «لم يمت أخوك، ولكنه نائم، ولقد جئت لأوقظه».

فردت عليه مريم قائلة: «يا سيد إنه لن يستيقظ من نومه إلّا فى يوم الحشر، عندما ينفخ ملائكة الرب فى الصور».

فأجاب عيسى: صدقينى يا مريم، إنه سوف يقوم قبل يوم الحشر لأن الله سبحانه وتعالى قد أعطانى قوة تغلب على نومه، والحق أقول لك، إنه لم يمت فالميت هو الذى يموت دون أن يشمله الله برحمته».

وقد عادت مريم لتعلن أختها مرتا بمقدم عيسى.

وكان قد اجتمع عند موت ليعازر عدد كبير من يهود القدس، وكثيرون من الكتبة من الفريسيين، ولما سمعت مرتا من أختها مريم بمقدم عيسى قامت فى عجلة وخرجت فلحق بها حشود من اليهود والكتبة والفريسيين ليواسوها، لأنهم ظنوا أنها ذاهبة إلى المدفن لتبكى على قبر أخيها، ولكنها ذهبت إلى المكان الذى تحدث فيه عيسى إلى أختها مريم وأخذت تبكى وتقول: «يا سيد إنى أتمنى على الله لو كنت هنا لا يموت أخى».

وجاءت بعدها مريم تبكى، فبكى عيسى، وقال: «أين وضعتموه ؟».

فقالا له: «تعالى وانظر».

راح الفريسيون يقولون لأنفسهم: «هذا الرجل قد أحيا ابن أرملة نايين، لماذا ترك هذا الرجل يموت ويتحمل آلام الموت، فى حين أنه قال: يجب ألا يموت».

وعندما وصل عيسى إلى المقبرة، حيث كان كل فرد يبكى قال لهم: تبكوا إن ليعازر نائم وجئت لأوقظه». فقال الفريسيون بين أنفسهم: «تمنى على الله أن تنام هذه النومة». فقال عيسى: «إن ساعتى لم تأت بعد ولكن عندما تأتى فسوف أنام مثل هذه النومة، ولسوف أصحو بسرعة وأردف قائلا: «ارفعوه عن المقبرة».

قالت مرتا: «يا سيد، إن رائحته عفنة، فقد مات منذ أربعة أيام».

فرد عيسى: «لماذا أنا هنا إذن يا مرتا ألا تعتقدين فيّ؟ ألا تعتقدين أنى سأوقظه؟».

فأجابت مرتا: «إنى أعلم أنك ولى صالح من أولياء الله، أرسلك إلى هذه الأرض».

وبعد ذلك رفع عيسى كفيه إلى السماء وقال: «سبحانك الله رب إبراهيم ورب إسماعيل، وإسحاق، ورب أجدادنا، لرحم هاته النسوة فى حزنها. والمجد لاسمك المقدس».

فردد الجميع كلمة: «آمين».

وقال عيسى بصوت مرتفع «ليعازر، قم فى التو والساعة».

وعليه قام ليعازر الذى كان ميتًا وتوجه عيسى بالكلام إلى تلاميذه فقال: «فكوه فقد كان فى كفنه وعلى وجهه فوطة. أى كان على هيئة آبائنا الذين دفنوا فى قبورهم وفق التقاليد المتبعة» اعتقدت حشود كبيرة فى عيسى، كذلك اعتقد فيه عدد كبير من الفريسيين الذين رأوا جميعًا معجزة الله العظيمة. أما هؤلاء الذين رفضوا الاعتقاد فيه وبقوا غير مصدقين فانصرفوا إلى القدس وأخطروا كبير الكهنة بحادث نشور ليعازر وكيف أن أعدادًا كبيرة قد غدت ناصرية، فقد كانوا يسمون هؤلاء الذين يتوبون إلى الله عن طريق كلمة الله التى كان يبشر بها عيسى ناصريين.

الإصحاح الرابع والتسعون بعد المائة

أخذ الكتبة والفريسيون يتشاورون مع كبير الكهنة ليذبحوا ليعازر لأن كثيرين كفروا بعقائدهم وتقاليدهم وأخذوا يعتقدون فى عيسى، بسبب المعجزة التى حدثت لليعازر وكانت معجزة كبرى، خاصة وأنهم رأوه يتكلم مع غيره من الناس ويشرب ويأكل ولما كان ليعازر قويًا وله أتباع وأحباء فى القدس، وله أملاك وأختان فى المجدل وبيت عينيا وبيسان، أسقط فى يدهم ولم يدروا كيف يتصرفون.

أما عيسى فقد دخل بيت عينيا وذهب إلى منزل ليعازر حيث قامت على خدمته مرتا وأختها مريم.

وفى يوم من الأيام كانت مريم تجلس عند قدمى عيسى وتستمع إليه وكانت مرتا تقول له: «انظر يا سيدى كيف تهتم بك أختى، وكيف أنها تقدم ما يجب أن تقدمه لتأكل أنت وتلاميذك».

فرد عيسى عليها: «مرتا، مرتا، هل تفكرين فيما يجب أن تقومين به خاصة وأن مريم قد اختارت لنفسها الدور الذى سيبقى لها، ولن يؤخذ منها أبد الآبدين؟».

وجلس عيسى إلى المائدة، وحوله عدد غفير جدًا ممن يعتقدون فيه، وتحدث إليهم قائلا: «أيها الإخوة لم يبق سوى وقت قليل أبقى معكم فيه اقتربت النهاية ويجب أن أترك هذا العالم، وإنى أذكركم بكلمات ربى التى تحدث بها إلى حزقيال النبى، قال: (إنى إلهكم الحى الخالد اعلموا أن الروح التى تعصى أو تأتى الخطيئة ستموت، أما إذا استغفر المخطىء فسوف يعيش ولا يموت).

وعلى ذلك فإن الموتة الحالية لا تعتبر وفاة، ولكنها نهاية موتة طويلة، حتى وإن انفصل الروح عن الحس فى إغمائه والبدن وإن كان يحتفظ بالروح داخله لا يمتاز عن الموتى الذين دفنوا إلا بهذا البدن

الذى دفن فهو ينتظر أمر الله بأن تدب فيه الحياة مرة أخرى، أما المغمى عليه إنما ينتظر عودة الشعور اليه.

انتبهوا إذن فالحياة الحالية هى الموت، لأنها لا تعرف الخالق سبحانه وتعالى».

الإصحاح الخامس والتسعون بعد المائة

«إن الذين يعتقدون فى أنهم لن يموتوا قط فعن طريق كلمتى سيعرفون الله فى داخلهم، وبالتالى سيعملون من أجل خلاص أنفسهم».

وما الموت الا عمل تقوم به الطبيعة بأمر من الله.. فمثلاً إذا ما أمسك شخص بطائر وربطه وقبض على الحبل بيده، وإذا ما أراد الطائر أن يطير، فماذا يحدث؟ بطبيعة الحال تصدر الأوامر إلى الجناحين فينبسطان ليطير الطائر، وأرواحنا كما قال النبى داوود مثل العصفور وقد تحرر من أحبولة الصياد، ذلك إذا خضع الإنسان لله، والحياة بالنسبة لنا كالحبل والطبيعة تحتفظ بالروح فى الجسم، كما تحتفظ بحواس الإنسان، وعليه إذا ما أراد الله وأمر الطبيعة أن تنبسط انتهت الحياة وخرجت الروح تحملها الملائكة التى أمرها الله سبحانه وتعالى بأن تستقبلها.

وعلى ذلك لا يجدر بالأصدقاء أن يبكوا إذا مات لهم صديق، فهذا أمر الله، ولكن فليبك الإنسان بدون توقف إذا ما أتى معصية فالمعصية تقتل الروح، إذ هى تنفصل عن الله وهو الحياة الحق.

وإذا ما أصبح البدن شيئًا مخيفًا بسبب انفصال الروح عنه، تصبح الروح مخيفة ومرعة إذا لم تتحد بالله سبحانه وتعالى الذى بفضله وآلائه ورحمته يضفى عليها الجمال كما يضفى عليها سرعة الاتصال به ولما قال عيسى قولته شكر الله تعالى ثم تحدث ليعازر وقال: «ياسيد، هذا البيت هو بيت الله خالقى اعترافًا منى بما أنعم علىّ به، وما أعطانى لخدمة الفقراء، ولما كنت ياسيد فقيرًا، ولك عدد كبير من التلاميذ، فاحضر هنا واسكن متى شئت ولأى فترة أردت، فعبد الله على استعداد لأن يقدم لك كل ما أنت فى حاجة إليه من أجل الله وبدون مقابل».

الإصحاح السادس والتسعون بعد المائة

ابتهج المسيح عندما سمع هذا الكلام وقال: «هل ترى إذن حلاوة الموت، لقد مات ليعازر مرة واحدة، وعلم ما لا يعلمه أحكم الناس وأعقلهم فى العالم، حتى لو كانوا قد عاشوا بين الكتب وتقدمت بهم الحياة ثم تمنوا على الله أن يموت الإنسان مرة واحدة فقط، ثم يعود لهذه الدنيا كما فعل ليعازر حتى يتعلم الإنسان كيف يجب أن يعيش.

سأل يوحنا، عيسى قائلاً: «يا سيدنا، هل تسمح لى بكلمة واحدة».

فرد عيسى: «بل ألف كلمة، فالإنسان يعمل فى عرض بضائعه وأعماله فى خدمة الله، وإنه يعمل أيضًا من أجل العقيدة، والإنسان كلما كان ملتزمًا وكلما كان للكلمة السلطة والقوة فى أن ترقع الروح

إلى مدارك التوبة، إلا أن السلع والبضائع لا تستطيع أن تعيد الحياة للإنسان الميت، وعليه يتساوى من كانت له السلطة، والذى يمتنع عن مساعدة الفقير حتى يموت من الجوع يتساوى مع القاتل والإنسان الذى يستطيع بكلمة من الله أن يقنع العاصى بأن يتوب، ثم لا يقنعه لهو قاتل شرير، بل أعظم ذنبًا منه إذا توقف كما لو كان كلبًا أبكم على حد قوله تعالى.

لقد قال الله تعالى (لسوف تهلك روح صاحب الخطيئة، لأنك أخفيت كلمتى، وإنى يا عبدى المؤمن أطالبك بأن تقوم بنصح المخطىء حتى يتوب)، ولننظر الآن إلى الكتبة والفريسيين لنرى حالهم فهم لديهم المفتاح، نعم ومع ذلك لا يدخلون، بل يمنعون الداخلين من الدخول فى الحياة الأبدية.

لقد سألتنى يا يوحنا أن تتكلم كلمة واحدة وقد استمعت إلى مائة ألف كلمة قلتها، الحق أقول لكم، من واجبى أن أستمع إليكم عشرة أمثال ما تسمعونه منى والذى لا يستمع لأخيه فى كل مرة يتحدث فيها إنما تركبه المعصية يجب أن نعمل للآخرين مانحبه لأنفسنا، ولا نعمل لهم مالا نحبه أو نرغبه».

فقال يوحنا: «ياسيدنا لماذا لم ينعم الله على بنى الإنسان بأن يموتوا ولو مرة ثم يعود إلى الحياة كما حدث لليعازر حتى يتعلم ويعرف نفسه؟».

الإصحاح السابع والتسعون بعد المائة

أجاب عيسى: «قل لى يا يوحنا لو حدث أن رب البيت أعطى أحد خدمه بلطة حادة حتى يقطع بها الأشجار التى تخفى منظر منزله، ثم حدث أن نسى الرجل البلطة فقال إن كان السيد يعطينى بلطة قديمة لقطعت بها وبكل سهولة الأشجار، قل لى يا يوحنا ما يكون جواب رب البيت؟ لاشك أنه يكون حانقًا ويأخذ بلطة قديمة وينزل بها على رأس خادمه قائلا له: يالك من أحمق ولئيم خبيث، أعطيتك بلطة جديدة حتى تستطيع أن تقطع بها الأشجار بدون مشقة أو تعب لك، ولكنك تطلب بلطة قديمة تنزل بك مشقة كبرى، كما أن كل ما تقطعه هو مضيعة للوقت ولا يصلح لشىء، إنى أطلب إليك أن تقطع الشجرة بطريقة سهلة حتى يصبح عملك طيبًا أليس كذلك».

أجاب يوحنا: «إنه الحق أو يكاد» ثم قال عيسى «لقد قال الله تعالى بحقى أنا الخالد الباقى، لقد أعطيت كل شخص بلطة حادة متمثلة فى منظر كل مدفن، فمن كانت أعماله طيبة، فهذه البلطة سوف تقتلع كل خطيئة أو معصية من قلبه وبدون ألم، وبالتالى ينعم بفضلى ورحمتى، ولسوف أعطيه حياة أبدية فى الآخرة فى مقابل ما أتى من أعمال طيبة فى الدنيا، ولكن الإنسان الذى لا يتذكر أنه فان برغم أنه يرى غيره من الناس يموتون الواحد تلو الآخر وقال: لو تمكنت من رؤية الحياة الأخرى لفعلت الخير وعلى مثل هذا الشخص أصب غضبى وحنقى، ولسوفاأبتليه بالموت ولن يتلقى بعد ذلك منى رحمة».

قال عيسى: «يا يوحنا يالها من ميزة عظيمة تلك التى يتعلمها الإنسان من أخطاء غيره، فهو يستطيع عندئذ أن يقف على قدميه».

الإصحاح الثامن والتسعون بعد المائة

ثم قال ليعازر: «يا معلم. الحق أقول لك إني لا أستطيع أن أفهم حكمة معاقبة الشخص الذي يرى الموت مرة أو مرات ويحمل إلى مقبرته. ثم لا يخاف الله خالقنا بعد أن دبت فيه الحياة. فهو يستحق العقوبة. ورجل مثل هذا كان من الواجب عليه أن ينسى العالم بما فيه. ولا يحاول أن يسيء إلى خالقه الذي أعطاه كل شيء».

وقال عيسى لتلاميذه: «إنك تناديني يامعلم ونعم ما تقول. فقد علمك الله - بما نطقت به - كيف تخاطبني. ولكن بماذا تلقبون ليعازر. الحق أنه سيد الأسياد والذين يهتمون بتعليم العالم الموعظة الحقة. الحق أنني علمتكم كيف تعيشون عيشة طيبة. أما ليعازر فلسوف يعلمكم كيف تموتون ميتة طيبة. ويحق الإله الحي لقد تلقى نعمة الرسالة استمعوا إلى كلماته فهي صحيحة. كما يجب أن تستمعوا إليه أكثر وأكثر. فما قيمة الحياة الطيبة إذا مات الإنسان ميتة سيئة».

قال ليعازر: «يا معلم إنك تجعل من الحق جائزة تشتهى. ولسوف يعطيك ربك الموهبة الكبرى».

ثم قال كاتب هذا الإنجيل: «يا معلم كيف يقول ليعازر الحقيقة عندما يوجه إليك هذه العبارة. (سيعطيك ربك الموهبة الكبرى). علماً بأنك قلت لنيكوديموس. إن الإنسان لا يستحق غير العقوبة. فهل ستنزل بك عقوبة من الله»؟.

أجاب عيسى: «إذا شاء الله سبحانه وتعالى أن ينزل بي عقوبة في هذا العالم. فذلك لأني لم أخدمه بنفس الأمانة التي كان يجب أن أخدمه بها.

ولكن الله قد أحبني وأدخلني واسع رحمته حتى أنه صرف عني أية عقوبة أستحقها ولكني سوف أتعذب بشكل آخر. فأنا أستحق العقوبة لأن الناس كانوا يدعونني الله. ولكن لما كنت قد اعترفت أمام الجميع بأنني لست إلهاً. وهذا حقيقي. كما اعترفت أيضًا بأنني لست المسيح. فإن الله سبحانه وتعالى قد صرف عني العقوبة. ولسوف يتلقى أحد الأشرار العقوبة باسمي. حتى لا يبقى لي منها سوى العار. وعليه أقول لك يابرتاليا إن الإنسان عندما يتكلم عما سينعم به الله على جاره دعوة تقول بأن جاره يستحق هذه النعمة. ولننظر إلى ذلك من ناحية أخرى عندما يتحدث الإنسان عما يعطيه الله له. عليه أن يقول الله يعطيني. وعليه ألا يقول إني أستحق هذه النعمة. لأن الله تعالى يفرح عندما يمنح رحمته عبيده متى اعترفوا بأنهم يستحقون النار لما اقترفوه من آثام.

الإصحاح التاسع والتسعون بعد المائة

إن رحمة الله واسعة حتى أنها تسع آلاف البحار. وإذا ما كانت هناك بحار بمثل هذا العدد. فلن تستطيع أن تطفئ شرارة من نار جهنم. ولكن دمعة واحدة من إنسان تائب إلى الله حزين تدم وطلب الصفح من الله. تطفيء جميع نار جهنم والله رحمته واسعة. فهو ينقذ الشخص التائب. وعلى ذلك فالله

يريد أن يخذل الشيطان ويظهر رحمته، فيحسب لكل عمل صالح أجره، يكافيء به عبده المخلص الذى يجب عليه أن يعامل غيره نفس المعاملة، أما الإنسان فعليه أن يحذر من القول (إن لى أجرًا)، لأنه بهذا يدان.

الإصحاح المائتان

وتحول بعد ذلك عيسى إلى ليعازر وقال: «يا أخى إنى أحتاج أن أعيش فى هذا العالم بعض الوقت، وإنى إذا كنت قريبًا من منزلك فلن أذهب إلى أى منزل آخر لأنك تمدنى بالموعظة الحسنة حبًّا فى الله وليس لشخصى أنا».

كان عيد الفصح اليهودى قد اقترب فجمع عيسى تلاميذه وقال لهم: «فلنذهب إلى القدس ونأكل خروف الفصح، وأنفذ بطرس، ويوحنا قائلا لهما: اذهبا إلى المدينة ولسوف تجدان حمارة قرب بوابتها ومعها جحش صغير، ففكا قيد الحمارة واجلبوها هنا إذ يجب علىّ أن أدخل القدس وأنا أركبها وإذا سألكم أحد قائلا لماذا تفكان قيد الحمارة، فقولا له إن معلمنا فى حاجة إليها، ومن ثم سيسمح لكما بإحضارها هنا، وذهب التلميذان إلى بوابة القدس ووجدا كل شيء كما قال عيسى حقيقة، وعليه أتوا بالأتان والجحش إليه، ووضعوا على الجحش أوشحتهم فركب عيسى، ثم حدث أن أبناء القدس سمعوا بمقدم عيسى الناصرى، فهب الرجال والأطفال إلى رؤيته والترحيب به ممسكين بأيديهم فروع شجر النخيل والزيتون، وقالوا «فليبارك الله هذا الذى يأتينا باسمه تعالى المسيح بن الله ابن داوود.

وقابل الفريسيون عيسى وأخذوا يؤنبونه قائلين: «انظر ماذا يقولون، ألا تأمرهم أن يصمتوا؟».

فقال عيسى: «بحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، إذا توقف الرجال عن الهتاف فإن الأحجار سوف تصيح ضد الفاسدين المفسدين أصحاب السوء الذين لا يؤمنون بالله». عندما قال عيسى ذلك، نطقت أحجار القدس فى صوت مجلجل، تبارك الذى يأتى إلينا باسم الرب إلهنا.

ومع ذلك استمر الفريسيون فى عدم إيمانهم واجتمعوا بعضهم ببعض وتداولوا للإيقاع به من حديثه.

الإصحاح الأول بعد المائتين

دخل عيسى إلى المعبد، وجاء الكتبة والفريسيون بامرأة عاهر، ضبطت فى أثناء نكاحها، وقالوا فيما بينهم «إذا ما حاول أن ينقذها، فهذا أمر لاتبيحه شريعة موسى، وبالتالى نستطيع بعصيانه شريعة موسى أن ندينه وإذا لعنها وحكم عليها بأنها مذنبة، فهذا أمر ضد ما يبشر به، إذ هو يبشر بالرحمة والتسامح، وبالتالى أتوا إلى عيسى وقالوا له: يا سيدنا لقد وجدنا هذه المرأة وهى تأتى الفحشاء، وقد أمر موسى فى مثل هذه الحالة أن ترجم، بماذا تقول أنت، فهبط عيسى وبأصبعه عمل ما يشبه شكل المرآة على الأرض وراح كل شخص ينظر إليها، ويرى ذنوبه، على أن الكتبة والفريسيين ألحوا أن

يجيبهم على سؤالهم، فوقف عيسى وأشار إلى المرآة بأصبعه وقال: «من منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر»، ثم انحنى نحو المرآة، ولما رأوا ذلك انصرفوا فرادى، وقد ملأهم الخزى والعار عندما شاهدوا خطاياهم، وقف عيسى ولم ير أحدًا فى المعبد غير المرأة، فقال لها: «يا امرأة، أين هؤلاء الذين حكموا برجمك ؟».

فأجابت المرأة وهى تبكى: «يا سيد، لقد انصرفوا، وبحق الإله الحى إذا ما عفوت عنى، فلن أرتكب المعصية مرة أخرى».

فقال عيسى: «تبارك الله، اذهبى فى طريقك ولا تأت الفحشاء، إن الله لم يرسلنى لأحكم عليك».

ورأى عيسى عندئذ الكتبة والفريسيين وقد اجتمعوا معًا، فقال لهم «ما قولكم إذا ما كان أحدكم يمتلك مائة شاة، وتاهت منه واحدة، هلا يذهب فى البحث عنها تاركًا وراءه باقى القطيع وعدده ٩٩ شاة، وإذا ما وجد الشاة الشاردة، فهلا يحملها فوق كتفيه ويعود بها ويدعو جيرانه ليفرحوا معه، إنكم إن وجدتم الشاة الشاردة، بالطبع فلسوف تفعلون ذلك.

أخبرونى، هل سيقل حب الله للإنسان الذى صنع من أجله هذا العالم، أعلنوا عن حبكم للشاة الشاردة، وبحق الله فى العفو ولسوف تكون هناك فرحة بين ملائكة الرحمن عندما يتوب المخطئ، إذ هو بتوبته يعلن عن رحمة الله الواسعة».

الإصحاح الثانى بعد المائتين

قال عيسى: «قل لى أيها يحب الطبيب المعالج أكثر، ذلك الذى لم يصب بمرض أم الذى عالجه الطبيب من مرض خطير وشفى ؟».

قال الفريسيون: «بكل تأكيد، إن من يحب الطبيب أكثر، ذلك الذى برئ من مرضه، أما الذى لم يصب بمرض على الإطلاق، والذى لم يذق عذاب المرضى سيحب الطبيب بعض الشىء».

فرد عيسى وهو حانق قائلا: «وبحق الإله الحى إن ألسنتكم تدينكم وتدين كبرياءكم وتعاليكم إن الله يحب أكثر المخطئ بعد توبته، والذى عرف قدر رحمة الله الواسعة عليه أكثر من الإنسان المستقيم الذى لم يخطئ، فهذا المستقيم لا يعرف رحمة الله، وبالتالى تكون فرحة ملائكة الرحمن بالنسبة للتائب الواحد أكبر من فرحتهم بـ٩٩ شخصًا ساروا على الطريق المستقيم.

وأين هؤلاء الذين لم يخطئوا قط فى أيامنا هذه ؟ وبحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته، فإن عدد المنحرفين لأكبر من عدد الذين لم ينحرفوا وحالهم مثل حال الشيطان.

أجاب الكتبة والفريسيون: «نحن وإن كنا من المخطئين، فإن الله سيتوب علينا ويرحمنا، قالوا ذلك لاختباره، لأن الكتبة والفريسيين إذا ارتكبوا معصية، كان ذلك بالنسبة لهم أكبر إهانة أمام الجمهور.

ثم قال عيسى: «إنى أخشى أن تكونوا صالحين ومخطئين، فأنتم إذا ارتكبتم معصية ثم أنكرتموها،

ووصفتم أنفسكم بأنكم صالحون، فأنتم فى الحقيقة منحرفون، وإذا ما كنتم فى وجدانكم تعتبرون أنفسكم صالحين وتقولون بألسنتكم بأنكم مخطئون، فأنتم بدون شك منحرفون وغير منحرفين».

وعندما سمع الكتبة والفريسيون هذا أسقط فى أيديهم وانصرفوا تاركين عيسى مع تلاميذه فى سلام ثم ذهب عيسى وتلاميذه إلى منزل سيمون الأبرص الذى شفاه الله من برصه على أيدى عيسى، واجتمع المرضى من الناس عند بيت سيمون وأخذوا يرجون عيسى أن يشفيهم.

وكان عيسى يعلم أن ساعته قد دنت، فقال: اجمعوا لى المرضى مهما كان عددهم، فالله قوى عزيز ورحيم بعباده».

فأجابوا: «لا نعلم أن هناك مريضًا غير هؤلاء فى القدس».

فبكى عيسى وقال: «يا قدس يا إسرائيل، إنى أبكى عليك، لأنك لا تعرفين يوم حسابك، وإنى أحببت أن أحولك إلى محبة الله خالقك وأجمع أبناءك تحت جناحك كما تجتمع الكتاكيت تحت جناح أمها ولكنك ترفضين ذلك، لقد قال الله تعالى محدثًا إياك:

الإصحاح الثالث بعد المائتين

(أيتها المدينة الغليظة القلب الملتوية العقل، لقد أرسلت إليك عبدى وخادمى حتى يتحول قلبك لعلك تتوبين، ولكنك يا مدينة الفوضى والاضطراب تناسيت ما أنزلته بمصر، وما أنزلته بفرعون حبًّا فيك يا إسرائيل، وكم من مرة بكيت يا إسرائيل حتى يعالج عبدى وخادمى جسدك مما أصابه من شقاء، ومع ذلك حاولت أن تقتلى عبدى وخادمى، لأنه أراد أن يعالج روحك ويطهرك من المعصية.

أتظنين أنك سوف تبقين يا إسرائيل ولن أعاقبك أو سوف تعيشين إلى الأبد، أو سوف يكون لكبريائك الفضل فى نجاتك من يدى؟ لا بكل تأكيد، إذ إنى سآتى بجيوش يأتمر عليها أمراء ويحيطون بك فى قوة واقتدار، وبنفس الطريقة سوف تحيط بك الهزيمة وتقعين فى أيديهم، فيذهب عنك كبرياؤك إلى الجحيم.

ولن أعفو عن المسنين أو الأرامل أو الأطفال ولكنى سأترك بك ويلات الجوع والسيف والسخرية.

أما المعبد الذى جنبته الإهانة برحمتى، فلسوف أجعله خرابًا بلقعًا مع المدينة، ولسوف تصبحين يا إسرائيل أسطورة وأمثولة بين الأمم، إن غضبى محيط بك وحنقى عليك لن يخف أو يهدأ.

الإصحاح الرابع بعد المائتين

أردف عيسى يقول مرة أخرى «ألا تعلمون أن هناك مرضى آخرين، ولكن أصحاء البدن فى أورشليم أكثر من أصحاء الروح، وحتى تعلموا الحقيقة أقول لكم أيها الناس «الله يشفيكم».

وما إن قال عيسى ذلك حتى شعر هؤلاء المرضى بأنهم أصحاء.

فبكى الناس عندما علموا بغضب الله على القدس وراحوا يصلون من أجل رحمته، ثم قال عيسى: «إذا ما بكت القدس على خطاياها ومعاصيها، ثم تابت وسارت فى طريقى، قال الله فإنى لن أتذكر ظلمها بعد الآن ولن أنزل عليها سخطى، كما ذكرت ولكن القدس تبكى من أجل ما بها من خراب، وليس لأنها عصتنى فى حين أنها أساءت إلى اسمى، وكفرت بى بين الأمم فازداد غضبى عليها واشتعلت بها الحرائق أكثر وأكثر اعلموا أننى أعيش إلى أبد الآبدين، وإذا ما صلى أيوب وإبراهيم وصمويل وداوود ودانيال خدمى وعبيدى مع موسى من أجل شعب هذه المدينة، فلن يخف غضبى عليها».

ثم دخل عيسى إلى المنزل وبقى الآخرون وعلى رءوسهم الطير.

الإصحاح الخامس بعد المائتين

وبينما كان عيسى يتناول عشاءه وتلاميذه فى بيت سمعان الأبرص، دخلت مريم شقيقة ليعازر إلى المنزل، ثم كسرت قنينة وأخذت ما بها من زيت وسكبته فوق رأس عيسى وردائه، ولما رأى يهوذا الخائن ذلك حاول أن يمنع مريم مما فعلت قائلا لها اذهبى وبيعى الرائحة واحضرى ثمنها لأوزعه على الفقراء.

فقال له عيسى: «لماذا تمنعها دعها وشأنها، ويكفى ما معك من نقود للفقراء ولسوف تكون معك دائمًا نقود لهم».

فأجاب يهوذا: «يا معلم ثمن هذه الرائحة ٣٠ قطعة من النقود، وإنى أترك لك تقدير عدد الناس الذين يمكن مساعدتهم».

فأجاب عيسى: «يا يهوذا إنى أعلم ما فى سريرتك، فكن صبورًا ولسوف أعطيك كل شىء».

كان كل واحد يأكل وهو خائف، وكان كل واحد من تلاميذه يشعر بالأسى والحزن، فقد أحسوا بقرب رحيل عيسى عنهم، أما يهوذا فكان ساخطًا لأنه أدرك أنه قد خسر ٣٠ قطعة من النقود إذ لم تبع المرأة قنينة الرائحة، وكان يهوذا يختلس عشر ما يعطى لعيسى.

فذهب إلى كبير الكهنة وكان مجتمعًا مع الكهنة والكتبة والفريسيين الذين تحدث إليهم عيسى من قبل وقال لهم: «كم تعطونى فى مقابل أن أسلم لكم عيسى الذى يتوق بنفسه أن يتوّج ملكًا على إسرائيل».

فأجابوا جميعًا: «وكيف تستطيع أن توقعه فى أيدينا».

فقال يهوذا: «عندما أعلم أنه سيخرج إلى أرباض المدينة ليصلى، سأحضر إليكم وأسير بكم إلى حيث يكون، إذ يستحيل أن تقبضوا عليه فى المدينة دون أن يحدث شغب».

فأجاب كبير الكهنة: «إذا ما استطعت أن توقعه فى أيدينا، كافأناك بثلاثين قطعة من الذهب، ولسوف ترى أننى أحسن معاملتك كل الإحسان».

الإصحاح السادس بعد المائتين

وعندما أتى اليوم الموعود ذهب عيسى إلى المعبد ومن خلفه جموع غفيرة واقترب منه كبير الكهنة وقال له: «قل لى يا عيسى هل نسيت أنك لم تعترف حتى الآن فأنت لست إلها، ولا أنت ابن الله، ولا حتى المسيح المنتظر؟».

فأجاب عيسى: «بكل تأكيد لا ولم أنس، فهذا هو اعترافى الذى أحمله أمام ربى لمحاسبتى يوم الحساب، فكل ما كتب فى صحف موسى هو الحقيقة من ناحيتى، فإن الله خالقنا إله واحد، وأنا عبد ربى، وأتوق إلى خدمة رسوله الذى تسميه بالمسيح.

فقال كبير الكهنة: «وما الذى يدعوك إلى أن تأتى المعبد ومعك هذا الجمع الغفير من الناس فهل يا ترى تحاول أن تنصب نفسك ملكًا على إسرائيل، إنى أحذرك حتى لا تجابه الأخطار.

فأجاب عيسى: «لو أنى كنت حريصًا على مجدى، ولو أنى كنت راغبًا فى حظ ما من هذا العالم لما هربت عندما حاول أهالى نينوى أن ينصبونى ملكًا صدقنى فإنى لا أبغى شيئا من هذا العالم».

فقال الكاهن الأكبر: «إذن فنحن نريد أن نعلم شيئًا عن المسيح». وما إن قال ذلك حتى التف الكهنة والكتبة والفريسيون حول عيسى.

أجاب عيسى: «ما هو ذلك الشيء الذى تبحث عنه فى مسألة المسيح، هل ترغب أن أقول لك كذبًا بكل تأكيد لن أنطق بكلمة كذب، فإنى إن كذبت لأرحتكم فأنتم تكرهوننى وتريدون قتلى».

فقال كبير الكهنة: «عرفت فقط أن الشيطان فى ظهرك، فأنت سمرائى ولا تحترم كهنة الله».

الإصحاح السابع بعد المائتين

أجاب عيسى: وبحق الله الحى أن الشيطان ليس فى ظهرى ولكننى أسعى إلى طرد الشياطين ولهذا السبب فإن الشيطان يثير العالم ضدى لأننى لست من هذا العالم ولكننى أسعى نحو الله له المجد والعظمة فهو الذى أرسلنى إلى هذا العالم فاستمعوا لى إذن فلسوف أقول لكم من هم هؤلاء الذين تركبهم الشياطين، وبحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته أقول إن كل من يعمل بإرادة الشيطان يخضع للشيطان والشيطان فى ظهره بل إنه يضع لجام إرادته فى يده ويتحكم فيه كما يشاء ويجعله ظالما شريرا ونحن نعلم أن القماش إذا ما خيط حمل اسما آخر على الرغم من أنه لا يزال قماشا وهكذا الناس فهم من مادة واحدة ولكنهم يختلفون من حيث عمل الشيطان فيهم.

وإذا كنت قد أتيت خطيئة وأنا أقر بذلك فلماذا لا تؤنبوننى كأخ لكم بدلا من أن تكرهونى كعدو لكم علما بأن أعضاء الانسان تخشى بعضها على بعض ويحاول العضو أن ينقذ العضو الآخر بفضل اتصالهم واتحادهم فى الرأس أما هؤلاء الذين انفصلوا عن الرأس فلا خلاص لهم، فمثلا إن يد

الإنسان لا تشعر بألم رجل إنسان آخر ولكن يتألم الجسم الذى تتحد فيه مع الأعضاء الأخرى وبحق الإله الحى الذى تقف روحى فى حضرته فإن الذى يخاف الله ويخشاه يحب خالقه الذى هو على استعداد دائم ليرحمه ولما كان الله لا يحب أن يرى العاصى أو المخطئ يموت ولكنه ينتظره مع العصاة والمخطئين الآخرين فقد يتوبون إليه، فإذا كنت عضوا فى البدن الذى أنا عضو فيه كان عليك أن تساعدنى فى العمل طبقا لما تمليه رأسى.

الإصحاح الثامن بعد المائتين

إذا كنت ظالما فأنبنى، ولسوف يحبك الله على ذلك لأنك فى هذه الحالة تقوم بتنفيذ إرادته، ولكن إذا لم يؤنبنى أحد فهذا دليل على أنكم لستم من أبناء إبراهيم كما تدعون ولا أنتم أعضاء مع البدن والرأس الذى يضم إبراهيم وبحق الإله الحى لقد أتى إبراهيم أشياء عظيمة، فكان يحب الله ولم يكتف بتحطيم الأصنام الكاذبة ويستغفر لأبيه وأمه بل كان على استعداد لأن يضحى بابنه فى طاعة الله.

فأجاب الكاهن الأكبر: إنى أسألك سؤالا، ولا أسعى إلى مقتلك، قل لنا من هو ابن إبراهيم الذى كان سيضحى به.

قال عيسى: يارب.. وبحق اسمك وشرفك الذى يبعث فى الحمية والحركة لا أستطيع إلا أن أقول الحق.. الحق أقول إن إسماعيل هو ابن إبراهيم الذى أراد أن يضحى به ومن صلبه سينزل المسيح الذى وعد الله إبراهيم به والذى تباركت قبائل الأرض وشعوبها به وفيه..

وهنا غضب كبير الكهنة غضبا عظيما وصاح قائلا هذا الشخص كافر ويجب رجمه، فهو من سلالة اسماعيل، وقد تحدث بالسوء ضد موسى وضد شريعة الله وعندئذ التقط الكتاب والفريسيون والشيوخ والناس الحجارة ليرموا بها عيسى ولكنه اختفى عن أعينهم، وخرج من المعبد وأخذ الكهنة والكتبة والفريسيون وكبار السن يرجمون بعضهم بعضا وقد طاش تفكيرهم وحميت رغبتهم فى قتل عيسى وغلا حنقهم وأعمت كراهيتهم أنظارهم فمات فى هذا الحادث ألف رجل كما نجسوا المعبد المقدس، أما التلاميذ والمؤمنون بعيسى فكانوا قد رأوه وهو يخرج من المعبد إذ لم يكن بالنسبة لهم خيالا متخفيا وبالتالى تبعوه إلى منزل سمعان.

ثم جاء نيقو ديموس وأخذ يتشاور مع عيسى فى الخروج من القدس إلى ما وراء نهر قدرون قائلا:

«يا معلم.. إنى أملك منزلا وبستانا وراء قدرون وإنى لأرجو أن تذهب إلى هناك مع تلاميذك حتى تهدأ هذه الكراهية التى أبان عنها الكهنة لك ولسوف أمدك بما تحتاج إليه وقد يكون من الأفضل أن يبقى غالبية التلاميذ فى منزل سمعان ومنزلى والله يرزقنا وهذا ما فعله عيسى، وأخذ معه التلاميذ الاثنى عشر الأوائل والذين يسمون بالحواريين.

الإصحاح التاسع بعد المائتين

فى نفس الوقت كانت مريم البتول أم عيسى تقف فى صلاتها.. فجاءها جبريل وروى لها ظلم الغير لابنها عيسى قائلا: «لا تخافى يا مريم.. إن الله سيحميه من العالم».

على أن مريم أخذت تبكى وغادرت الناصرة وجاءت إلى القدس حيث ذهبت إلى أختها مريم سالومى باحثة عن ابنها.

ولما كان عيسى قد لجأ سرا إلى ما وراء نهر قدرون، لم تستطع أن تراه فى هذا العالم، إلا بعد أن أحضره الملائكة ميخائيل وروفائيل واوريل[1] ومعهم جبريل بأمر من الله إلى والدته بعد حادث الخزى الذى وقع.

الإصحاح العاشر بعد المائتين

عندما سكن الاضطراب فى المعبد نتيجة انصراف عيسى اعتلى الكاهن الأكبر على درك فى المعبد وأشار بيديه أن اسكتوا، ثم قال: أيها الإخوة ماذا نفعل؟ ألا ترون أنه قد خدع العالم كله بسحره الشيطانى الجهنمى والآن كيف اختفى إذا لم يكن ساحرا، فلو كان حقا من الصالحين ونبيا من عند الله لما سب الله سبحانه وتعالى ولا أهان موسى عليه السلام عبده وخادمه والمسيح الذى هو أمل اسرائيل، ماذا أقول لكم؟ لقد أغرق فى إهانة الكهنة وإنى لأقول لكم إن العالم إذا لم يتطهر منه فإن اسرائيل تصبح ملوثة نجسة، ولتركنا العالم طعمة للأمم.

اسمعوا لى.. إنى لأتساءل كيف أصبح هذا المعبد المقدس فى تفكيره مكانا رجسا.. وعلى هذا المنوال أخذ كبير الكهنة يتكلم حتى أن الكثيرين تركوا عيسى وبالتالى أصبح موضع الكراهية حتى أن الاضطهادات السرية تحولت إلى اضطهادات علنية لدرجة أن الكاهن الأعظم ذهب إلى هيرودس والحاكم الرومانى واتهم عيسى بأنه يسعى إلى تنصيب نفسه ملكا على اسرائيل، بل جلبوا معهم شهودا كاذبين يؤيدون ما يقولون.

وعلى ذلك عقد الثلاثة اجتماعا عاما تداولوا فيه ضد عيسى وكانوا يحسبون كل حساب للأمر الامبراطورى الذى أصدره الرومان بمجلس شيوخ روما، فقد جعلهم فى خوف مما يفعلون، إذا كان مجلس الشيوخ بروما قد أرسل أمرين فى شأن عيسى، نص الأول على تحريم تلقيب عيسى الناصرى نبى اليهود بلقب إله أو ابن الإله ونص على أن عقوبة من يخالف ذلك هى الموت، أما الأمر الثانى فقد نص على إعدام كل من يؤمن بأن عيسى الناصرى نبى مرسل إلى اليهود، وكان من نتيجة هذين الأمرين أن انقسم الناس على أنفسهم إلى قسمين كبيرين، فبعضهم كا يرغب فى مكاتبة روما من

(١) اوريل هو إسرافيل.

جديد ضد عيسى أما القسم الثانى فكان ينادى بترك عيسى وحده بغض النظر عما قاله أو دعا إليه باعتباره أحمق على حين كان هناك آخرون يرددون المعجزات الكبيرة التى أتاها عيسى.

وتكلم كبير الكهنة بأن اللعنة سوف تنزل على كل من كان يتحدث دفاعًا عن عيسى، ثم توجه بالحديث إلى هيرودس والى الحاكم قائلا سواء كان هذا أوذاك فبين أيدينا أمر سيىء ويجب أن نواجهه، فنحن إذا ما قتلنا هذا الشخص العاصى نكون قد خالفنا أمر القيصر وإذا ما تركناه يعيش ونصب نفسه ملكا لا ندرى ما سينتهى إليه أمرنا وعندئذ وقف هيرودوس وراح يهدد الحاكم قائلا: اعلم أنك بمحاباتك لهذا الرجل سوف تقوم الثورة فى هذه البلاد وعندئذ سوف أتهمك أمام قيصر بأنك ثائر، وهنا خاف الحاكم أن يصل الأمر إلى مجلس الشيوخ وتصافى مع عدوه هيردويس فقد كان كل منهما يكره الآخر حتى الموت وما اجتمعوا فى رأى إلا على موت عيسى، ثم قال ما يلى موجها كلامه للكاهن الأكبر: إذا ما علمت بمكان هذا الضال أرسل إلينا ولسوف نؤيدك بالجند وكأن هذا الاتفاق قد جاء تحقيقا لنبوة داوود الذى تكهن بما سوف يحدث لعيسى نبى الله إلى اسرائيل قائلا: لقد تكاتف أمراء وملوك الأرض على نبى الله إلى اسرائيل لأنه أعلن خلاص العالم.

وفى هذا اليوم راحت الجموع تبحث عن عيسى فى جميع انحاء القدس.

الإصحاح الحادى عشر بعد المائتين

وقف عيسى فى مواجهة تلاميذه فى منزل نيقو ديموس وراء نهر قيدون قائلا «لقد حان وقت رحيلى عن هذا العالم، تماسكوا ولا تحزنوا، فإنى أينما ذهبت لا أشعر بشدة البلية.

والآن هل تصبحون أصدقاء لى، لا تحزنوا لما يحل بى من راحة ورفاهية؟.

بالطبع لا.. إن حزنتم تكونون أعداء لى.. وعندما يفرح العالم ستحزنون فهذا الفرح يتحول إلى بكاء، ولكن حزنكم يتحول إلى فرح وإذا ما فرحتم فهو فرحكم ولا أحد يستطيع أن ينتزعه منكم.. فالفرح الذى يشعر به قلب الإنسان ووجدانه فى الله خالقه لن يستطيع العالم مطلقا أن ينتزعه منه، وإنى أرجو ألا تنسوا كلمات الله الذى حدثكم بها عن طريقى وأنى لأرجو أن تصبحوا شهودا لى على أى شخص يحاول أن يفسد الشهادة التى شهدتها بإنجيلى على هذا العالم وضد جميع هؤلاء الذين مالوا إلى الدنيا وغرقوا فى حبها.

الإصحاح الثانى عشر بعد المائتين

ثم رفع عيسى يديه إلى أعلى وأخذ يدعو الله قائلا: ربى إلهى وإله إبراهيم وإله إسماعيل واسحاق يا إله آبائنا وأجدادنا، انزل رحمتك بهؤلاء الذين يسلموننى ونجهم من هذا العالم، إنى لا أقول أمتهم، وخذهم من هذه الدنيا، فمن الضرورى أن يقفوا شهودا ضد هؤلاء الذين سوف يحرفون إنجيلى ويفسدونه، وإنى أرجوك يا إلهى أن تحفظهم من كل ضر حتى يحضروا معى يوم الحساب ويشهدوا على

العالم وعلى بيت اسرائيل الذى أفسد توراتك يا ربى يا إلهى أيها القادر أيها الغيور العظيم انتقم من هؤلاء الذين يأتون الزنى انتقم من أبنائهم حتى الجيل الرابع، وأنى أدعوك ربى أن تنزل لعنتك إلى الأبد على كل من يحاول افساد انجيلى الذى أعطيتنى إياه عندما يكتبون أنى ابن الله، فأنا من الطين والتراب خادم لخدمك بل إنى لم أفكر قط أن أكون خادمك الأول، فأنا لا أستطيع أن أعطيك يا ربى شيئا ماديا فى مقابل آلائك الكثيرة التى أنعمت على حتى أصبح كل شىء ملكى يا الهى يا ربى أيها الرحمن الرحيم اظهر رحمتك على آلاف الأجيال التى تخافك وارحم هؤلاء الذين يؤمنون بكلماتى التى أعطيتنى إياها، ولما كنت الإله الحق فإن كلماتك التى تحدثت بها هى حق لأنها كلماتك، فأنا لم أتكلم من عندى، بل كنت من يقرأ ولا يقرأ إلا ما هو مكتوب فى الكتاب الذى يقرأه، لقد تكلمت بكل ما أمرتنى أن أتكلم به يا ربى يا الهى أيها المخلص أنقذهم بما أعطيتنى حتى لا يستطيع ابليس أن يفعل بهم ما يريد.. انقذهم يا ربى وانقذ كل فرد يؤمن بهم أيها الإله المعطى الواسع الرحمة اسمح لخادمك وعبدك أن يكون من بين المصلين الذى يؤمهم رسولك فى يوم الحساب ولست أنا وحدى، بل كل من هديته على يدى وهؤلاء الذين أعطيتهم لى وكل من يؤمن بى بفضل ما بشرت به. وإنى أرجو يا ربى محبة فى جلالتك أن تفعل ذلك حتى لا يجرؤ إبليس أن يتباهى أمامك.

أيها الإله الذى وفر بألوهيته كل ما هو ضرورى لشعب اسرائيل ارحم القبائل التى وعدت أن يباركها رسولك الذى من أجله خلقت هذا العالم... رحمتك يا ربى أسرع برسولك، فلسوف يفقد ابليس عدوك امبراطوريته. وما أن انتهى عيسى من كلماته حتى قال ثلاث مرات: يا إلهى العظيم الرحمن الرحيم فليكن الأمر كما تريد.

فرد التلاميذ عليه قائلين وهم يبكون:

«فليكن كل هذا»..

فيما عدا يهوذا الذى لم يكن يصدق عيسى.

الإصحاح الثالث عشر بعد المائتين

لما أتى اليوم الذى دعاهم فيه نيقو ديموس إلى وليمة الحمل أرسل الخروف فى سرية تامة إلى الحديقة ليأكله عيسى وتلاميذه واطلعهم على كل ما أمر به هيرودس الحاكم والكاهن الأكبر.

ففرح عيسى من قلبه وقال: تبارك اسمك المقدس يا ربى لأنك لم تفصل بينى وبين عدد من خدمك الذين اضطهدهم العالم وقتلهم، أنى أشكرك يارب العالمين لأنى انتهيت مما أمرتنى أن أقوم به ثم التفت إلى يهوذا وقال له: يا صديقى لماذا أنت متمهل.. لقد اقترب وقتى فاذهب وأفعل ما يجب أن تفعله.

أدرك التلاميذ أن عيسى أراد أن يرسل يهوذا ليشترى بعض لوازم عيد الفصح ولكن عيسى كان يعلم أن يهوذا قد خانه وأنه كان يود أن يترك العالم وهكذا تكلم.

أجاب يهوذا: يا معلم اسمح لى بأن آكل، ثم أذهب.

فقال عيسى: فلنأكل، فقد كنت اشتهى هذا الحمل (الخروف) قبل أن اتركم.. ثم وقف وأخذ منشفة ولفها حول وسطه، ثم وضع بعض الماء فى حوض للتشطيف وبدأ يغسل أقدام تلاميذه بادئا بيهوذا، ثم بطرس، فقال الأخير: يا معلم لماذا تغسل أقدامنا؟

فأجاب عيسى: أن ما أفعله الآن لن تعرف سببه الآن ولكنك ستعرف السبب فيما بعد.

فرد بطرس: لن تغسل قدمى قط.

فوقف عيسى وقال: إذا لم أغسل قدميك فلن تكون معى فى يوم الحساب فرد بطرس: إذن اغسل قدمى يا سيدى، ويدى ورأسى.

وبعد أن فرغ عيسى من غسل أقدام تلاميذه جلسوا إلى المائدة، فقال عيسى: لقد غسلت أرجلكم ولكنكم لستم طاهرين جميعا، أن جميع مياه البحار لن تكفى لتطهير من لا يعتقد بى. قال عيسى هذه العبارة لأنه كان يعلم من سيخونه على أن تلاميذه شعروا بالحزن والأسف، فتحدث مرة أخرى قائلا: الحق أقول لكم إن واحدا منكم سوف يخوننى بل سيبيعنى كما تباع الماشية ولكن الويل له فلسوف يتحقق كل ما قاله أبونا داوود عن من كان مثله قال من حفر حفرة لأخيه المؤمن وقع فيها.

وعندئذ أخذ كل واحد من تلاميذه ينظر إلى الآخرين فى ريبة وشك وقالوا ومن هو الخائن؟

رد يهوذا قائلا: هل سأكون أنا الخائن يا سيدى؟

فأجاب عيسى: لقد أخبرتنى من سيخوننى على أن التلاميذ الأحد عشر لم يسمعوا هذه العبارة.

وعندما فرغوا من أكل الحمل حط ابليس على ظهر يهوذا وأخذ يوسوس له، فخرج من المنزل وقال له عيسى:

«اسرع وافعل ما نويت أن تفعله»..

الإصحاح الرابع عشر بعد المائتين

بعد أن خرج عيسى من المنزل ذهب إلى الحديقة ليصلى كعادته، وأخذ يركع مائة مرة ويسجد على وجهه، وفى نفس الوقت ذهب يهوذا إلى كبير الكهنة، فقد كان يعلم مكان عبادة عيسى وتلاميذه، وقال لكبير الكهنة: إذا أعطيتنى ما وعدتنى به، فلسوف أسلم عيسى الليلة بين يديك، فهو وحيد مع أحد عشر رفيقا.

فأجاب كبير الكهنة: وكم تريد؟

فقال يهوذا: ٣٠ قطعة من الذهب.

وفى الحال قام الكاهن الأكبر وعد له ثلاثين قطعة، ثم أنفذ أحد الفريسيين إلى الحاكم ليحضر العسكر وإلى هيرودس الذى تعاهد معهم لأنهم كانوا يخافون الشعب.

وأخذ الجميع أسلحتهم ومشاعلهم وقناديلهم وهراواتهم وخرجوا من القدس.

الإصحاح الخامس عشر بعد المائتين

عندما اقترب يهوذا والجنود من المكان الذى كان فيه عيسى سمع عيسى أقدام أناس عديدين وهى تقترب فلجأ إلى المنزل بينما كان تلاميذه نيامًا فى الحديقة.

ولما رأى الله سبحانه وتعالى الخطر يحيق بعبده أمر جبريل وميخائيل وروفائيل واسرافيل برفع عيسى عن الأرض وبالفعل جاء هؤلاء الملائكة وأخذوا عيسى وخرجوا به من النافذة المطلة على الجانب الأيمن وحملوه إلى السماء الثالثة فى صحبة عدد من الملائكة كانوا يسبحون الله تسبيحًا.

الإصحاح السادس عشر بعد المائتين

دخل يهوذا مندفعًا أمام جميع من كانوا معه إلى الحجرة التى كان فيها عيسى ثم رفع منها إلى السماء بينما كان التلاميذ نيامًا على أن الله العظيم القادر على كل شىء تصرف تصرفًا عجيبًا، فحول يهوذا إلى صورة عيسى وهيئته وصوته وأسلوب حديثه تمامًا حتى اعتقدنا أنه عيسى ولما استيقظنا من النوم كان يدور ليعرف مكان المعلم أما نحن فعجبنا للأمر فقلنا له أنك أنت معلمنا ومولانا هل نسيتنا؟

فضحك يهوذا وقال: إنكم لحمقى ألا تعرفوننى أنا يهوذا الاسخريوطى وفى هذه اللحظة دخل الجنود ووضعوا أيديهم على يهوذا فقد كان صورة طبق الأصل لعيسى.

ولما سمعنا نحن قول يهوذا ورأينا كتائب الجنود هربنا واختفينا، كان يوحنا يلتف بقماش من التيل فاستيقظ وهرب ولما أمسك أحد الجنود بقطعة القماش تركها له وفرّ هاربًا عارى الجسد، إذ كان الله قد سمع دعوة عيسى وبالفعل نجا التلاميذ الأحد عشر من كل شر.

الإصحاح السابع عشر بعد المائتين

قبض الجنود على يهوذا وقيدوه وكانت وجوههم تطفح بالصرامة فى حين كان يهوذا ينكر فى صدق أنه عيسى ولكن دون جدوى. فقد كان الجنود يستهزئون به ويقولون يا معلم لا تخف فقد أتينا لتنصيبك ملكًا على اسرائيل وقيدناك لأننا نعلم أنك ترفض المملكة فرد عليهم يهوذا: أفقدتم عقولكم.. لقد أتيتم هنا لتأخذوا عيسى الناصرى وحملتم السلاح والمشاعل حتى تكون معاملتكم له معاملة اللصوص ولكنكم قيدتمونى لتجعلوا منى ملكًا، وأنا الذى أرشدتكم إلى هذا المكان.

وأخيراً نفد صبر الجنود وأخذوا يلكمونه ويزدرونه ويسخرون منه، ثم يسوقونه أمامهم فى غضب متجهين به إلى القدس.

وحدث أن يوحنا وبطرس تبعا الجنود من بعيد وأكدا لكاتب هذا الانجيل أنهما شاهدا جميع المحن التى مر بها يهوذا والتى أمر بها الكاهن الأكبر ومجلس الفريسيين الذين أجمعوا على قتل عيسى فى حين كان يهوذا يهلوس بكلمات غير مفهومة حتى ملك الضحك عليهم جميعًا معتقدين عيسى وأن الخوف من الموت قد ملكه حتى جن جنونه، فى حين قد عصب الكتبة عينيه، ثم راحوا يستهزئون قائلين: عيسى يانبى الناصريين (فقد كانوا يسمون من يعتقد بعيسى ناصرى)، قل لنا من الذى ضربك وكيف ابتليت بهذه البلية وفى نفس الوقت أخذوا يبصقون على وجهه ويوجهون إليه السباب.. وفى صباح اليوم التالى اجتمع المجلس الأعلى للكهنة والشيوخ وراح الكاهن الأعظم والفريسيون يبحثون عن شهود على استعداد للشهادة ضد يهوذا الذى اعتقدوا أنه عيسى ولكنهم لم يصيبوا نجاحًا ولا أقول أن كبار الكهنة وحدهم اعتقدوا أن يهوذا هو عيسى بل اعتقد ذلك جميع تلاميذه ومن بينهم كاتب هذا الإنجيل حتى والدته مريم البتول المسكينة وأقاربه وأصحابه اعتقدوا نفس الاعتقاد حتى بلغ حزن كل فرد حدا لا يمكن تصوره وبحق الإله الحى لقد نسى كاتب هذه السطور كل ماذكره عيسى عن (كيف يأخذونه من هذا العالم وكيف أن شخصاً آخر سيتعذب مكانه وأنه لن يلقى حتفه إلا عند اقتراب نهاية العالم، وبالتالى ذهب كاتب هذه السطور مع والدة عيسى وبصحبتها يوحنا إلى الصليب.

حدث أن أمر كبير الكهنة رجاله أن يأتوا بيهوذا أمامه مقيدا وسأله عن تلاميذه وعن عقيدته، فأجاب يهوذا كعادته إجابة غير شافية، فأقسم كبير الكهنة أن يحلف بحق إله اسرائيل الحى أن يقول الحق.

فأجاب يهوذا: لقد قلت لك إننى يهوذا الاسخربوطى الذى وعدكم بأن يقدم عيسى الناصرى لكم- ولا أعرف سببا لاصرارك على أننى عيسى.

فأجاب الكاهن الأعظم: يالك من مضلل معوج، يغرى على الفساد، لقد خدعت كل اسرائيل مبتدئًا بالجليل حتى داخل القدس هنا خدعت الناس بعقيدتك وآياتك الكاذبة، وها أنت الآن تفكر فى الافلات من العقوبة التى تستحقها مدعيًا ومتظاهرًا بأنك مجنون وبحق الإله الحى لن تفلت هذه المرة، ثم نادى كبير الكهنة على خدمه أن يضربوه بالأكف ويركلوه بالأقدام حتى يعود إليه صوابه، والحق أنه لا يمكن لأحد أن يتصور مدى السخرية التى حقت عليه من خدم الكاهن الأكبر فقد فاقت الوصف خاصة وأنهم راحوا يتنافسون فى ابتكار وسائل التعذيب والسخرية استرضاء لأعضاء المجلس فألبسوه ملابس البهلوان وضربوه بالأيدى والأرجل إلى حد أن الكنعانيين لو كانوا قد رأوه لأشفقوا عليه والواقع أن قلوب الكهنة والفريسيين والشيوخ كانت كالحجر فى صلابته على عيسى حتى أنهم اعتقدوا أن يهوذا هو عيسى وفرحوا عندما رأوه محط الاستهزاء والضرب والركل.

وبعد ذلك قادوه إلى الحاكم الذى كان يحب عيسى سرا وبالتالى سمح له بدخول قاعته معتقدًا بأن يهوذا هو عيسى وتحدث إليه وسأله عن سبب كراهية الكهنة والشعب له إلى درجة أنهم سلموه إليه.

أجاب يهوذا: «لو قلت لك الحقيقة لما صدقتنى وحتى أنت لقد خدعك كبير الكهنة والفريسيون المخدوعون.

فأجاب الحاكم (معتقدا بأنه يريد أن يتحدث عن الوضع من الناحية القانونية) (إنك تعلم أنى لست يهوديا ولكن كبار الكهنة والشيوخ قد أرسلوك إلى وبالتالى قل لنا الحقيقة حتى أستطيع أن أحق الحق فأنا أستطيع أن أخلى سبيلك كما أستطيع أن أقودك إلى الموت).

فأجاب يهوذا: ياسيدى صدقنى إذا أمرت بموتى فإنك تكون قد أخطأت خطأ عظيما إذ أنك تحكم بإعدام شخص برىء فأنا لست عيسى بل يهوذا الاسخريوطى فعيسى ساحر، لقد سحرنى وغير من شكلى، وعندما سمع الحاكم رده فرح فرحًا عظيًا حتى أنه فكر فى أن يخلى سبيله، فخرج الحاكم مبتسمًا قائلًا: هذا الرجل فى حالة واحدة على الأقل لا يستحق الموت بل الرأفة هذا الرجل ليس بعيسى ولكنه يدعى أنه يهوذا وأنه قاد الجنود للقبض على عيسى وأن عيسى الجليلى قد غير من هيئته بسحره، فإذا ما كان حقا وصدقا ما قال، فمن الخطأ العظيم أن نقتل هذا الرجل، فهو برىء ولكنه إذا ما كان عيسى وينكر شخصيته، فمن المؤكد أن يكون قد فقد وعيه ومن الظلم أن نقتل رجلا مجنونا.

وعندئذ صاح رؤساء الكهنة والشيوخ والشعب ومعهم الكتبة والفريسيون قائلين: إنه عيسى الناصرى فنحن نعرفه، فلو لم يكن هو المفسد، لما سلمناه إليك وهو ليس بمجنون بل هو رجل شرير، فعن طريق أحابيله يحاول الآن الافلات من أيديكم وإذا مانجح فى ذلك فلسوف يثير فتنة أشد من الفتنة السابقة التى أثارها والحقيقة هى أن بيلاطس (وهو اسم الحاكم) حاول أن يتخلص من هذه القضية فقال «أنه من الجليل وهيرودس هو ملك الجليل وبالتالى لا يحق لى أن أحكم فى هذه القضية فخذوه إلى هيرودس».

وعلى ذلك قادوا يهوذا إلى هيرودس الذى يرغب فى أن يزوره عيسى فى منزله ولكن عيسى كان يأبى أن يحل عليه فى داره لأن هيرودس كان كافرا وملحدا وكان يعبد الآلهة الكذبة وكان يعيش عيشة الملحدين القذرة ولما دفع الشعب بيهوذا إليه سأله هيرودس عدة أسئلة لم يجب يهوذا عليها إجابة شافية وكان فى كل مرة ينكر أنه عيسى.

وكان من نتيجة ذلك أن سخر منه هيرودس وحاشيته وأمر أن يلتف بقماش أبيض كالمجانين وأرسله مرة أخرى إلى بلاطس قائلا له: لا تقصر فى إحقاق العدل بين شعب إسرائيل.

كتب هيرودس فى هذه العبارة استجابة لكبار الكهنة والكتبة والفريسيين الذين دفعوا إليه بمبالغ كبيرة من النقود ولما علم الحاكم بكل ذلك من أحد اتباع هيرودس تظاهر بأنه يرغب فى الإفراج عن يهوذا حتى يجمع مثل هيرودس بعض النقود، غير أنه أمر عبيده بتعذيبه بالنار ولما علم الكتبة بذلك دفعوا إلى العبيد بالمال ليقضوا عليه وهم يكونونه على أن الله سبحانه وتعالى كان قد فصل فى الأمر وهيأ يهوذا ليصلب حتى يتعذب ويلقى هذه الموتة الشنيعة بدلا من عيسى جزاء وفاقا لأنه أراد بيعه لأعدائه ولم يكن مصير عيسى أن يموت بالكى رغم أن الجنود قد أوسعوه حرقًا حتى نزف الدم من بدنه ثم أخذ عبيد هيرودس وجنوده جلبابا قرمزيا قديمًا وألبسوه يهوذا قائلين له أننا سوف نتوج ملكنا الجديد فى

هذا الجلباب ونضع التاج على رأسه وبدأوا يجمعون الشوك وصنعوا منه تاجاً مثل التيجان التى يلبسها الملوك على رءوسهم والمصنوعة من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة، ثم وضعوا الاكليل المصنوع من الشوك على رأس يهوذا كما جاءوا بعصيان الغاب وجعلوه يمسكها كالصولجان، ثم اجلسوه على منصة عالية وأخذ الجنود يمرون أمامه وينحنون فى استهزاء وسخرية ويعظمونه باعتباره ملك اليهـود، ثم جعلوه يمد يديه لتلقى الهدايا كما يفعل الملوك عند تتويجهم.

ولما كان الملوك الذين يتوجون لأول مرة يقدمون أيضا الهدايا أخذ الجنود يسخرون لأنه لم يدفع إليهم بهدية قائلين له الآن أيها الملك المغفل كيف يتم تتويجك إذا لم تدفع الهدايا لجنودك وخدمك.

ولما رأى كبار الكهنة والكتبة والفريسيون أن يهوذا لم يمت عن طريق الكى، خافوا أن يقرر بلاطس إطلاق سراحه، فتقدموا بهدية إلى الحاكم، فدفع بيهوذا إلى الكتبة والفريسيين ليقتلوه، وقد حكم عليه بالاعدام كذلك حكم على لصين معه بالصلب حتى الموت..

أخذوا يهوذا إلى جبل الجمجمة حيث كانوا يصلبون المجرمين ثم صلبوه عريانا كما ولدته أمه إمعانا فى السخرية به وفضيحته.

أما هؤلاء الذين كانوا يعتقدون بعقيدته فقد ملكهم الحزن وهم يشاهدون هذا الذى يشبه عيسى وهو يصلب ناسين ما قاله عيسى. وكان تلاميذه قد ذهبوا فى صحبة والدته إلى جبل الجمجمة حيث حضروا صلب يهوذا وراحوا يبكون بكاء مستمرا وتمكنوا عن طريق نيقوديموس ويوسف الابار يماثياثى أن يحصلوا على إذن من الحاكم باستلام جسد يهوذا لدفنه وبالفعل انزلوه من على الصليب وهم يبكون بكاء مرا ثم دفنوه فى مدفن يوسف الجديد بعد أن لفوه فى كفنه ووضعوا عليه أفخر أنواع الزيوت والمراهم وكانوا قد اشتروها بمائة قطعة ذهبية.

الإصحاح الثامن عشر بعد المائتين

عاد كل شخص إلى بيته، أما كاتب هذا الانجيل فقد عاد مع أم عيسى الناصرى وفى صحبتها يوحنا ويعقوب أخوه.

وقام التلاميذ الذين لا يخافون ربهم عندما هجع الليل وسرقوا جثة يهوذا وأخفوها ثم أطلقـوا إشاعة بأن عيسى قد بعث من قبره فحدث هرج ومرج كبيران وأمر كبير الكهنة بتأثير من اناثيا بمنع الحديث بين الناس حول عيسى الناصرى ولكن الناس لم يسكنوا مما أدى إلى اضطهاد عدد كبير ورجم عدد آخر وضرب جماعات منهم وهجرة الكثيرين من البلاد لأنهم لم يستطيعوا أن يسكنوا على هذا الأمر.

ووصلت الأخبار إلى الناصرة بأن عيسى الناصرى قد مات على الصليب، ثم بعث حيا وكان كاتب هذه السطور يصاحب أم عيسى فناشدها أن تكف عن البكاء لأن ابنها قد بعث مرة أخرى ولما سمعت

مريم العذراء بهذا النبأ راحت تبكى وتقول: فلنذهب إلى القدس لنبحث عن ابنى ولسوف أموت مرتاحة الضمير عندما أراه.

الإصحاح التاسع عشر بعد المائتين

عادت العذراء إلى القدس مع كاتب هذه السطور وبرفقتها يوحنا وأخوه يعقوب وكان ذلك يوم صدور أمر الكاهن الأعظم.

وكانت مريم البتول وهى تخاف ربها تعلم بظلم الكاهن الأعظم ومع ذلك أمرت الذين يعيشون معها بأن ينسوا ابنها وكان تأثر كل واحد شديدا والله المطلع على أفئدة الناس يعلم مدى حزننا على موت يهوذا الذى ظنناه عيسى معلمنا ومولانا»، ومدى رغبتنا فى أن نراه يرفع إلى السماء مرة أخرى، فقد استفزنا الحزن نحن وأم عيسى وكان الملائكة التى تحرس مريم قد ارتفعت إلى السماء الثالثة حيث كان عيسى فى صحبة الملائكة وقصت عليه كل ما شاهدت.

وعلى ذلك أخذ عيسى يصلى لله سبحانه وتعالى أن ينعم عليها بالقوة ويسمح له برؤية والدته وتلاميذه وبالفعل أمر الله الرحمن الرحيم أقرب الملائكة الأربعة إليه وهم جبريل وميخائيل وروفائيل وأوريال (اسرافيل) أن يحملوا عيسى إلى بيت والدته ويحرسونه ثلاثة أيام متتالية على أن يرى هؤلاء الذين يعتقدون فى عقيدته دون غيرهم وبالفعل نزل عيسى تحيط به طاقات من نور إلى الحجرة التى كانت تسكنها مريم البتول مع اختيها مرتا ومريم المجدلية وليعازر وكاتب هذه السطور ويوحنا ويعقوب وبطرس الذين سقطوا على وجوههم من الخوف وكأنهم موتى، وقام عيسى برفع والدته والآخرين من على الأرض قائلا لهم: لا تخافوا فأنا عيسى، ولا تبكوا ولا تحزنوا فأنا حى ولم أمت، وبقى كل واحد منهم مدة طويلة بجواره، فقد كانوا يعتقدون أنه ميت وعندئذ قالت مريم البتول وهى تبكى: يا بنى.. اخبرنى كيف يسمح الرب الذى أعطاك القدرة على أن تحيى الموتى بأن تموت وقد أحس شعبك وأصدقاؤك بالعار كما لحق العيب بعقيدتك، فقد شعر كل فرد أحبك بأنه قد مات أيضًا.

الإصحاح العشرون بعد المائتين

ضم عيسى أمه إليه وقال: صدقينى يا أماه.. أننى لم أمت على الإطلاق فقد أبقانى الله حتى نهاية هذا العالم وما أن قال ذلك حتى أظهر الملائكة الأربعة أنفسهم بناء على طلبه وشهدوا كيف كان الأمر معه وما أمروا به.

ظهرت الملائكة وكأنها أربع شموس، فخاف الحاضرون وانكفئوا على وجوههم وكأنهم موتى..

أخذ عيسى أربع ملاءات من التيل وأعطاها للملائكة الأربعة حتى يغطوا أنفسهم ليراهم الحاضرون ويسمعونهم وهم يتكلمون ثم قام كل ملاك وطيب خاطرهم وقال عيسى هؤلاء هم سفراء

الله سبحانه وتعالى فجبريل مختص بإعلان الأسرار الإلهية وميخائيل يحارب أعداء الله وروفائيل هو الذى يقبض أرواح الناس واسرافيل هو الذى ينفخ فى الصور يوم الحشر.

فأجاب عيسى: اسأل من فضلك يا برنابا ولسوف أجيبك.

قال كاتب هذه السطور: أنى أعلم أن الله رحيم بعباده.. فلماذا عذبنا وجعلنا نعتقد كأنك قد قضيت؟ لقد بكت والدتك بحرقة عليك حتى قاربت الموت وأنت يا ولى الله يامن اختاروك ضحية الوشاية والكذب حتى أخذوك لتموت بين اللصوص على جبل الجمجمة أو هذا ما ظنوه..؟

أجاب عيسى: صدقنى يابرنابا أن المعصية مهما كانت صغيرة أو تافهة فإن الله سيعاقب صاحبها العقاب الذى يستحقه.. فالله لا يحب المعصية ولما كانت والدتى وتلاميذى المخلصون الذين كانوا معى قد أحبونى بعض الحب الدنيوى فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يعاقب هذا الحب الدنيوى، بهذا الحزن حتى لا يدفع بأصحابه إلى لهيب جهنم وبرغم أننى كنت بريئًا فى هذا العالم الدنيوى، وبرغم أن الناس أطلقوا على اسم الله احيانًا وابن الله أحيانًا أخرى، وحتى لا يستهزئ بى الشياطين فى يوم الحساب، فقد أمر الله سبحانه وتعالى أن أكون محط سخرية الناس فى هذا العالم عن طريق موت يهوذا وجعل الجميع يعتقدون بأنى مت على الصليب ولسوف يستمر الناس فى سخريتهم حتى يأتى محمد رسول الله الذى سوف يزيل هذا الخطأ عندما يأتى لهؤلاء الذين يعتقدون فى الله وشرعه ثم أردف عيسى قائلًا يا الهى إنك أعدل العادلين يامن تملك المجد والشرف والعظمة إلى أبد الآبدين.

الإصحاح الحادى والعشرون بعد المائتين

واستدار عيسى نحوى وقال لى اسمع يابرنابا عليك أن تكتب انجيلى وتضع فيه كل ما حدث خلال إقامتى فى هذه الدنيا مهما كان الأمر ومهما صادفت واكتبه بشكل تشرح فيه ما حل بيهوذا حتى لا يخطىء المؤمنون وحتى يعرف كل فرد الحقيقة.

فأجبته قائلًا: إنى سأفعل ذلك بمشيئة الله سبحانه وتعالى ولكن ما حل بيهوذا لا أعلمه إذا لم أر كل شىء.

فأجاب عيسى هاهو يوحنا وهاهو بطرس وقد رأيا كل شىء وسوف يخبرانك بما رأياه.

ثم أمرنا عيسى أن نجمع له تلاميذه المخلصين حتى يروه فذهب يوحنا مع يعقوب وجمعوا تلاميذه السبعة ومعهم نيقود يموس ويوسف وكثيرون غيرهم من التلاميذ الاثنين والسبعين وأكلوا مع عيسى.

قال عيسى فى اليوم الثالث: اذهبوا إلى جبل الزيتون وخذوا والدتى معكم فلسوف أصعد إلى السماء مرة أخرى ولسوف ترون من سيحملنى..

فذهب الجميع إلى جبل الزيتون فيما عدا خمسة وعشرين من تلاميذه الاثنين والسبعين لجئوا إلى دمشق وبينما هم قد توقفوا فى صلاتهم وقت الظهر أتى عيسى تحمله حشود من الملائكة يسبحون الله ويحمدونه وكان وجهه مضيئًا فخاف الناس وانكفئوا على وجوههم فرفعهم عيسى وواساهم قائلًا:

لا تخافوا فأنا معلمكم، ثم راح يعتب على كثيرين ممن ظنوا أنه قد مات، ثم بعث من جديد قائلاً لهم: هل تكذبوننى وهل تكذبون ربى.. فقد أنعم على ربى أن أحيا حتى نهاية هذا العالم كما قلت لكم والحق أقول لكم إننى لم أمت ولكن الذى مات هو يهوذا الخائن واحترسوا من ابليس فلسوف يبذل كل جهده ليغرر بكم ويخدعكم ولكن كونوا شهداء لى فى اسرائيل وفى العالم اجمع على ما أتيته من عمل رأيتموه أو سمعتموه.

وما أن انتهى عيسى من كلامه حتى أخذ يدعو الله سبحانه وتعالى أن يخلص المؤمنين ويتوب على العصاة المخطئين ولما انتهى من دعائه احتضن والدته قائلا: سلام الله عليك يا أماه وتوكلى على الله الذى خلقك وإياى.. وبعد أن قال ذلك التفت إلى تلاميذه قائلاً: فلتتنزل عليكم رحمة الله وسلامه. وأمام أعين الناس صعدت الملائكة الأربعة بعيسى إلى السماء.

الإصحاح الثانى والعشرون بعد المائتين

بعد أن ارتحل عيسى انتشر تلاميذه فى مختلف أنحاء اسرائيل والعالم ينشرون الحقيقة التى يكرهها إبليس، والتى هى دائماً موضع التكذيب والتى يضيق بها غير المؤمنين، فقد حدث أن بعض الأشرار زعموا أنهم من تلاميذ المسيح راحوا يذيعون أن عيسى مات ولم يرفع إلى السماء بينما راح آخرون يدعون أنه مات، ثم رفع إلى السماء فى حين بشر آخرون ومازالوا يبشرون بأن عيسى هو ابن الله، وقد اعتز بقولهم بولس ولكننا نبشر هؤلاء الذين يخافون الله بالحقيقة حيث يكونون يوم الحساب فى مأمن أمين.

انتهى إنجيل برنابا
تم بحمد الله وتوفيقه



مراجع عربية

اسم الكتاب	اسم المؤلف
* القرآن الكريم	
١ - الإعلام (بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام واظهار محاسن الإسلام وإثبات نبوة محمد ﷺ)	الإمام القرطبى تحقيق د. أحمد حجازى السقا
٢ - دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام	منصور حسين عبد العزيز
٣ - تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم	محمد عزه دروزه
٤ - مقارنات الأديان ١ - اليهودية ٢ - المسيحية ٣ - الاسلام ٤ - أديان الهند الكبرى الهندوسية مع ملحق عن قضية الالهوية كنموذج للمقارنة بين قضايا الأديان.	الدكتور / أحمد شلبى
٥ - قذائف الحق	الشيخ / محمد الغزالى
٦ - حقائق الاسلام وأباطيل خصومه	عباس محمود العقاد
٧ - المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية	أنور الجندى
٨ - مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام	الدكتور / عوض الله حجازى
٩ - ما يجب أن يعرفه المسلم عن حقائق النظرية والتبشير	ابراهيم السليمان الجبهان
١٠ - دراسة فى الأديان المسيح فى مصادر العقائد المسيحية خلاصة ابحاث علماء المسيحية فى الغرب.	لواء مهندس / أحمد عبد الوهاب
١١ - تنقيح الأبحاث للملل الثلاث (اليهودية - المسيحية - الاسلام)	ابن كمونة اليهودى / القرن السابع الهجرى (المسمى سعد بن منصور)
١٢ - هذا هو الحق رد على مفتريات كاهن كنيسه	لابن الخطيب
١٣ - دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة	موريس بوكاى
١٤ - محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن.	ابراهيم خليل
١٥ - النبوة والأنبياء	محمد على الصابونى
١٦ - يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام بين الاسلام والنصرانية	الدكتور / أحمد حجازى السقا
١٧ - إنجيل برنابا ترجمة من الإنجليزية ومعه مقدمة للشيخ/ رشيد رضا.	الدكتور/ خليل سعادة تحقيق د. أحمد حجازى السقا.

اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٨ - اقانيم النصارى (يتحدث عن أهل الديانة النصرانية وتطورها وفقدها بأوله من اسفار التوراه والإنجيل)	الدكتور / أحمد حجازى السقا
١٩ - محمد والمسيح عليهما السلام معا على الطريق	خالد محمد خالد
٢٠ - يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء (دراسة مقارنة للمسيحية)	الدكتور /رءوف شلبى
٢١ - الاستعمار والتبشير والاستشراق بعد حرب رمضان	الدكتور / عبد العزيز عزت
٢٢ - محاضرات فى النصرانية (مقارنة الأديان)	الشيخ / محمد أبو زهرة
٢٣ - مقارنات الأديان (الديانات القديمة)	الشيخ / محمد أبو زهرة
٢٤ - النبوة والأنبياء فى اليهودية والمسيحية والاسلام (مقارنة اديان)	لواء مهندس / أحمد عبد الوهاب
٢٥ - حقيقة التبشير بين الماضى والحاضر	لواء / أحمد عبد الوهاب
٢٦ - إظهار الحق (دراسة فى الأديان)	رحمة الله الهندى
٢٧ - الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى	الدكتور / محمود حمدى زقزوق
إنجيل برنابا	ترجمة الدكتور خليل سعادة ١٩٠٨
إسرائيل عبر التاريخ (فى البدء)	الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين
اليهودية واليهودية المسيحية	الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين على ١٩٦٨
التوراة	فؤاد حسنين على
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح	لشيخ الإسلام ابن تيمية
مايجب أن يعرفه المسلم عن حقائق النصرانية والتبشير	إبراهيم سليمان الجبهان
هذا هو الحق	ابن الخطيب
الرد الجميل للإمام الغزالى	
دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة	موريس بوكاى
مقارنة الأديان	د . أحمد شلبى
محمد فى التوراة والإنجيل والقرآن	إبراهيم خليل أحمد
الأناجيل الأربعة	
التوراة	

B. The Beginning of Christianity.
Vol. 1-V (1920-55).
The Book of Acts in History (1955).

C. Chapman. J. O.S.B.
The Vondemmation of Pope Honorius. (1907).

Clarendon Bible.
F.W. Green.

Catholic Teaching.
Rev. J.F. De Groot.

E. God's Plan for your Salvation.
Phoenix, Arizona.

F. Fragments of Thalia.
Ed. by G.Bardy, Lucien d'Antioche (1956);
Journal of Theological Studies,
Vol. XIVII p.p. 129-142 (1945).
N.H. Baynes Sosoman Exclesiastica Historia I 15.
Journal of Theological Studies.
Vol. XIIX p.p. 165-168 (1948).

G. E. P. Gould.
International Critical Commentary.
A. E. Guilding.
The 4 th Gospel and Jewish Worship (1960).

H. Historie de la Turquie.
Lamartine.

I. International Critical Commentary.
W. E. Allen.

Islam and Christianity.
Ulfat Azziz Ussamad.

Islam, its Moral and Spiritual Value.
Major A. J. Leonard.

Islam in the World.
Dr. Zaki Ali.

J. Journal of Theological Studies.
48-120 25 (1947).

M. Moffat New Testament.
Commentary by E. C. Hoskyns.
Edited by F. N. Darey (1940).
The Making of Luke Acts (1958).

R. Religious Knowledge.
International Encyclopedia,
Encyclopedia Britanica.

T. The Theology of St. Luke (1960).
The Acts of the Apostles (1945).
The Quest of the historical Jesus.
By. Albert Schweitzxer, Eng. translation by W. Montgomery.
The Problem of Jesus,
English trans. by A. Gordon Smith (1955).
The Life of Jesus,
English trans. by Newton Thompson (1944).
The Ancient Christologies.
The Doctrine of the Person of Christ.
The Biblical Archaelogist vol. XVII.
The Earliest gospel. F. C. Grant. 1942.
The Problem of History in Mark. (1957).
The First Draft of St. Luke's Gospel.
by H. Conzelman.
The International Critical Commentary.
by M. J. Lagrange. (1948).
The Gospel of Barnabas.
The Life of Mohammed,
introduction by Sir Wilkliam Muir.
The Gospel of St. Barnabas.
edited and translated from a manuscript in the Imperial
Library at Vienna by Lonsdale & Laura Ragg, Oxford.
The Paganism in our Christianity.
by Arthur Weigall.
The Interpretation of Islam.
Dr. Caselli.

The Acts of the Apostles.
by W. L. Knox.
The Anti-Nicene Fathers.
by Roberts and Donaldson.

The Life of Jesus.
by C. J. Cadoux (Penguine Books).
The History of the Christians of the Light of Modern Knowledge.
The Religions of man,
Honston Smith, Mentor Books.,
The Speeches and Table Talk of the Prophet Mohammed Interoduction.
The New Catholic Encyclopedia (1967).
The Holy Trinity.
The truth of Christianity
W. H. Turton.
The Gospel of St. John.
The Creative Evaluation
C. F. Bergson.
The Attonement
Rev. W. Goldsack.

W. What the Bible Says about Mohammed
by Ahmed Deedat.
Islamic Propagation Centre,
47/49 Mandressa Arcade,
Durban,
Republic of South Africa.

A Western Awakening to Islam
by Lord Headley.

الفهـــرس

الصفحة

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

الصفحة

الباب السادس

الباب السابع

الصفحة

إنجيل برنابا

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

رقم الإيداع	٨٤٦٨ / ١٩٩١	
الترقيم الدولى	977 - 02 - 3492 - 3	ISBN

١ / ٨٣ / ٢٢٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

